دير القديس أنبا مقار

شرح الرسالة إلى أفسس

للقديس بولس الرسول

الأب متى المسكين

اهداءات ٢٠٠٢

القمص/ متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

شرح الرسالة إلى أفسس

للقديس بولس الرسول

الأب متى المسكين

كتاب: شرح الرسالة إلى أفسس
للقديس بولس الرسول
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٩٤
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
صندوق بريد ٢٧٨٠ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٤/٢١٧٦
رقم الإيداع الدولي: ٩-٤٩-٠٢٤٠-٩٧٧ ISBN

اعتراف بالفضل للدويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب، بداية من النسخة الخطِّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم، وهم في غِنًى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارىء بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لشرح رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا دائماً.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات، وصياغة الفهرس الموضوعي.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب ويصا	تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحسَّاس للصفحات المجموعة من النص.
الأب برتي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأُولى.
الأب إيسائياس	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب لونجينوس	آلة الطباعة الأوفست – آلة تطبيق الملازم – آلة خياطة الملازم – آلة القص – التجليد.
الأب دوروثيئوس	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف.
الأب أخنوخ	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب سوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.
الأب يسطس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إيفانيوس	مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.
الأب جيروم	نسخ النسخة الأُولى عن المسوَّدة التي بخط المؤلف، ثم آلات الطباعة والتجليد.

وأخيراً – نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارىء، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار **الثلاثاء ١٥ فبراير سنة ١٩٩٤ – ٨ أمشير ١٧١٠ش**

عيد دخول المسيح الهيكل

LIGHTFOOT, J.B., *St Paul's Epistles to the Colossians and to Philemon* (A Zondervan Commentariy), 1879, reprinted 1970.

MEYER, H.A.W., *Critical and Exegetical Handbook to the Epistle to the Ephesians*, 1883, reprinted 1983.

THOMAS AQUINAS, St, *Commentary on Saint Paul's Epistle to the Ephesians*, Magi Books Inc., 1966 (translated from lectures given about 1261 to 1263 A.D.)

THOMPSON, G.H.P., *The Letters of Paul to the Ephesians, to the Colossians and to Philemon*, (The Cambridge Bible Commentary), Cambridge, 1967.

VAN ROON, A., *The Authenticity of Ephesians*, Leiden, 1974.

WEDEL, Theodore O., *The Epistle to the Ephesians, Exposition*, (The Interpreter's Bible, Vol. 10), Abingdon, 1953.

WESTCOTT, Brooke Foss, *Saint Paul's Epistle to the Ephesians*, Eerdmans, 1906.

WUEST, Kenneth S., *Word Studies from the Greek New Testament*, Vol. I, Eerdmans, 1953, reprinted 1966.

Bibliography

ABBOTT, T.K., *A Critical and Exegetical Commentary on the Epistles to the Ephesians and to the Colossians,* (International Critical Commentary) Edinburgh, 1899, reprinted 1985.

BARCLAY, William, *The Letters to the Galatians and Ephesians,* (The Daily Study Bible), Edinburgh, 1976.

BARTH, Markus, *Ephesians,* (The Anchor Bible 34, 34A), Doubleday, 1960.

BEARE, F.W., *The Epistle to the Ephesians,* (The Interpreter's Bible, vol. 10) Abingdon, 1953.

BLAIKIE, W.G., *Ephesians,* (The Pulpit Commentary), reprinted 1980.

BLOOMFIELD, S.T., *The Greek Testament, with English Notes, Critical, Philological and Explanatory,* 4th edition, London, 1841, vol. II, p. 297ss.

BRUCE, F.F., *The Epistles to the Colossians, to Philemon and to the Ephesians,* (The New International Commentary on the NT), Eerdmans, 1984.

CHRYSOSTOM, St. John, *Homilies on Galatians, Ephesians, Philippians, Colossians, Thessalonians, Timothy, Titus & Philemon* (Nicene and Post Nicene Fathers, 1st Series, Vol. XIII, Eerdmans, reprinted 1956).

FIELDS, Wilbur, *The Glorious Church, A Study of Ephesians,* (Bible Study Textbook), Missouri, 1960.

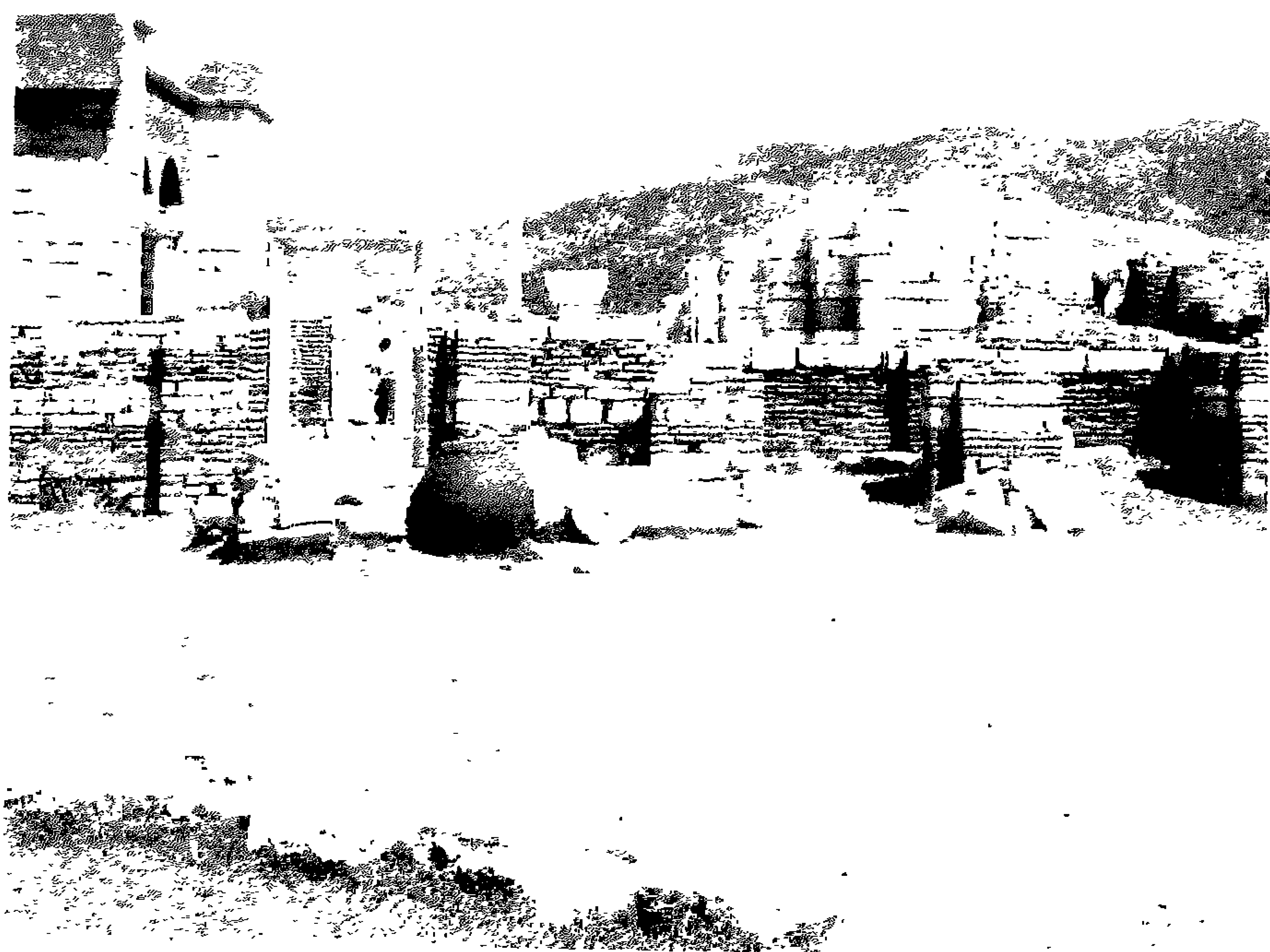
FOULKES, Francis, *Ephesians,* (Tyndale New Testament Commentaries), 1963, 1989 (2nd edition).

LIGHTFOOT, J.B., *Notes on Epistles of St Paul* (Thornapple Commentaries), 1895, reprinted 1980.

محتويات

شرح الرسالة إلى أهل أفسس

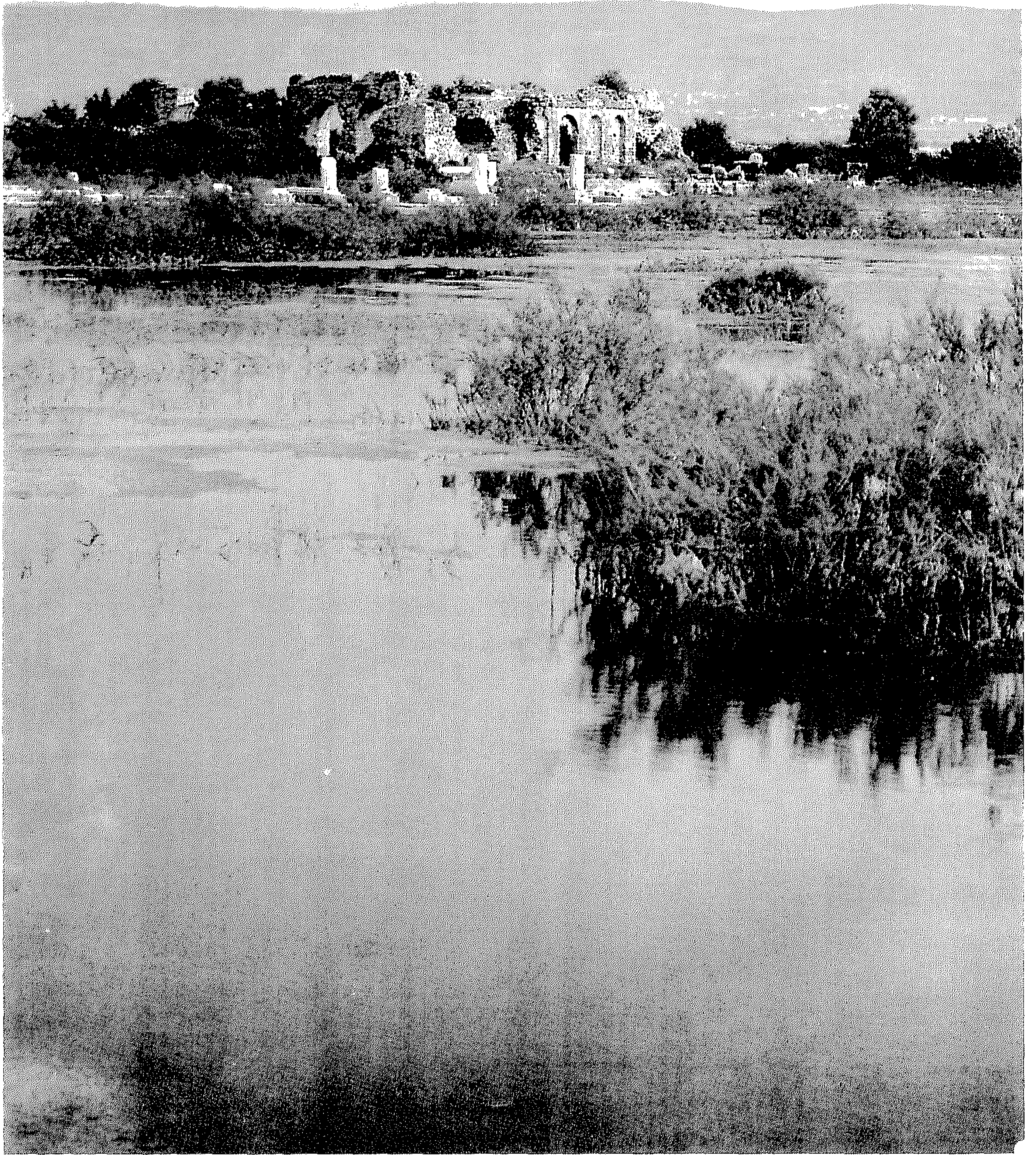
الشـرح



آثار كنيسة القديس يوحنا في أفسس. تَكَرَّم هذا الرسول بأن دُعيت العذراء مريم أمه بفم المسيح (يو١٩: ٢٦و٢٧)، كما أنه في مدينة أفسس أُعلن لقب العذراء أنها «ثيئوتوكس» (والدة الإله)، وذلك في المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١م.



«ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة.»
(أع ٢٠:١٧)
أطلال ثياترو «مشهد» ميليتس حيث استدعى القديس بولس الرسول قسوس كنيسة أفسس وألقى عليهم خطابه الوداعي المؤثر.



بقايا ميناء ميليتس حيث أرسل القديس بولس إلى أفسس واستدعى
قسوس الكنيسة ليودعهم قبل ذهابه إلى أورشليم (أع ٢٠:١٧).



بلاطة من الرخام مزينة بصليب مُزهر اكتشف في إحدى كنائس العصور الوسطى بأفسس



صليب أثري اكتُشف في مدينة أفسس في كنيسة يعود تاريخها إلى العصر الرسولي.

ماذا قال عظماء اللاهوتيين عن هذه الرسالة :

[بولس ائتمن أهل أفسس ـــ باعتبارهم متأصلين في المعرفة ـــ على أعمق مدركاته، والرسالة نفسها مليئة بأسمى الأفكار والتعاليم].
(ذهبي الفم. «مقدِّمة الرسالة إلى أفسس»، صفحة ٤٩).

[إنها مزدحمة بالأفكار التي بلغت أقصى السمو والجلال، هذه الأفكار قلَّما عُبِّر عنها في أية كتابات أخرى].
(ذهبي الفم. «مقدِّمة الرسالة إلى أفسس»، صفحة ٤٩).

[في هذه الرسالة يرتفع التعليم المسيحي إلى أوج رفعته ليحتضن السماء!!]
(هنرش أوجست ويلهمماير. هانوفر. ١٠ نوفمبر سنة ١٨٦٦)

المقدمة

تحظى الرسالة إلى أفسس بأمجد تعليقات عظماء اللاهوتيين من كل العصور بعد أن فحصوها، وهذا بحد ذاته يعطي الانطباع عن علو شأن هذه الرسالة.

يقولون:

ـ [إنها جوهرة رسائل بولس الرسول] - بروس(١) سنة ١٩٧٧.

ـ [بل هي تاج لكل رسائل بولس الرسول] - دودد(٢) سنة ١٩٢٤.

ـ [هي ضيف عظيم واقف على الباب] - مرقس بارت(٣) سنة ١٩٦٠.

ـ [إنها بحث قيّم يتجلى في شكل رسالة] - فوللر(٤) سنة ١٩٦٠.

ـ [ملحمة الشراح تقصر دونها ووترلو (*)] - جودسبيد(٥) سنة ١٩٣٣.

ـ [مختارات ممتازة من الخلاص المسيحي] - جودسبيد(٦) سنة ١٩٣٣.

ـ [شرح لشرح رسائل بولس الرسول] - جودسبيد(٧) سنة ١٩٣٣.

ـ [موزاييك مرصّع بأقوال بولس الرسول] - جودسبيد(٨) سنة ١٩٣٣.

ـ [هي البناء المركب معاً ينمو هيكلاً مقدساً للرب] - عن مؤتمر سنة ١٨٣٠(٩).

ـ [أقوى ما كتب إنسان، لاهوتياً] - كولريدج(١٠) سنة ١٧٧٢-١٨٣٤.

ـ [إنها خطاب دوري لكل الأمم] - كولريدج(١١) سنة ١٧٧٢-١٨٣٤.

ـ [بعد البحث الدؤوب نقول إن هذه الرسالة علت في سمو أفكارها لتكون **واحدة من أروع المؤلفات من نوعها التي عبَّرت عنها لغة إنسان**] - جروتيوس(١٢) سنة ١٦٤٥.

ـ [هذه الرسالة اعتبرت أغنى وأنبل الرسائل، وبالحقيقة والتأكيد: هي في ملئها الموضوعي، وعمقها العقائدي، وسموها في التعبير، وأسلوبها الحار الحياتي، وارتفاعها إلى ما يقال له اختطاف العقل rapture، وما بها من الاعتناء الرسولي المستميت في الشرح، ما يخلب القلب حتى إذا كان لدى القارىء شرارة الوعي للإنجيل فإنه حتماً سيشتعل ناراً] - بلوم فيلد شارح الإنجيل الشهير(١٣).

---

1. F.F. Bruce, *Paul, Apostle of the Free Spirit,* Grand Rapids 1977, p. 424.
2. C.H. Dodd, *Ephesians,* Abingdon Bible Commentary 1924, p. 25.
3. M. Barth, *The Broken Wall,* 1960, p. 9.
4. R.H. Fuller, *A Critical Introduction to the New Testament,* London 1960, p. 66.

(*) Waterloo في بلجيكا حيث انهزم نابوليون بونابرت سنة ١٨١٥.

أصالة الرسالة وصحتها والنقد المقدَّم لها:

لقد بلغت الانتقادات التي قدّمها علماء النقد في كل ما يخص هذه الرسالة إلى أقصى ما يمكن من النقد والتمزيق، سواء من جهة زمانها، فعلى حد قولهم، فهي من القرن الثاني، وكاتبها ليس ق. بولس ولا أي رسول، والمرسلة إليهم ليسوا أهل أفسس، ولغتها ليست لغة بولس، وأسلوبها ووحدة الفكر والتأليف ليسا لفرد واحد، ثم ومحاولة نسبتها فكرياً للغنوسيين، ثم المانيين، ثم وادي القمران، وغيره فهناك الشيء الكثير جداً.

ولو أننا على استعداد أن نخوض في كل ما قالوا ونرد على كل ما انتقدوا، ولكننا لأننا لم نجد نقداً يظهر إلاَّ وظهر مَنْ ينقده، ولا قولاً يحطّ من قيمة هذه الرسالة إلاَّ وانبرى مَنْ يحط من قدره، حتى تاه العلماء في بحر من النقد لا يقر قراره؛ لذلك اكتفينا بتقديم شهادات لها قيمتها من أعظم اللاهوتيين والعلماء، قدامى ومحدثين، يؤكدون صحتها وأصالتها ونسبتها لبولس الرسول. ويكفينا أن يرد العالم الألماني المشهور ماير على كل ما قُدِّم من نقد لهذه الرسالة بقوله:

[إن ارتفاع هذه الرسالة فوق التقلبات والجدل (القائم بين النقاد) من جهة الصيغ المسيحية وطرق الإدراك والتصور يجعلها في منأى عن التأثر. بل إن مكانها الثابت والمكين بين أسفار العهد الجديد باعتبارها بآن واحد **شهادة واختباراً للحق**، يجعلها تقف في وسط هذه النزاعات والتقلبات المتحيزة تتحدى أي خطر] (هـ. أ. و. ماير).

ونحن نعلم أنه حينما كتب القديس يوحنا اللاهوتي رؤياه، افتتحها بسبع رسائل لسبع كنائس أهمها كنيسة أفسس. إذاً، فالكنيسة والرسالة إليها كانتا معروفتين لدى ق. يوحنا سنة ٩٦م. وأول اقتباس أُخذ من الرسالة إلى أفسس جاء في رسالة ق. كلمندس أسقف روما في رسالته إلى كورنثوس سنة ٩٠م.

---

5. E.J. Goodspeed, *The Meaning of Ephesians*, Chicago 1933, p. 15.
6. Ibid., p. 3.
7. Ibid., p. 9.
8. Ibid., p. 8.
9. *Table Talk*, May 25, 1830.
10. Samuel Taylor Coleridge (1772-1834).
11. Ibid.
12. Grotius, H., cited by Adam Clarke, *N.T. Ephesians* (Commentary with Critical Notes 1823), p. 437. Quoted by Philip Schaff *History of the Christian Church*, I, p. 780 n. 2.
13. S.T. Bloomfield, *The Greek Testament with English Notes: Critical, Philological and Explanatory*, Vol. 2, 4th edition, London 1841, p. 297.

كذلك وُجدت اقتباسات من رسالة أفسس في رسالة للقديس إغناطيوس (٩٨-١١٧م)، وكذلك في كتاب «الراعي» لهرماس (١٤٨م)، وفي رسالة للقديس بوليكاربوس إلى كنيسة فيلبي (١٥٠م).

ولكن أول مَن ذكر الرسالة إلى أفسس كمرجع أصيل وكرسالة لبولس الرسول هو القديس إيرينيئوس[14] في نهاية القرن الثاني ومن بعده أوريجانوس[15].

وفي الحقيقة فإنه منذ فجر التاريخ للآباء والوثائق، والرسالة إلى أفسس تحتل مكانتها برسوخ، فهي مذكورة في مجموعة تشستر بيتي[16] وهي مجموعة البرديات التي وُجدت في أخميم بصعيد مصر، وهي من **القرن الثالث**، وهي مجموعة برديات تحمل كل أسفار الكتاب تقريباً، مذكور بها رسائل بولس الرسول وأفسس معها.

كما أن الرسالة إلى أفسس ونسبتها لبولس الرسول موجودة في القانون الموراتوري[17]، وهو أقدم ما يوجد من السجلات التي تذكر أسماء أسفار الكتاب المقدس، ويعتقد أنه من **القرن الثاني** وتذكر فيه الرسالة إلى أفسس وأنها لبولس الرسول (في السطر ٥١).

وعلى العموم فإن المدرسة الإنجليزية كالعادة (انظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، ص٣٧٨) ظلت تميل بشدة للدفاع عن أصالة الرسالة وصحتها ونسبتها لبولس الرسول. أما كبار العلماء الذين دخلوا هذا الميدان فهم:

Hort, Westcott, Armitage Robinson, T.K. Abbott, W. Barclay, L. Cerfaux, F. Foulkes, H. Schlier, P. Benoit.

وأقوى دفاع قُدِّم لتأييد صحة الرسالة وأصالتها في الإنجليزية هو لهورت (زميل وستكوت) F.J.A. Hort في كتابه:

Prolegomena to St. Paul's Epistles to Romans and Ephesians (London, McMillan Co. 1895).

وأحدث دفاع عن صحة الرسالة هو للعالم الهولندي المعاصر فان رون:

Van Roon, A., The Authenticity of Ephesians, Leiden, 1974.

---

14. Irenaeus, *A.H.* V.2,3 & V.14,3.
15. Origen, *Philosoph.* VI 34.
16. Chester Beatty A. (1968) from 1931 found in Panopolis (Akhmim).
17. Muratorian Canon: the oldest extant list of NT writings.

زمان كتابتها:

يرجح العلامة لايتفوت أن الرسالة إلى أفسس كُتبت في روما أثناء سجن ق. بولس، وأنها كُتبت قبل حدوث الزلازل المذكورة في تاريخ يوسابيوس التي حطَّم بعضها مدينة كولوسي والآخر أفسس، مما يرجح أنها كتبت حوالي سنة ٦٠م(١٨).

مناسبة الكتابة وأغراضها:

لكل رسالة مناسبة وأغراض، لماذا كُتبت؟ ومِنْ أجل مَنْ كُتبت؟ ولكن غياب عنصر المناسبة وأي غرض داخلي استدعى كتابة هذه الرسالة، يُعتبر من أهم مميزاتها. لذلك نجدها من أولها إلى آخرها حرَّة مُنسابة، لا يحدُّ فكر ق. بولس فيها أية مشكلة، أو يزعجه أي انحراف عقيدي أو أي عيب سلوكي شائع بينهم، أو أيٍّ مما يعكر صفو انطلاقه. لذلك نجدها الرسالة الوحيدة التي يبدأها ق. بولس بأنشودته السماوية مُسبِّحاً ومُباركاً الله الذي منحنا بركات الروح القائمة في المسيح والدائمة لنا في السماويات، ويعود ويتجاوز الأرض نفسها والسماء أيضاً، إلى ما قبل إنشاء العالم، ليرانا هناك قبل الزمن مختارين فيه.

هكذا ظلت روح ق. بولس في هذه الرسالة ترفرف علينا من فوق، من علٍ، مما هو فوق الأرض وفوق السماء وفوق الزمن، لا يشغله إلاَّ نصيبنا المعدُّ الذي يدعونا إليه، الذي يتجاوز كل ما يخطر لنا على فكر ويتجاوز كل ما نلناه، مما **سبق** ذكره في كل الرسائل الأخرى.

أما الذي سبق ونلناه من نصيب فيعدّده:

+ اختارنا فيه **قبل تأسيس العالم** لنكون قديسين و بلا لوم قدامه في المحبة،
+ **سبق** فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته،
+ لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب،
+ نلنا فيه الفداء بدمه غفراناً للخطايا حسب غنى نعمته،
+ عرَّفنا بسر مشيئته التي قصدها في نفسه **لتدبير ملء الأزمنة**،
+ ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض،
+ إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس،
+ الذي هو عربون ميراثنا بالفداء (أف ١: ٤-١٤).

18. Lightfoot cited by Abbott in *International Critical Commentary, Ephesians,* p. xxxi.

ولكن الذي لا يزال يشغل ق. بولس والذي من أجله **يصلي** ليكون لنا فيه نصيب من جديد فهو:

١ - «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد **روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا** ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين. حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً،

وأخضع كل شيء تحت قدميه،

وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة،** التي هي جسده: ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ١٧-٢٣)

ثم يعود ق. بولس **ويكرر الصلاة، لندرك ما صار في النهاية:** أن المسيح صار رأس الكنيسة، والكنيسة جسده، والكنيسة صارت ملء الذي يملأ الكل في الكل.

فإذا عرفنا ذلك وأدركناه، **فهو يصلّي أيضاً:** ولكن هذه المرة من أجل الحصول على أمور عملية تُحتسب أنها جوهر المسيحية!!

٢ - «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم! وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (عملياً)، **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله!!!**» (أف ٣: ١٦-١٩)

ــ ففي طلبته الأولى، تتركز الصلاة لكي ندرك **أن في النهاية جعل الله المسيح رأس الكنيسة، والكنيسة جسده التي أصبحت ملء الذي يملأ الكل في الكل.**

ــ ولكن في الطلبة الثانية، تتركز الصلاة لكي **ونحن متأسسون على المحبة نعرف مع جميع القديسين محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي نمتلىء إلى كل ملء الله.**

أما شرح هذه الأمور فسيأتي في معرض الرسالة وشرحها. ولكن الذي نقوله الآن ونحن نتعرض للمناسبة **والأغراض** التي كُتبت من أجلها الرسالة، أنه ــ ودون جميع الرسائل ــ لم يُعِقْ ق. بولس عائق من أسباب انحراف الإيمان، ولا من الأغراض الملحة من جهة خطايا السلوك المشينة،

أو ارتداد في العبادة. وهكذا انطلق ق. بولس وحلّق في سماء المسيح ليكشف لنا عمق أعماق المجد الذي أُعِدّ للكنيسة وكيف استعلن لنا محبة المسيح الفائقة المعرفة التي عندها بالروح نمتلىء إلى كل ملء الله.

أما كيف ذلك فسيأتي الكلام عليه.

أما لمن يقول ذلك، فلك أنت يا عزيزي القارىء. فافتح قلبك واطلب روح الحكمة والإعلان، لا لكي تعرف وحسب، بل لكي تمتلىء.

المنهج اللاهوتي للرسالة إلى أفسس

أولاً: المميزات اللاهوتية للرسالة إلى أفسس

١ ــ الانتقال من اللاهوت النظري إلى اللاهوت العملي:

في هذه الرسالة لا نسمع كثيراً عن وصف طبيعة المسيح بل «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٣: ١٧)، «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (٣: ١٩). كما لا يقف ق. بولس في هذه الرسالة عند الحض على المحبة مثلاً ولكنه يقول: «وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة» (٣: ١٨)، «ونعرف مع جميع القديسين محبة المسيح الفائقة المعرفة»، ذلك لكي «نمتلىء إلى كل ملء الله».

وهو حينما يكشف لنا سر المسيح أن الله أباه رفّعه وجعله فوق جميع السموات، لا يقف عند هذا الحد مثل باقي الرسائل ولكن يستمر بقوله: «**ليملأ الكل**»**!!** «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية الإيمان** ومعرفة ابن الله، إلى **إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف ٤: ١٢و١٣)

٢ ــ الامتياز الظاهر في رسالة أفسس هو الامتداد من المسيح إلى الكنيسة:

بينما يركز ق. بولس في الرسالة إلى كولوسي على المسيح في لاهوته وسلطانه فيما قبل الخليقة، وفي الخلق، ثم بعد التجسد: «الذي هو **صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خلق الكل ما في السموات، وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل** ... لأنه فيه سُرَّ **أن يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل** لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو١: ١٥-٢٠)؛

نجده في الرسالة إلى أفسس ينقل التركيز إلى الكنيسة:

+ «يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته،

مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا: ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين ــ حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ

أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، **وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.**» (أف١: ١٧-٢٣)

ويلاحظ القارىء أنه في وصفه لكل هذا الذي عمله الله في المسيح، يبدأ بقوله: «**نحونا**» وينتهي بقوله: «**من أجل الكنيسة**» أو «للكنيسة»، ثم يختم بالكنيسة التي هي **جسده** وهي ملء الذي يملأ الكل في الكل.

وهكذا بينما في الرسالة إلى كولوسي نجد المسيح **خلق الكل**: «**فيه خُلق الكل، ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق**» (كو١: ١٦)؛

نجد في الرسالة إلى أفسس: أن كل هؤلاء وضعهم الله تحت قدميه (بعد ما تجسد وأكمل الخلاص بصليبه وموته، وصعد فوق أعلى السموات فصارت كل هذه الخلائق الروحانية تحت قدميه بالفعل):

«إذ أقامه من الأموات (بجسده) وأجلسه عن يمينه في السماويات (بجسده) **فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم ... وأخضع كل شيءٍ تحت قدميه.**» (أف١: ٢٠-٢٢)

ولكن الذي يلفت نظرنا جداً، بل ويدهشنا حقاً أن الله جعله رأساً **فوق كل شيء للكنيسة.** أي أن كل ما ناله المسيح من نصرة وسلطان على كل قوات العالم في السماء وعلى الأرض **صار لحساب الكنيسة.** ثم فجأة يكشف لنا ق. بولس سر المسيح الأعظم أن «**الكنيسة هي جسده**»**!!!** ثم أنها «**ملء الذي يملأ الكل في الكل**»**!!**

وفي الحقيقة هذه نظرة جديدة في اللاهوت الخلاصي، لأننا تعودنا أن ننسب كل ما تم من التجسد والآلام والصلب والموت والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الله ننسبه للمسيح ونقف عند هذا: أن المسيح هو الرب والمخلِّص الذي صنع الله به هذا الخلاص العظيم مُصالحاً به العالم لنفسه. ولكن في الرسالة إلى أفسس يمتد بهذا الخلاص كله، وبكل القوة العظمى التي صنعها الله في المسيح إذ أقامه من الأموات بجسده وأصعده إلى السموات بجسده، ليُظهر أن هذه القوة العظمى **هي من أجلنا**، وأن كل العظمة والمجد الذي صار به المسيح فوق كل قوى العالم، المنظورة وغير المنظورة، السماوية والأرضية كامتياز فائق، **أنه أيضاً من أجل الكنيسة التي هي «جسده».**

هنا انتقل اللاهوت الخلاصي في أهدافه النهائية من المسيح إلى الكنيسة التي استقر فيها المسيح بكل قوة الخلاص وسلطانه فوق كل ما هو في السماء وعلى الأرض ليكون رأساً لها. يدبرها بكل قوى الخلاص وسلطانه. ولكن لا يُنظر هنا إلى المسيح منفصلاً عن الكنيسة، لأنه إن كان قد صار رأسها فهي صارت جسده، بمعنى أن المسيح صار للكنيسة الرأس والجسد، أو أن الكنيسة صارت هي كل عمله وفكره وصارت كل أعضاء جسمه!:

+ «لأننا نحن عمله ...» (أف٢: ١٠)
+ «أما نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو٢: ١٦)
+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

وهكذا يجمع ق. بولس كل اللاهوت الخلاصي منذ أن بدأ بالتجسد حتى أكمله المسيح بالصعود والجلوس عن يمين الآب، ويستودعه **الكنيسة** لتعلنه وتعلِّمه وتشهد به **وتعمل على تكميله حتى النهاية**، إلى الدرجة التي رأى فيها ق. بولس أن الكنيسة مسئولة عن تعريف الرؤساء والسلاطين في السماويات نفسها بما صنعه الله في المسيح يسوع!!!

+ «وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكي **يعرَّف الآن عند الرؤساء** والسلاطين في السماويات **بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٩-١١)

ثانياً: الكنيسة في الرسالة إلى أفسس

(أ) الكنيسة كجسد المسيح حقيقة أساسية في لاهوت الخلاص:

«الكنيسة جسد المسيح»:

من أين جاء هذا الاصطلاح؟ وهل هو اصطلاح لاهوتي أم أنه مجرد اصطلاح كنسي تقليدي؟

هذا الاصطلاح يميز الرسالة إلى أفسس لأنها تمتد به أكثر من أية رسالة أخرى اتساعاً وارتفاعاً. ويمكن أن نجمع ما قيل عن هذا الاصطلاح في الرسالة كالآتي:

+ «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة التي هي جسده** ...» (١: ٢٢و٢٣)
+ «ويصالح الاثنين في "**جسد واحد**" مع الله بالصليب.» (٢: ١٦)
+ «**جسد واحد وروح واحد** كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد.» (٤: ٤)
+ «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان **جسد المسيح**.» (٤: ١٢)

+ «الذي منه **كل الجسد** مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عملٍ على قياس كل جزء يحصِّل **نمو الجسد** لبنيانه في المحبة.» (٤: ١٦)
+ «لأننا **أعضاء جسمه** من لحمه ومن عظامه.» (٥: ٣٠)

وعلى القارىء أن يعتبر أن تصوير الكنيسة بجسد المسيح هو تعبير عن واقع غير منظور ككل، لأن الكنيسة كجسد يستحيل تكوين صورة منظورة لها، ولكنها تُرى حتماً في كل جماعة متحدة بالروح والإيمان والمعمودية، تعبد المسيح وتمجد اسمه وتعترف به ابناً لله متجسِّداً فادياً ومخلِّصاً. فجسد المسيح واقع إلهي غير منظور، وكل كنيسة مهما صغر حجمها وقلَّ عدد مؤمنيها فهي جسد الرب. فجسد الرب واحد لا يتجزأ، سرِّي للغاية ممكن أن نراه في قربانة على المذبح!! وكل كنائس العالم إذا اجتمعت معاً، وفي كل العصور، فهي تُحسب جسداً للمسيح، لكن لا تُحسب أنها ملء قامة المسيح إلاَّ إذا بلغت **وحدانية الإيمان والمحبة.**

إن هذا التعبير «**الكنيسة جسد المسيح**» يعبِّر عن صميم عمل الخلاص منذ البدء. فعندما نقول **إن المسيح تجسَّد**، فهنا بذرة الكنيسة، يعني أنه أخذ **جسداً من الإنسان** أو «**جسد الإنسان**»: مولوداً من امرأة (عذراء) ميلاداً مقدساً بالروح القدس بدون رجل. أخذ جسداً كاملاً معبِّراً عن إنسان كامل وعن كل البشرية، نفساً وجسداً وروحاً، ولكن بدون خطية، مولوداً «من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم». فهو «**جسدنا**» بمعنى أنه اتحد بالإنسان اتحاداً كاملاً. بهذا الجسد صُلب «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (١بط٢: ١٤)، ومات فأنهى على عقوبة الموت المفروضة علينا. وهكذا تصالحنا مع الله وصرنا مقدَّسين في المسيح وأبناء لله بجسد المسيح. وقام من الأموات «**بجسده**» الذي هو «جسدنا» الذي فداه بالموت، وصعد به إلى أعلى السموات، أي صعد «بجسدنا» هذا وجلس به عن يمين الآب، ويوضِّح القديس بولس هذا بقوله:

+ «ونحن أموات بالخطايا **أحيانا مع المسيح** بالنعمة أنتم مخلَّصون،

وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف٢: ٥و٦). هذه هي صورة الكنيسة الأُولى الملتحمة في المسيح.

لأنه واضح أننا «نحن الكنيسة» التي يتكلم عنها، وأنه أحياها وأقامها وأجلسها، وهي هي نفسها جسده الذي اتحد به.

الكنيسة هي إذاً «جسد المسيح» التي خلقت فيه يوم ولد بالجسد الذي أقامه من الموت وصعد

به إلى أعلى السموات وأجلسه عن يمين الآب.
ـ إذاً، فالفداء كله الذي أكمله المسيح في جسده هو من أجل الكنيسة ولها.

فإذا كان المسيح قد اتحد بنا بجسده، إذاً، ففي «جسد المسيح» **يتلاقى المسيح بالإنسان، ولكنها ليست مجرد ملاقاة بل اتحاد. ففي الكنيسة نحن نوجد متحدين مع المسيح،** ليس منَّا ولا بجهد بذلناه، ولكنه هو هو الذي اتحد بنا بجسده الذي أخذه منَّا حباً وتنازلاً. هذا هو القول النبوي «عمانوئيل»: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل = **الله معنا**» (إش٧: ١٤). نحن نتلاقى مع المسيح في الكنيسة جسده ملاقاة حيَّة متبادلة فعَّالة، قائمة دائمة:

+ «أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)
+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل٢: ٢٠)
+ «المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو١: ٢٧)

هذا الذي يصرخ به ق. بولس ويطلبه لنا أن نحوزه، إن تأيدنا بالروح القدس وبالصلاة والإيمان: «**ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم.**» (أف ٣: ١٧)

هذه الاصطلاحات كلها نابعة من كون الكنيسة هي جسد المسيح وهي نحن «وبيته نحن» (عب٣: ٦). هذا تحقيق لقول المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت١٨: ٢٠). إذاً، ففي الكنيسة إذ نوجد بالصلاة مجتمعين فنحن في الحقيقة نكون مجتمعين به في جسده اجتماعاً شخصياً، اجتماعاً هو بعينه اتحاد سرِّي عبادي تقديسي حي نستمد منه كياننا الجديد المسيحي وحقيقة قيامتنا بل ومجدنا المزمع أن يكون فيه ومعه: «المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو١: ٢٧)

إذاً، فنحن ننبه ذهن القارىء أن بقولنا: «الكنيسة هي جسد المسيح»، فهذا ليس اصطلاحاً كنسياً أو قولاً تقليدياً، أو معلومة لاهوتية نظرية. إن قلنا أن «**الكنيسة هي جسد المسيح**» فنحن نتكلم عن الخلاص. فهذا اصطلاح لاهوتي يعبِّر عن عمل المسيح بالتجسد والفداء، فهو غاية اللاهوت بالنسبة لحياتنا وعلاقتنا بالمسيح والله.

وبولس الرسول حينما يقول: «إن الكنيسة جسده» هنا في رسالة أفسس فهي كحقيقة منتهية لا يرى أنها تحتاج إلى شرح أو توضيح: «وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل**» (أف١: ٢٢و٢٣)، معتمداً في ذلك على كل ما قدَّمه في كل رسائله السابقة.

ولكن الجديد في رسالة أفسس بالنسبة للكنيسة هو أن ق. بولس ينسب لها أعمال المسيح وذلك باعتبار أن الكنيسة هي جسده وهو رأسها. فالقديس بولس يرى أن الكنيسة هي التي تقوم بتكميل غرض الله النهائي المعلَن في المسيح من نحو الإنسان، وهو جمع البشرية لتصير بالنهاية إنساناً واحداً كاملاً له قامة المسيح. وقد يبدو هذا الهدف أعلى من مقدرة الكنيسة، ولكن الذي حدث في عمق التاريخ، ويشهد له التاريخ والعالم كله، يكشف عن القوة الإلهية التي وهبها الله للكنيسة باعتبارها فعلاً وبالحق جسد المسيح السري، باعتبار أن الكنيسة هي الخليقة الجديدة التي تسامت بقوة خلق جديدة روحية فوق ضعف الطبيعة البشرية، لتكوين كنيسة حية صادقة من أقسام البشرية التي عاشت آلاف السنين قديماً في خصومة مستحكمة ونزاع وحرب دائم لم يهدأ يوماً واحداً بين الشعب اليهودي وبين الأمم الوثنية!!

ومن هذه الوحدة المنسجمة القوية بين اليهود والأمم الشاهدة لقدرة المصالحة التي في المسيح، التي وهبها للكنيسة، بَنت الكنيسة أساساتها الأُولى وعمَّقت، ثم قامت وارتفعت على مصالحات أخرى بين الأمم والشعوب، فرفعت الفوارق والحواجز من كل نوع، عنصرية وجنسية ولغوية وأخلاقية وبيئية ومدنية. وها هي الكنيسة منتشرة على وجه كل الأرض لا تزال تصنع صلحاً وسلاماً ووفاقاً ووحدة وترابطاً بين كل شعوب العالم.

ولكن لو فحصنا الوحدة الروحية الكنسية التي تمَّت في البداية بين **اليهود والأمم** في الأيام الأُولى للكنيسة، لأدركنا نموذجاً للنعمة في عملها في الكنيسة لتخلق بالفعل إنساناً جديداً متحداً، كنيسة واحدة، جسداً واحداً من أشد قسمين متنازعين من البشرية، تنازعاً كان يستحيل أن يُرجى له صلح أو سلام أو وحدة بأية صورة كانت. هذه الوحدة بهذه الصورة البديعة الناطقة بفضل نعمة الله على الكنيسة يصفها ق. بولس وكأنه يتهلل طرباً:

+ «لأنه هو سلامنا الذي **جعل الاثنين واحداً (يهود وأمم)**، ونقض حائط السياج المتوسط، أي **العداوة**، مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، **لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد (جسده أي الكنيسة) مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به** ... مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية ... مبنيُّون معاً مسكناً لله في الروح!!» (أف ٢: ١٤-١٦، ٢٠-٢٢)

إذاً، فمقاصد الله الأزلية التي سلَّمها للمسيح، اضطلعت بها الكنيسة حينما أعطى المسيح الكنيسة كل ما له باعتبارها جسده وباعتباره هو رأسها.

هذه العملية السرِّية التي فيها سلَّم المسيح ما له من قوة وسلطان لتعمل بها الكنيسة لتصل إلى مثل هذه الغايات، يصفها لنا ق. بولس في رسالة أفسس كما سبق هكذا:

+ «وما هي **عظمة قدرته الفائقة نحونا** نحن المؤمنين حسب **عمل شدة قوته، الذي عمله في المسيح: إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان** وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. **وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء، للكنيسة التي هي جسده** ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف١: ١٩-٢٣)

لذلك حينما نسمع أن مقاصد الله الأزلية التي بثَّها في المسيح «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف١: ١٠)؛ فهذا المطلب الإلهي الذي هو حسب مقاصد الله الأزلية، قد حمَّله المسيح بدوره على عاتق الكنيسة لتكميله عبر الدهور، باعتبارها جسده الذي هو ملء الذي يملأ الكل في الكل، واعتماداً على أنه هو رأسها الذي يدبِّرها في القيام برسالتها.

والآن لو جمعنا القولين معاً:

القول الأول: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء في المسيح** ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٩و١٠)

ثم القول الثاني: «أجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم ... وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً **فوق كل شيء للكنيسة.**» (أف١: ٢٠-٢٢)

فإنه يظهر من هذا أن تفوقه وامتيازه وقدراته الفائقة وسلطانه وإخضاع كل شيء له، هذا كله صار **للكنيسة**؛ فإننا نفهم تماماً أن كل ما عمله الله للمسيح كان ليصير رأساً للكنيسة، وأن تكون الكنيسة وهي جسده لائقة فعلاً به أن تكون هي الملء الذي يملأ الكل في الكل بواسطته. وليته يكون واضحاً أمامنا الآن أن ابن الله تجسد من أجل هذه الغاية النهائية: ليخلق البشرية الجديدة التي هي الكنيسة في جسده.

ومن هذا ندرك أن جمع كل شيء ما في السموات وما على الأرض في المسيح هو بالتالي العمل المنوط بالكنيسة أن تكمِّله لحساب المسيح باعتبارها جسده، وأنه هو الذي يدبِّرها ويقودها لتكميل ملء مقاصد الله في ذلك.

وإن بدا أن هذا يفوق على إدراكنا، بل وعلى تصوُّرنا، فقد قدَّم ق. بولس آية يكشف بها دور الكنيسة كمسئولة حتى عن الرؤساء والسلاطين الذين في السماويات بالفعل:

+ «وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح لكي يعرَّف الآن عند **الرؤساء والسلاطين** في السماويات، **بواسطة الكنيسة**، بحكمة الله المتنوعة حسب **قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.**» (أف٣: ٩-١١)

واضح هنا أن للكنيسة دوراً هاماً وسرِّياً لدى السمائيين أيضاً كالأرضيين تماماً للتعريف بقصد الله الذي كان منذ الدهور، الذي عرَّفنا (نحن) أنه هو جمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض.

ولكن الأمر يبدو غريباً علينا، فهل تستطيع الكنيسة أن تقوم بهذا الدور البديع؟

+ ولكن نحن نعلم أن المسيح سلَّم الكنيسة قوات غير معتادة. فأول وأعظم ما سلَّم المسيح للكنيسة، سلَّمها الروح القدس الذي به تستطيع أن تنطق بنطق الله بما فيه من قوة على العمل والخلق، ناهيك عن الشفاء والتعزية.

+ ثم نسمع كذلك أن المسيح قال لتلاميذه: «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني» (لو١٠:١٦). وهنا تصريح أن الكنيسة أصبح لها سلطان الله النافذ غير المقاوم أو المعاند. هذا يردده بولس الرسول: «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب، إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم.» (٢كو١٠: ٣-٦)

+ كذلك نعرف تماماً أن المسيح قدَّم سلطانه على السماء والأرض ليعمل من داخل الكنيسة وبفم الكارزين فيها: «كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلُّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت١٨:١٨)، وأنه هو شخصياً سيكون معهم بكل سلطانه كل الأيام وإلى آخر الدهر: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت٢٨: ١٨-٢٠)

+ «كما أرسلني الآب أرسلكم أنا.» (يو٢٠:٢١)

إذاً، **فالكنيسة تسير على الأرض بقدمي المسيح**: «حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام» (أف٦: ١٥). **تمسح الدموع من العيون الباكية بيديه، وتعزي القلوب الحزينة بحبه ونعمته**، تفكّر بفكر المسيح: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦)، تتكلم وتقطع بسلطان كلمته: «من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت.» (يو٢٠: ٢٣)

وفي إنجيل القديس مرقس يعطينا الإنجيل مقولة مطابقة لرؤية بولس الرسول أيضاً حينما يقول: «اذهبوا إلى **العالم** أجمع واكرزوا بالإنجيل **للخليقة كلها**» (مر١٦: ١٥). فهنا قوله: «**العالم**»، يقصد «**الإنسان**»، ثم قوله: «**للخليقة كلها**»، فهنا يقصد «**السمائيين والأرضيين من كل نوع**»، وهذا يقوله بولس الرسول بالحرف الواحد: «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح **ما في السموات وما على الأرض في ذاك**» (أف١: ١٠). ويعود ويكمّله بولس الرسول بأن يجعل الكنيسة فعلاً مسئولة عن السمائيين: «**لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ١٠و١١)

فالسؤال الآن، ألا ترى معي يا قارئي العزيز أن الكنيسة سلّمها الله بالفعل كل ما للمسيح؟ وأنها أُعطيت بالفعل أن تعمل عمله وتكمّل كل مقاصد الله التي بثّها في المسيح؟ لذلك أخذت وعداً مقدساً صادقاً أنه سيكون معها ويتكلّم في فمها ويتمم كل عملها حتى تتم كل مقاصد الله التي قصدها في المسيح يسوع.

هنا تنطبق رؤية بولس الرسول للكنيسة مع وعد الله لها في الإنجيل الذي ذكرناه، مع عمل المسيح فيها حتى الآن والذي نعيشه.

شيء واحد ينقصنا ولا أظن أنه ينقص الكنيسة وهو التكميل. فهل أكملت الكنيسة رسالتها؟ تقول الكنيسة معتذرة: إني أسعى وأجاهد فهلا أعطيتموني يدكم. فطالما بقي للكنيسة أزمنة سلامية فهدفها قائم.

(ب) الكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل (١: ٢٣):

هنا يمتد القديس بولس في الرسالة إلى أفسس من كون الكنيسة جسد المسيح ليزيدها **انطباقاً على المسيح نفسه**، فهي ليست مجرد جسد من دون المسيح قدرة وقوة وعظمة وبهاءً بل انطباقاً عليه قوة وقدرة وعظمة وبهاءً. فهي «**ملؤه**»، أي أن الكنيسة تحوي المسيح بكماله، فهو يملأها وهي **ملؤه**، يملأها بكل سلطانه وهي بكل سلطانه تعمل، وكما هو يملأ الكل فقد صارت وقد احتوته

لتملأ الكل به، وكما هو قائم وكائن في الكل صارت وهي فيه وملؤه تملأ الكل في الكل.

لقد صار هذا قضاء الله في قصده منذ الدهور، أن تصبح الكنيسة الحاملة لكيان ابن الله وجسد الإنسان هي التعبير الكلي والكامل للمسيح والملء الذي له كل ملء المسيح. وهكذا لم يترك المسيح عمله على الأرض دون أن يضمن تكميله بالكمال حتى النهاية.

وقد أصبح علينا لكي نأخذ صورة كاملة عن ملء الكنيسة المذكورة هنا في رسالة أفسس أن نعود لنرى ملء المسيح المذكور في رسالة كولوسي، حيث يقول ق. بولس عن المسيح:

+ «لأنه فيه سرَّ أن يحل كل الملء» (كو١: ١٩)، أي يحل كل ملء اللاهوت في الجسد.
+ «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً. وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ٩و١٠)، بمعنى أن ملء اللاهوت إنما حلَّ في الجسد لنصبح نحن مملوئين فيه.

«كل ملء الله»:

وقد صار واضحاً من تعبير القديس بولس الرسول في الرسالة إلى أفسس، أنه بعد الامتلاء من المسيح، فإن المسيحي مفتوح أمامه الانتقال بملء المسيح إلى الامتلاء من الله حتى **«ملء الله»**: «**لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف٣: ١٩). وهذا لا يخرج عن تصريح إنجيل ق. يوحنا: «**والكلمة صار جسداً** وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب **مملوءاً نعمة وحقاً** ... **ومن ملئه** نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة.» (يو١: ١٤و١٦)

هنا التطابق الفكري الروحي واللاهوتي بين ق. بولس والإنجيل واضح بلا شك. ثم يعود بولس الرسول ويعبِّر عن منتهى هذا الملء الإلهي الذي في المسيح والمفتوح أمامنا بلا مانع في المسيح بطريقة أخرى، إذ يقدمها في صورة عملية إنمائية تمتد وتمتد حتى تمام الملء هكذا:

+ «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل**،
وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل **تكميل** القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى **إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف٤: ١٠-١٣)

واضح هنا أن بلوغ الكنيسة إلى قامة **«ملء المسيح»** جاء كعملية بناء ونمو ممتد عبر الزمن، على أساس أن المسيح أمدَّ الكنيسة بمواهب متنوعة على أيدي مختارين متنوعين في المواهب، لكي يصير للكنيسة قدرة على استيعاب كل أسرار المسيح ومواهبه.

فهنا إصرار ق. بولس لبلوغ الكنيسة إلى قامة ملء المسيح قائم بصورة عملية على أساس تدبير المسيح منذ البدء بتعيين أصحاب المواهب المتعددة والمتتالية، رسل وأنبياء ومبشرين ورعاة ومعلمين للكنيسة لتكميل الخدمة **وبنيان جسد المسيح!!**

ومن الناحية الأخرى: لينتبه القارىء إلى فكر بولس الرسول منذ البدء فهو منشغل كيف يحل في المسيح كل الملء، أو كيف يجمع الله كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض، إنما بصورة عملية تشترك فيها الكنيسة أو تقوم بها. وهذا هو الوضع المقابل للكنيسة:

فكما أن الكنيسة تمتلىء بالمسيح لتصير مِلأَه، كذلك فالمسيح يمتلىء بالكنيسة وبكل ما في السموات وعلى الأرض: «ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف ١: ١٠)

وهكذا وعندما يكون السعي والنزوع الدائم إلى الامتلاء هو من الطرفين، فإنه لابد حادث، ولابد بالغ الكمال، ولابد يثمر لمجد الله. الله يريد ويعمل لكي يجمع الكنيسة وكل شيء في المسيح، أي يبلغ المسيح الملء من كل شيء، كما يريد الله ويعمل لكي تمتلىء الكنيسة بكل ملء المسيح. فما قاله ق. بولس في الرسالة إلى كولوسي نظرياً: «الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل ... لأنه فيه سرَّ أن يحل كل الملء» (كو١: ١٦و١٧و١٩)؛ فهو يقدمه في الرسالة إلى أفسس بصورة عملية ملحَّة، مطلوب من الكنيسة أن تشترك أو تقوم بها:

+ «لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء** في المسيح.» (أف ١: ١٠)
+ «الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل.**» (أف ٤: ١٠)
+ «إلى أن ننتهي جميعنا ... إلى إنسان كامل **إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف ٤: ١٣)
+ «الذي منه كل الجسد مركباً معاً ... يحصل **نمو الجسد** لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٦)

(ج) شكل الكنيسة في المنظور الإلهي: هيكل الله:

كنا نعتقد بعد أن وصف ق. بولس الكنيسة بأنها جسد المسيح، أن تبدأ الكنيسة تأخذ شكل الجسد أو صفاته، ولكنه وإن ذكر هذا لماماً، إلاَّ أنه ركَّز على أن الكنيسة هي هيكل الله:

الكنيسة هيكل الله ومسكن الله بالروح:

+ «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين **وأهل بيت الله، مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية،** الذي فيه **كل البناء مركباً معاً، ينمو**

هيكلاً مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً **مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.**»
(أف٢: ١٩-٢٢)

بهذا المفهوم تكون الكنيسة قد أخذت شكل هيكل، ولكنه **هيكل سمائي مقدس في الرب ومسكن لله في الروح.** أو بتعبير بسيط مباشر، تكون الكنيسة سماءً ثانية على الأرض طالما هي هيكل لله ومسكن له، والقديسون فيها هم بحسب تعبير الرسالة إلى أفسس رعية وأهل بيت الله!! ضمَّتهم الكنيسة قديماً وحديثاً.

هذه الصورة للكنيسة ولو أنها جديدة، ولكن نسمع عنها في الرسالة إلى أهل كورنثوس إنما باختصار شديد:

+ «**أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟!**
إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله، **لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو.**»
(١ كو٣: ١٦و١٧)

العنصر المشترك في الصورتين أو منظر الهيكلين وتركيبهما هو الروح القدس، بصفته عنصر البناء السرِّي والربط الذي يشد أزر البناء كله. وبالتالي فإن الروح القدس، وهو العنصر الأساسي في الهيكل وكونه في طبيعته وعمله فائقاً على الطبيعة بكل أشكالها الجسدية أو الترابية، لذلك بمجرد ذكره يرفع واقع الهيكل وشكله من بشر وتراب إلى واقع ومنظور فائق للطبيعة وسرِّي في كل شيء.

فالكنيسة تصبح بذلك في حقيقتها جسماً روحياً غير منظور، حيًّا وفعَّالاً يعيش وينمو، فيه يسكن الله بكل جلاله، وفيه يعيش الإنسان بالروح ويتنفس: «وجميعنا سُقِينا روحاً واحداً.» (١ كو١٢: ١٣)

بطرس الرسول رأى هذا المنظر السرِّي وعبَّر عنه تعبيراً فائقاً للطبيعة: «... إن كنتم قد ذُقتم أن الرب صالح. الذي إذ تأتون إليه **حجراً حيًّا** مرفوضاً من الناس ولكن مختارٌ من الله وكريم، كونوا أنتم أيضاً **مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً** كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط٢: ٣-٥). هنا بطرس الرسول بقوله أن الكنيسة «حجارة حية بيتٌ روحي»، يكون قد عبَّر عن طبيعة الكنيسة تعبيراً فائقاً عن الطبيعة، حيث الروح يصنع من الحجارة الحية، أي المؤمنين المؤهلين بالروح القدس، أن يكونوا بيتاً لله سماوياً بكل معنى.

ولكن الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن البال، أن الكنيسة التي هي أصلاً جسد الرب لا يحيا فيها الإنسان منفصلاً عن المسيح.

فسيَّان إن قلنا جسداً أو هيكلاً أو بيتاً أو مسكناً، فالروح القدس في الكل هو العنصر الذي يصنع وجوداً مشتركاً بل ملتحماً: الإنسان مع المسيح. فالإنسان في المسيح أو في هيكل الله يعيش مع المسيح حياة متحدة بالروح، أما الله فيسكن في هيكله بالروح وأما المسيح فهو قائم فيه ملتحماً باتحاد غير منظور، فالهيكل هو جسده الخاص المقدَّم لله!

وواضح من اختيار ق. بولس لاسم «**الهيكل**» هنا الذي يترادف مع الجسد للتعبير عن الوجود المتحد للمسيح والمؤمنين معاً، أنها محاولة جادة للارتفاع بمنظور الكنيسة في وضعها الفائق للطبيعة لتتجاوز الأرض والزمن. لأن في الرسالة إلى أفسس نلاحظ أن بولس الرسول يعيش وكأنه قد غطَّى الحقبة الزمنية للكنيسة وكفَّ عن التطلُّع إلى سرعة مجيء الرب في الباروسيا العتيدة، فلم يَعُد يذكرها على الإطلاق، كما كفَّ عن الشكوى بسرعة مرور الزمن. كل هذه الأحاسيس ألقاها ق. بولس في الرسالة إلى أفسس وراء ظهره وانطلق رافعاً وجهه إلى السماء يرى الكنيسة وقد تخطَّت الزمن وأكملت مشوارها داخل **التاريخ**. والآن يرى الكنيسة وهي بالنعمة تعبر إلى ما فوق التاريخ والطبيعة والزمن، محمولة في جسد المسيح غير المنظور الذي يملأ السماء والأرض والكل مخضع تحت قدميه، فالمسيح رأسها وهو فوق كل شيء.

فكنيسة أورشليم اليهودية الصغيرة المرتبكة بما فيها، قد أكملت انسلاخها من ذلك الماضي الضيق وتاريخها العقيم، وامتدت بعد أن غيَّرت جلدها وألغت الختانة ونسيت السبت، فامتدَّت وضربت جذورها في أعماق الأمم وحول العالم، وبدأت عملها كمركز وحدة عتيدة أن تجمع كل أجيال الإنسان المتغرب على الأرض ليأخذ وجوده الجديد في المسيح الرأس، بوحدة تفرِّح وجه الله لأنها ستكون في قامة ملء المسيح ابن محبته. وفي هذه الصورة الجديدة للكنيسة، كمركز وحدة جاذبة، بدأت تستقطب كل النشاطات وكل أعمال الكنائس وخدماتها تحت أسماء عظيمة حقاً وفعَّالة لتبلغ هذه الوحدة المرتجاه. وهي في هذا تُذكِّرنا بقصد الله الأزلي للإنسان أصلاً، ومن الكنيسة التي حباها بكل نعمة وقوة وموهبة لتكميل وحدة الإنسان إلى قياس قامة ملء المسيح.

وبهذا نرى قيمة هذه الرسالة إلى أفسس التي كُتبت لتكون شاهداً ومُذكِّراً بغرض الله الأساسي من وجود الإنسان على الأرض، وهو خضوعه لحركات الله الروحية عبر التاريخ من داخل الكنيسة لبلوغ الوحدة، كنهاية سعيدة لغُربته الحزينة التي طالت على الأرض في انقسام وتفتُّت بلغ أقصاه. فرُبَّ أعظم آية أتت في كل الإنجيل برسائله جميعاً، وهي جديرة حقاً أن تلفت نظر الإنسان وتذكِّره بكل ما يحتاجه ويتمناه، هو قول ق. بولس:

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة

ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣)

ثم: «**صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح.**» (أف ٤: ١٥)

فإن كان قد تبقَّى للكنيسة زمن تعيشه فلكي تبلغ هذا الختام.
وإن تبقَّى للإنسان عمل يعمله فلكي يساهم بالحب لبلوغ هذا الهدف!

(د) الكنيسة كجسد المسيح، هي الإنسان الجديد:

+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل **الاثنين واحداً**، ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة، مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، **لكي يخلق الاثنين في نفسه "إنساناً واحداً جديداً"** صانعاً سلاماً، **ويصالح الاثنين** في جسد واحد مع الله بالصليب.» (أف ٢: ١٤-١٦)

واضح من قولنا إن الكنيسة هي جسد المسيح، أنها اتحاد أعضاء كلهم جازوا الموت والقيامة، أي اعتمدوا وقبلوا الروح القدس والآن يعيشون في ملء النعمة: «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (المعمودية) بل تقدَّستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو ٦: ١١)

وحينما نقول إن الكنيسة هي «الإنسان الجديد» فنحن في الحقيقة نعبِّر عن شخص المسيح، فالمسيح هو في الحقيقة «الإنسان الجديد» بكل معنى، والذي تُحتسب الكنيسة أنها «من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

ولكن لا يتسرَّب إلى ذهن القارىء أنها مجرد اصطلاحات، فلكي تكون الكنيسة هي جسد المسيح، فإن هذا كلَّف المسيح كل آلام الموت على الصليب والدفن لكي يربح المسيح للإنسان جسداً جديداً مُبرَّراً ومُبرَّءاً من كل خطية، قائماً حيًّا لا يسود عليه الموت، مُصالحاً مع الله، ومُتبنًّى ووارثاً مع المسيح في ملكوته.

ولكي تكون الكنيسة هي الإنسان الجديد يتحتم على الكنيسة أن تمارس أسرارها المقدسة، وأن تحيا في ملء المسيح، وأن يحل المسيح فيها بالروح، ويدبِّرها كرأس حقيقي يمدُّها بالفهم والمشورة والخبرة والحياة. وباختصار أن يكون الاتحاد السري بين الإنسان والمسيح حقيقة حية مُعاشة مشهوداً لها من الله والناس والروح القدس.

لذلك فنحن نلفت نظر القارىء المبارك أن هذه الرسالة هامة لحياته وأنها يمكن أن تقوده بصدق

إلى ملكوت المسيح: «شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة **ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.**» (كو١: ١٢و١٣)

(هـ) الكنيسة وهي جسد المسيح، هي الإنسان الجديد «المخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق»:

كما كان في البدء عندما خلق الله الإنسان على صورته: «وقال الله **نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا** ... فخلق الله الإنسان على صورته، **على صورة الله خلقه**» (تك١: ٢٦و٢٧)، هكذا تماماً وبالحرف الواحد ما يتم في جرن المعمودية، بحسب الرسالة إلى أفسس:

+ «**أن تخلعوا** من جهة التصرف السابق **الإنسان العتيق** (ما قبل المعمودية) **الفاسد** بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم **وتلبسوا "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق".**» (أف٤: ٢٢)

+ «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي.» (١كو١٥: ٤٩)

ولكن لينتبه القارىء، لأننا في المعمودية ــ كسرٌ إلهي ــ بحسب الإيمان المسيحي نموت حقاً مع المسيح بالدفن تحت الماء بثلاث غطسات على مستوى الثلاثة أيام، نموت عن الإنسان العتيق الفاسد، ثم بعد الثلاث الغطسات نقوم من تحت الماء فنكون قد قمنا مع المسيح في اليوم الثالث بإيمان حي، ونكون قد متنا عن الإنسان العتيق بضمير صادق وعهد ووعد، ولبسنا الإنسان الجديد **«المخلوق بحسب الله» بقوة نعمة الله**، وهذا الذي يحدث في المعمودية هو تطبيق في المنظور للإيمان الحي الذي يؤهلنا حقاً وفعلاً للموت والقيامة معه.

وقد جاء هذا الاصطلاح اليوناني: **«المخلوق بحسب الله»**، مترجماً بالإنجليزية عن النص اليوناني في الإنجيل (Nestle) هكذا: created after the likeness of God وترجمته واضحة: «المخلوق بشبه الله أو على شكله أو صورته».

إذاً، فهنا خلقة جديدة روحانية مطابقة في موضوعها للخلقة الأُولى التي خلقها الله للإنسان على صورته كشبهه: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (في المعمودية) ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب **صورة خالقه**» (كو٣: ٩و١٠). ولكن هنا لأنها خلقة روحانية، ولأن صورة الله هي جوهر وليست مظهراً، فقد عرَّف ق. بولس صورة الله بأنها **«البر وقداسة الحق»**. وفي موضع آخر يعبِّر بولس الرسول عن لِبْس الإنسان الجديد في المعمودية بقوله: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣: ٢٧)، ومعروف قطعاً أن المسيح هو صورة الله غير المنظور! (كو١: ١٥)

أي أن الكنيسة بسرِّها الإلهي في المعمودية تخلق، بقوة الله على الخلق، بواسطة المسيح، "**إنساناً جديداً على صورة الله في البر وقداسة الحق**"، أو أنها تُلبس الإنسان القائم من المعمودية المسيح نفسه الذي هو صورة الله بسرٍّ لا يُنطق به، الأمر الذي هو حادث بالإيمان على مستوى الحق والفعل. وهكذا فكل إنسان معمَّد في الكنيسة، يكون بالإيمان وبالسر **قد خُلق جديداً على صورة الله خالقه في البر وقداسة الحق**، ويكون قد لبس المسيح كخليقة جديدة لله.

(و) الكنيسة يوم خُلقت، خُلقت لتبلغ قامة ملء المسيح:

الكنيسة، التي هي نحن، خُلقت جديداً لمَّا قام المسيح من الأموات ـ بجسده الذي أخذه منَّا ـ في اليوم الثالث:

+ «الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن **أموات** بالخطايا **أحيانا (خلقنا) مع المسيح**، بالنعمة أنتم مخلَّصون، **وأقامنا معه، وأجلسنا معه في** السماويات في المسيح يسوع.» (أف ٢: ٤-٦)

انظر عزيزي القارىء، فالمسيح قام من الأموات ليجلس عن يمين الله في السماويات ليكون رأساً فوق كل شيء **للكنيسة**:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، **وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده** ...» (أف ١: ٢٠-٢٣)

انظر! المسيح لم يتوقف عند القيامة بل ظلَّ يرتفع ويكسب الأوضاع والمواقف ويسود على الخلائق طرًّا في الأرض والسماء بلا استثناء، يضعها تحت قدميه ليصير في النهاية فوق كل شيء، لمن؟ للكنيسة!!!

إذاً، فالمسيح هو الذي أوصل الكنيسة إلى كمال الكمال يوم قام بالجسد من الأموات ليرتفع بجسده إلى أعلى السموات، لتصير هي جسده المقدس المقام في ملء المجد، والكل مُخضَع لها تحت قدميه، لأنه هو رأسها فوق كل خليقة.

القديس بولس يعود ويراها في المسيح أنها يوم قامت مع المسيح وارتفعت معه، أخذت بالحق طابع الملء المقدس وطبيعته ووُهِبَت صورة قامة المسيح وهو في ملء مجده وجلاله.

لذلك، فمهما تعثَّرت عبر الزمن والتاريخ وتعوَّقت عن أن تأخذ صورتها الكاملة المنطبعة على كمال المسيح، فهي حتماً بالغة إليها زاحفة نحوها، لأن الكمال المسيحي هو طبيعتها، وملء المسيح هو حقُّها الإلهي الذي خُلقت له، والذي اكتسبه المسيح لها بآلامه وعذاباته المرَّة وصليبه وموته ودفنه، والمجد الذي ناله من يد الله بقوة عظيمة واقتدار يفوق العقل: «وما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا** نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات ... **للكنيسة!!**» (أف١: ١٩-٢٢). فكيف لا تبلغ الكنيسة إلى ما صار من حقها لحساب المؤمنين فيها؟ ويقول ق. بولس أيضاً: «**ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع**» (أف٢: ٧)، وفي مكان آخر: «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه **حسب مسرَّة مشيئته لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.**» (أف١: ٥و٦)

إذاً، حقٌّ لنا، وجدير بالتمسُّك، والافتخار، ما قاله ق. بولس:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل ... **لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف٤: ١٠-١٣)

قول جميل قاله بولس الرسول يخص المسيح وهو بعينه يتسحَّب على الكنيسة:

+ «لأنه إن كنَّا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته ...
فإن كنَّا قد متنا مع المسيح (الكنيسة) نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه،
عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد ...
كذلك أنتم أيضاً!!» (رو٦: ٥و٨و١١)

إذاً، فالكنيسة التي ظهرت للحياة بقيامة المسيح من الأموات، لن يغلبها العالم، لن يسود عليها الموت، لن تقوى عليها أبواب الجحيم!! بل بالحري سوف تنمو سرًّا حتى تبلغ قياس قامة ملء المسيح!!

(ز) هذا السر عظيم: الكنيسة عروس المسيح:

+ «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح **أيضاً الكنيسة** وأسلم نفسه لأجلها
لكي يقدسها مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة،
لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل

تكون مقدسة وبلا عيب ...
فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربِّيه كما الرب أيضاً للكنيسة،
لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه ...
هذا **السر عظيم**، ولكنني أنا أقول من **نحو المسيح والكنيسة**.» (أف ٥: ٢٥-٣٢)

القديس بولس يرى الكنيسة عروساً للمسيح، أو كامرأة له معها ارتباط عهد وحب وحياة: «**يربيها ويقيتها كما الرب للكنيسة**»، بل وقد أسلم نفسه لأجلها بالفداء. ولكي يقدسها، طهَّرها بغسل ماء المعمودية والكلمة، لكي يحضرها لنفسه «كنيسة مجيدة» ــ عروساً ــ بلا عيب ولا دنس، مقدَّسة في كل شيء.

كل هذه الأوصاف التي تحمل أرق المشاعر على مستوى الألوهة، إنما تبرز عمق الصلة الاتحادية بين المسيح والكنيسة، لأنه لا يوجد في الوجود قط اتحاد حر صادق ومنعطف بين الاثنين، يتمتع كل منهما فيه بمنتهى الحرية الفردية الناضجة ثم يرتضيان الاتحاد، مثل رجل وامرأة، ليس على مستوى الممارسة قط بل على مستوى المعيار الفكري النظري المحض. فالمسيح تبارك اسمه لم يتزوج كنيسة، بل لا توجد كنيسة قط تُرى أو تُنظر كامرأة أو أنثى على أية صورة، إنما هي **مجرد اسم لشعب أو أمة**. فالشعب المسيحي الذي اقتناه المسيح يدعى كنيسة، فالشعب كأفراد موجودين يسمى في مضمونه المطلق "كنيسة"، ولكن لا يوجد كيان منظور أو محسوس يسمى كنيسة(١٩). فالكنيسة هي مجموعة من الشعب أو مجموع الشعب كله وهو في حالة عبادة وصلاة.

وهذه المشابهة الحية العاطفية الرقيقة نجدها في العهد القديم بصورة أشد عاطفية وأشد رقة وأشد تأثراً مع الشعب اليهودي أو الأمة اليهودية، ومعروف أن الله في القديم أحبَّها، ولكن أغضبوه فغضب عليهم، فجاءت المشاعر التعبيرية في منتهى الرقة والواقعية، فلما غضب عليهم قال:
+ «هكذا قال الرب أين كتاب طلاق أمكم! التي طلَّقتُها ...
هوذا من أجل آثامكم قد بُعتم ومن أجل ذنوبكم طُلِّقت أمكم.» (إش٥٠: ١)

ذلك بعد رجوعهم من السبي. وفي الحقيقة الله يتكلَّم هنا للشعب اليهودي، أي **للأمة** اليهودية، فلا يوجد «أم» حقيقية، ولم يتزوج الله لا الشعب ولا أماً، بل ولم يطلِّق شعباً أو أمًّا

(١٩) تسمية الكنائس المبنية بأسماء مثل كنيسة أنبا أنطونيوس وكنيسة الملاك ميخائيل وكنيسة السيدة العذراء هي مجرد أسماء لمباني ذات مواقع. ولكن الكنيسة إذا أردنا أن نعرِّفها فهي «شعب المسيح» المجتمع هنا أو هناك. ففي كنيسة السيدة العذراء يجتمع شعب المسيح المحب للسيدة العذراء وقد اتخذها شفيعة تطلب من أجل أفراده ويتوفر هو على التسبيح لها، وهكذا.

ما، إنما هي تعابير الغضب خرجت رقيقة حزينة من فم الله على لسان إشعياء النبي ليُظهِر حبه السابق وغضبه اللاحق، وتصميمه على الهجران والقطيعة. هذه هي روح التوراة البديعة بالتصوير التعبيري لعمق سر الحياة مع الله في هنائها ونكدها، والتوراة مليئة. ولكن، ليحترسْ القارىء، فهي ليست تعابير بشرية بل تعابير إلهية صادقة.

كما عاد الله وتحنَّن على الأمة اليهودية وصمَّم أن يعيد لها أيام الحب والهناء، ويرد لها جمالها كعروس هجرها لحظة وسيردُّها إلى الأبد. اسمعه يخاطب الشعب اليهودي:

+ «... فإنكِ تنسين خزي صباكِ وعار ترمُّلكِ لا تذكرينه بعد،
لأن بعلكِ (زوجكِ) هو صانعكِ (إلهكِ) ربُّ الجنود اسمه!
ووليُّكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى!
لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب،
وكزوجة الصبا إذا رُذِلَتْ قال إلهكِ:
لحيظة تركتكِ وبمراحم عظيمة سأجمعكِ،
بفيضان الغضب حجبت وجهي عنكِ لحظة،
وبإحسان أبدي أرحمكِ قال وليُّكِ الرب.» (إش٥٤: ٤—٨)

هذا هو «يهوه» في القديم، وهذه هي الأمة اليهودية العروس المغضوب عليها. وعلى نفس المنوال يتجدَّد المنظر أمامنا بين المسيح والكنيسة.

ويرتفع بولس الرسول في رؤيته الروحية الحية للكنيسة فيراها في الجسد ذات علاقة حياتية بالمسيح. يراها عروس المسيح التي أسلم نفسه من أجلها على الصليب فاقتناها بدمه، وغسلها بتقديس سر المعمودية ليقدمها لنفسه عروساً مقدسة وبلا عيب.

ونلاحظ أن الكلمات التي قيلت في آدم وحواء وتسجَّلت لتكون جوهر سر الزيجة المقدَّس، يأخذها ق. بولس ليصف بها اتحاد المسيح بالكنيسة ليصيرا جسداً واحداً.

+ «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة **وأحضرها إلى آدم،**
فقال آدم هذه الآن **عظم من عظامي، ولحم من لحمي ...**
لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته **ويكونان جسداً واحداً.**» (تك٢: ٢٢-٢٤)

فيقول ق. بولس:

+ «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا

السر عظيم، **ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.**» (أف٥: ٣١و٣٢)

ومن هنا أصبح القول بأن «الكنيسة جسد المسيح» يعبّر عن صميم سر علاقة مقدّسة للغاية بين المسيح والكنيسة.

ويلاحظ كيف يستعير ق. بولس قول سفر التكوين عن كيف «**أحضر**» الله حواء إلى آدم «**وأحضرها له**»، فيستخدم الاصطلاح نفسه من جهة المسيح فيقول: «**لكي يحضرها لنفسه** كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ... مقدسة وبلا عيب» (أف٥: ٢٧). وهو اصطلاح يعبّر عن زفّها لآدم، أو زفّها للمسيح كما في يوم العرس. كل هذه محاولة جادة من بولس الرسول ليعبّر عن مدى صدق وسرّية الاتحاد الحياتي الذي تم بين الكنيسة والمسيح، الذي عاد وشرحه بمنتهى الوضوح فيما يخص المؤمنين هكذا: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه **ومن عظامه**» (أف٥: ٣٠)، كما قال آدم عن حواء (انظر تك٢: ٢٣).

فالمسألة ليست مجازاً، بل هي واقعٌ حيٌّ، إنما سرّي للغاية وغير منظور. فكما بنى الله ضلع آدم وصنعه حواء، فصارت حواء (الكنيسة العتيقة) من لحم آدم وعظامه، هكذا الكنيسة الجديدة (نحن) بالسر الإلهي: **جسده!!**

ونعود ونحقق هذا السر بهيبته حينما نشترك في جسده المقدّس!!

ثالثاً: دور الروح القدس في الرسالة إلى أفسس

كما رأينا فيما يخص «المسيح» أن الرسالة لم تركّز على شخص المسيح ولا على طبيعته كما انشغلت بها رسائل ق. بولس الأخرى، ولكن الرسالة ركّزت على الأعمال العظمى التي تمّت له من قِبَل الله الآب، والتي تمت بواسطته، ثم امتدّت الرسالة بهذه الأعمال لتسلمها للكنيسة، فكانت الكنيسة بالنهاية هي مركز الاهتمام في الرسالة بمنهجها العميق المتّسع.

كذلك أيضاً في الروح القدس، فنحن لا نجد في الرسالة وصفاً للروح القدس بحد ذاته، ولا تحليلاً لعمله كما امتلأت به الرسائل الأخرى، بل هي تكشف كيف أعطى الروح القدس خصائصه الجديدة للكنيسة التي تتناسب مع العهد الجديد كما سبق وأعلن للأنبياء.

الأيام الأخيرة:

فمعروف من النبوات أن حلول الروح القدس هو من خصائص «الأيام الأخيرة»، وهذا ما تم في يوم الخمسين حينما حلّ الروح القدس بالفعل وبدأ يعطي الكنيسة (شعب المسيح) ملامحها

وطبيعتها الجديدة. وهذا ما نادى به بطرس الرسول حينما تعجَّب الشعب مما حدث:

+ «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم ... هذا ما قيل بيوئيل النبي، يقول الله: ويكون في **الأيام الأخيرة** أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ... وأعطي عجائب في السماء من فوق وآيات على الأرض ...» (أع٢: ١٤و١٧و١٩)

وفي الرسالة إلى أفسس يعطي ق. بولس أعمالاً جديدة للروح القدس في الكنيسة تجعلها على مستوى الأيام الأخيرة، ولكن ليس بمفهومها الزمني وحسب، بل والأيام الأخيرة بمفهومها الذي يتناسب مع دعوتها وهدفها الروحي الأبدي أي الملكوت الآتي.

ختم الروح القدس:

+ «نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح، الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم **خُتمتم بروح الموعد القدوس.**» (أف١: ١٢و١٣)

هذا الختم السرِّي غير المنظور للعين البشرية هو **علامة التبعية** للمسيح، العلامة المنظورة والمعلَنة لله والمسيح ولكل القوات السمائية التي تُعيِّننا للملكوت كشعب مفدي. ولكن الختم ليس مجرد علامة، بل هو في الحقيقة إعادة صياغة الطبيعة البشرية لتكون لائقة ومعدَّة للحياة الأبدية في القول والفكر والعمل والشعور والتصرُّف، حتى إنه لا يُعدُّ صعباً حتى على الناس أن يدركوا آثار ومفاعيل هذا الختم غير المنظور.

وقد يُكنَّى عن هذا الختم بالمعمودية، ولكنه (أي الختم) على كل حال يرافق المعمودية التي هي عمل تجديدي للطبيعة البشرية، والختم يحكم بصحتها ودوام عملها.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا، أن الرسالة لم تتكلم هنا عن المعمودية بحد ذاتها، ولا على الروح القدس بحد ذاته، ولكنها اتجهت مباشرة إلى هذا الفعل السرِّي للروح القدس أي الختم بمفهومه الجديد الذي ينطق فعلاً أننا نلنا علامة سماوية تنطق أننا بصدد الأزمنة الأخيرة. فكون الروح القدس يختمنا في المعمودية، حيث كل من اعتمد يقبل هذا الختم، فهذا عمل تجميعي يهدف إلى توحيد الإنسان بالنهاية. فهنا يتجه الروح القدس نحو الإعلان عن أن الإنسان بلغ قصد الله ـــ الأيام الأخيرة. لأن الختم الذي يتم لكل المعمَّدين كونه عربون الميراث المعد، يعتبر خطوة هامة في طريق توحيد الإنسان حين تبلغ الكنيسة غاية عملها لتكميل قصد الله الأزلي من نحو الإنسان: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف٤: ١٣)

إذاً، فالختم الذي نناله من الروح القدس في المعمودية هو إعلان واضح أننا في الأيام الأخيرة وأننا قد تعينَّا للميراث المعد، بل وهو أيضاً يُحسب خطوة عملية نحو الوحدة الأخيرة للإنسان التي يكمل بها قصد الله الأزلي من نحو الإنسان.

عربون ميراثنا:

هذا تعريف جديد للختم وللروح القدس نفسه.

فلو عدنا إلى وصف الروح الذي تمَّ به الختم نجده: «**خُتمتم بروح الموعد القدوس**». فلو عدنا إلى مفهوم «الموعد القدوس»، نجده في القريب والحديث هو موعد الآب، وفي البعيد والقديم جداً الوعد لإبراهيم من جهة **ميراث** النسل لبركة إبراهيم بالإيمان.

أما موعد الآب فهو كقول المسيح:

+ «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا "**موعد الآب**" الذي سمعتموه مني. لأن يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم فستتعمَّدون **بالروح القدس** ... لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً(*)...» (أع ١: ٤و٥و٨) وقد **حلَّ الروح القدس عليهم ونالوا قوة من السماء وشهدوا**، كما يشهد المثيل للمثيل!!

إذاً، فحلول الروح القدس في المعمودية هو «**موعد الآب**»، لذلك يتحتم أن يكون ختم الروح القدس، باسم الآب والابن والروح القدس، الذي به تتم المعمودية ويتم الختم.

بولس الرسول في الرسالة إلى أفسس يرى أن هذا الختم (بالمعمودية التي ترافقه) وبالروح القدس الذي **يلازمه**، هو «**عربون ميراثنا**». ولكن هذا "العربون" يختلف نوعاً ما عن معناه الذي اعتدنا عليه، إذ يعني أن الله تعهَّد ووعد أن يورثنا الحياة الأبدية مع المسيح كأبناء. ولكن نحن الآن وفي العالم وفي الجسد في حالة فقر مريع ونشتهي أن نعرف أو نتذوق شيئاً من ميراث هذه الحياة الأبدية التي وعدنا بها الله، والتي قيل بخصوصها أمورٌ فائقة ومعزية للغاية. فلكي لا يحرمنا الله من بصيص نور نتحسس به هذا النصيب الفاخر والثمين جداً، ولو من بُعد، لأننا لا نحتمل الآن استعلانه بالكامل لأنه عن أمور لا تخطر على قلب بشر ولا يسوغ التكلُّم بها، لذلك وهبنا ختم

(*) ننبه ذهن القارىء لقول الرب: «تنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم». هنا نفس قول الملاك للعذراء القديسة مريم: «الروح القدس يحلُّ عليكِ وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابنَ الله» (لو١: ٣٥). إذاً، فنحن هنا — أي في قول المسيح عن يوم الخمسين، بصدد ميلاد روحي وتقديس وبنوة لله. لذلك لزم شدة الانتباه واكتشاف العلاقة الوثيقة بين ميلاد المسيح من العذراء كقدوس وابن الله، وميلاد الكنيسة على نفس المستوى.

الروح بحراسة الروح القدس نفسه الذي من حين إلى حين يعلن لنا شيئاً يتناسب مع قامتنا. فالختم يطمئننا ويحجز لنا حقنا في الميراث المعد، أمّا هو ـــ أي الروح ـــ فيبقى «**كعربون**» يسرِّب لنا أشياءً مفرحة تجعلنا ننتظر هذا الميراث بفارغ الصبر. أي أن الختم والروح القدس معاً: «خُتمتم بروح الموعد القدوس» هو عربون نستمتع به الآن في فقرنا وجوعنا، حيث يعزينا الروح القدس ويشدد قلبنا وروحنا إلى أن يحين تنفيذ الوعد القدوس.

هذا هو دور الروح القدس الذي هو في الحقيقة الربط بين الأزمنة الأخيرة الحادثة الآن (والذي يُعتبر وجوده أعظم علامة لها من واقع النبوات)، وبين الأزمنة الأخيرة التي فيها يكمل كل شيء وتُستعلن الحياة الأبدية ويتم الوعد.

إن هذه الرسالة تقدم لنا الروح القدس باعتباره الروح الحامل لمواعيد الله المقدسة، وقد ختم قلوبنا وأرواحنا كتقرير إلهي باستحقاقنا للفداء، وعلينا أن نعتبر أن مجرد وجود الروح القدس هو بمثابة عربون يحمل صدق وعد الله بانتظار تحقيق نوال الميراث المعد.

«**لمدح مجده**» (أف ١: ١٢): εἰς ἔπαινον δόξης αὐτοῦ

+ «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٦)

ظاهرة ملازمة للدخول في الأيام الأخيرة كفعل من أفعال الروح القدس. وهذه الظاهرة ترافق الأيام الأخيرة في مفهومها الزمني للتحضير للأيام الأخيرة في استعلان الفداء ونوال الخلاص ودخول الميراث.

«فمدح مجد الله»، أو المديح بمجد الله، هو صفة ملازمة لنوال حق البنوة، كما هو صفة ملازمة بالأولى وبالكامل عند نوال مجد البنوة في الملكوت المعد. أمّا المديح لمجده الآن فهو ليس ظاهرة وحسب ولكنها صفة، وليست صفة وحسب بل وطبيعة. فالذين اعتمدوا وخُتموا بروح الموعد القدوس وذاقوا الموهبة السماوية ودخلوا في شركة حقيقية مع الروح القدس، فالتسبيح لمجد الله والمسيح يصير عندهم عملاً من أعمال حياتهم. فكما لا يمكن الحياة الجسدية بدون أكل وشرب، هكذا الدخول في الحياة الروحية الجديدة، فإن أكلها وشربها هما التسبيح. فلا يسبِّح الإنسان كعمل إضافي بل كضرورة نشعر بها بالروح، فالروح تحيا وتنمو وتزدهر بالتسبيح فإذا كفَّ الإنسان عن التسبيح تنحصر الروح وتكتئب، ليس كأنه بدون سبب، ولكن لأنه في الحياة الجديدة تنشأ علاقة حقيقية بين الروح وبين الله والمسيح الذي هو مصدرها التي انحدرت منه. فهي لكي تعبِّر عن وجودها، تسبِّح المسيح وتمجِّد الله خالقها وكأنما هي قد خُلقت لتسبِّح مجده وتحمده، لأن الله **قائم في مجال التسبيح**: «أنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل» (مز٢٢: ٣). وإسرائيل

هنا تعبِّر في زمانها عن الإنسان كافة، ولكن هناك أيضاً تسبيح الملائكة وكافة الطغمات السماوية كلٌّ في مرتبته، بل كل نسمة تسبِّحه، والخليقة كلها تسبِّحه، كلٌّ في مرتبته. والكل يسبِّح، إن لم يكن باللسان فبالقوة والقدرة والبهاء والمجد الذي ناله. فالله موجود في مجال التسبيح تحيطه مجالات التسبيح الصاعدة من كل خليقة. فلا توجد خليقة قط لا تسبِّح وإلاَّ تفقد وجودها. فهي بتسبيحها لله تستمد وجودها وكيانها وترتبط بكل خليقة أخرى مهما كانت، عظمت أو صغرت.

فحينما نخرج من المعمودية خليقة جديدة على صورة خالقها في البر وقداسة الحق، ندخل مجال الله كخليقة جديدة مسبِّحة، تنمو وتزدهر على قدر تسبيحها، فبقدر ما يزيد تسبيحها تقترب أكثر، وبقدر ما تمدح وتمجِّد تقوى وتتجدَّد:

+ «هلليلويا ... أسبح الرب في حياتي **وأرنم لإلهي ما دمت موجوداً.**» (مز١٤٦: ١و٢)
+ «أحمدك في الجماعة الكثيرة في شعب عظيم أسبِّحك.» (مز٣٥: ١٨)
+ «أسبِّح اسم الله بتسبيح، وأعظِّمه بحمد، فيُستطاب عند الرب أكثر من ثور بقر ذي قرون وأظلاف، يرى ذلك الودعاء فيفرحون وتحيا قلوبكم يا طالبي الله.» (مز٦٩: ٣٠و٣١)
+ «أحمد الرب جداً بفمي وفي وسط كثيرين أسبحه.» (مز١٠٩: ٣٠)
+ «في كل يوم أباركك وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد.» (مز١٤٥: ٢)
+ «لِتَحْيَ نفسي وتسبِّحك.» (مز١١٩: ١٧٥)
+ «أبارك الرب في كل حين، دائماً تسبيحه في فمي.» (مز٣٤: ١)
+ «بالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي.» (مز٤٢: ٨)
+ «رنِّموا بمجد اسمه، اجعلوا تسبيحه ممجداً.» (مز٦٦: ٢)

وواضح لنا ومعروف أن ما من إنسان نال عطية الروح القدس، إلاَّ وتبدَّلت حياته إلى تسبحة دائمة لا تكف.

وهكذا يكشف لنا بولس الرسول في هذه الرسالة عن عمل من أوضح أعمال الروح القدس والذي يعتبر ظاهرة ملازمة لأزمنة الخلاص.

كذلك واضح أن الروح القدس يعبِّر عن وجوده وعمله في التجديد الآن بالتسبيح الذي ينطقه في أفواه الذين سبقوا فتعيَّنوا للتبني ونالوا الفداء: «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.» (أف١: ٥-٧)

الحكمة والاستعلان في المعرفة:

رسالة أفسس لا تقف عند المعرفة العادية التي مارسناها في فهم كلمة الله وفحص مفردات الإيمان ومعرفة ابن الله في تجسُّده وفي أعمال الفداء.

إنها تسوق علينا ق. بولس بصلواته التي كان يقدمها في آخر الأيام بإلحاح وبسجود متواتر وتوسُّل لدى الله والروح القدس، لكي يحنِّن قلب الله ويحرك الروح القدس أن يعطينا أدوات جديدة للمعرفة تتناسب وأعمال الله العظيمة من أجلنا التي تحتاج إلى فهم عميق وكشف، حتى تُستعلن قيمتها وعظمتها، وإلاَّ تظل حبيسة السطور والصفحات، منسية وغير ذات عمل في حياتنا.

اسمعه يصلِّي ويتوسل:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي:
كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح ــ أبو المجد ــ روح الحكمة والإعلان في **معرفته**، **مستنيرة** عيون أذهانكم لتعلموا ...» (أف١: ١٦-١٨)

واسمعه أيضاً يصلِّي ويتوسل:

+ «بسبب هذا أحني ركبتيَّ (أركع وأسجد) لدى أبي ربنا يسوع المسيح ــ الذي منه تسمَّى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض، **لكي** يعطيكم ــ بحسب غنى مجده ــ أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن: ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم ــ وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا ...» (أف٣: ١٤-١٩)

والسؤال الآن: هل فعلاً تحتاج هذه الأمور إلى روح الحكمة والإعلان لمعرفتها؟ وتحتاج أن نتأيد بالروح القدس في الإنسان الباطن لندركها؟ على أي حال سوف نعود إلى هذه الآيات ونشرحها بالتفصيل، ولكن نستطيع الآن أن نعطي صورة ملخَّصة عن مدى أهميتها وعمقها وخطورتها أيضاً.

أ ــ ففي صلاته الأُولى يريدنا أن نعرف أسرار قيامة المسيح من الأموات وجلوسه عن يمين الآب وإخضاع القوات السمائية والأرضية وكل خليقة تحت قدميه.

ثم يريدنا أن نعرف أن الله جعله رأساً للكنيسة.

ثم كشف لنا أن الكنيسة هي جسده، (ولكن بمنتهى الاختصار ودون أي شرح أو كيف حدث هذا).

ثم كشف أن الكنيسة هي ملء الذي يملأ الكل في الكل!! (دون أن يشرح ذلك ولا بكلمة واحدة).

ولكي يدرك القارىء مدى خطورة القول، نوجه ذهن القارىء أن المعنى يتسحَّب نحو الكنيسة كغاية نهائية!! أي أنه أقامه، وأجلسه، وأخضع كل شيء تحت قدميه، (ليجعله) رأساً للكنيسة، (لتكون) الكنيسة جسده، (لتكون) هي ملء الذي يملأ الكل في الكل!!

هذه المعرفة في الحقيقة لا تدخل داخل إمكانية تصوراتنا، فكيف نتصوَّر المسيح وقد جاز كل قوة وسلطان لإخضاع كل الخليقة، ثم يوظِّف كل قوته وسلطانه وإخضاعه للخليقة لحساب الكنيسة وأن يكون هو رأسها وتكون هي جسده؟ وقد رأينا في شرحنا «للكنيسة جسد المسيح» مدى سرِّية هذا العمل ومدى عمقه ومدى أهميته بالنسبة لنا.

هنا يقف العقل صامتاً يحتاج إلى روح الحكمة والإعلان ليعرف.

بهذا تكون قد صحَّت طلبة بولس الرسول، بل وصارت ضرورة حتمية، بل ويلزم أن نزيدها صلاة وتوسلاً من طرفنا، لأن في الأمر خلاصنا وحياتنا.

ب — وفي صلاته الثانية يريدنا أن نعرف سر محبة المسيح لنبلغ بها إلى ملء الله الكلي والنهائي. وهنا نقدم صورة ملخصة لهذه الآيات للتعرف على مدى أهميتها وعمقها وخطورتها أيضاً:

+ «حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو،
وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة،
لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله!!
والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف٣: ١٨و١٩)

ونتبه ذهن القارىء إلى ثلاثة مطالب يطالبنا بولس الرسول أن ندركها:

أولاً: أن يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا.

ثانياً: معرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة!!

ثالثاً: أن نمتلىء إلى كل ملء الله!!

وإلى هنا يقف العقل صامتاً طالباً تأييد الروح القدس بالقوة في الإنسان الباطن. إذاً، فنحن متوافقون تماماً مع بولس الرسول في أن هذه المعارف هي جديدة علينا فعلاً وأكثر من قدراتنا الفكرية والروحية، وهي تحتاج إلى تأييد بقوة الروح في الداخل لأن بلوغ معرفتها هو بعينه بلوغ تحقيقها.

وهذا يبدو أمامنا أمراً معجِّزاً فكيف نقدر عليه؟ ولكن ق. بولس كخبير وكمن يعرف وذاق وباشر يعود فيقوي عزيمتنا بالقول: «والقادر أن **يفعل** فوق كل شيء، **أكثر جداً مما نطلب، أو نفتكر،** بحسب **القوة التي تعمل فينا.**» (أف٣: ٢٠)

بهذا القدر يشجِّعنا حتى نطلب ونفتكر فيما هو فوق قامتنا وخارج عن طاقتنا.

+ والسؤال الآن: لماذا يلح ق. بولس بالصلاة لنحصل على هذه المعرفة؟
+ والسؤال الأكثر إلحاحاً: لماذا تهتم رسالة أفسس بعرض هذه المعارف والقدرات الفائقة؟

الجواب بسيط، فأعمال الروح القدس التي قدمتها الرسالة، من **ختم المؤمنين، وإعطاء روح الموعد القدوس ليكون عربون الفداء والميراث،** وغيره من إظهار زماننا أنه زمان الوحدة: «مجتهدين أن تحفظوا **وحدانية الروح** برباط السلام، جسد واحد وروح واحد، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل في كلكم» (أف٤: ٣-٦)؛ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله** إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف٤: ١٣)؛ كل هذا يشير أننا في الزمان الأخير، كما قلنا، بمعنى الزمان المؤدي إلى الملكوت، زمان تجلي الحقائق. فصلواتنا وطلباتنا ومعرفتنا وخبراتنا يلزم أن تنتقل من وصفها العادي لقوم يطلبون بداية الإيمان وبداية معرفة ابن الله وبداية معرفة القوات التي صُنعت لتكميل القيامة من الأموات وأعمال الفداء، إلى معرفة ما صارت إليه الكنيسة الآن من كرامة ومجد كجسد المسيح وعروسه، وهو رأسها في السماء ونحن من لحمه ومن عظامه على الأرض. فالذي تغيَّر وامتد ليس المسيح، بل «معرفة المسيح»، وليست الكنيسة في ذاتها ولكن معرفة «سرِّها في المسيح»!

وبمنتهى اليقين نقول: إن هذه الرسالة بالذات كُتبت بروح أخرى غير كل الرسائل، وكأن ق. بولس قد كتبها لقوم آتين. فقد استُعلنت له كل الحقائق الأُولى بعمق جديد، وبنور مسلَّط على سر المسيح، فكتب لقوم أصبح عليهم أن يدخلوا هذه الاستنارة ويحوزوا هذا الإيمان حتى يدركوا حقائق الخلاص، ليس لمجرد الإدراك بل للاشتراك فيها ولحيازتها.

ولكي أقدم صورة مصغَّرة جداً لعمل «روح الحكمة والإعلان» الذي يلح ق. بولس علينا وعلى الله لنناله، وذلك بسبب ضرورته لنا لفهم الحاضر أمامنا ونوال نصيبنا، نقول:

أننا الآن في **زمان الروح** القدس،
الروح القدس عمله الأعظم هو **الوحدة،**

عمل الوحدة الأكمل هو بلوغ **منتهى المعرفة**،
بلوغ منتهى المعرفة هو **بلوغ منتهى الملء**.
وهذا هو العمود الفقري الذي بُنيت عليه الرسالة إلى أفسس.

رابعاً: توحيد البشرية في المسيح كمنهج لاهوتي للرسالة إلى أفسس

١ ـــ قدرة الكنيسة على توحيد البشرية:

باتفاق العلماء التقليديين فإن الرسالة إلى أفسس تحتل مكانة على أعظم مستوى من الأهمية من جهة المبادىء اللاهوتية فيها([20]).

وأظهر المبادىء التي تشكّل منهج اللاهوت في الرسالة هي:

(أ) التعرف على الكنيسة من جهة طبيعتها «**كجسد المسيح**».

(ب) رسالة الكنيسة الممتدة لتجمع كل العناصر والأجناس والأمم في وحدانية الإيمان والروح والعبادة والمحبة تحت تدبير الرأس أي المسيح، لتبلغ البشرية من وجهة نظر الله إلى إنسان كامل إلى قامة ملء المسيح.

فأصبحت الرسالة إلى أفسس بهذه العناصر تشكل أهم أسفار الكتاب المقدس بالنسبة إلى الزمان الحاضر الذي نعيشه في تطلعاته وآماله نحو مستقبل نهائي للإنسان والعالم، إذ تحمل العناصر التي تحتاجها الكنيسة في جهادها الحاضر، وأقرب التوجيهات التي تتناسب مع الفكر البشري في تحركه نحو أهدافه التي أصبحت تساوي حياته أو موته إزاء تحدي القوى المعاكسة التي تعمل على تحطيم الكنيسة وتفتيت الإنسان المسيحي. ولا يخفى أن المعيار الذي يبرز أمامنا الآن بالنسبة لتحرك الكنيسة وتضافر كل جهودها روحياً هو إمّا اتحاد أو فناء. ويقيناً أن الله لا يشاء أن يفني العالم على غير رجاء أو يظل الإنسان ينقسم ويتفتت إلى أن ينتهي إلى ما لا يشاء الله.

والرسالة تنادي على مدى العصور والأجيال: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه **لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح** ما في السموات وما على الأرض في

---

20. Francis W. Beare, "Introduction to the Epist. to the Ephesians" in *The Interpreter's Bible,* Vol. X, p. 605.

ذاك» (أف١: ٩و١٠). هذه هي مسرَّة مشيئة الله وهي حتماً تسير نحو التنفيذ: «حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف١: ١١)

أما نموذج هذه الوحدة الذي يحكي عن حتمية اكتمالها فهو اتحاد اليهود مع الأمم في كنيسة واحدة، وهذا تمَّ واكتمل، ورآه ق. بولس وفرح به وتهلل، ومن خلاله وعلى ضوئه استعلن بقية عمل الله حتى النهاية: «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض **لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً**» (أف٢: ١٤-١٦). وعلى هذا النموذج والأساس استعلن ما هو آتٍ بيقين ما هو حاضر: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح (البشرية المفدية) **إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان**، ومعرفة ابن الله، **إلى إنسان كامل**، إلى قياس قامة ملء المسيح!» (أف٤: ١٢و١٣)

فالذي خلق من الاثنين في نفسه ــ اليهود والأمم ــ إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، وكان هذا أصعب نموذج للاتحاد بسبب العداوة التي كانت قد استحكمت آلاف السنين، فبهذا النموذج، أعطى الله كلمته ونطق بوعده أنه حتماً ستنتهي البشرية إلى صلح وسلام إلى إنسان واحد جديد له قامة ملء المسيح وصورته في البر وقداسة الحق. فإن كانت البشرية تفتتت في آدم، وكانت الخطية عنصر التفتت والانقسام، فهي (أي البشرية) آتية في المسيح حتماً إلى وحدة واتحاد، وذلك بزوال الخطية وسيادة البر وقداسة الحق. ففي المسيح تدخل البشرية الفاسدة المتعادية المتنافرة المنقسمة ليُبتلع منها كل فساد، فتستعيد بالتالي طبيعتها بسيطة نقية طاهرة بشبهه في القداسة والحق.

ونحن نقول ذلك مع الرسالة إلى أفسس بضمان أن «الكنيسة هي جسده»، بل ومن أجل ذلك تقول الرسالة أنه سبق وباركنا بكل بركة روحية في السماويات لتبقى وحدة البشرية بالنهاية مضمونة تستمد طبيعتها من فوق، والكل مُخضَع لها في شخص من يقودها: «لأن به لنا كلينا (الأقسام المتعادية) قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٨)

الرسالة تصوِّر لنا الخليقة، وبالأكثر الإنسان، وهو مع الكل يتحرك بقوة إلهية نحو وحدة حتمية يستمد أصولها وطبيعتها وأدواتها من المسيح. وتهيمن على هذه الحركة **مشيئة الله** حسب قصده الذي أعلنه: «إذ عرَّفنا **بسر مشيئته** حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٩و١٠)

وتكشف هذه الرسالة عن أعيننا أن الله قصد هذا قصداً من نحو الخليقة قبل أن يخلقها، بل

واختارنا لنكون قديسين وبلا لوم قبل أن يخلقنا، بل وقبل تأسيس العالم!! فوحدة العالم كائنة في تدبير الله قبل أن يخلقه، ووحدة الإنسان وقداسته كائنتان في مشيئته قبل أن نوجد.

بهذا التصوُّر الفائق على الزمن، وهذا التدبير الإلهي الكائن قبل أن يكون كائن ما، والذي تقدمه الرسالة إلى أفسس، نقترب من فكر الله ونحن على يقين مما وعد. فمنهج اللاهوت في الرسالة إلى أفسس متفوِّق جداً على الزمن، ومنظور قبل وفوق أي منظور، وقائم متحقق حسب المقاصد الأزلية رغماً عن دورات الزمان ورغماً عن أية قوة معادية أو شريرة: «لأن الرب يصنع أمراً مقضياً به على الأرض» (رو٩: ٢٨)، «هو أمرَ فصار» (مز٣٣: ٩)، «يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته.» (أف ١: ١١)

والغرض النهائي من الوجود الإنساني ككل، والذي نستشفه من الرسالة، هو «لمدح مجده» في هذا الدهر وفي الدهور الآتية، والتخبير بحكمة الله المتنوعة لدى كل الخلائق السماوية بما فعله الله في المسيح لأجلنا. وللكنيسة أعطى هذا الشرف أن تحكي هذا عن فم الله، على الأرض وفي السماء وعلى الدوام وإلى أبد الدهر.

٢ ــ «أبوة الله» كلية الاقتدار وكلية الحب كضمان فائق لتكميل وحدة البشرية:

رسالة أفسس تقدم لنا الله في أبوة حقيقية وفي واقع مطلق باعتباره «**الآب الحقيقي**»، فتقترب هذه الرسالة من «الله» في طبيعته الحقيقية وفي أبوته، لتراه غير ما تراه بقية الكتابات، فتراه قريباً إلى درجة يتحتم أن نعيها لخلاصنا. فكما أنه أب حقيقي لابنه يسوع المسيح، فهذه الأُبوة عينها أرادها الله أن تُستعلن لنا كحقيقة نحسُّها ونعيشها ونكتسبها.

فالله أب ولكن ليس على المجاز بل بالحق المطلق، فأُبوة الله حقيقية قائمة في الوجود الكلي إلى درجة أن كل أُبوة في السموات منبثقة منه.

فالله آب: «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي (الآب) = τὸν πατέρα
الذي منه تسمى كل عشيرة (أُبوة) = πατρία
في السموات وعلى الأرض.» (أف٣: ١٤و١٥)

واضح هنا أن الترجمة العربية أوردت إضافة عن بعض المخطوطات: «ربنا يسوع المسيح» لتصير «أبي ربنا يسوع المسيح»، **ولكن القصد من هذه الآية هو إظهار أبوة الله المطلقة التي تستمد منها كل أبوة أخرى في السماء وعلى الأرض وجودها وكيانها وعملها.**

إذاً، فأبوة الله للإنسان ليست وصفاً مجازياً بل حقيقة كيانية، أبوة الله بالنسبة لنا هي تعبير جوهري عن طبيعة الله نفسه خُلواً من استحقاقنا، لذلك يُدعى الأب **The Father** بالتعريف المؤكد: «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى **الآب**» (أف ٢ : ١٨)، هنا أبوة مطلقة. وقد علّمنا الرب يسوع المسيح أن نخاطبه في حقيقة طبيعته وواقعه الإلهي بالنسبة لنا، فندعوه: «أبانا الذي في السموات» (مت ٦ : ٩). فالصلة هنا صلة حقيقية أكثر صدقاً وواقعية من آبائنا بالجسد، كالفارق بين أب زمني زائل وأب إلهي باقٍ إلى الأبد.

ولا يوجد تعريف طبيعي أكثر واقعية لله كأب من كونه «أبا ربنا يسوع المسيح» (أف ١ : ٣)، فهو بالتالي أبونا على المستوى: «أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو ٢٠ : ١٧)

ولكي تظهر صفة أبوة الله بالنسبة لنا صادقة أشد الصدق، تقول الرسالة: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع» (أف ٢ : ٦). فكما مارس الله سلطان أبوته باقتدار عظيم على ابنه وأقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، **صنع نفس الشيء معنا وبنفس قوة الآب واقتداره، فتمجَّدت مراحم الأبُوة وتعظَّمت قوتها فينا. إذ صارت لنا نفس دالة الابن لدى الآب وصرنا ــ بكل يقين وبكل عظمة ــ في عيون الملائكة والقوات السمائية أبناءً بالحق وبالقوة، لمَّا أجلسنا عن يمينه في ابنه!** هكذا استُعلنت بنوتنا له على مستوى الابن المحبوب، حتى إن الروح القدس وهو روح الله يعترف لنا «يشهد لأرواحنا» (رو ٨ : ١٦)، وينطق بنفسه فينا لله قائلاً: «يا أبًا الآب» (رو ٨ : ١٥؛ مر ١٤ : ٣٦). هكذا أعلن لنا وللسمائيين أبوته لنا بالفعل والحب.

ومن أبوة الله الفريدة الكاملة الجوهرية للمسيح تظهر قوة أبوته الفائقة العاملة في الكنيسة، التي هي جسد المسيح والواقعة بالضرورة وبالتالي في دائرة أبوة الله للمسيح. ومن هنا تبدأ الكنيسة تستمد من أبوة الله الحقيقية قدرة وسلطة على توحيد وتجميع ومصالحة أبناء الله المنقسمين والمتفرقين والمتنازعين إلى واحد.

فلأن الله هو أبو ربنا يسوع المسيح، والكنيسة هي جسده، صارت الكنيسة تتمتع بكل الصفات والقوة الأبوية لله، لأن أبوته فعّالة على كل المستويات: «**إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكل**، الذي على الكل، وبالكل، وفي كلكم.» (أف ٤ : ٦)

ومن هنا نعود وننظر إلى الوحدة التي قصدها الله «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح» (أف ١ : ١٠) في ضوء أبوة الله. فالله هنا يعمل « **كإله وأب واحد للكل، على الكل،**

بالكل، في الكل»!! فهنا سلطانه على تكميل مشيئته في إنجاز هذه الوحدة في شخص ابنه يسوع المسيح ليس كأنه يعوزه شيء أو كمجرد قوة غير مضمونة البلوغ إلى أهدافها، بل «إله وأب». وهو إله وأب ليس قائماً في ذاته وحسب، بل إله وأب على الكل وفي الكل، فهو بلاهوته مقتدر إلى أقصى غاية الاقتدار، وبأبوته للكل تصير قدرته موجهة بحنان الأُبوة وعطفها وعنايتها الكاملة في كل شيء، والكل تحت طاعتها بالحب الأبوي الذي يجذبها ويحكمها بآن واحد.

من هنا تقدم لنا الرسالة إلى أفسس أبوة الله هذه، الإلهية، الكلية الاقتدار، والكلية الحب الأبوي والعطف والحنان، كضمان ليس من بعده ضمان لتكميل الوحدة التي قصدها بين كل الأمم والشعوب وكافة الأجناس في ابنه يسوع المسيح لتبلغ كمالها النهائي في الوقت الذي حدده لها، وبالصورة التي تصوَّرها في نفسه بجمال ونعمة ما بعدهما جمال. ثم تظل هذه الوحدة البشرية المنجمعة في شخص ابنه يسوع المسيح تحت مظلة أبوة الله تعمل بالمسيح بمنتهى الانسجام والألفة كبشرية بلغت قامة ملء المسيح حقاً.

لذلك حينما تقول الرسالة: «سبق فعيَّننا للتبني (أي لنكون أبناء له) بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة (حب) مشيئته» (أف ١: ٥)، فهذا هو سَبْق تصميم روح «الأُبوة» في البشر لتخلق منهم أبناء بدافع المحبة التي تشاء أن يكون للآب أبناء، فماذا يعطلها أو ماذا يمنعها؟

فماذا إن كانت **«مسرة مشيئة الآب»** قد تضافرت مع **«غنى نعمته»** ومع **«جزيل حكمته وفطنته»**، لتصنع من البشرية صورة طبق الأصل كاملة من ابنه يسوع المسيح بالحب والنعمة والحكمة؟ نعم، فهذا هو الذي رآه ق. بولس: «إنسان واحد له قامة ملء المسيح»! (قارن أف ٢: ١٥ مع ٤: ١٣).

تقول الرسالة أن هذه المقاصد الأبوية كانت سرًّا مكتوماً في الله منذ الدهور، ولكنها استُعلنت للقديس بولس والرسل القديسين: «لي أنا أصغر جميع القديسين **أُعطِيَتْ هذه النعمة: أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم** منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح ...» (أف٣: ٨و٩)

إذاً، يا لسعادة الكنيسة والبشرية جمعاء برسالة ق. بولس إلى أهل أفسس! فقد صارت كل مقاصد الله الخفية على لوحة الكنيسة تُقرأ بوضوح، وكل خطوة تُنفَّذ في أوانها. وطوبى لمن حاز روح الحكمة والاستعلان واستنارت عين ذهنه ليمسك بنصيبه ويبشِّر بأنصبة الآخرين.

٣ ــ الصليب كعنصر مصالحة:

الرسالة إلى أفسس تقدم لنا موت المسيح على الصليب، فوق أنه للفداء والكفَّارة، فإنها تعطي له معنىً لاهوتياً جديداً كعنصر مصالحة: يندرج في مفهوم جمع كل شيء في المسيح.

فبينما اللاهوت التقليدي للصليب يقول:

+ «الذي فيه لنا **الفداء** بدمه، **غفران الخطايا** حسب غنى نعمته.» (أف ١:٧)؛

نجد في رسالة أفسس لاهوت الصليب للمصالحة:

+ «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين **كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح** (الصليب).» (أف ٢:١٣)

+ «ونقض حائط السياج المتوسط أي **العداوة مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب** قاتلاً العداوة به.» (أف ٢:١٤-١٦)

لم يلتفت بولس الرسول في الرسالة إلى أفسس كالعادة إلى موت المسيح على الصليب ليركِّز به على الكفَّارة كذبيحة لمغفرة الخطايا، ولكنه ذكرها مرة واحدة ولم يَعُد إليها، إنما استخرج لنا من ذبيحة المسيح على **الصليب قوة للمصالحة مع الله أولاً**، وثانياً **للإنسان مع الإنسان**. وهكذا يمتد بالمصالحة بواسطة الصليب، **فيوظِّفها لتكميل الوحدة التي هي أهم أهداف الرسالة!**

فالصليب في الرسالة إلى أفسس أداة رفع فوارق وحواجز وموانع وعداوات أزلية بين الإنسان وأخيه الإنسان. فبمجرد أن يرتفع الصليب فوق رؤوس المتخاصمين، تسقط الخصومة وكل عداوة كما حدث بين اليهود والأمم. **لأنه إن كان موت المسيح على الصليب قد صالح الله بالإنسان ورفع العداوة الأزلية، فكيف تبقى عداوة أو خصومة بين الإنسان وأخيه الإنسان؟** والله نفسه تنازل عن كل أسباب العداوات التي غرسها الإنسان في طبيعته ضد الله. أو بمعنى آخر، إن كنَّا في المسيح قد بلغنا المصالحة مع الله، فكيف نكون في المسيح وتبقى فينا خصومة لإنسان. وكأنما **الله قد صالحنا في المسيح لنفسه حتى نتصالح نحن معاً.**

أي أن الصليب إن هو أصبح أداة مصالحة، فبالضرورة يكون أداة اتحاد. فإن كان المسيح بموته وصليبه أصبح له القدرة أن يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، فموته وصليبه هما بالتالي وبالأساس قوة اتحاد لا تهدأ حتى تأتي بالإنسان إلى اتحاد كامل.

٤ ــ وحدة الخليقة تمتد لتشمل السمائيين أيضاً:

بإعطاء الله للكنيسة صفة جسد المسيح، يكون قد رفع قدرتها السرِّية على الجمع والتوحيد بالنسبة للخليقة حتى التي فوق: أي الملائكة والرؤساء والسلاطين. فالكنيسة التي كان لا يخرج مفهومها عن جماعة المؤمنين، نجد أنه بإعطائها صفة جسد المسيح أصبحت مع المسيح تكوِّن شخصية واحدة متحدة([21]):

+ «وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة for the church التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف١: ٢٢و٢٣)
جسد واحد للمسيح هي الكنيسة، والمسيح في الكنيسة يديرها كرأس.

الكنيسة بهذا الشكل العضوي تنمو إلى قامة ملء المسيح، حينما تبلغ وحدانية الإيمان وتكمل معرفتها بابن الله. هنا المعرفة الكاملة والنمو وبلوغ الملء هم وحدة لاهوتية واحدة: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية الإيمان ومعرفة** ابن الله، إلى إنسان **كامل** إلى قياس قامة **ملء المسيح**» (أف٤: ١٣). وكون المسيح هو رأس الكنيسة، فهذا يحدد طبيعة الكنيسة لكي تعتمد عليه بالفكر والإرادة: «وأما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦). وكمصدر للحياة فوق الفداء والمصالحة مع الله وفي المسيح، يكمل نمو الكنيسة: «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح» (أف٤: ١٥). ويصبح المؤمنون أعضاءً حيَّة تنمو في المسيح: «الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عمل، على قياس كل جزء، يحصِّل نمو الجسد لبنيانه **في المحبة**» (أف٤: ١٦). ويقصد بذلك تنوع المواهب والوظائف في الكنيسة حسب اختيار النعمة:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل. وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.» (أف٤: ١٠-١٢)

والكنيسة وظيفتها الأُولى أن تجمع البشرية إلى وحدة كاملة في المسيح وكأنها إنسان واحد كامل له قامة ملء المسيح. ولكن لأنها جسد المسيح، فقد اتسعت شهادتها واتسع عملها في الخليقة كلها **لتجمع الكل لحساب المسيح والله: «اذهبوا إلى العالم أجمع** واكرزوا بالإنجيل **للخليقة كلها**» (مر١٦: ١٥)، «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله ... لأن الخليقة أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله.» (رو٨: ١٩و٢٠)

21. Ibid. p. 607.

بل وبسبب سمو قدرة الكنيسة باعتبارها «الجسد» الخاص للمسيح الملتحم فيه باتحاد كلي، ارتفعت وظيفتها بالتالي لتشهد للسمائيين، وبالتالي تجمع الكل لحساب مجد المسيح: «لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف٣: ١٠و١١). وقصد الله منذ الدهور قد أعلنه لنا بروحه: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه ["هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد (هذا هو ما صنعه في نفسه) لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣:١٦)] لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح، **ما في السموات**، وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٩و١٠)

ويقدم بولس الرسول في هذه الرسالة أقوى نموذج لقدرة الكنيسة على جمع المتنافرات وإلغاء العداوات بين أقسام البشرية المتخاصمة والمتحاربة حتى إلى آلاف السنين ــ وذلك في الوحدة التي أكملتها الكنيسة بين اليهود والأمم: «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (يهوداً وأمماً) واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة، مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد (كنيسة واحدة) ــ جسد المسيح ــ مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف٢: ١٤-١٦)

هذه الرؤية السرية (المستيكية) العالية هي من واقع اتحاد المسيح بالجسد (الذي هو أصلاً قد تم بالتجسُّد) اتحاداً كلياً مطلقاً، حتى صار للجسد ملء اللاهوت: «فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢:٩)، وارتفع الجسد ــ جسده الذي هو الكنيسة ــ أيضاً معه إلى السموات فأجلسه فيه عن يمين الله:

+ «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلَّصون. **وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات** في المسيح يسوع.» (أف٢: ٥و٦)

ولينتبه القارىء لأن هذا الوضع بالنسبة للكنيسة هو فوق الملائكة وكل الرؤساء والطغمات السمائية. ويكمِّل بولس الرسول واصفاً هذا السمو الفائق الذي نالته الكنيسة باتحادها بالمسيح لتصير جسده ويصير هو رأسها ويجلسها فيه عن يمين الله: «ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف٢:٧)

وهكذا يمتد ق. بولس بعمل المسيح في الكنيسة ليصير أنشودة الدهر الآتي لاستعلان غنى المسيح في نعمته على الكنيسة وفي لطفه الفائق والدائم من نحونا.

خامساً: مفتاح الرسالة

مفتاح الرسالة الذي إن وجدناه وفحصناه، استطعنا أن نرتب فكرنا على فكر بولس الرسول أمامنا ونفهم لماذا كتب هذه الرسالة على هذا المستوى من العمق، ولم يكن أمامه أية حيلة لكي يجعلنا على مستوى هذا العمق الذي استُعلن له إلاَّ أن يصلِّي بإلحاح أن ننال روح الحكمة والإعلان في معرفته، وليتفتح ذهننا ويستنير بنور الروح القدس لإدراك أعماق المسيح والكنيسة. ثم يعود ويصلي ليهبنا الله تأييداً داخلياً بقوة الروح القدس لكي يحل المسيح نفسه بالإيمان في قلوبنا حتى نعرفه، ونعرف عمق محبته، لكي نمتلىء إلى ملء الله، أي إلى العمق الذي بلغه ق. بولس وعاش فيه.

فالقديس بولس يعترف أنه وهو أصغر جميع القديسين:

(أ) «أنه **بإعلان عرَّفني بالسر**»!! (أف٣:٣)

(ب) «تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح**»!! (أف٣:٤)

(ج) «في أجيال أُخر لم **يُعرَّف** به بنو البشر كما قد **أُعلن الآن** لرسله القديسين ... بالروح.» (أف٣:٥)

(د) «**حسب موهبة الله المعطاة** لي حسب فعل **قوته**.» (أف٣:٧)

(هـ) «**أُعطيت هذه النعمة** أن أُبشِّر ... **بغنى المسيح الذي لا يُستقصى**.» (أف٣:٨)

(و) «**أُنير الجميع** في ما هو شركة السر **المكتوم منذ الدهور في الله** خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف٣:٩)

(ز) «**لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات، بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة**.» (أف٣:١٠)

(ح) «**حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا**.» (أف٣:١١)

هنا يعترف بولس الرسول أنه:

(أ) عرف السر (العام: الخلق والخلاص والكنيسة) **بإعلان** أي باستعلان خاص.

(ب) أنه قد صارت له دراية خاصة عالية «**بسرِّ المسيح**»، أي كل ما يخص المسيح من علاقات وأعمال مع الآب ومع الناس وكل الخليقة، وتشمل حتماً الموت والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الآب ومفردات الفداء والخلاص.

(ج) هذا السر الذي أعلن للقديس بولس بالروح، لم يُعرَّف به أحد من البشر سابقاً إلاَّ الرسل القديسون.

(د) هذه المعرفة بهذا السر الذي للمسيح هي في إطار الموهبة الخاصة التي مُنحت من الله، يسندها فعل قوة تعمل فيه أعلن عنها في الآية: «بحسب **القوة التي تعمل فينا**.» (أف٣: ٢٠)

(هـ) يعود ويسمي هذه الموهبة أنها نعمة خاصة للتبشير بما يتناسب مع غنى المسيح، الغِنَى الذي لا يمكن أن يدرك الإنسان أقصاه (لا يُستقصَى)، لذلك لزم هنا «الإعلان» حتى تصير المعرفة صحيحة وكاملة.

(و) هنا «**الاستنارة**» يراها ق. بولس لازمة لمعرفة «السر»، سر المسيح، ولأن ق. بولس حائز فعلاً على هذه الاستنارة، فأصبح يشعر أن عليه أن **ينير الجميع**، وبالتالي يطلب من الله أن يعطينا **استنارة الذهن**، ومعناها إعطاء نور الحق ونور المسيح للذهن، أي للوعي الداخلي، وهي وظيفة المسيح: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (يو١: ٩)، حيث الإنارة أو الاستنارة لازمة لقبول **الشركة في السر** الذي كان مخفياً في الله ثم أعلنه في المسيح.

(ز) فإذا بلغنا هذه الاستنارة ومعرفة شركة السر في المسيح، تصبح الكنيسة مهيأة أن **تُعرِّف** ليس الأرضيين فقط بل **والرؤساء والسلاطين في السماويات** بحكمة الله.

(ح) كما استُعلنت في تدبير الخلاص الذي تم في المسيح وذلك حسب قصد الله منذ الدهور.

فإن كانت أعمال الله في المسيح التي كانت مكتومة في الله وعرَّفها لنا في الإنجيل تُعتبر على مستوى «**الحكمة المتنوعة**» التي معرفتها تليق بالرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة، إذاً، فنحن جديرون فعلاً أن نُوهَب روح الحكمة والاستعلان من أجل معرفتها واستعلانها ثم إعلانها.

والآن من هذه الاعترافات التي قدَّمها لنا بولس الرسول في رسالته إلى أفسس، ثبت أنه يحمل بين ضلوعه أسراراً عميقة حقاً تخص المسيح قد وُهبت له على سبيل النعمة بدراية عالية فيما يخص سر المسيح وغناه الذي لا يُستقصى. كما حباه الله باستنارة غير عادية جعلته يحمل هَمَّ مسئولية إنارة الجميع فيما يخص سر المسيح الذي أُعلن له.

من هذا العمق والدراية الفائقة، كتب ق. بولس رسالته إلى أفسس مكرِّراً فيها الصلاة والطلبة أن يؤازرنا الله بروح الحكمة والإعلان كما أعطاه، وأن يؤيِّدنا بروح القوة ليحل المسيح في قلوبنا

كـمـا حـلَّ فيه، لندرك ما أدركه، وننال ما ناله. ولكن ما هذا الذي أدركه ق. بولس؟ هنا سرُّ المفتاح.

نـقـول إن هـذه الأبـعاد الباهرة والمضيئة التي قدمناها في الفقرات من (أ) إلى (ح)، هي بمثابة أبـعاد ومـواصـفات الصندوق الذهبي المودع فيه مفتاح الرسالة. والآن نستطيع باطمئنان أن نقترب من المفتاح ذاته.

فـالـرسالة مكتوبة لتسليم **سر فائق من أسرار غنى طبيعة الله الآب ذاته**، ونعود ونكرر حتى يـنـتـبه القارىء أن الرسالة مكتوبة لتسليم **سر فائق من أسرار غِنَى طبيعة الله الآب ذاته**، لأنه بـعـد أن اسـتـوفى ق. بـولـس في جميع رسائله السالفة تسليم غِنَى المسيح الابن الذي قدَّمه في الفداء والكفَّارة والخلاص والمصالحة والتبني والبر الذي أدَّى بالنهاية إلى الدخول بالمسيح إلى الآب بجراءة وقـدوم بـإيمـانـه عن ثقة، بل وأدى إلى الجلوس مع المسيح عن يمين الآب؛ نقول بعد كل هذا الغنى الـذي تـوفر لنا في المسيح، بقي لنا أن يسلِّمنا المسيح إلى الآب نفسه لنغتني بغنى طبيعة الآب نفسه **ونمتلىء إلى كل ملء الله!!**

وهذا هو قلب رسالة أفسس النابض كما جاء بنص الكلمة:

+ «أحني ركبتيَّ لدى "أبي" ربنا يسوع المسيح، ...
لكي يعطيكم بحسب **غنى مجده**،
أن تتأيدوا **بالقوة بروحه** في الإنسان الباطن،
ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، ...
وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة،
لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله!» (أف٣: ١٤-١٩)

هـذه هـي الدرجة القصوى في تدبير مقاصد الله الأزلية منذ الأزل من نحو علاقتنا الشخصية به، وهي: **«أن نمتلىء إلى كل ملء الله»!!**

وواضـح أن هـذا أصـبـح لائقاً حقاً أن يتم بعد أن نلنا الخلاص وأقامنا الله مع المسيح وأجلسنا مـعه في السماويات! أي أن هذا هو عمل ما بعد عمل الفداء والخلاص! هذا هو صميم القصد من الرسالة إلى أفسس!!

ونـعـود ونوضح أن **عمل الفداء والخلاص انتهى إلى أن نمتلىء بملء المسيح**: «وأنتم مملوؤون فـيـه» (كـو٢: ١٠). ولـكـن هـنـا بالرغم من أننا حصلنا على الإنسان الجديد لخليقة جديدة مولودة

بالروح، إلاَّ أن بولس الرسول يضيف لهذا الإنسان الجديد المولود بالروح **إضافة جديدة** وهي: «أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن (الإنسان الجديد)»، هذا فوق الميلاد بالروح القدس، وذلك «ليحل المسيح ــ بالإيمان ــ في قلوبكم»، وهذا فوق أننا حصلنا سابقاً على شركة واتحاد مع المسيح بالمعمودية والإفخارستيا، ولكن هنا يطلب ق. بولس أن يحل المسيح نفسه «في قلوبكم». كل هذا ليؤهلنا للنقلة الجديدة والأخيرة: **«لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله»**. لأنه واضح هنا أن تأييد **الروح القدس** للإنسان الجديد وحلول **المسيح** نفسه كابن لله في القلب حتَّما باكتمال الثالوث: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله».

هذا هو مفتاح سر الرسالة إلى أفسس. وسنأتي إلى شرح ذلك بالتفصيل في عروض الآيات التي توضِّح ذلك.

وعلى ضوء معرفة سر هذا المفتاح نرى أن الرسالة تعرض أعمال الله على المستويات الآتية:

أولاً: استعلان مقاصد الله الأزلية قبل خلقة العالم من نحو الإنسان.

ثانياً: استعلان عمل الله لفداء الإنسان وخلاصه الذي ينتهي بجلوس الإنسان في المسيح عن يمين الله.

ثالثاً: تسليم الإنسان سر الامتلاء من الله: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله».

وبهذا تنتهي مقاصد الله الأزلية من نحو الإنسان: «لنكون قديسين وبلا لوم **قدامه** في المحبة» (أف١: ٤)، حيث بالنهاية «متى سلَّم المُلك لله الآب» (١كو١٥: ٢٤)، «كي يكون الله الكل في الكل» (١كو١٥: ٢٨)، «حينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل» (١كو١٥: ٢٨)، إذ يكون قد أكمل رسالته كما عبَّر عنها المسيح نفسه:

+ «ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم: **لأن الآب نفسه يحبكم** لأنكم أحببتموني وآمنتم (بعمل الآب): أني من عند الله خرجت.» (يو١٦: ٢٦و٢٧)

وهذه النهاية يقول عنها المسيح أنها **«سر الآب»**:

+ «قد كلمتكم بهذا، بأمثال ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال بل **أخبركم عن الآب علانية**.» (يو١٦: ٢٥)

وهذا هو الخبر، بل السر، الذي استؤمن عليه ق. بولس، وها هو يسلِّمه في اختصار بالغ في هذه الرسالة. وبسبب هذا رأى ولا يزال يرى كل الآباء اللاهوتيين وعظماء المفسرين علو شأن هذه الرسالة فوق جميع كتابات العهد الجديد!!

رسالة أفسس بين رسائل بولس الرسول

العلاقة بين رسالة أفسس وبقية رسائل ق. بولس كانت وما زالت موضع دراسة وبحث لدى كثير من العلماء. وقد رأينا أن نستعرضها لدى القارىء من وجهة النظر التي سبق وشرحناها، وهي أن الرسالة إلى أفسس تحمل شيئاً جديداً وعميقاً في سر المسيح أو سر الإيمان أكثر من بقية الرسائل:

١ ــ **الرسالة إلى كولوسي** تقدِّم المسيح كرب فوق العالم:
«هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق.» (كو١: ١٤و١٥)
الرسالة إلى أفسس تقدِّم المسيح كربٍّ فوق العالم **«للكنيسة»:**
«أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم ... وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة التي هي جسده.**» (أف١: ٢٠-٢٣)

٢ ــ **الرسالة إلى كولوسي** تقدِّم المسيح باعتباره **«الملء»:**
«لأن فيه سُرَّ أن يحل كل الملء.» (كو١: ١٩)
«فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو٢: ٩)
الرسالة إلى أفسس:
أ ــ تقدِّم المسيح أنه ملء **«للكنيسة».**
«وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف١: ٢٢و٢٣)
ب ــ وتقدِّمنا به إلى الآب لننال ملء الآب:
«لكي تمتلئوا إلى **كل ملء الله.**» (أف٣: ١٩)

٣ ــ **الرسالة إلى كولوسي** تتكلم عن **«سر الله الآب والمسيح»** لتتعزى قلوبنا بالخبر:
«لكي تتعزى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة سرِّ الله الآب والمسيح.» (كو٢: ٢)
الرسالة إلى أفسس تقدِّم لنا استعلان سرِّ الله الآب والمسيح، وهو: «لكي تمتلئوا **إلى كل**

ملء الله»:

«**وتعرفوا** محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي **تمتلئوا** إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٩)

٤ ــ **الرسالة الأولى إلى كورنثوس** تقدّم الكنيسة في صورتها المحدودة المحلية:

«كما ثُبِّتَتْ فيكم شهادة المسيح حتى إنكم لستم ناقصين في موهبةٍ ما، وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح ... أمين هو الله الذي به دعيتم، إلى **شركة ابنه يسوع المسيح** ربنا.» (١كو١: ٦-٩)

الرسالة إلى أفسس تقدّم الكنيسة في صورتها المسكونية الشاملة:

«الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلَّصون. وأقامنا معه **وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع** ... لأننا نحن عمله **مخلوقين في المسيح يسوع** لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها.» (أف٢: ٤-١٠)

٥ ــ **الرسالة إلى رومية** تقدّم اليهود والأمم على التساوي في بر الإيمان بالمسيح عند الله:

«بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢٢)

«لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن ربًّا واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به.» (رو١٠: ١٢)

الرسالة إلى أفسس تقدّم البركات والعطايا والمواهب الروحية لليهود والأمم على التساوي:

«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي **باركنا بكل بركة روحية في السماويات في** المسيح.» (أف١: ٣)

«وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح **ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع.**» (أف٢: ٦و٧)

نحن اليهود:

«الذي فيه نلنا (نحن) نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته، لنكون لمدح مجده **نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح.**» (أف١: ١١و١٢)

أنتم الأمم:

«الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه **إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس** الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده.» (أف ١: ١٣و١٤)

٦ ــ **رسالة رومية** تقدّم ق. بولس وقد قام بأعباء الكرازة للأمم من أورشليم إلى إلليريكون:

«فإني أقول لكم أيها الأمم بما أني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي ...» (رو١١: ١٣)

«حتى إني من أورشليم وما حولها إلى إلليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح.» (رو١٥: ١٩)

الرسالة إلى أفسس تقدّم ق. بولس كارزاً للأمم سجيناً في سلاسل:

«لكي يُعطَى لي كلام عند افتتاح فمي لأُعْلِمَ جهاراً **بسرِّ الإنجيل الذي لأجله أنا سفير في سلاسل** لكي أجاهر فيه كما يجب أن أتكلم.» (أف٦: ١٩و٢٠)

«أنا بولس أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم.» (أف٣: ١)

«لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطِيَتْ هذه النعمة أن **أُبَشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.**» (أف٣: ٨)

٧ ــ **رسالة رومية** تقدّم **المصالحة** التي تمَّت بين اليهود والأمم «**في المسيح**»:

«وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله **بربنا يسوع المسيح** الذي به نلنا الآن **المصالحة.**» (رو٥: ١١)

الرسالة إلى أفسس تقدّم لنا المصالحة وقد تمَّت بالصليب بصورة كلية ونهائية، حتى إن اليهود والأمم صاروا ليس فقط في مصالحة مع الله وحسب بل **وكل واحد مع الآخر في جسد واحد!!**

«**ويصالح الاثنين في جسد واحد** مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف٢: ١٦)

٨ ــ **الرسالة إلى رومية** تقدم اليهود في المصالحة على أنهم الأصل والجذر الذي يحمل الأمم:

«فلا تفتخر على الأغصان، وإن افتخرت فأنت لست تحمل الأصل بل الأصل إياك يحمل.» (رو١١: ١٨)

الرسالة إلى أفسس تقدّم الأمم واليهود معاً رعية واحدة مع القديسين، **إنساناً واحداً جديداً:**

«فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف٢: ١٩)

«لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط.» (أف ٢: ١٤)

«لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً.» (أف ٢: ١٥)

٩ — **الرسالة إلى رومية** تقدّم أقصى تصورها في خلاص الأمم وإسرائيل، كلٌّ في دوره، ملء الأمم أولاً وبعدها يأتي خلاص إسرائيل:

«فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل مِلْؤُ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٥و٢٦)

رسالة أفسس تحيِّي اكتمال خلاص الأمم وإسرائيل كما قدمته رسالة رومية، ثم تكشف عن شركة الوحدة الجديدة التي تتم بينهما كيف **ستكون بشيراً بل وأداة في المصالحة المسكونية التي ننتظر تحقيقها!!**

«إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء في المسيح** ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٩-١٠)

«أن **الأمم شركاء في الميراث والجسد** ونوال موعده في المسيح بالإنجيل.» (أف٣: ٦)

«وأُنير الجميع في ما هو **شركة السرِّ المكتوم** منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا، الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ٩-١٢)

١٠ — **في الرسالة إلى غلاطية** يقدّم لنا كيف قَبِل هو الإنجيل في البداية:

«وأُعرِّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بَشَّرتُ به، أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان، ولا عُلِّمته بل **بإعلان** ἀλλὰ δι᾿ ἀποκαλύψεως يسوع المسيح.» (غل١: ١١و١٢)

هنا يستخدم ق. بولس كلمة «إعلان» وحدها بالنسبة للإنجيل ليفيد أنه عرفه بالكشف المباشر ثم عاد أيضاً ليفيد أن معرفته للمسيح ابن الله كانت أيضاً بإعلان حين أعلنه له الله:

«ولكن لمَّا سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ἀποκαλύψαι ابنه فيَّ لأُبشر به بين الأمم. للوقت لم أستشر لحماً ودماً.» (غل١: ١٥و١٦)

ولكن حينما نجيء إلى **الرسالة إلى أفسس**، نجده يبدأ يُزيد هذه المعلومة عمقاً وعلواً واتساعاً لأن ما ذكره عنها في رسالة غلاطية كان بحسب اعترافه «بإيجاز». فيقول هنا في رسالة أفسس إنها ليست إعلان معرفة (أبوكالبسيئو) فقط بل «**إعلان سر**»:
«أنه **بإعلان عرّفني بالسر** κατὰ ἀποκάλυψιν ἐγνωρίσθη μοι τὸ μυστήριον» (أف ٣:٣)

ولكي يوضح أن هنا صار «**إعلان السر**» على مستوى أعمق من مجرد **إعلان الإنجيل** سابقاً، يزيد الآية السابقة بالقول: «كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز.» (أف ٣:٣)

ولكي يثبت ق. بولس صدق كلامه أنه الآن في الرسالة إلى أفسس يعرض الأمور الأولى بعمق أكثر، يكمل الكلام بالقول: «الذي بحسبه حينما تقرأونه (الآن) تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح** (أكثر من الأول)» (أف ٣:٤). ويلخص هذه الدراية العميقة في قوله: «أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل.» (أف ٣:٦)

وواضح من هذا الكلام أن في رسالة غلاطية اكتفى بالنسبة للأمم أن يذكر أنه أُعلن له الإنجيل أي أن البشارة صارت أيضاً للأمم، مجرد البشارة باسم المسيح، وأُعلن له ابن الله أي أنه عرف أن المسيّا هو هو المسيح ابن الله.

ولكن هنا في رسالة أفسس أُعلن له سر الإنجيل وسر المسيح بآن واحد، حيث بلغ ق. بولس أقصى استعلان سر الإنجيل: «أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» (أف ٣:٦)، وسر المسيح: «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أُبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.» (أف ٣:٨)

ومعروف أنه بين زمن رسالة أفسس ورسالة غلاطية ١٢ سنة(٢٢).

وواضح أن في رسالة أفسس كانت الأمم قد بلغت أَوَجَ اكتمالها في الإيمان وأَوَجَ استعلانها لسر الإنجيل وأَوَجَ علاقتها بالمسيح. هذا كله بفضل هذا الكارز الذي رأى في حياته قمة نجاح كرازته: «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب، فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ٢: ١٨و١٩)

22. Bruce, *op. cit.*, p. 232.

شرح الرسالة

الأصحاح الأول

مدخل الرسالة (١:١و٢).

مديح : **أولاً: المقاصد الأزلية قبل الزمن:** الاختيار والتبني (١:٣-٦).

مديح : **ثانياً: في صميم الزمن:** الفداء وغفران الخطايا (١:٧و٨).

ثالثاً: في ملء الدهور = نهاية الزمن: يجمع كل شيء في المسيح (١:٩و١٠).

رابعاً: تأمين الميراث لليهود والأمم (١:١١-١٤).

خامساً: صلاة ليمنحنا الله روح الحكمة والإعلان والاستنارة (١:١٥-١٨).

سادساً: أسرار الله التي صنعها في المسيح يسوع لأجلنا (١:١٩-٢٣).

[١ : ١ و٢]

مدخلُ الرسالة

التحيّات

١ : ١ «بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ المَسيحِ بمشيئَةِ اللهِ،
إلى القديسينَ الذين في أفسُسَ والمؤمنينَ في المسيحِ يسوعَ».

كل رسائل بولس الرسول تتبع النظام السائد في كتابة الخطابات بحسب الزمان الذي كان يعيشه بولس الرسول: فالكاتب يكتب اسمه وما يلزم الإضافة إليه من الصفات أو الوظيفة لمزيد من التعريف، بعد ذلك المرسل إليه وبعده تأتي التحيات. ولكن الملاحظ أن بولس الرسول يرفع التقليد المتبع إلى أعلى مستواه في الدقة والمعنى وتكريم المرسَل إليه. فالكاتب والمرسَل إليه يُنسب التعريف بهما إلى علاقتهما بالله في المسيح، والتحية التقليدية تأخذ صبغة مسيحية صرفاً، وغالباً في صورة بركة في المسيح.

«رسول»:

هو اللقب المحبوب والدائم عند ق. بولس الذي يعطيه لنفسه، ليس في معنى النسبة أو التبعية للمسيح ولكن «**كمُرسَل من**» وكمرسل مُكلَّف، كسفير تحت المسئولية.

«بمشيئة الله»: διὰ θελήματος θεοῦ

لا يشدِّد عليها ق. بولس ليقوِّي من عمله كرسول، ولا ليعطي أهمية للرسالة التي يقدمها، كما يقول بعض الشراح، ولكن الواضح أنه يقولها ببساطة ليعلن عن عناية الله التي لا يستحقها: «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر ...» (أف٣:٨)، «لأني أصغر الرسل أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله» (١كو١٥:٩)، «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قواني أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة» (١تي١:١٢). ويوضحها أكثر في افتتاح الرسالة الأُولى لتيموثاوس: «بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله ...» (١:١)، حيث مشيئة الله هنا تخص أكثر المُرسَل إليهم لأنها تدعو لوعد الحياة: «بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله لأجل وعد الحياة التي في يسوع المسيح.» (٢تي١:١)

وهنا في هذه الرسالة نجد غياب أي ذكر لأي شخص آخر.

«إلى القديسين»: τοῖς ἁγίοις

نلاحظ أن المخاطبة هنا ليست للكنيسة كجسد كما جاء في الرسالة إلى أهل كورنثوس وغلاطية وتسالونيكي، ولكن المخاطبة هنا للقديسين كأعضاء، لإعطاء الرسالة الصفة الشخصية التي تعوزها فعلاً.

وهذا الاصطلاح يجيء باستمرار في العهد الجديد للتعبير عن شعب الله على مستوى الأفراد، لأن هذه الصفة مأخوذة من لغة العهد القديم (دا٧: ١٨و٢٢ و٢٥و٢٧)، فهي الخاصة بشعب «إسرائيل» الذي اعتُبر أنه تعيَّن أو تقدَّس لله. لأن المقدَّس هو الذي أفرز لله فصار يُقدَّس في نظر الناس لأنه خاص بالله. والله نفسه يُدعى القدوس لأنه صاحب أقصى التوقير لتفرُّده المطلق في ذاته. ولذلك فالقديسون هم قديسون ليس عن استحقاق خاص بهم ولكن بسبب حياتهم التي أفرزت لله، وتحفُّظهم في حياتهم لتكون على المستوى الذي يليق بمن أفرز لله. لذلك فكلمة «قديسين» تجمع معاً وبآن واحد صفة **الامتياز والمسئولية**، وهذا ما صار لكل مسيحي على مستوى الدعوة الواحدة والختم الواحد بالروح القدس والسقي الواحد من الروح الواحد: «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو١٢: ١٣)، والجسد الواحد الذي يجمعنا في المسيح. ومرة أخرى ننبِّه أن كلمة «قديسين» لا تعبِّر أبداً في المسيحية عن قلة مختارة أو أشخاص ذوي امتياز بسيرة خاصة أو شكل خاص. فالمسيحيون جميعاً قديسون في المسيح.

«الذين في أفسس»:

بحسب ثقاة المعلمين والعلماء وآخر ما انتهى إليه البحث في نسبة هذه الرسالة إلى المرسَل إليهم، فإنه وُجدت نسخ قديمة تخلو من هذه الصفة (الذين في أفسس)، واستقر رأي العلماء على أن الرسالة إلى أفسس في أصلها كُتبت لتكون رسالة دورية لكل الكنائس الكائنة في وادي ليكوس Lycos الذي تقع فيه مدينة أفسس، وكُتب منها عدة نسخ، فمنها نسخ كُتبت باسم أفسس ونسخ تُرك مكان أفسس فارغاً ليُكتب فيه اسم الكنيسة المرسَل إليها.

وقد تحقق أن نسخة القديس باسيليوس التي كان يستخدمها كانت معنونة باسم أفسس وهي من القرن الرابع، وكذلك نسخة أوريجانوس ومعظم الآباء الأوائل. ومن الصعب الآن الحصول على أية نسخة بدون اسم أفسس. ويقول العالِم المدقق ت. ك. أبوت[1]، أنه من الصعب إعطاء أسباب معقولة تتناسب مع ذلك العصر.

1. T.K. Abbott, *Epistle to Ephesians and Colossians*, p. 2.

«المؤمنين في المسيح»: πιστοῖς

هذه الكلمة حيَّرت المفسرين لأنه لا يصح إضافتها إلى «القديسين»، لأن القديسين هم مؤمنون، وإلاَّ يحسبون بلغة العهد القديم أنهم يهود غير مؤمنين، وهذا غير معقول ولا مقبول، إلاَّ إذا قُصد بها شيءٌ آخر غير مجرد الإيمان، كأن يكون تمسكهم بالإيمان تمسكاً شديداً غير عادي، وهذا جائز ويزكيه قول ق. بولس بعد ذلك لتمييزهم ومديحهم:

+ «إذ قد سمعتُ **بإيمانكم** بالرب يسوع.» (أف١ : ١٥)

«في المسيح»:

تأتي هنا مستغربة أن تضاف للإيمان، فكلمة «في المسيح» تفيد أكثر من الإيمان، فهي تفيد استمداد الحياة نفسها كالغصن في الكرمة أو في أصل الزيتونة، فهي تفيد التبعية المطلقة والاتحاد الحيوي. وهنا يجوز القول بأنهم مؤمنون ومتحدون في المسيح، أو مؤمنون إيماناً ثابتاً في المسيح، كما يرى ذلك العالِم الألماني ماير، وكما وردت في الرسالة الأُولى إلى كورنثوس: «لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب **والأمين** في الرب καὶ *πιστὸν ἐν* Κυρίῳ » (١ كو٤ : ١٧). وهنا جاءت كلمة «المؤمن» بمعنى «الأمين الثابت في الرب»، وجاءت مرة أخرى بصورة أقرب هكذا: «ولكن لكي تعلموا أنتم أيضاً أحوالي ماذا أفعل يُعرِّفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب والخادم **الأمين في الرب** *πιστὸς ἐν* Κυρίῳ » (أف٦ : ٢١). وهذا التفسير يعتمده كلٌّ من العالِم الكبير جروتيوس والعالِم لايتفوت. ويعلِّق على هذا الشرح بهذا الوضع العالِم لايتفوت بقوله: إذا كانت هنا تعني «الإيمان» فهي لا تزيد المعنى شيئاً أكثر من صفة القديسين لأن كل القديسين يتحتم أن يكونوا مؤمنين.

فإذا أخذناها بمعنى **«الإيمان»** لا يصح بحسب رأي لايتفوت أن ننسبها مباشرة إلى **«في المسيح»** فيما يفيد الإيمان فقط، إذ يلزم أن تُضاف الصفتان معاً لتأخذ صحة النسب إلى «في المسيح»، أي «القديسين والمؤمنين في المسيح»، كما قالها ق. بولس تماماً في الأصحاح السادس: «الأخ الحبيب والخادم الأمين في الرب.» (٦ : ٢١)[٢]

وحينما نقول: «في المسيح» بالنسبة لحياة المسيحي المؤمن بالمسيح حقاً، فهذا معناه أن المسيحي أيًّا كان وهو قائم في العالم، فهو بالروح أو روحياً يكون مرفوعاً فوق العالم كائناً وقائماً **في المسيح** لا تطغى عليه الظروف المحيطة ولا تهدده القوى الخارجية، كالغصن المتحد بأصل

2. Lightfoot, cited by Abbott, *op. cit.*, p. 3.

الشجرة، وهذا يصدق طالما كان المؤمن صادقاً في إيمانه غير معتمد على ذاته بل خبأ نفسه تماماً في المسيح لا يحيد عن مشيئته ولا يقبل توجيهاً أو مشورة من غيره، ففي المسيح يوجد ويحيا ويرجو ويتعزى ويتقوَّى ويصبر ويحتمل، وخارج المسيح لا يحتاج شيئاً: «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض» (مز٧٣: ٢٥)، «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠). وأعظم تصوير لهذه الحياة وهذا الوجود هو المعمودية حينما يُدفن الإنسان في المعمودية ليدخل دخولاً أبدياً في موت المسيح وقيامته: «كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو٦: ٣و٤). فلا يعود للإنسان موت خاص ولا قيامة خاصة ولا حياة خاصة بل يستمدها جميعاً من المسيح. هذا هو التعبير العملي عن «في المسيح».

١: ٢ **«نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله أبينا والربِّ يسوعَ المسيح».**

«نعمة لكم»: χάρις

الكلمة العادية باليونانية هي χαίρειν التي تستخدم في المكاتبات العادية كما ذُكرت في سفر الأعمال وتأتي بمفردها بمعنى «تحية السلام».

ونحن نكتبها هنا بترتيب الكلام باللغة اليونانية:

«وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايخ والإخوة، إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسورية وكيليكية سلام = χαίρειν » (أع١٥: ٢٣). هذه هي الصيغة الرسمية وهذا هو موضع وشكل كلمة χάρις .

وأيضاً: «كلوديوس ليسياس إلى العزيز فيلكس الوالي سلام χαίρειν » (أع٢٣: ٢٦)، وأيضاً: «يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح إلى الاثني عشر سبطاً الذين في الشتات سلام χαίρειν .» (يع١: ١)

ولكلمة «النعمة» معنى متَّسع سوف نأتي إليه عند شرح الآية (٢: ٣). وهذه الكلمة χάρις أو χαίρειν هي المقابل للكلمة العبرية «شالوم»، وتأتي أحياناً بمعنى ونطق «سلام» كما قالها المسيح لتلاميذه السبعين: «وأي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام εἰρήνη لهذا البيت» (لو١٠: ٥) ولكنها هي بعينها «شالوم».

«وسلام»: Εἰρήνη

في كل التحيات التي قدمها ق. بولس كان يجمع «النعمة والسلام»، وقد يجمعهما معاً للتعريف بمواهب المسيح ككل، وقد يقدمهما بصورة صلاة و بركة كامتياز فائق من لدن الله والمسيح للتعبير عن قبول الله وعنايته.

والسلام هنا هو أولاً مع الله، وهذا يُحسب أعظم امتياز يمكن أن يناله الإنسان في حياته أن يكون له سلام مع الله، سلام في القلب والفكر والروح، وسلام مع الناس حيث تهدأ الحياة برمتها.

و «النعمة والسلام» هما معيار الإنجيل الذي ربحه الإنسان من فضل المسيح وغنى رحمة الآب فصارا معاً أنشودة في قلب ق. بولس ولسانه، ينبعان من لدن الرب وينسكبان علينا من فضل المسيح لتطييب قلب الإنسان إلى أن يتم لقياه.

ولكن «النعمة» بوجه خاص لمّا يطلبها ق. بولس للكنيسة فهو يعلم أنه يطلب أعظم هبة نالها من عند المسيح والتي صار يفتخر بها كل أيام حياته: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم» (أف٣: ٢)، إذاً، فهي رأس ماله في الخدمة والكرازة والتعليم وكل شيء.

(١:٣-١٤)

نشيد البركة لمديح الله الآب

أولاً: المقاصد الأزلية قبل الزمن

مديح من أجل الاختيار والتبني

[١ : ٣-٦]

٣:١ «مُبارَكٌ اللهُ أبُو ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي بارَكَنا بكلِّ بركةٍ روحيةٍ في السَّماوياتِ في المسيحِ».

بعد أن قدَّم ق. بولس التحيات المعتادة، وباختصار، وقبل أن يدخل على شكر الله من أجل حال المرسل إليهم الرسالة (١:١٥و١٦)، انطلق وهو مفعم بأحاسيس عالية المستوى، ليست لإنسان يحيا يومه ليعدّه لغده، بل إنسان انكشفت عن عينيه أسرار الله في مقاصده الخفية عن كل أعين البشر، هناك منذ الأزل وقبل تأسيس العالم!! نعم انطلق وهو تحت تأثير الانفعال الشديد بحكمة الله التي ائتمنته على استعلان مقاصد العلي القدير، لذلك أخذ ينشد لله الآب نشيد البركة كمن يفتتح خدمة ليتورجية برؤى متلاحقة معترفاً بفضل الله على الإنسان عامة والخليقة كلها، فيما كانت في مقاصد الله منذ الأزل، وفيما هي الآن، وفيما ستؤول إليه، بمديح مطوّل متداخل الحلقات، مكانه في السماويات وكل رؤيا لها مديح، ومديحها يمسك بعقب سابقتها فلا تعرف أين انتهت تلك أو أين ابتدأت هذه، افتتحها برؤيا **الاختيار** الذي سبق **الخلق** كومضة نور انطلقت من جوهر النور أضاءت ظلمة ما قبل الوجود، ولاحقها في الحال استقرار على **حال التبني**، ولكن لا نعرف أيهما الأسبق، فهما كائنان معاً في المسيح لمدح مجد الآب، والكل على خلفية الفداء ودم الفداء للغفران ـــ وفي الغفران يكمن الصفح وتتم المصالحة ـــ والكل محبوس في مشيئة الله التي يحيطها السرور والمجد لأن الكل نابع من قصده الذي قصده في نفسه حسب مسرة مشيئته وهو يدبر لملء الزمان، أي اكتمال زمن الإنسان. يراه وكأنه حاضر أمامه والكل قائم في المسيح منجمع ومتحد: اليهود كسابقين في التعيين والحب والاختيار بالإيمان بالله، بيهوه العظيم؛ والأمم من ورائهم مختومون بختم الروح القدس على التساوي والروح فيهم عربون الميراث الواحد، والاثنان إنسانٌ واحدٌ جديدٌ مخلوقٌ جديداً بحسب الله في البر وقداسة الحق.

هكذا أنشد ق. بولس البركة لله فأحسن الإنشاد وأتقن البركة، مباركاً الله عمّا كان في

مشيئته، وعمَّا سيكون في عمله، وقد جمع تحت قدميه كل ما في السماء وما على الأرض باتحاد، جمع فيه ما قبل التاريخ وكل التاريخ وما فوق التاريخ، فيه جمع المتناقضات وأخضعها فيه لخلقة جديدة ذات جمال يفوق كل ما خُلق والكل لا يزال قائماً لمدح مجده.

ونشيد البركة لم يَفُتْ على ق. بولس أن يزيِّنه بوحدة عمل الآب مع الابن مع الروح القدس.

«مبارَكٌ الله»: εὐλογητός وباللاتينية benedictus est.

مبارَكٌ ويبارِكُ: εὐλογεῖν, εὐλογέω, εὐλογία

الكلمة من مقطعين -εὐ وتعني «حسن» و λογεῖν وتعني «يتكلم»، والكلمة كلها تعبير ديني عبادي محض وتعني «كلاماً نبيلاً». والفعل منها جاء في السبعينية أكثر من ٤٠٠ مرة، والمضاد لها «يلعن».

والبركة في العهد القديم قديمة قدم العهد، وهي تُجرَى بالقول والحركة كوضع اليد على الرأس أو رفع اليدين نحو السماء. والاعتقاد السائد في القديم أن مع النطق بالبركة يتم عمل وتسري قوة تستقر في الشخص ويستطيع أن ينقلها وتسري منه إلى كل مَن يلامسه أو يتعامل معه وخاصة إذا جاءت من الله فيصير الإنسان مبارَكاً. ولا يستطيع الأب أن ينقل بركته إلى ابنه إلاَّ مرة واحدة كما رأيناها في إسحق ليعقوب ابنه ويعقوب ليوسف ولابني يوسف (تك٤٨ : ١٥، ٤٩ : ٢٥)، حيث بركة اليد اليمنى أقوى من بركة اليد اليسرى وحيث لا تتم البركة إلاَّ برفع الصلاة لله.

وبركة الله عمَّت الخليقة بعد خلقها: «فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها، كل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك أنه حسن. **وباركها الله** قائلاً أثمري واكثري واملإي المياه في البحار، وليكثر الطير على الأرض.» (تك١ : ٢١-٢٣)

وبارك الله الإنسان: «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، **وباركهم الله**، وقال لهم: **أثمروا** واكثروا واملأوا الأرض **وأخضعوها**» (تك١ : ٢٧و٢٨). وواضح أن بركة الإنسان المادية الأُولى كانت في التكاثر والسلطان على الخليقة.

وظلت البركة تمتد وتنتشر وتأخذ صفة الوعد بمرافقة الله شخصياً. وجاء الطوفان وحلَّ غضب الله على العالم، ثم بعد الطوفان عاد الله «وبارك الله نوحاً وبنيه» (تك٩ : ١) وذلك بنفس البركة الأُولى التي بارك بها الله آدم وحواء.

ثـم استقرت البركة على إبراهيم: «فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظِّم اسمك وتكون بركة» (تـك١٢ : ٢)، ومـن إبـراهـيـم امـتـدت الـبـركـة إلى كـل أمم الأرض: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تـك١٢ : ٣). و بـظـهـور مـلـكـي صـادق مـلك ساليم ظهر الكهنوت لأول مرة في تاريخ الإنسـان، لأنـه كاهن الله العلي وفي فمه أُعطي النطق بالبركة كأنها من فم الله: «وملكي صادق مـلـك شـالـيـم أخـرج خـبـزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال مبارك أبرآم من الله العلي مالك السموات والأرض، ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك.» (تك١٤ : ١٨-٢٠)

كـذلـك وعـد الله لإسـحـق: «تـغـرَّب في هـذه الأرض (فـلـسـطـين) **فأكون معك وأُباركك**» (تك٢٦ : ٣)، كذلك بهذا المعنى أورث الله بركة إبراهيم لنسله: «وأقيم عهدي بيني و بينك و بين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً **لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك.**» (تك١٧ : ٧)

ثم خصَّ الله البركة للذين يطيعون الله واللعنة للذين يخالفون. و بهذا صارت البركة من نصيب كـل إنـسـان يلتصق بالله ويطيعه: «انظرْ، أنا واضعٌ أمامكم اليوم بركة ولعنة، **البركة إذا سمعتم لـوصـايـا الـرب إلهـكـم الـتـي أنا أوصيكم بها اليوم**، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم.» (تث١١ : ٢٦-٢٨)

ودخـل طـقـس الـبـركـة الهارونية في صميم العبادة اليومية بأمر صريح من الله: «وكلَّم الرب مـوسى قـائـلاً: كـلِّـم هـرون و بـنـيـه قـائـلاً هـكـذا تباركون بني إسرائيل قائلين لهم يباركك الرب ويحـرسـك، يضيء الـرب بـوجـهـه عليك ويرحمك، يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً. فيجعلون اسمي على بني إسرائيل **وأنا أباركهم**» (عد٦ : ٢٢-٢٧). وهكذا تسجَّل الطقس الهاروني للبركة حتى آخر يوم في عبادة الهيكل في أورشليم.

مباركة الله:

ودخـلـت الـبـركـة في لغة الإنسان ليخاطب بها الله متعبداً. وأقوى بركة جاءت على فم ملكي صادق بـاعـتـبـاره كـاهـن الله العلي قبل أن يكون طقسٌ للكهنوت على الأرض، وقد بارك إبراهيم وبارك الله فجاءت كل بركة بوضعها الخاص هكذا: (تك١٤ : ١٩و٢٠)

«**مبارَكٌ** إبراهيم من الله العلي» = εὐλογημένος Ἀβρὰμ τῷ θεῷ τῷ ὑψίστῳ

«و**مبارَكٌ** الله العلي ...» = εὐλογητὸς ὁ θεὸς ὁ ὕψιστος

كذلك جاءت صيغة «مبارَكٌ من الرب»: بحرف ὑπό

«أنت الآن **مبارَكٌ من الرب**» (تك٢٦ : ٢٩) = νῦν εὐλογημένος σὺ ὑπὸ Κυρίου

ويبارك لعازر الدمشقي خادم بيت إبراهيم الأمين الله قائلاً: «وخررت وسجدت للرب **وباركت الرب** إله سيدي إبراهيم الذي هداني في طريق أمين ...» (تك٢٤: ٤٨). وهناك في سفر التثنية تظهر البركة كطقس شكر لله على نِعَمِه التي أعطاها: «فمتى أكلت وشبعت **تبارك** الرب إلهك ...» (تث٨: ١٠). وبعد ذلك نجدها في المزامير على لسان داود النبي قائلاً: «**أُبارك الرب الذي نصحني**» (مز١٦: ٧)، «في الجماعات **باركوا** الله الرب ...» (مز٦٨: ٢٦). وهكذا بدأت تدخل «**بركة الله**» في العبادة الجماعية. على أن ورود مباركة الله في المزامير شحيحة للغاية. «حينئذ لدانيال كشف السر في رؤيا الليل، **فبارك دانيال إله السموات**. أجاب دانيال وقال **ليكن اسم الله مباركاً** من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت» (دا٢: ١٩و٢٠). ومن هنا دخلت في العبادة مباركة اسم الله في وسط الجماعة كطقس بقي حتى اليوم.

البيراخوث في العبادة الفردية(٣):

كان على اليهودي أن يتلو «**مبارك** أنت أيها الرب ...» في ثماني عشرة بركة، لكل بركة يُعطى سببٌ، وذلك ثلاث مرات في النهار. هذا غير ما تتلوه الجماعة في الهيكل في كل مناسبات العبادة.

البركة في العهد الجديد:

«بارَك»: εὐλόγησεν

أهم بركة نالها إنسان في العهد الجديد هي بركة الملاك للقديسة العذراء مريم:

+ «فدخل إليها الملاك وقال سلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة (المنعم عليها). الرب معكِ. **مباركة** أنتِ في النساء.» (لو١: ٢٨)

ولكن أعظم مَنْ قيلت له بفم الناس هو المسيح الملك في دخوله أورشليم: «أوصنا (خلصنا) **مبارَك** الآتي باسم الرب» (مر١١: ٩) وهي مأخوذة من المزمور (١١٧: ٢٥و٢٦ حسب الترجمة السبعينية): «آه يا رب خلِّص، آه يا رب أنقذ. **مبارك** الآتي باسم الرب».

ولكن العجيب حقاً أن المسيح حدَّد ميعاد النطق بها في يوم مجيئه الثاني علانية:

+ «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً، والحق أقول لكم إنكم لا ترونني حتى **يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب.**» (لو١٣: ٣٥)

3. Kittel, *Theological Dictionary of the New Testament, s.v.*

على أن أول من بارك الله في العهد الجديد هو زكريا الكاهن أبو يوحنا المعمدان: «وفي الحال انفتح فمه ولسانه وتكلَّم **وبارك الله**» (لو١: ٦٤). ولكن أعظم من بارك الله هو المسيح: «فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء **وبارَك** (الله) ثم كسَّر الأرغفة وأعطى تلاميذه ...» (مر٦: ٤١). وهذا غير طقس البركة العادية عند اليهود، برفعه وجهه نحو السماء، لأن الأمر في حقيقته ليس بركة على خبز بل معجزة كسر الأرقام إلى ما لا نهاية، وفك المحدودية إلى اللامحدودية، وتحويل القليل إلى كثرة متوالية لا تنتهي. وقد أورد القديس مرقس معجزة السبع الخبزات وصغار السمك وبها الشكر والبركة معاً: «وأخذ السبع خبزات **وشكر** εὐχαριστήσας وكسر وأعطى ... وكان معهم قليل من صغار السمك **فبارك** εὐλογήσας وقال أن يقدِّموا» (مر٨: ٦و٧). ولكن لا يوجد أي فارق بين الشكر والبركة، فمباركة الله هي شكره وشكر الله هي مباركته.

كذلك في العشاء السري:

+ «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً **وبارك** وكسر وأعطاهم ... ثم أخذ الكأس **وشكر** وأعطاهم ...» (مر١٤: ٢٢و٢٣)

ويلاحظ أن القديس مرقس عكس هذا الوضع لما ذكره في معجزة السبع الخبزات وصغار السمك فجعل هنا البركة خاصة على الخبز والشكر خاص على الكأس، في حين أن ق. لوقا جعل الشكر على الخبز وعلى الكأس.

بينما الكنيسة الأُولى كانت تستخدم اصطلاح **كأس البركة** τὸ ποτήριον τῆς εὐλογίας (١كو١٠: ١٦)، ولماذا كأس البركة؟ لأن كل مَنْ يشرب منه (دم المسيح) يتبارك!! لأنه يشترك في دم المسيح، لذلك سُمِّي **كأس البركة**، كأس الشركة، كأس الخلاص!! علماً بأن المسيح قام بإعطاء البركة بمعنى المباركة على الأطفال وعلى التلاميذ، وآخر بركة طرحها على تلاميذه كانت قبل صعوده مباشرة: «وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا. ورفع يديه **وباركهم**. وفيما هو **يباركهم** انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم.» (لو٢٤: ٥٠-٥٢)

«مبارك»: εὐλογητός

لا تأتي قط في العهد الجديد صفة لإنسان، فهي مخصَّصة فقط لتمجيد الله:

+ «مبارك الرب إله ... εὐλογητὸς Κύριος ὁ θεός .» (لو١: ٦٨)

+ «... الخالق الذي هو مبارك إلى الأبد εὐλογητὸς εἰς τοὺς αἰῶνας .» (رو١: ٢٥)

+ «ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل **إلهاً مباركاً** θεὸς εὐλογητός إلى الأبد آمين.» (رو٩: ٥)
+ «**مبارك** الله أبو ربنا يسوع المسيح ... εὐλογητὸς ὁ θεός .» (٢كو١: ٣)
+ «الله أبو ربنا يسوع المسيح **الذي هو مبارك** إلى الأبد ... ὁ ὢν εὐλογητός .» (٢كو ١١: ٣١)
+ «**مبارك** الله أبو ربنا يسوع المسيح ... εὐλογητὸς ὁ θεὸς καὶ πατὴρ.» (١بط١: ٣)

وإلى هنا نأتي إلى رسالة أفسس ومباركة الله(٤). ولا يتضايق القارىء من هذا الإسهاب للتعريف بالبركة والمباركة لأنها ميراث البشرية من الله وصنعتنا الوحيدة لتمجيد الله. وهوذا ق. بولس يقول عن يقين إن الله باركنا بكل بركة روحية في السموات، آمين ثم آمين.

«مبارك الله»: εὐλογητός افلوجيتوس «ممدوح».

هذه الكلمة هي عماد لغة الصلاة منذ أن عرف الإنسان الصلاة، وهي قائمة في الصلوات العبرية داخل الهيكل في الليتورجيا اليومية لدرجة أن الصلوات الثماني عشرة المعروفة في الهيكل أو المجمع اليهودي تسمى (البيراخوث الـ ١٨)، وكل صلاة فيها اسمها (براخاه) وتبدأ: مبارك الله الذي ...(٥)

فالقديس بولس شرع هنا يصلي لله الآب بروح الهيكل ولغة البيراخوث، ولكن في جوهرها المسيحي، إذ جعل الله أبا ربنا يسوع المسيح أساس وسر البركة القائم كونه «أبو ربنا يسوع المسيح»، إذ سيذكر حالاً الأعمال الباهرة التي عملها لنا بواسطة يسوع المسيح.

وعلى القارىء أن ينتبه لصفة الأبوة التي يدور حولها بولس الرسول ويركّز عليها بشدة لأنها تدخل في صميم الغاية الكلية والنهائية لكمال عمل الفداء والخلاص الذي سيكشفه لنا في الأصحاح الثالث (١٤-٢١)، لأن عمل الفداء والخلاص سيصبُّ في النهاية في الآب حينما يقف الإنسان أمامه قديساً وبلا لوم في المحبة محاطاً بكل ملء الله!!!

ومباركة الله أو إعطاؤه البركة حينما نقول: «لك البركة» تعني مديحه كإله البركات ومعطيها. فالله وحده هو الذي منه تكون البركة وإليه تعود بالمدح. والإنسان يتبارك حينما يعطي

(٤) وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على القاموس اللاهوتي للعهد الجديد للعالم Kittel.

(٥) انظر كتاب: «الإفخارستيا والقداس»، ص١١٨-١٢٢؛ وكتاب: «شرح الرسالة إلى العبرانيين»، (١: ٧).

البركة لله ويتهيأ لوحدة الصلاة مع ألوف ألوف وربوات ربوات المسيحيين.

ونحن حينما نقول: «مبارك الله» فنحن لا نزيده بركة بل نعترف بما هو له[٦]:

+ «ليكن **مباركاً** الرب إلهك الذي سُرَّ بك وجعلك على كرسيه ملكاً للرب إلهك. لأن إلهك أحب إسرائيل ليثبّته إلى الأبد، قد جعلك عليهم ملكاً لتُجري حكماً وعدلاً» (٢أي٩: ٨ ملكة سبأ تبارك الله).
+ «**مبارك** الرب يوماً فيوماً. يحمِّلنا إله خلاصنا.» (مز٦٨: ١٩ النسخة البيروتية)

وجاءت في السبعينية:

+ «**مبارَكٌ** الربُّ الإله، مبارَك كل يوم وإله خلاصنا سوف يثمرنا».

وحينما نقول «المبارَك» فقط فهي تعني في العهد القديم «يهوه الله» كما سمعنا من رئيس الكهنة وهو يخاطب المسيح: «أأنت المسيح ابن **المبارَك**» (مر١٤: ٦١)، ويقولونها تحاشياً لذكر اسم الله يهوه لأنه مرهوب. وفي العهد الجديد هي للمسيح أيضاً (رو٩: ٥).

وفي الرسالة الثانية لأهل كورنثوس نجد نفس البداية للرسالة بإعطاء البركة لله:

+ «**مبارَك** الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية الذي يعزينا في كل ضيقاتنا.» (٢كو١: ٣)

وهي أيضاً على لسان بطرس الرسول، فهي منهج رسولي موروث من الآباء:

+ «**مبارَك** الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل **محفوظ في السموات لأجلكم.**» (١بط١: ٣و٤)

حيث يلاحظ هنا أن البركة لله مرفوعة **لأبُوته** على مستوى ما جاء لبولس الرسول، وأيضاً فيما يخص **السماويات.** فالبركة لله في رسالة أفسس تتميز بأن العلة للبركة كائنة في السماويات.

«الذي باركنا بكل بركةٍ روحية»: εὐλογήσας ἡμᾶς ἐν πάσῃ εὐλογίᾳ πνευματικῇ

هنا يكشف ق. بولس جوهر «البركة في الله» وبه ومنه، فهنا البركات الروحية التي أعطاها لنا تنطق وتشهد وتعلن عن بركة الله. وهي كل البركات التي يمكن أن نعرفها وأن ننالها وفوق ما نعرف، وفوق ما هو ممكن أن ننال، فليس هناك بركة قط حجزها عنا، فقوله «**كل بركة**» يكون

6. Abbott, *op. cit.*, p. 3.

بمثابة استعلان خيرية الله لنا إلى أقصى ما يمكن أن ندرك أو نستعلن أو ننال. وتأتي في زمن الماضي البسيط أي أنها أُكملت ولا تحتاج إلى تكميل!!

فكل مؤمن صار شريكاً في تجسد ابن الله بالإيمان وصار حائزاً على كل بركة روحية من الله الآب كاملة مكتملة في المسيح، ليس كمنطق أو مجرد هبة شفاهية بل **كفعل، واختبار وممارسة حية، وفعَّالة** على مدى الزمن والخلود، لا يمكن أن تنقص بل تزيد، ولا تتغير أو تزول لأنها ثابتة في المسيح ثبوت المسيح ذاته في الله: «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدَّسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع **قبل الأزمنة الأزلية.**» (٢تي١: ٩)

فهنا البركات التي استعلنت لنا والتي بين أيدينا هي التي تدفعنا بفم ق. بولس أن نبارك الله ما حيينا، كما تقول النسخة السبعينية لمزمور (٦٨: ١٩): «**مبارَكٌ** الربُّ، **مبارَكٌ** كل يوم».

«بكل بركة روحية»:

هنا نحن بصدد نسبة البركة لله، فهي بركة روحية أي منسكبة من الروح القدس(٧)، وهي سبب غنى المسيحية، وهي المكنيُّ عنها عند الآباء بالخرزماتا χαρίσματα. كما أفصح عنها ق. بولس في رسالة رومية بوضوح وعرَّفها أنها بركة (الإنجيل) أو المسيح: «إذا جئت إليكم سأجيء في ملء **بركة** ــ الإنجيل ــ المسيح.» (رو١٥: ٢٩)

فهنا ق. بولس يود أن يقول: مبارك الله ... الذي غمرنا ببركاته، فلنباركه ما حيينا!! وهو حينما يقول: «بكل **بركة** روحية»، فهو يميِّزها عن كل بركة أرضية مادية جسدية زمانية خصَّ بها إسرائيل في القديم. فهنا البركة ذات صفات ومفاعيل عالية وراقية ومتعددة للغاية تليق بأرواحنا وبحياة مقدَّسة تملأ الحياة نعيماً وسروراً، تقرِّبنا إلى الله وتفتح وعينا الروحي لقبول غناه في الحب الأبوي والعطف والحنان والرحمة الفائقة، تعمل معنا هنا لنتأهل لما هناك لنعيش غُربتنا، محمولين على وعوده المقدسة، نغتذي منها فنتجاوز قصور الزمان ومحنة الجسد وضيق الأيام. وقد ذكر ق. بولس هذه الصفة **«روحية»** πνευματικῇ أكثر من عشرين مرة في رسائله(٨).

ولكي ندرك كيف ولماذا هي «كل بركة روحية» وبصورة مطلقة، يقول ق. بولس «في المسيح»، ويكفي أن يكون المسيح قد حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، ويكفي أن نكون نحن

7. Meyer, *Ephesians*, p. 311.
8. Westcott, on Ephesians, p. 7.

مملوئين فيه!!! (كو٢: ٩) لندرك كيف ولماذا نكون حائزين على كل بركة روحية في السماويات. فهذا تعبير واقعي يتفق مع ما للمسيح!!

«في السماويات»: In the Heavenly order = ἐν τοῖς ἐπουρανίοις

القديس بولس يعود ببصره إلى بركات الله قديماً لشعب إسرائيل، كيف انحصرت كلها في الأرض مع كل الوعود، ثم ينظر إلى ما أعطاه لنا الله بواسطة المسيح يسوع وكيف أن كل عطاياه هي من السموات وفي السموات وستبقى لنا محفوظة في السموات، وإن كنّا نطّلع عليها أو نسبق نتذوّقها فكالعربون.

وأن تكون هذه البركات في السموات، فهي في المناطق التي ارتفع إليها يسوع المسيح في نصرة مجده وهو قائم من الأموات صاعداً إلى أعلى السموات، بل هي المناطق التي صارت الكنيسة إليها بصفتها جسد المسيح السري الذي جلس به عن يمين الآب. والقديس بولس الرسول يحن كثيراً إلى كل ما هو في السموات ومن السموات بعد أن رأى وجه يسوع مشرقاً كالشمس «من السماء» (أع٩: ٣ و٢٢: ٦ و٢٦: ١٣) ليعطيه بركة ليحملها أبد الدهر، وهي التي يحرضنا بولس الرسول أن نطلبها كحق من حقوقنا: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض.» (كو٣: ١و٢)

ولكن لكي نستطيع أن نحويها في الإدراك، فهي بحسب ما تنضح علينا: **فهي نعمته**، وهي **محبته**، وهي **الحق** المعلَن في ابنه، **والفرح الكامل**: «فرح الرب هو قوتكم» (نح٨: ١٠)، وهي **سلام الله الذي يفوق العقل** (في٤: ٧)، هي **الرجاء** المحفوظ لنا في السموات (١بط١: ٣و٤): «المسيح فيكم **رجاء المجد**» (كو١: ٢٧)، وهي **التعزية** التي يبثها الروح في قلوبنا إزاء ضيق العالم ومضايقة الناس، هي **الصبر** الكثير الثمن الذي فيه يسكن سر الخلاص: «فالذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢)، وكل ثمر الروح الذي ذقناه والذي سنذوقه. وبالاختصار هي كل الصلاح: «لكي تكون شركة إيمانك فعّالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع.» (فليمون ٦)

ولكن لا يُفهم من قول ق. بولس «في السماويات» من جهة البركة أن البركات من طبيعة سماوية، ولكن هي عطايا الله في السماويات التي ترفع من حياتنا وسلوكنا لكي تكون على مستوى السيرة السماوية: «**فإن سيرتنا نحن هي في السموات** التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح» (في٣: ٢٠). فالصبر والعزاء والفرح كبركات الله لها قوة إلهية سماوية، لأنها

نابعة من الله، ولكنها على مستوى طبيعتنا لكي ترفع من شكلها وقوتها وسيرتها لتناسب حياة القيامة من الأموات أو الحياة مع الرب، فهي البركات المسيحية اللازمة جداً لكي نتغير حسب صورته: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢)، «نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو٣: ١٧)

ولكي يثق القارىء تماماً أنها بركات روحية في السماويات حقاً، فهوذا الروح القدس نفسه عطية الله العظمى ـــ مع المسيح ـــ انسكب علينا **من السماويات وحلَّ فينا على الأرض** ومعه عطايا الله وبركاته وعمل المسيح أصل وسبب كل بركة، لكي بهذا كله يرفع سيرتنا لتصير معه في السماويات. فالبركات رُتِّبت وصنعت في السماويات وانسكبت علينا ونحن على الأرض لنبقى دائماً مع الله والمسيح وكأننا في السماويات. إذاً، نحن نملك الآن حياة وروحاً وقلباً عليهم «**ختم**» الروح القدس، «**والروح نفسه**» فينا قائم كعربون لميراثنا المُعَدّ. يا لغنى الله!! ويا للبركات!!

والمسيح نفسه ينبه ذهننا إلى هذه البركات السماوية لكي نطلبها ونحن هنا على الأرض، لأنها صارت من حقنا ونصيبنا بمقتضى أبوة الله لنا ونحن كأولاد: «فصلُّوا أنتم هكذا ... لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.» (مت٦: ٩و١٠)

«في السماويات في المسيح»:

فإن كان قد ترتب القصد منذ الأزل لنكون هيكل الله وروح الله يسكن فينا، وبآن واحد نكون أعضاء جسمه من لحمه وعظامه، وباختصار نصير جسده!! ألا يشكِّل الإنسان ومعه كل بركة روحية في السماويات وفيه الروح القدس ساكن، **ألا يشكِّل الإنسان بهذا الكيان منطقة سماوية جديدة على الأرض:** تُعرض فيها أعمال الله وبركاته، وأمجاد المسيح وخلاصه إلى أن تزول الأرض لتبقى السماء! ماران أثا: «ليأتِ المسيح وينتهي العالم» (الديداخي ١٠: ٦).

ثم وهل أخذنا هذه البركات الروحية، كل البركات السماوية خارجاً عن المسيح؟ أليس في المسيح نلنا كل بركة حقاً والمسيح كائن في السماويات، أفليس من الحق أن يقال أن الله باركنا بكل «**بركة روحية في السماويات في المسيح**».

١: ٤ «كما اختارَنا فيهِ قبلَ تأسِيسِ العالمِ لنكونَ قدِّيسينَ وبلا لَوْمٍ قُدَّامَه في المحبةِ».

يُلاحظ أن القديس يعقوب الرسول في خطابه التاريخي في مجمع أورشليم أعطى هذه العقيدة

الرسولية الثابتة: «معلومة عند الرب **منذ الأزل** جميع أعماله» (أع١٥: ١٨). كما يُلاحظ القارىء أن ق. بولس سيظل يحكي عن لماذا الله هو مبارك، وكيف باركنا بكل بركة روحية حتى الآية (١٤).

«كما»: καθώς

ومعناها: «وهذا يتحقق من واقع الأمور الآتية»، أي أن القول بأنه باركنا يأتي مطابقاً للحقيقة الآتية.

«اختارنا فيه»: ἐξελέξατο

هذا أول تعبير وتصوير **لالتحام البشرية في «ابن الله» قبل التجسد،** قبل تأسيس العالم بسمائه وأرضه. هنا البشرية، وهي في عزلتها وملء فراغها الكامل، بعيدة ومبتعدة عن الله ومن دونه في كل شيء، وهي لا تزال مصوَّرة فقط في ذهن الله ـــ قبل أن يصوَّر العالم أو تُلقى أساساته، وهي ليست من العالم لا في الصورة ولا في الأساس ـــ يحدد الله بكل وضوح مآل مصيرها أن تلتحم، بالاختيار، في مصير الابن، تحمل جسده كما حمل جسدها لتشاركه محنة موته ومجد قيامته وعظمة ارتفاعه فوق أعلى السموات ولتبقى وتدوم في مجال رؤية الله، متجلِّية بجلال الابن فوق العالمين. ففي اللحظة التي تمَّ فيها تقرير اختيارنا في المسيح: «المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كو٢: ٣)، هناك في الأزل وقبل تأسيس العالم والزمن، خرجنا من عزلتنا وتخلَّصنا من فقرنا وعوزنا وعدم استحقاقنا الذي وُضع علينا أصلاً أن نعيشه في ملء طبيعتنا الترابية زمناً ما مع العالم، لنخلعه عندما نخلع عنا العالم والزمن **فندخل إلى استحقاقنا الجديد بالاختيار الذي تمَّ لنا في الابن، هناك منذ الأزل،** لنحيا ملء الخلود. هذا هو السر العميق جداً وراء كلام المسيح مخاطباً الآب ومدافعاً عنا:

\+ «أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم **ليسوا من العالم (قبل تأسيس العالم)، كما أني أنا لست من العالم!!** لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير،
ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم، قدِّسهم في حقك!!» (يو١٧: ١٤-١٧)

اختارنا من بين كل البشر ـــ نحن الذين آمنَّا به ـــ ولكن ليس لأي شيء صالح فينا مسبقاً ـــ أبداً ـــ بل ولكي ينفي ق. بولس عن الله أنه لم يستخدم أي مقياس ما إيجابي بالنسبة للاختيار، قال العكس:

\+ «**بل اختار الله جُهَّال** العالم ليخزي الحكماء،

واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء،
واختار الله أدنياء العالم والمزدرَى **وغير الموجود** ليبطل الموجود لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.» (١ كو١: ٢٧-٢٩)

بحيث لا يدخل في مقياس الاختيار أي عمل ممكن أن يقوم به الإنسان يثبت به لياقته: «لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شرًّا، لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعو، قيل لها إن الكبير يُستعبد للصغير، كما هو مكتوب أحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو.» (رو٩: ١١-١٣)

وإلى هنا قد يسأل السائل فلماذا أنا أُدان إذا كنت لم أقع بين المختارين؟

فالمسيح يرد بنفسه ويوضح: «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن **لأنكم لستم من العالم**، بل أنا **اخترتكم** من العالم لذلك يبغضكم العالم» (يو١٥: ١٩). وحتى لو كان الاختيار تمَّ قبل إنشاء العالم، فسبق معرفة الله تيقنت أننا لن نكون من خاصة العالم. فسبق معرفة الله πρόγνωσις هي الأساس الذي يتم عليه الاختيار:

+ «**لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم** ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.» (رو٨: ٢٩)

وسر اختيار المؤمنين هو قائم حتماً وبالضرورة في سبق معرفة الله بالذين سيؤمنون، ولأن سبق معرفة الله تسبق كل وجود وكل خليقة وبالتالي قبل تأسيس العالم لذلك تمَّ الاختيار قبل كل ذلك.

اختارنا فيه ــ في المسيح:

أي على أساس الإيمان بالمسيح، فالاختيار تمَّ في المسيح لأنه هو الذي أكمل الخلاص بعمله الفائق بالموت وبالقيامة اللذين صارا أساس الإيمان. فالله اختارنا للخلاص لمَّا سبق وعرف أننا سنُقبل على الإيمان بابنه يسوع المسيح بحرية إرادتنا وأننا لسنا من العالم.

أمَّا غاية «**اختيار**» الله لنا في المسيح فهو كما أوضح ق. بولس في موضع آخر ليس بسبب أنه رآنا صالحين أو لائقين في أنفسنا أو من جهة أنفسنا أو لأنفسنا، وإنما لكي يجد فينا المسيح إخوة مشابهين له يكون هو بكراً لهم وفي وسطهم!! وكأن اختيار الله لنا كان أصلاً لصالح التجسُّد، ثم عاد التجسُّد وصار لتكميل اختيارنا حسب قصد الله، وليصالحنا لنفسه. لأنه لولا التجسُّد وما تبعه من موت وقيامة ما آمنَّا بابن الله وما حُزنا على اختيار الله إن سابقاً أو لاحقاً.

فعملية الاختيار وإن بدت بسيطة وكأنها فعل قائم بذاته حسب مسرَّة الله تمَّ هناك قبل تأسيس العالم، إلاَّ أن «الاختيار» في الحقيقة تمَّ على أساس التجسُّد لعمل حتمي سيتم في ملء الزمان بل وتمَّ على أساس موت الابن الوحيد المحبوب وقيامته، أي على أساس خيرية الله المطلقة الذي صمم أن يصالحنا لنفسه بذبح ابنه يسوع المسيح بدافع حبه الذي لا يُحدُّ، ثم وبعد الفداء أن يُقدِّسنا ويُبررنا من لدن برِّه المجاني لننال استحقاق التبني لله. وأخيراً استقر الاختيار على أبناء صيَّرهم قديسين وجعلهم بلا لوم ليليقوا أن يقفوا أمامه لمدح مجد نعمته، الآن وفي كل الدهور الآتية.

وحتى وبعد كل هذا الذي تمَّ لنا والذي تمَّ من أجلنا، فلسنا أبداً على مستوى الاختيار أو أن نكون أبناء ونكون قديسين وأبراراً وبلا لوم، ولكن وقوفنا مع المسيح ابنه المحبوب واتحادنا به وحبنا وأمانتنا المطلقة له، هو الذي يعطينا دوام الاستحقاق أن نكون ونظل مختارين. لذلك فكلمة «في المسيح» تظل ختم الاختيار من جهة صلاحيته ودوامه وسببه وهدفه. فبدون المسيح لا يكون اختيار ولا تَبَنٍّ ولا قداسة ولا بر ولا أي شيء. لذلك فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً.

«قبل تأسيس العالم»: πρὸ καταβολῆς κόσμου

[إن قول المسيح الصريح: «أيها الآب أُريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا ... **لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم**» (يو١٧: ٢٤)؛ هذه القضية عينها هي التي ظل ق. بولس قلقاً يحاول أن يثبتها في كل رسائله أن هذا الأمر الذي يخصنا ليس مجرد حكاية نظام بل إنه قد سبق وأُكمل تصوُّره من بدء البدأ، ولا يحتمل أبداً أن يكون نتيجة تغيير في قصد الله، ولكنه كان في الحقيقة افتقاداً إلهياً سبق أن تحدد رسمه وتكريسه، وهذا ينبغي أن يكون في الواقع أعظم هاجس(٩) لنا].

(القديس يوحنا ذهبي الفم: «الرسالة إلى أفسس»، صفحة ٥١).

حيث الكلمة اليونانية تفيد "البدء" بالشيء أو وضع الأساس. والمعنى يفيد ما قبل الزمن أي قبل زمن البدء بتأسيس العالم حيث كان الله قد أتمَّ «الاختيار» للإنسان، ويعني أن الاختيار تمَّ منذ الأزل. فكيان المختارين كان الله قد أكمله منذ الأزل قبل أن يأخذ العالم صورته(١٠) أو حتى بدايته. فقبل أن يؤسس الله العالم بأرضه وسمائه، كان قد أسس للإنسان حياته الأبدية،

(٩) هاجس = أمر ينبغي أن يقلقنا لنهتم به.

10. Meyer, *op. cit.*, p. 313.

فوضع اختياره وصمم فداءه وخلاصه وتبنّيه، وأهّله (أي الإنسان) بكل ما يؤهله للوقوف أمامه، فدخل الإنسان لـمَّا أخطأ إلى عالم شقائه وله في السموات عند الله ملكوت معدٌّ!! يا لمراحم الله التي تفوق الوصف والتي بالجهد نلاحق أعمالها!

فقبل أن تصاب البشرية بما أصابها من لعنة وموت في غربتها على الأرض، كانت قد سبقتها البركات بكل بركة روحية في السموات، وتم الاختيار وأُضيء طريق الحياة والخلود.

ولأن اختيارنا هذا تمَّ هكذا منذ الأزل في ابنه يسوع المسيح، بهذا يمكن أن نفهم قول بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي عن المسيح أنه هو: «بكر كل خليقة» (كو١: ١٥). أي أنه قبل كل خلقة العالم وكل ما فيه، كان ابن الله كائناً (ونحن مختارون فيه)!! ثم: «فيه خُلق الكل» (كو١: ١٦) ونحن بالدرجة الأُولى، كذلك: «الكل به وله قد خُلِق» (كو١: ١٦) ونحن بالأولى، فإن كان الله قد صالحنا في آخر الزمان **لنفسه**، فلأنه سبق وخلقنا **لنفسه!** وهنا نجد أنه اختارنا لنقف أمامه!! يا للمجد ويا لعمق السر!!

وق. بولس حينما يستقر على إحدى هذه الحقائق الباهرة: الخَلْق والمصالحة والاختيار؛ يسرع ويُعطينا عملاً يليق بعمله (الله) ـــ باعتبارنا موظفين عنده، هذا العمل هو: **لمدح مجد نعمته!!** فيقول: «وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب، **أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق**» (٢تس٢: ١٣) حيث البدء هنا هو كأول أعمال الله: «ثم يقول الملك للذين عن يمينه، تعالوا **يا مُبارَكي أبي** (الذي باركنا بكل بركة روحية قبل تأسيس العالم) رثوا الملكوت **المعدَّ لكم منذ تأسيس العالم.**» (مت٢٥: ٣٤)

ولينتبه القارىء أن هذه الأمور كلها قائمة في تدبير الله قبل الدهور لمجدنا، والحاجة شديدة إلى «روح الحكمة والإعلان» التي يطلبها لنا ق. بولس بإلحاح (أف١: ١٧):

+ «لكننا نتكلَّم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ... بل نتكلم بحكمة الله في سرٍّ. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها **قبل الدهور لمجدنا.**» (١كو٢: ٦و٧)

+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى **القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.**» (٢تي١: ٩)

وإنجيل ق. متى يحكي عن مجيء هذه الأيام التي نفتش فيها عن مكتومات الأزل ونتعزى،

كما نعمل الآن في هذه الرسالة العجيبة فيقول: «هذا كله كلّم به يسوع الجموع بأمثال وبدون مثل لم يكن يكلّمهم. لكي يتم ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق **بمكتومات منذ تأسيس العالم.**» (مت١٣: ٣٤و٣٥)

فالاختيار والتبني والفداء هذه كلها مكتومات الله منذ تأسيس العالم وما قبل! والكل يبدأ في المسيح ومع المسيح: «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذي أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك **أحببتني قبل إنشاء العالم**» (يو١٧: ٢٤). وبطرس الرسول كمفتوح العينين يراه ويعرفه منذ ذلك الزمان قبل أن يكون زمان: «بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، **معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم** ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (١بط١: ١٩و٢٠)

«لنكون قديسين وبلا لوم»: ἁγίους καὶ ἀμώμους

القديس بولس يضع صفتين، إحداهما تمسك بأعلى قمة يمكن أن يبلغها إنسان إيجابياً، والأخرى قمة التفريغ من كل السالبية بأي نوع!!

ولينتبه القارئ فالقداسة هنا ليست من سلسلة الفضائل أو الأخلاق، ولكنها انطباع وجه الله علينا كما تقدّس وجه موسى ولمع ضياؤه. فهو بلوغ منتهى التوافق مع مسرّة الله ورضاه:

+ «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح!» (أف٤: ١٣)
+ «**لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله!!**» (أف٣: ١٩)
+ «**الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.**» (أف٤: ٢٤)
+ «ليكونوا مشابهين صورة ابنه!!» (رو٨: ٢٩)

هنا القداسة قائمة بالمسيح وفيه، والروح القدس ينضح بها علينا من عنده مجاناً ونحن لا نرى ولا نحس: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً **وأنتم مملوؤون فيه!!**» (كو٢: ٩و١٠). فنحن لا ندري كيف يحل في المسيح ملء اللاهوت جسدياً، ولا ندري كيف نصير نحن بالتبعية مملوئين فيه. فالقداسة هي طبيعته، بل لا تفارقه لحظة، أما لنا فثمنها كان دمه، وجسده الممزق على الصليب! لقد قدّسنا بموته ومسح عارنا ولعنتنا بقيامته، فدخول الابن إلى أبيه وجروحه ودمه عليه هو هو بعينه دخولنا بجراءة ووقوفنا أمامه قديسين وبلا لوم.

«بلا لوم»: ἀμώμους

صفة معروفة طقسياً وليتورجياً، فهي صفة الذبيحة اللائقة بالتقديم قديماً، بل هي صفة المسيح ذبيحتنا الحية المقدمة لله: «كما من حمل بلا عيب» (١بط١: ١٩)، التي صرنا بها حقاً قديسين وبلا لوم!

+ «قد صالحكم الآن في جسم بشريته **بالموت** ليحضركم **"قديسين وبلا لوم"** ولا شكوى أمامه.» (كو١: ٢١و٢٢)

+ ««فكم بالحري يكون دم المسيح، **الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم** من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

فلكي تكون البشرية مقدَّسة وبلا لوم أمام الآب، قدَّم الابن جسده القدوس ذبيحة إرادية ليكون هو هو نفسه البشرية المنجمعة فيه كأعضاء، الكنيسة بوصفها السري، مقدسة وبلا عيب:

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون **مقدَّسة وبلا عيب.**» (أف٥: ٢٥-٢٧)

أما تعريف «العيب» بالمفهوم اللاهوتي فهو الخطية بكل صورها وأشكالها وما تؤول إليه وما ينتج عنها، وهذا كله يطمئننا بطرس الرسول أن المسيح حمله كله في جسده على الخشبة: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١بط٢: ٢٤). أما مصدر التقديس، فجسده الذي نتراءى به كأعضاء له، أمام الآب بعد أن جُزْنا غسيل النعمة بالدم والماء والروح: «وهكذا كان أُناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو٦: ١١)، «الذي **سيغيِّر شكل جسد تواضعنا** ليكون على **صورة جسد مجده** بحسب عمل **استطاعته** أن يخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢١) لينطبع المثيل على المثيل. نعم، فأيَّ همٍّ نحمله؟ كيف سنقف أمام الله قديسين وبلا لوم إن كان هذا لا يدخل قط في دائرة استطاعتنا، لا هنا ولا هناك، وهو عمل يختص باستطاعة المسيح القادر أن يُخضِع لنفسه كل شيء. ولأنه أخذ على عاتقه أن يُدخلنا إلى الآب كما يريد الآب تماماً، فقد أخلى مسئوليتنا، لذلك أصبح لنا ومن الآن جراءة من جهة الدخول إلى الله: «الذي به لنا جراءة وقدوم بإيمانه عن ثقة» (أف٣: ١٢)، «لأن به لنا كلينا (يهود وأمم) قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٨)

والآن تظهر أمامنا أعمال الله مشروحة، إذ لما قصد الله منذ البدء أن نعيش معه ونقف أمامه

تحتّم أن يقدسنا بمعرفته ويطهرنا ويجعلنا بلا لوم، فقصد الله الأول هو الذي أُلقي على عاتق الابن لكي يكمله، ولم يبق علينا إلاّ أن نؤمن بالابن إيماناً مطلقاً ونخضع لكل أعماله خضوعاً كاملاً ليستطيع أن يجري فينا وعلينا كل ما يلزم، حتى بالنهاية نقف حسب قصد الله أمامه قديسين و بلا لوم.

ولكن لسنا في حِلّ أن نسلك في غير القداسة ونأتي سلوكاً يقع تحت اللوم، وإلاّ يكون العقاب شديداً، لأن الله لا يقدّس من لا يريد أن يتقدّس ولا يرفع اللوم عن إنسان يستمرىء الملامة.

+ «قد صالحكم **الآن** في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم **قديسين وبلا لوم** ولا شكوى أمامه، **إن: ثبتُّم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل** ... الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكي نُحضِر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع.» (كو١: ٢١-٢٣و٢٨)

فسلوكنا في العالم في القداسة وفي غير ملامة يؤكد فعلاً حصولنا على هذه الموهبة من الله:

+ «افعلوا كل شيء بلا دمدمة ولا مجادلة، **لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء، أولاداً لله بلا عيب** في وسط جيل معوج وملتوٍ، تضيئون بينهم كأنوار في العالم.» (في٢: ١٤و١٥)

«قدامه»: κατενώπιον αὐτοῦ

أي أمام ناظريه، في ملء رؤيته. وهنا ينكشف سر هذه الآية، فالله اختارنا في المسيح لكي **بالنهاية يرانا ويسرَّ بوجودنا أمامه!** ألم يقل ق. بولس إنه صالحنا في المسيح **لنفسه**، فالله هو الذي سعى إلى مصالحتنا لتنتهي حياتنا إلى أن نكون أمامه، ولكن اهتم جداً أن نكون أمامه بلا لوم كقديسين لكي لا يعطل رؤية الله لنا أيُّ عيب فينا، لأنه أحبنا وأحبنا جداً، ويسوع المسيح عبَّر عن هذا الحب بقوله: «الآب نفسه يحبكم!!» (يو١٦: ٢٧). من أجل هذا صار لنا جراءة وقدوم إلى الآب لأن الابن ممسك بنا والآب يسعى لرؤيتنا. يا لمجد الله ويا لمحبته التي لا يعبَّر عنها! إن سر رسالة أفسس يتركز في هذه الحقيقة المدهشة حقاً!! إذاً، ليس جزافاً أن يأتي أول قصد من مقاصد الله الأزلية قبل تأسيس العالم ليعبِّر عن سر بركته لنا بكل بركة روحية حتى ننتهي إلى أن نقف أمامه قديسين وبلا لوم في المحبة، التي هي منتهى قصد سر الفداء والخلاص والمصالحة والتبني، بل هي كما قلنا ونكرر هي سر الرسالة إلى أفسس برمتها!

«في المحبة»: ἐν ἀγάπῃ

[لا من محبته فقط، ولا من محبتنا، بل من الاثنين].
(القديس يوحنا ذهبي الفم: «الرسالة إلى أفسس»، صفحة ٥٢).

انقسم العلماء بين إضافة المحبة إلى ما سبقها هكذا: «قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة». وهؤلاء منهم وستكوت وهورت وألفورد، ولكن القديس يوحنا ذهبي الفم وماير والليكوت أضافوها إلى ما بعدها هكذا: «بالمحبة سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح ...». وكثير من العلماء نسبوا المحبة لنا باعتبار أنه لا يمكن قبول التقديس إلاَّ على أساس قوي من المحبة. هذا ما قاله ق. بولس نفسه: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم وأنتم متأصلون ومتأسسون **في المحبة**» (أف٣: ١٧و١٨)، ومن جهة حتمية أن تكون المحبة من الجهتين حسب رأي القديس يوحنا ذهبي الفم يقول القديس بولس أيضاً: «اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح **أيضاً**، وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة» (أف٥: ٢). وواضح أن اختيار الله لنا هو على أساس **محبته التي بلغت ذروتها**، إذ هكذا عمل المستحيل في أعيننا إذ «الله ظهر في الجسد» (١تي٣: ١٦) وحمل كل ذنوبنا وعارنا في شخص ابنه الذي سحقه بالحزن لأجلنا، ووضع عليه إثم جميعنا، كل ذلك ليجعلنا لائقين للظهور **والوقوف أمامه بلا لوم ليفرح بنا فرحة الآب بعودة ابنه من التيه الذي طال**. لذلك أصبح من المحتم أن يكون أساس ترائينا أمامه مترسخاً على **محبتنا له** لنتبادل النظرة والرؤيا على أساس المحبة كالمثيل للمثيل. على أن وجودنا على خلفية المسيح الابن المحبوب قادر أن يجبر نقص محبتنا حتى تتساوى مع محبة الآب الكلي المحبة.

أما إضافة المحبة كضرورة لتكميل «القداسة وبلا لوم أمام الله» فنقرأها في الآية:

+ «والرب ينميكم ويزيدكم **في المحبة** بعضكم لبعض وللجميع كما نحن أيضاً لكم، لكي يثبت قلوبكم **بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا** في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (١تس٣: ١٢و١٣)

وفي هذه الآية تصوير بديع لتحقيق دخولنا ككنيسة إلى الله الآب وترائينا أمامه كقديسين في لحظة مجيء ربنا يسوع المسيح «**وظهوره مع جميع قديسيه**» حيث سيكون ظهوره واستعلانه كلياً وشاملاً للسماء والأرض وكل الوجود كالبرق إذا أضاء ظلمة الليل في أنحاء السماء! هنا مجيء المسيح وظهوره العلني في الباروسيا **مع جميع قديسيه** هو هو استعلان تحقيق مقاصد الله التي منذ الأزل، حيث يستعلن الاختيار الأزلي والتبني واكتمال الفداء والخلاص وظهور أبناء الله في ملء القداسة وبلا لوم في المحبة أمام الله والمسيح. يا لسعد البشرية بترائينا أمام الله في المحبة.

+ «هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء،
لنفرح ونتهلل ونُعطِه المجد لأن عرس الخروف قد جاء،
وامرأته هيأت نفسها،
وأُعطيت أن تلبس بَزًّا(*) نقياً بهيًّا لأن البَزَّ هو تبررات القديسين.» (رؤ١٩: ٦-٨)

١: ٥　«إذ سَبَقَ فعيَّننا للتبنِّي بيسوعَ المسيح لنفسِهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مشيئتِهِ».

«عيَّننا للتبني»: προορίσας ἡμᾶς εἰς υἱοθεσίαν

حرف -προ الذي يسبق كلمة «عيَّن» يفيد التنفيذ في حالة المستقبل. وهو ليس مثل حرف πρό الذي جاء ليعبِّر عن «**قبل** تأسيس العالم». فقبل تأسيس العالم تمَّ الاختيار ليتم التبني مستقبلاً!!

واضح أن الاختيار هو للتبني، فالتبني في فكر الله أسبق من الاختيار، ولكن بطرح الفكر على مستوى التنفيذ يلزم أن يتم الاختيار أولاً:

+ «لأن الذين سبق فعرفهم سبق **فعيَّنهم** προώρισεν ليكونوا مشابهين صورة ابنه.» (رو٨: ٢٩)

«**التعيين**» هنا باليونانية يعني إما «رسمهم» ordination أو مجرد «وضع علامة عليهم». هذا التعيين للتبني الذي صنعه الله منذ الأزل، تم تصويره على مستوى الطبيعة في خلقة آدم، وما كان يُفترض أن تكون عليه ذرِّيته أن يعيشوا كأولاد لله معه. ولكن لما أخطأوا وخرجوا من أمام وجه الله، كان قد تعيَّن لهم في فكر الله سابقاً أن يستردوا بنوَّتهم لله بواسطة ابن الله الذي يتبناهم لنفسه ويحضرهم للآب: «وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو١: ١٢). هنا كلمة «أن يصيروا أولاد الله» بالسلطان الإلهي تعني التبني لله، أي البنوة بالحق right. والفرق بين الابن بالطبيعة وهو المسيح، وبين حالة التبني، هو أن التبني ليس حالة «حق» بل اكتساب «حق». فالمسيح ابن الله بالحق، ولكن لمَّا تبنَّانا الله نلنا التبني بالنعمة بالاكتساب، ولكن يظل الآب «آب» كما هو للابن كذلك للمتبنَّى. فالمتبنَّى له الحق أن يدعو الله أباً:

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً

(*) البَزّ هو الكتان الأبيض.

للخوف بل أخذتم "**روح التبني**" الذي به نصرخ **يا أبّا الآب.**» (رو٨: ١٤و١٥)

+ «نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين **التبني** فداء أجسادنا.» (رو٨: ٢٣)

والابن كالمتبنَّى، لكليهما حق واحد مشترك في الأسرة في كل الحقوق والميراث:

+ «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله (حيث يسوع المسيح هو البكر).» (أف٢: ١٩)

والتبني هنا تمَّ بواسطة يسوع المسيح بانتهاء أزمنة الشقاء وافتتاح أزمنة الخلاص لنتهيأ للميراث:

+ «ولكن لمَّا جاء **ملء الزمان**، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس **ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني.** ثم بما أنكم أبناء أرسل الله **روح ابنه** إلى قلوبكم **صارخاً: "يا أبّا الآب".** إذاً، لست بعد عبداً بل ابناً. **وإن كنت ابناً، فوارث لله بالمسيح.**» (غل٤: ٤-٧)

واضح هنا أن التبني أكمل صورة الاختيار، وأعطاها كل ما يخصها، وأكمل قصد الله الأزلي من نحونا. ومن ناحية أخرى، فلكي نصير أمام الله مختارين وقديسين وبلا لوم في المحبة، كان يتحتم أن نأخذ صورة ابنه الخاص، فخارج الابن لا توجد خليقة ذات قداسة أو خُلُواً من لوم تصلح لتقف أمام الله. لهذا ترتب في المشورة الأبوية أن يتم لنا التبني بواسطة ابنه يسوع المسيح لنأخذ موقعه من الآب كأبناء، ونأخذ شكله ومواصفاته في البر وقداسة الحق لنليق بالوجود أمامه:

+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة **نتغير إلى تلك الصورة عينها** (في البر وقداسة الحق) من مجد إلى مجد **كما من الرب الروح.**» (٢كو٣: ١٨)

ولكن ليس من فراغ نتغير إلى تلك الصورة عينها، فنحن الذين **اعتمدنا لموت المسيح لبسنا المسيح**، و«لبس المسيح» ليس مجازاً بل بالحق، فنحن قد لبسنا المسيح: «نحن الذين اعتمدنا للمسيح قد لبسنا المسيح» (راجع غل٣: ٢٧) بذات قوة المسيح!! «بحسب القوة التي تعمل فينا» (أف٣: ٢٠)، التي عبَّر عنها المسيح نفسه بقوله للرسل: «وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن **تُلبَسوا قوة من الأعالي**» (لو٢٤: ٤٩). وهكذا نرى أن ما نلناه حتى الآن من الرب يسوع المسيح هو كل حقوق التبني ونوال كمال صورة الابن، إذ لبسنا المسيح نفسه وبقوته لنتراءى به أمام الله.

انظر أيها القارىء وافرح لفرح الله بك، انظر لماذا أعطانا التبني؟ ولأي قصد وبأيِّ نية؟ يقول: «حسب مسرة مشيئته». يا للاندهاش الذي يملأ فكرنا، والمجد والإحسان والحب الذي يعقد لساننا!! لما أراد الله أن يُقرِّبنا إليه **لنكون قدامه على الدوام ليفرح بنا**، لم يشأ أن نكون واقفين قدامه متغرِّبين عن شخصه وعن طبيعته، لهذا سعى ليمنحنا بالسلطان الإلهي شرف البنوية له، أي التبني، حتى يرتاح فينا كأولاد له ونرتاح نحن في القرب منه كأبناء. فبعد أن أعطانا من طبيعة ابنه القدوسة لنكون شركاء المسيح في طبيعته الجسدية-الإلهية بالاتحاد الذي لا ينفصم، بالموت معه والقيامة معه وشُرْب دمه وأكل جسده، وهبنا روحه القدوس ليستقر فينا ويتحد بنا لنستطيع أن ندعوه بالحق «يا أبَا الآب» كبنين بالامتياز!!

لقد رأى إشعياء من بُعد كيف تتنازل رزانة «يهوه» العظيم ليفرح بشعبه: «ها أنذا خالق أورشليم (الكنيسة) بَهْجةً وشعبَها فَرَحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرحُ بشعبي!!!» (إش٦٥: ١٨و١٩)

«حسب مسرَّة مشيئته»: κατὰ τὴν εὐδοκίαν τοῦ θελήματος

وباللاتيني: secundum propositum voluntaris suae.

يلاحظ القارىء أن مقاصد الله جميعاً منذ الأزل وقبل تأسيس العالم كلها من نحو الإنسان مدموغة بمسرَّة مشيئة الله، ومحبته، وغنى نعمته، والقصد هو مدح مجد نعمته. وهكذا يتبين لنا ولأول مرة أن الدوافع الأُولى التي أظهرت العالم إلى الوجود وعلى رأسه الإنسان كانت كلها دوافع حب شديدة تملك قلب الله بل مَلَكَها الله. واتفقت مسرة مشيئته مع حبه الفائق مع حكمته الجزيلة، وكل فطنته مع شدة قوته ليصنع للإنسان خلاصاً تتحدث به السماء بكل خلائقها، متعدد الفصول والأجزاء والمفاجآت، متعدد الحكمة والفطنة، متعدد المشاعر والأوصاف التي يتوه الإنسان في ملاحقتها مهما أوتي من حكمة!! وبالنهاية ليأخذ الإنسان مكانته الممتازة الأُولى عن يمينه في ابنه وأمامه في ملء المحبة:

+ «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤)
+ «سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه **حسب مسرة مشيئته**.» (أف ١: ٥)
+ «**لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب**.» (أف ١: ٦)
+ «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا **حسب غنى نعمته**.» (أف ١: ٧)
+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته **حسب مسرَّته**.» (أف ١: ٩)
+ «الذي يعمل كل شيء **حسب رأي مشيئته لنكون لمدح مجده**.» (أف ١: ١١و١٢)
+ «خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى **لمدح مجده**.» (أف ١: ١٣و١٤)

«حسب»:

تتميز رسالة أفسس بتعدد استخدام كلمة «حسب» κατά. وهي تأتي إما «بحسب الله» ومرادفاتها، أو «بحسب العدو» (القوة المعادية) ومرادفاتها، أو «بحسب الجسد».

أ ــ بحسب الله:

+ «الإنسان الجديد المخلوق **بحسب الله** ...» (أف٤ : ٢٤)
+ «موهبة نعمة الله المعطاة لي **حسب فعل قوته.**» (أف٣ : ٧)
+ «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه **حسب مسرة مشيئته.**» (أف١ : ٥)
+ «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا **حسب غنى نعمته.**» (أف١ : ٧)
+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته **حسب مسرته** التي قصدها في نفسه.» (أف١ : ٩)
+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً **حسب قصد** الذي يعمل كل شيء **حسب رأي** مشيئته.» (أف١ : ١١)
+ «لكل واحد منا أُعطيت النعمة **حسب قياس هبة المسيح.**» (أف٤ : ٧)
+ «لكي يعطيكم **بحسب غنى مجده** أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن.» (أف٣ : ١٦)
+ «**حسب قصد الدهور** الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣ : ١١)
+ «الذي صرت أنا خادماً له **حسب موهبة نعمة الله** المعطاة لي **حسب فعل قوته.**» (أف٣ : ٧)
+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين **حسب عمل شدة قوته**، الذي عمله في المسيح.» (أف١ : ١٩و٢٠)
+ «والقادر أن يصنع فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر **بحسب القوة التي تعمل فينا.**» (أف٣ : ٢٠)

ب ــ القوة المعادية:

+ «التي سلكتم فيها قبلاً **حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء**، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف٢ : ٢)
+ «أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد **بحسب شهوات الغرور.**» (أف٤ : ٢٢)

ج ــ حسب الجسد:

+ «أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح.» (أف٦: ٥)

«مسرة مشيئته»:

وحرفياً: الغرض المفرح εὐ-δοκίαν لمشيئته θελήματος وهي تعطي لفعل التبني الذي به صنع الله منا أبناءً لنفسه، رنَّة الارتياح والفرح والسرور، وكأننا سنكون، بل قد صرنا أعزَّ خليقة عنده وأعلى مقاماً أمامه. فالتبني لله الذي صرنا إليه أنشأ بحد ذاته مديحاً لمجد الله ولنعمته لدى كل خليقة مُحِبَّة لله في السموات، أي لقي ارتياحاً مبهجاً لدى كل الخلائق. لأنه صنع منَّا أبناءً بالتبني بالقصد المبيَّت، لنقف أمامه قديسين وبلا لوم في المحبة كخليقة سماوية منذ الآن!!! هذه الصورة المفرحة البهية رافقت مشاعر الله وتدبيره عند تكميل عمل التبني فينا مما يجعلنا نشعر بدورنا بسرور جارف ودالة، تُنسينا كل مذلتنا وضعفنا وضيق الزمان ومعاندة الشيطان وثقل الأيام وتكاثر الأعداء بلا سبب وأحزاناً بلا عدد. فإن كان الله قد سُرَّت مشيئته أن يجعل منا أبناءً محبوبين نقف أمامه، لنمدح مجد نعمته؛ إذاً، فلينتهِ العالم وليأتِ المسيح. ماران أثا.

١: ٦ «لمدح مجدِ نعمتِهِ التي أنعَمَ بها علينا في المحبوبِ».

هناك صفتان لله تتبادلان العمل معاً: المحبة والنعمة. ولنأخذ النعمة أولاً:

«مجد نعمته»: δόξης τῆς χάριτος

وهي الصفة الحرة المطلقة ذات الفيضان المطلق والتحكم في الخليقة كلها. ولكن أظهر وأقوى أعمالها بالنسبة للإنسان هو أعمال الخلاص التي قام بها الله بواسطة المسيح حسب تدبير الله داخل الزمن وبصورة خاطفة للأبصار، والتي فيها استُعلنت إرادة الله الصالحة ومحبته الفائقة وحنان أُبوَّته الذي لا يُحدُّ، بل وقوة وعظمة طبيعته في ملء مجدها وسخائها. فالآن حينما صارت أعمال الخلاص فعَّالة في حياة البشر، وارتفعت وتعالت جداً نماذج المؤمنين المخلصين وصاروا شهادة ناطقة لعظمة هذا الخلاص، استُعلنت نعمة الله وعظمة قوته الفائقة من نحونا، وهي السبب الأساسي والعلة الأُولى لما بلغه الإنسان، وهو في الحضيض ميِّتٌ في ذنوبه وخطاياه، يلفُّه ظلام اليأس. بهذا صار تمجيد الله أمراً حتمياً لا يمكن أن يتوقف لحظة واحدة، وأصبحت نعمته هدفاً للمديح والتمجيد في السماء وعلى الأرض من كل فم. فإن تمجَّدت النعمة جداً كيف لا تُمدح، وهذا تحصيل حاصل، فالإنسان أدرك ذلك بعد أن أدركته النعمة بأعمال الخلاص الفائقة. ولكن الله كان

يعرف ذلك قبل أن يدركه الإنسان وقبل أن تكمّل نعمته أعمالها العظيمة هذه بواسطة المسيح. لذلك لما سبق الله وعيّننا للتبني، هناك قبل تأسيس العالم، سبق أيضاً ووضع الله لنا هذه **الوظيفة** التي سندخلها حتماً وبحرية إرادتنا مدفوعين من شدة تأثرنا بما جلبته النعمة لنا، فنقف صفوفاً صفوفاً لمدح مجد نعمته ما بقيت فينا نسمة حياة إلى أبد الآبدين: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب». فهذه الوظيفة بالرغم من أنها فائض شعورنا، وعمل منتهى مسرتنا، ولكنها بآن واحد وظيفة تعمل لحساب حق الله علينا، أرادها لنفسه على طقس وظائف الملائكة ورؤساء الملائكة وكل الخلائق السماوية المسبّحة لمجد الله. وكانت هي السبب الظاهر لنا كونه اختارنا قبل تأسيس العالم لنكون قديسين أمامه وسبق وعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حتى نأخذ بين السمائيين خدمة **مدح مجد نعمته كامتياز دائم**.

ولكن لا يزال أمامنا في مديح «مجد نعمته» استعلان ملازم. لأننا حينما نمدحه ونسبحه على مجد نعمته، فنحن نستعلن ذات الله من الأعماق، نكتشف عمق طبيعته التي انعكست أعمالها وصفاتها علينا حباً وسروراً وتبنياً، فلمسناها بروحنا في واقع خلاصنا الذي تمَّ. إنها «ذات مُنعِمة»، وإنعامها مجيد فائق الحد والوصف، وبالتالي نحن نمجد «**أعمال**» نعمة الله التي أنعم بها علينا، وهي تدور حول الخلاص الذي تمَّ على الأرض وفي السماء.

لذلك فإن بولس الرسول لا يكتفي بذكر «**النعمة**» وحدها حينما يصف ما أعدّه الله لنا في السماويات فيقول: «ليُظهِر في الدهور الآتية **غنى نعمته الفائق** باللطف علينا في المسيح يسوع» (أف ٢: ٧). لذلك لا يكتفي بأن يحسب غفران الخطايا بمفرده أنه مجرد **نعمة فقط**، بل يحسبه تحت بند «**غنى نعمته**» (١: ٧) بالدرجة الأولى. كل هذا يُلفت نظرنا أن «**مديح نعمته**» لا يكفي، إذ يتحتم أن يكون تماماً كما يقول: «مدح **مجد** نعمته». وكأن مديح مجد النعمة يُدخلنا حتماً في أعماق غنى مجد الله، بل طبيعته!!

فالنعمة بإظهار مجدها وغناها الفائض علينا، كشفت لنا طبيعة الله، فألزمتنا بالمديح. فإن كان مجد عملها فينا دائماً إلى الأبد، أصبح مديح مجدها وظيفة لنا دائمة في السموات يُلقّنها لنا الروح أولاً بأول. لأن في دوام مديحها مزيداً من استعلان مجد الله، وكلما مدحنا مجد الخلاص استُعلنت لنا أسراره.

ثم أليست هذه هي يمين الشركة مع السمائيين في اختصاصاتها، بل هي سر قول بطرس الرسول: «قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.» (٢بط ١: ٤)

فانظروا أيها الإخوة كيف تحوّل ثمر بر المسيح الذي نلناه منه من واقع صليبه وآلامه وقيامته ومجده، والخلاص الذي أكمله لنا ولا يزال يكمّل، إلى تمجيد الله الآب ومديحه، كقول ق. بولس: «مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح **لمجد الله وحمده.**» (في ١ : ١١)

«التي أنعم بها علينا»: ἐχαρίτωσεν

لقد نحت بولس الرسول من اسم **«النعمة»** فعل **«ينعم»** ربما على مثيله في العبرية[11]. والقصد من تحويل النعمة إلى فعل «أنعم» و «ينعم» يحمل مفهوماً خطيراً، فمعروف أن ما أنعم به الله علينا في المسيح هو الفداء وغفران الخطايا والتبني والمصالحة والميراث في ملكوت الله. فكون الله يعطينا هذه الأعمال بحسب أسمائها شيء كأن يقول فدانا أو خلّصنا، ولكن أن يحسبها أنها **«إنعام»** فهنا يصبح الفداء أو الخلاص **«نعمة»** من الله وإنعاماً مطلقاً **لا من أعمال ولا باستحقاق.** كذلك، فلأن إنعام الله بالشيء لا يسترده، تصبح هذه الأعمال كلها كونها إنعامات، قائمة ثابتة أبدية ممنوحة من الله لا تحول ولا تزول! «السلام لكِ أيتها المُنعم عليها» (لو١ : ٢٨). وفي التقليد القبطي في الإنجيل: «أيتها الممتلئة نعمة» وباليونانية «أُنعمتِ» χαῖρε κεχαριτωμένη ، فإن كانت اللفظة اليونانية «أُنعمتِ» فهي تطابق التقليد القبطي إذ يعني أنها صارت مملوءة نعمة أو كلها نعمة!!!

وإن كان معنى **النعمة** χάρις في ذاتها هي **«الهبة غير المستحقة»** أي المجانية، فكلما تمجدت النعمة في عطيتها زاد عدم استحقاقنا، وكلما زاد عدم استحقاقنا صرخنا بأعلى صوت بالشكر والتبريك والتسبيح، فالقول: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا» هو أقصى تعبير عن تقديم عبادة الشكر والتسبيح بأقصى ما يمكن من الاعتراف للآب بعدم الاستحقاق، إذ هكذا تنازل الآب بهذا الإنعام المجيد المجاني.

وقد عبَّر عن النعمة ق. بولس أيضاً هكذا: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو٣ : ٢٤). وصورة النعمة بهذا الوصف لم تفارق ذهن بولس الرسول: «الله الذي هو **غني في الرحمة،** من أجل **محبته الكثيرة،** التي أحبنا بها ــ ونحن أموات بالخطايا ــ أحيانا مع المسيح. **بالنعمة** أنتم مُخلَّصون» (أف٢ : ٤و٥)، «لأنكم **بالنعمة** مخلَّصون ــ بالإيمان ــ **وذلك ليس منكم، هو عطية الله،** ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف٢ : ٨و٩). ويعلّق على عمل نعمة الله العلاّمة لايتفوت في أحد أقواله فيقول: [هنا تظهر عظمة ومجد عمل الله الذي أكمله

11. Bruce, *op. cit.*, p. 258.

لنا بالفداء، فهو لا يقوم على عقد اتفاق بل على عظمة العاطي.](١٢)

أمَّا لليهود فلم يظهر سر الفداء بقوته الأخَّاذة، أمَّا للأمم فهو في نظر ق. بولس: «الذين أراد الله أن يُعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو١ :٢٧). ونحن لو نتتبع ق. بولس هنا، ندرك مقدار عمق انفعاله بهذه النعمة إذ طغت على كل تفكيره:

+ «حسب غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة.» (أف١ : ٧و٨)
+ «لنكون لمدح مجده.» (أف١ :١٢)
+ «بالنعمة أنتم مخلَّصون.» (أف٢ :٥)
+ «لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان.» (أف٢ :٨)

ويقيناً، يا قارئي العزيز، قد تحرك قلبك الآن لتدرك أنك مدعو لتعيش في ملء هذه النعمة التي لا تقوم على استحقاق الآخذ بل على عظمة المُعطي وعلى غناه الذي يفوق كل حد، القادر أن يبتلع ضعفنا وفقرنا وعدم استحقاقنا. ويزيد ويقول: «مملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمجد الله وحمده» (في١ :١١). وتعجَّب معي، يا قارئي العزيز، فهو هنا لا يطلب منك ثمر البر بل يعطيه لك بلا كيل، بلا ثمن، كحق بلا مقابل، إلاَّ شيئاً واحداً فقط وهو أن تمجد الله الذي أعطاك وتمدحه لأنه تجاوز عن كل ضعفك وفقرك وجهالاتك.

«في المحبوب»: ἐν τῷ ἠγαπημένῳ

هذا هو الموضع الوحيد في العهد الجديد كله الذي ذُكر فيه المسيح بصفة **المحبوب**(١٣)، ولكنه أخذها من الآب تعبيراً عمَّا صرنا نحن إليه فيه!! بعد أن كنا أعداء:

+ «عالمين أيها **الإخوة المحبوبون** ἀδελφοὶ ἠγαπημένοι من الله اختياركم.» (١تس١ :٤)
+ «وأمَّا نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها **الإخوة المحبوبون** من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.» (٢تس٢ :١٣)

ونرجو ونلح على القارىء أن ينتبه للارتباط الشديد بين الآية التي نحن بصددها في رسالة أفسس وهذه الآيات العجيبة التي ترتبط فيها صفة **«المحبوبون» بالاختيار، منذ البدء**، الأمر

12. Cited by Abbott, *op. cit.*, p. 10.
13. Westcott, *op. cit.*, p. 10.

الذي يستحق الشكر كل حين كما جاء في رسالة أفسس لمدح مجد نعمته. فهو منهج شديد التواصل والرباط، راسخ في إيمان ق. بولس ورؤيته وخبرته الشخصية، وهو يثير فيه الشكر على الدوام والتسبيح والمدح لمجد نعمة الله. كل هذا يُدخلنا قسراً في هذا الإيمان البديع حقاً، فنحن مقهورون لنعمة الله، مستعبَدون لمديح نعمته، أسرى غنى محبته.

ولأجل هذا أيضاً نفهم سر توسل بولس الرسول لنا باعتبارنا هكذا قد صرنا قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، أي محبوبين: «فالبسوا **كمختاري** الله (اختارنا منذ البدء) القديسين **المحبوبين**: أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً ... وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال. وليملك في قلوبكم سلام الله الذي إليه دُعيتم في جسد واحد وكونوا شاكرين» (كو٣: ١٢-١٥). ونحن هنا نشعر بمنتهى صدق مشاعر ق. بولس وقوة الحق في هذا التوسل بل وسلطان الكلمة الملزم!!!

«في المحبوب» وأيضاً **«ابن محبته»** (كو١: ١٣)، **«هذا هو ابني الحبيب** الذي به سُررتُ» (مت٣: ١٧، ١٧: ٥). هنا المقصود أن يجمع بين الابن وحب الآب بصورة شديدة التماسك وبالذات التأكيد على المحبة، فهو الابن الوحيد القائم الدائم في الآب وهو والآب واحد، وهو أيضاً وفي ذات الوقت والحال محبوب من الآب أو أن الآب يحب الابن. لذلك قيل **«المحبوب»** وكفى أو **«ابن محبته»** أو **«الابن الحبيب»**. وكأن الابن قائم دائم في الحب الذي عبَّر عنه: «الكائن في حضن الآب» (يو١: ١٨)، أي الابن الكائن في الحب الأبوي، وهو تعبير ينفي عنَ البنوة أي انفصال عن الآب بأي حال من الأحوال، لأن القصد الشديد من المحبة هنا هو التعبير عن التماسك والتآلف والاتحاد بصورة مطلقة.

ولأن الابن الوحيد المحبوب تجسَّد، أي اتحد بجسد البشرية، فقد دخلنا ضمناً في مجال حب الآب عن رضا الآب، لأن التجسُّد كان بتدبير الآب وكان بدافع من حب الله للعالم: «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو٣: ١٦). فالتجسد أعلن محبة الآب ضمناً وعن إرادة، كما أعلن محبة الابن للبشرية بآن واحد. فنحن في المسيح يسوع نتقبل محبتين: محبة الآب ومحبة الابن بآن واحد، وهاتان المحبتان تجعلنا بالتالي في حالة اتصال سري دائم بالآب والابن، وتشكلان فينا امتيازاً عن كافة الخلائق في السماء وعلى الأرض.

والآب أعطانا نعمته الخاصة أو أنعم بها علينا في المسيح الابن المحبوب، وكان من المستحيل أن ينعم بها علينا منه مباشرة، لأن علاقتنا الأصلية بالله هي عن طريق الابن الذي به خلق كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو١: ٣).

هذا من جهة الصلة الأساسية بالخلق. ومن جهة أخرى، فلأن المطلوب **بالنهاية** هو أن تكون العلاقة التي تربطنا بالآب «**كأبناء**»، لذلك يتحتَّم أن نستمدها من الابن فتظلّلنا في النهاية المحبة الأبوية وندعو الله يا أبّا الآب بدالة البنوة التي نستمدها من الابن.

إذاً، فنعمة الآب أتتنا في الابن وبالابن لثلاثة أسباب:

أولاً: أننا مدعوون لننال التبني.

ثانياً: أننا محتاجون أن ندخل تحت المحبة الأبوية.

ثالثاً: أنه قد ترتب لنا كخليقة جديدة أن نأخذ صورة الابن، هذا من جهة. ومن الجهة الأخرى أننا في الأصل مخلوقون خلقتنا الأُولى بالابن ويتحتم أن ندخل التجديد بواسطة الابن أيضاً.

ولكن نهاية كل شيء أن الآب والابن واحد، والآب بالنهاية يصير الكل في الكل.

وهنا يتضح عمق بولس الرسول، إذ استطاع أن ينفذ إلى الآب مباشرة ليقدم له الشكر والمديح والتسبيح فقال: «**لمدح مجد نعمة الآب**»، رداً على أن الآب «**أنعم علينا بنعمته في المسيح**». والمعنى المقصود هو تمجيد نعمة الآب المجيدة التي فيها أخذنا الاختيار والتبني، ثم بعد ذلك الفداء وغفران الخطايا.

وصفة «المحبوب» كاسم بالنسبة للسيد المسيح، لم تُستخدم قط في الإنجيل في غير الرسالة إلى أفسس ولكن استخدمها الآباء الرسوليون بكثرة([١٤]).

ولكن على القارىء أن يتأمل كيف يمنحنا الله «مجد نعمته» بواسطة «ابن محبته». وكأن الله لا يكتفي أن يُظهر لنا منتهى اهتمامه إذ يهبنا «مجد نعمته»، بل أراد أيضاً أن يُظهر لنا مدى محبته بأن يهبها لنا بيد ابن محبته! هنا تعاظمت النعمة ضعفين، مجداً وحباً. فنعمة الآب في حد ذاتها «**مَجيدة**»، ولكن أيضاً حينما تأتينا بيد الابن الوحيد المحبوب فهي تكون قد تسامت جداً. ثم إن أردتَ أن تعرف كيف تسامت جداً بيد الابن، فانظر كيف مات على الصليب ليقدمها لنا!!!

لذلك كم يوعينا ق. بولس من جهة هذا الأمر:

+ «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين (بالنعمة) = بدم المسيح.» (أف ٢: ١٣)

---

14. Abbott, *op. cit.*, p. 10.

ثم إلى أي حد وصل المسيح في علاقته بنا؟

+ «لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر (أن تنزع نعمته منا) أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.» (رو٨: ٣٨-٣٩)
+ «الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه **غير حاسِبٍ لهم خطاياهم ...**» (٢كو٥: ١٩)
+ «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين (لتكميل نعمته علينا).» (رو٨: ٣٢)

للتذكرة:
صفحة ٧٥: أولاً: المقاصد الأزلية قبل الزمن.

[١ : ٧ و ٨]

ثانياً: في صميم الزمن
الفداء وغفران الخطايا

١ :٧ **«الذي فيهِ لنا الفداءُ بدمِهِ غفرانُ الخَطايا حَسَبَ غِنى نِعمَتِهِ».**

تكملة للآية السابقة بنوع من الامتداد في معنى عمل مجد نعمة الآب.

هنا يحاول ق. بولس أن يوضح ما تم من عمل النعمة بواسطة المسيح ابن محبته شخصياً!! فالابن لم يأتِ لنا بالفداء **خارجاً عنه**، أو كعمل إضافي، بل إنه أكمل الفداء حسب نعمة الله بأن **قدَّم نفسه «فدية»** بالموت ـــ أشنع موت ـــ على الصليب.

«فيه لنا الفداء بدمه»: ἐν ᾧ ἔχομεν τὴν ἀπολύτρωσιν

لقد اقتطع لنا من لحمه ودمه وصنع لنا خلاصاً بنزيف دمه حتى الموت. لذلك لاحِظ هنا قوله **«فيه** ἐν ᾧ **لنا الفداء»**، ليس به أو بواسطته، فالفداء كلَّفه حياته!! جروح ونزيف دم حتى الموت.

وممَّ كان الفداء في حقيقته؟ أو مِنْ أي خطر محدق بنا فدانا؟

+ «غضب الله مُعلَن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم.» (رو١: ١٨)

فهو فداء من غضب الله وعقابه، والثمن الذي دُفع في مقابل ذلك هو دم ابن محبته. فكلمة «الفداء» تحمل معنى دفع الثمن الفادح. فالإنقاذ من الموت إن كان بأمر صادر من الله، فلا يكون بأقل من الموت لمَنْ يستطيع وحده أن يعطي حياته. والإقامة من الموت ليست بأقل من أن تنجمع لها كل قوة الحياة بعمقها الإلهي، إذ يتحتم أن يكون عنصر اللاهوت الحي والمحيي قائماً

فيها لأن الله وحده هو الذي يميت ويحيي: «وما هي **عظمة قدرته الفائقة** نحونا نحن المؤمنين، **حسب عمل شدة قوته**، الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات! ...» (أف١: ١٩و٢٠)

فالفداء أكمله المسيح بأن أسلم جسده للموت من أجلنا، وبروحه الأزلي، وبقوة حياته الأبدية، أقامنا معه. فكلمة يفدي λυτροῦν تعني رسمياً **يحرِّر مقابل دفع قيمة الفداء مقدماً**. وكلمة «الفداء» كما جاءت هنا باليونانية ἀπολύτρωσιν **لا تفيد مجرد فداء، بل تفيد أن يحرر أو يفك مقابل فدية**. حيث يتحتم في هذه الصيغة المذكورة دَفْع الفدية.

والفداء الذي صنعه المسيح بدمه على الصليب يشمل إلغاء الموت الروحي للخطية، ومعه كل أنواع الإثم الفاعلة في موت الخطية من قريب ومن بعيد، الذي أدركناه والذي لم ندركه: «الذي بذل نفسه لأجلنا **لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً** في أعمال حسنة» (تي٢: ١٤). ومعروف أن ثمن الخطية موت، ودفع ثمن الفداء من الخطية لا يمكن أن يكون بأقل من موت، لأن الحكم بالموت صدر من الله الآب، لذلك كان لا يمكن أن يرفعه إلاَّ الابن. والابن لم يرفع الموت كحكم وقع علينا، بدوننا، بل أخذ جسدنا واتحد به ومات هو شخصياً بجسده الذي هو جسدنا، وهكذا دفع ثمن الموت بالموت **ونحن شركاء فيه**، أي أننا أكملنا حكم الموت الواقع علينا إنما في جسد المسيح الذي تقبَّل فيه حكم الموت لأجلنا. فالمسيح مات بالجسد ونحن متنا معه وفيه بالجسد:

+ «**لأنكم قد مُتُّم، وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.**» (كو٣: ٣)
+ «عالمين هذا أن **إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليبطل جسد الخطية** ...،
فإن كنَّا **قد متنا مع المسيح** نؤمن أننا **سنحيا أيضاً معه** ...» (رو٦: ٦و٨)

إذاً، ثمن الموت، أي الفدية، كانت هي جسد المسيح الممزَّق على الصليب بنزيف دمه حتى الموت، وبآن واحد كان هو جسدنا؛ فاغتسلنا بدم المسيح واعتمدنا، وهو (المسيح) سلَّمَنَا جسده الذي مات به على الصليب ـــ وقام ـــ لنحيا به.

والسؤال: لمن دفع المسيح ثمن الفدية التي فدانا بها؟

والجواب: أنه **دفعها لنا نحن، إذ أعطانا جسده الذي فدانا به وقام**، فصرنا نحيا في جسد المسيح موضوع الفدية وثمنها، أي نحيا الفداء. لأن الفداء هو فداؤنا ونحن أصحابه. حتى دم المسيح المسفوك هو لنا وصار دمنا «لنا الفداء بدمه». ودمه صار فينا عربون الحياة الأبدية وصك غفران وتطهير وتقديس وبر، حتى إن أجسادنا الآن التي افتُديت والتي تقدَّست بجسد المسيح ودمه

تُحسب أنها ليست ملكاً لنا بل أصبحت له. لأن جسد المسيح ودمه محسوبان فينا، ونحن بهما نعيش وفيهما نُحسب قديسين: «لأنكم قد اشتُريتم بثمن، فمجّدوا الله **في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.»** (١كو٦: ٢٠)

المسيح دفع ثمن حياتنا بموته على الصليب وقيامته، فأصبحت حياتنا بجسده وروحه لحساب الله. هذا هو نتيجة الفداء، بل هذا هو معنى الفداء ἀπολύτρωσιν : إنقاذ من موت ونوال حياة وحرية **بثمن مدفوع**، ووضع علينا ختم الشاري الذي اشترانا بدمه فصرنا من خاصته أو عبيده عن افتخار:

+ «بولس عبد ليسوع المسيح.» (رو١: ١)
+ «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢كو٥: ١٥)
+ «قد اشتُريتم بثمن (تحرَّرنا) فلا تصيروا عبيداً للناس.» (١كو٧: ٢٣)

«بدمه»: διὰ τοῦ αἵματος αὐτοῦ

هنا يرتفع الصليب أمامنا في الحال، فذكر الدم يستحضر عمل الصليب الكفاري على مستوى الذبيحة الحية الناطقة.

هنا تعريف عملي بمعنى الفداء والموت، هنا الدم مسفوك، ففي الحال يُبحث عن السبب، ولا سبب معروف قط يؤدي إلى سفك الدم إلاّ الخطية: «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب٩: ٢٢). ولكن دم المسيح يحمل حياة، ولأنه دم الابن الوحيد فهو يحمل حياة أبدية أو روحاً أزلياً.

مفاعيل دم المسيح:

يلزمنا جداً أن نعرف كيف يعمل دم المسيح فينا ولنا. وقد جمَّعنا عن العالِم وستكوت[١٥] أربع حالات يعمل فيها الدم: **الأُولى** يكون واسطة، **والثانية** سبباً، **والثالثة** حالة قائمة دائمة، **والرابعة** وسيلة أو أداة. وجميل حقاً أن نحصر فكرنا في دائرة عمل الدم بهذا الحصر البديع:

١ ــ بواسطة: διὰ τοῦ αἵματος

+ «الذي فيه لنا **الفداء بدمه** غفران الخطايا حسب غنى نعمته.» (أف١: ٧)
+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي **اقتناها بدمه.**» (أع٢٠: ٢٨)

---

15. Westcott, *op. cit.*, pp. 11, 12.

+ «ليس بدم تيوس وعجول بل **بدم نفسه** دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.» (عب٩: ١٢)

٢ ــ بسبب: διὰ τὸ αἷμα

+ «وهم غلبوه **بدم الخروف** وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت.» (رؤ١٢: ١١)

٣ ــ حالة قائمة: ἐν τῷ αἵματι = في دمه:

+ «فبالأولى كثيراً ونحن **متبررون بدمه** نخلص به من الغضب.» (رو٥: ٩)
+ «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين **بدم المسيح.**» (أف٢: ١٣)
+ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة **بالدخول** إلى الأقداس **بدم يسوع.**» (عب١٠: ١٩)
+ «ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البِكْر من الأموات ورئيس ملوك الأرض الذي أحبنا **وقد غسَّلنا من خطايانا بدمه.**» (رؤ١: ٥)
+ «وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت **واشتريتنا لله بدمك.**» (رؤ٥: ٩)
+ «فقلت له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة **وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف.**» (رؤ٧: ١٤)
+ «الذي قدَّمه الله **كفَّارة بالإيمان بدمه** لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو٣: ٢٥)
+ «كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشَّوا قائلاً: هذه الكأس هي **العهد الجديد بدمي.**» (١كو١١: ٢٥)
+ «وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس **بالدم**، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة.» (عب٩: ٢٢)
+ «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح **بدم العهد الأبدي...**» (عب١٣: ٢٠)

٤ ــ وسيلة أو أداة: αἵματι

+ «عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل **بدم كريم** كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح.» (١بط١: ١٩)

ولنا أن نتصوَّر المسيح مصلوباً والدم يتقطر من جسده قطرة قطرة في نزيف أفضى إلى الموت، كان ذلك أفزع عملية منظورة انطبعت على جبين العالم والدهر، ارتعدت لها السماء واظلمّت، واهتزت لها الأرض وتزلزلت، ودخلت صورتها أعماق قلب الإنسان لتقنعه بفظاعة خطيته، وصدق وكمال غفرانها بآن واحد.

ولكن مغفرة الخطايا لا تقف وحدها كثمن للدم المسفوك، بل إن وراءها التحرُّر من قيودها، لأن الخطية هُزمت نهائياً **بهزيمة عقوبة الموت** على الصليب[١٦]. المسيح أمات الموت وألغاه بموته، فللحال تقطعت أوصال الخطية التي رُبط بها آدم منذ الدهر وأتته الحرية صاغرة كتاج.

المسيح على الصليب لم يتعامل مع الخطاة بأسمائهم ليفكَّهم واحداً واحداً **بل تعامل مع الخطية، وأبادها**، فذهبت عبوديتها إلى غير رجعة. فلما أباد الموت، تحرَّر الخطاة، وعاشوا واحداً واحداً، ونالوا إكليل الحياة اسماً اسماً: «أين شوكتك يا موت؟ أين غَلَبتكِ يا هاوية؟ أما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس.» (١كو١٥: ٥٥و٥٦)

«غفران الخطايا»: τὴν ἄφεσιν τῶν παραπτωμάτων

وتعني فك الإنسان من رُبُط الخطايا، حيث «الخطايا» هنا باليوناني تأتي بمعنى التعدي، وهذا خطير. لأن الخطايا وتعني بالإنجليزية Sin وباليونانية ἁμαρτιῶν هي الانحرافات التي تبعد الإنسان عن الله، أمّا التعديات وهي بالإنجليزية Trespasses وباليونانية «البَرَابْتُوما» فهي خطيرة وهي تعني التعدي المباشر على الوصية التي تُحسب تعدياً على كرامة الله وقداسته[١٧].

فخطية آدم التي أخرجته من الفردوس هي παράπτωμα (رو٥: ١٥)، والخطية التي ليس لها غفران تأتي بالفعل παραπίπτω المشتق من παράπτωμα (عب٦: ٦). وهي الخطايا المميتة التي ليس لها غفران. والآن فإن الفداء بدم المسيح هو الذي فك رُبُط التعدي، الذي أورث الإنسان اللعنة وحكم الموت بالأساس. ويقول العالِم وستكوت[١٨] إن هذا المعنى وهو الأقوى والصحيح لم يأتِ إلاَّ في هذا الموضع من الرسالة إلى أفسس، أمّا بقية الأوضاع فتقول بغفران الخطايا ἁμαρτιῶν .

والسؤال: كيف أن سفك دم المسيح على الصليب يغفر الخطية؟ بمعنى يفك رُبُط الإنسان

---

(١٦) هذا منطق القضاء لأنه إذا أُلغيت عقوبة الإعدام عن القاتل تحرَّر في الحال.

(١٧) سنعود إلى شرح ذلك بخصوص الآية (أف٢: ١): «وأنتم أموات بالذنوب والخطايا».

18. Westcott, *op. cit.*, p. 12.

ويطلقه حراً من تحت عبودية الخطية، كيف؟

العجيب هنا أن يرد بولس الرسول ويقول: «حسب غنى نعمته». يا لمجد الله! وإن أردت أن تعرف المزيد، فعليك بالتأمل مرة أخرى في ابن الله الوحيد المحبوب مرفوعاً على خشبة الصليب، يحيطه العار، متروكاً من الله للذبح البطيء حتى يتصفَّى دمه على الأرض. هل هذا يكفي لتفهم معنى غِنَى نعمته؟ ولتقيس: إن كان هذا يكفي لمغفرة خطايا الإنسان وفك رُبُطه وإطلاقه حرًّا من تحت عبودية الخطية؟ ولكن في المعيار العام نقول إن الإنسان بخطيته مات روحياً **وفقد الحياة التي له**، أفلا يكفيه أن يسفك ابن الله **دمه**، **وهو فيه ملء الحياة الأبدية**، على ذمة الإنسان الخاطيء، ليصير دم المسيح كله له بكل الحياة التي فيه؟ فيقوم الإنسان من موته وينال الحياة بل وملء الحياة؟

ولكن يبقى بعد كل فهم وتحليل أن السبب الأساسي لمغفرة الخطايا بسفك دم المسيح هو: **«غِنَى نعمة الله»!**

+ «**متبررين مجاناً بنعمته** بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفَّارة **بالإيمان بدمه لإظهار برِّه**، من أجل **الصفح عن الخطايا** السالفة بإمهال الله، لإظهار برِّه في الزمان الحاضر **ليكون باراً ويبرِّر من هو من الإيمان بيسوع**.» (رو٣: ٢٤-٢٦)

وكأن ق. بولس يقول: إذا لم يكن تكفيك **«غنى نعمته»** لتكون هي سر الغفران، فليكن **«بر الله»** الذي يبرر الخاطيء بل الفاجر، ثم إذا سألت: لماذا؟ فالجواب: لأن «الله بار» **وهو يبرر كل من كان في الإيمان بيسوع المسيح!** هل تؤمن؟

٨:١ «**التي أجزلَها لنا بكلِّ حكمةٍ وفطنةٍ** ἐν πάσῃ σοφίᾳ καὶ φρονήσει».

كانت هذه الآية مثار انقسام في التفكير بين العلماء، فبعضهم يضيف الحكمة والفطنة على النعمة، أي يضيفها على الآية السابقة، وبعضهم يضيفها إلى كلمة «عرَّفنا» أي إلى الآية اللاحقة. غير أن الحكمة والفطنة قد يجوز نسبتها لله ولكن الآية لا تحتملها. كذلك كلمة **«كل»** πάσῃ. فـ «كل» هنا لا تشمل المطلق، فـ «كل» الحكمة هنا لا تتناسب مع الله، لأن πάσῃ σοφίᾳ تعني فقط **كل الحكمة الممكنة!!** all possible wisdom. ولكن حكمة الله يتحتم أن تكون **كلية مطلقة** = وتكون باليونانية πολυποίκιλος σοφία (١٩) أي «حكمة الله

19. Meyer, *op. cit.*, p. 319.

المتنوعة» (أف٣: ١٠) بكل استعلاناتها وأنواعها.

ويقول العالِم الألماني ماير أن الحكمة والفطنة هما هنا فيما يخص النعمة، ليس من جهة ما هي أو مضمونها لأن هذا أوضحه بأعمال الفداء، ولكن **فيما يخص استعلانها من جهتنا**. فالله أجزل لنا النعمة أي ضاعفها، وأعطانا كل الحكمة وكل الفطنة اللازمة لاستعلانها. وهذا الشرح هو المقبول. ونحن نقول إن الحكمة والفطنة استودعها الله قلوبنا إزاء غنى النعمة المضاعفة، حتى نستعلن هذا الغنى المضاعف، وإلاَّ تبقى النعمة غنية في ذاتها فقط، ولكن الله أعطاها بغنى مضاعف لكي ندرك نحن هذا الغنى ونعيشه، لذلك أمدَّنا **بكل الحكمة المكنة** (ἐν πάσῃ σοφίᾳ) وكل الفطنة المكنة؛ حيث **بالحكمة** ندرك حكمة الله أي دقة مقاصده وإفراز الحق بسهولة، أمَّا الفطنة فهي الوعي المنفتح لإدراك ما يريده الله لنا، أي تعمل فيما يخصنا لتجعله جاهزاً للعمل. أي أن الحكمة، كما يقول وستكوت([٢٠])، هي لإدراك المبادىء؛ بينما الفطنة لإدراك الأعمال. كذلك فالفطنة هي بنت الحكمة كما تجيء في سفر الأمثال (١٠: ٢٣) عن السبعينية: ἡ σοφία ἀνδρὶ τίκτει φρόνησιν ومعناها: «الحكمة تلد فطنة للإنسان». وفي الآية القادمة سيرى القارىء القصد الحقيقي من مضاعفة النعمة بكل غنى، وإعطائنا كل الحكمة والفطنة إذ يقول: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته». إذاً، هنا تنبري كل الحكمة وكل الفطنة لتواجه ضرورة التعرف على سر مشيئة الله المذخر فيها غنى نعمة الله دائماً.

20. Westcott, *op. cit.*, p. 12.

للتذكرة:
صفحة ٧٥: أولاً: المقاصد الأزلية قبل الزمن؛ صفحة ١٠٣: ثانياً: في صميم الزمن.

[١ : ٩ و ١٠]

ثالثاً: في ملء الدهور = نهاية الزمن
يجمع كل شيء في المسيح

١ : ٩ **«إذ عرَّفنا بسِرِّ مشيئتِهِ حَسَبَ مَسَرَّتِهِ التي قَصَدَها في نفسِهِ».**

هنا ندخل في المنهج الذي وضعه الله، فقد أجزل لنا النعمة أضعافاً مضاعفة، وبغِنًى، وآزرها فينا بالحكمة والفطنة. ولكن لا النعمة وحدها قادرة أن تعمل شيئاً، ولا الحكمة والفطنة بدون الله قادرة أن تدرك أسرار مقاصد الله.

لذلك يكمّل هنا المنهج إذ يقول إنه **«عرّفنا بسر مشيئته»**. فأصبح عمل الحكمة هنا هو إفراز مقاصد الله ومشيئته التي قصدها في نفسه! لندركها في عمقها. ثم عمل الفطنة هو ترجمة مقاصد الله التي قصدها في نفسه إلى ما يخصنا لنعمله. وفي هذا كله لا تكف نعمة الله التي أنعم بها علينا في المحبوب من العمل فينا لندرك موقعنا من المسيح ثم موقعنا من الله الآب الذي فيه تكمل كل مقاصد الله منذ الدهور أو قبلها.

«سر مشيئته»: μυστήριον

معنى «السر» هنا وفي كل الإنجيل لا يفيد شيئاً سرياً غير معروف، ولكن أمراً خفياً صار مُستَعْلَناً. فسرُّ المسيح كان مكنوناً أو مكتوماً منذ الدهر ولكن الآن **أُعلن** للبشر. وسر الصليب كان أمراً غريباً وغير معروف، ولا مفهوم، ولكن الآن صار معروفاً ومعلَناً. وسر الخلاص هكذا كان أمراً غير معروف، والآن صار معروفاً ومُمارَساً. وقد يكون للسر المستعلن الآن بقية استعلان ننتظرها بفارغ الصبر مثل سر القيامة وأيضاً سر الفداء والخلاص. وعلى العموم فأسرار المسيح كلها قد أُعلنت وهي كلها تعبِّر عن مشيئة الله بل ومسرَّته:

+ «السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال (في الله)، الآن قد أُظهر لقديسيه الذين أراد الله أن يعرِّفهم (مسرة مشيئته بحسب) غنى مجد هذا السر (سواء لليهود أو الأمم)، الذي هو المسيح فيكم **رجاء المجد.**» (راجع كو١ : ٢٦و٢٧)
+ «لكي تتعزى قلوبهم "**مقترنة في المحبة**" لكل "**غنى يقين الفهم**" لمعرفة سر الله الآب والمسيح.» (كو٢ : ٢)

وسر الله الآب والمسيح أو في المسيح سوف يستعلنه ق. بولس لنا أكثر، كونه هو المحبة الفائقة المعرفة التي للآب في المسيح والمسيح للآب والمطروحة لنا الآن لنتعرف عليها بمقتضى عطية خاصة نطلبها، وهي روح الحكمة والفهم واستنارة عيون قلوبنا وتقوية خاصة للروح في الإنسان الباطن ليحل المسيح نفسه في قلوبنا ليعرِّفنا سر حب الآب فيه، وسر حبه للآب الذي هو بعينه «كل ملء الله»، والذي نحن مدعوون في المسيح أن نمتلىء به (٣: ١٩).

وكون الله أراد أن يعرِّفنا بسر مشيئته، فإن كل معرفتنا تُصبح دائماً مرتبطة ومعتمدة على هذه المشيئة التي يعلنها لمتَّقيه. وهي تتوقَّف أيضاً على رغبة ومشيئة الإنسان أن يعرفها بحسب الحكمة والفطنة التي يجزلها الله للإنسان الذي يطلب مزيداً لخلاصه، والتي تلزم حتماً لإدراك مقاصد الله. لذلك يعطيها الله بلا كيل لكل من يطلب.

ومن تدرُّج هذه الآيات المختصرة جداً وبسرعتها الخاطفة، يلزمنا أن نلاحظ أن ق. بولس الرسول بعد أن ركَّز على النعمة وأفاض في مجدها وغناها وسخائها المضاعف، دخل في موضوع «سر مشيئة الله»، وألمح إلى «القصد» الذي بيَّته الله في نفسه من نحونا في النهاية، والمرتكز على المسيح. وإن كان ق. بولس قد كشف طرق الله التي تعامل بها مع شعبه في الآيات السالفة، كما كتب: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه»، فهو يبدأ هنا ليكمل هذا الاستعلان من جهة المجد القادم. وهذا يتضح جداً في الآية (١٨) القادمة: «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء **دعوته** وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين». وسوف نرى أن ق. بولس سيركز على الرجاء الذي لنا والذي ننتظره في المسيح لأنه مصدر عزاء يشدّ من أزر إيماننا: «السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهِرَ لقديسيه، الذين أراد الله أن **يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر** في الأمم الذي هو **المسيح فيكم رجاء المجد**» (كو١: ٢٦و٢٧). أي أن المجد القادم يضمنه المسيح لنا منذ الآن. على أن اشتراكنا في المجد العتيد هو جزء من عمل النعمة لا يتجزأ من إيماننا الحاضر:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس **بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا.**» (رو٨: ١٨)

بل وإن شركة الخليقة كلها في استعلان مجد أولاد الله جزء آخر من إيماننا وانتظارنا:

+ «لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتَق من عبودية الفساد إلى **حرية مجد أولاد الله.**» (رو٨: ٢١)

فانظر، عزيزي القارىء، كيف يقدم لنا ق. بولس في هذا الأصحاح، إنما بصورة مركَّزة للغاية، أولاً أعمال نعمة الله مع الإنسان منذ البدء وقبل تأسيس العالم من اختيار وتبنِّي ثم كفداء

وغفران خطايا، ثم يبدأ يسرد لنا مفردات أمجاد الخلاص، وبعد ما يخص الإنسان يعود ليكشف لنا علاقة سرية عجيبة بين الله والخليقة، فقد كشف كيف بيّت الله في نفسه منذ الأزل أن يجمعها كلها في ابنه: «**أن يصالح به (المسيح) الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.**» (كو١ : ٢٠)

إذاً، فوراء فداء الإنسان لا يزال للمسيح عمل في الخليقة واقعٌ في صميم سر الفداء والخلاص: «الله كان في المسيح **مُصالِحاً العالم لنفسه**» (٢كو٥ : ١٩)، حيث بالنهاية يقدم المسيحُ للآب العالمَ في حالة مصالحة مجموعاً فيه وتحت رئاسته.

١ : ١٠ «**لتدبيرِ مِلْءِ الأزمنةِ ليجمَعَ كلَّ شيءٍ في المسيح ما في السَّمواتِ وما على الأرضِ في ذاكَ**».

والآن هوذا ابتدأت خطة الله تتشكل أمامنا بوضوح على نوع ما، عمَّا فعله وما يزال يفعله في المسيح وما سيفعله في ملء الأزمنة، بمعنى أنه يبلغ كماله على مستوى الفعل المنظور عندما يبلغ الزمن أقصاه.

وهذا ما يمكن أن نسميه بلغتنا أنه "بروجرام" الله على مدى التاريخ، الذي وضعه قبل التاريخ.

«لتدبير ملء الأزمنة»:

تدبير = οἰκονομίαν ، **ملء** = πληρώματος ، **الأزمنة** = καιρῶν .

فما هو معنى التدبير؟ لقد استُخدِمت هذه الكلمة أول ما استُخدِمت في معنى **إدارة منزل أو وظيفة مَن يدير المنزل ويتحمل مسئوليته**[21] «إيكونوموس». وهنا تستخدم الكلمة في معناها من حيث مسئولية الإدارة للشيء وتحمُّل مسئوليته كوكيل أمام الله: «**فالكنيسة تُدعى بيت الله**» على أساس أن «**الله هو الذي يدبرها**» و«**الرب يسوع هو رب البيت أو الرأس**»، ومن تحت المسيح يوجد الخُدّام على درجاتهم وأنواعهم، رسلاً وأنبياءَ ومبشرين ومعلمين ورعاةً:

+ «هكذا فليحسبْنا الإنسان **كخدام "المسيح" ووكلاء سرائر "الله"**. ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً.» (١كو٤ : ١و٢)
+ «فإنه إن كنت أفعل هذا طَوْعاً فلي أجر، ولكن إن كان كَرْهاً فقد استؤمِنتُ

21. Francis Foulkes, *Ephesians, An introduction and commentary,* Inter-Varsity Press, 1991, p. 61.

على **وكالة** οἰκονομίαν .» (١كو٩:١٧)

+ «لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم **كوكيل الله**.» (تي١:٧)
+ «ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً **كوكلاء صالحين على** نعمة الله المتنوعة.» (١بط٤:١٠)

هذا هو نظام إدارة حكومة الله من نحو شعبه وبيته.

هذا النظام عينه يراه ق. بولس أنه سيطبَّق على العالم في ملء الزمن حيث المسيح فيه هو «الإيكونومس» الأعلى ــ أي الرأس ــ لحساب مشيئة الله، يرتِّب كل شيء فيه في زمانه المكتمل أو في **ملء زمانه** المرتَّب أو الموضوع. ولكن بولس الرسول يستخدم كلمة «الزمن» καιρός وليس χρόνος ، والثانية تفيد الزمن بمفهومه العام الذي يفلت من بين أيدينا يوماً بعد يوم، يغيِّر ويقلب كل شيء وهو نفسه ليس له وجود. أمّا الزمن بمعناه الأول فيعني الأزمنة المحددة للأشياء كأزمنة التجديد أو الخلاص وأزمنة المجد القادم، أي الأزمنة المحددة لتكميل أغراض الله في الخليقة.

فملء الزمن(٢٢) عند الله، بحسب فكر ق. بولس، يعني: عندما تكمل مقاصد الله المحددة بسلطانه كما خطَّطها، لينفذها المسيح في أزمنتها المحددة، ويبلغ كل شيء مِلأه أو اكتماله. **هذا هو ملء الزمن**، وهذا هو المعنى الذي عبَّر به ق. بطرس عن سر مدة بقاء المسيح في السماء الذي يعتمد على بلوغ «ملء الزمن» هذا بقوله:

+ «فتوبوا وارجعوا لتُمحَى خطاياكم، لكي تأتي **أوقات الفرج** من وجه الرب، ويُرسِلَ يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى **أزمنة رد كل شيء**، التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (أع٣: ١٩-٢١)

«يجمع كل شيء»: ἀνακεφαλαιώσασθαι

هذه الكلمة تعني في تركيبها اليوناني: «يجمع كل شيء ويبرزه ككل متحد في واحد». وأصل استخدام الكلمة في الحياة عند اليونان بديع حقاً، فإنها كانت تستعمل للتدليل على مجموع أرقام أي أعداد في كشف ما يوضع **المجموع العام أعلاها** (وليس أسفلها كما نعمل الآن)، هذا المجموع المرصود في أعلى كشف الأعداد يُدعى كيفالَيون. ولكن استعارها الأدباء اليونان في البلاغة

(٢٢) الزمن ينقسم إلى ثلاث أحقاب: الأولى زمان شقاء الإنسان وهو **زمان الخطية** الذي اكتمل بمجيء المسيح، والثانية **زمان الفداء** الذي اكتمل بموت المسيح على الصليب، والثالثة التي ابتدأت بالقيامة وهي **زمان الخلاص** وتكتمل بمجيء المسيح الثاني.

للتدليل على **مجموع أخبار أو مواضيع يوضع لها عنوان تدليلي يجمعها**، أو يوضع كتذييل يلخِّصها، **وهكذا يعطي ملخصاً لعلاقة كل معلومة بمفردها بالنسبة للكل**. وقد عبَّر عنها الآباء بكلمة أخرى لاتينية وهي recapitulare وتعني «يجمع ما تحت رأس». وقد استخدمها بولس الرسول في الرسالة إلى رومية هكذا:

+ «لأن لا تزنِ لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هي **مجموعة** ἀνακεφαλαιοῦται في هذه الكلمة أن تحب قريبك كنفسك.» (رو١٣: ٩)

بهذا المعنى تماماً يستخدم ق. بولس هذه الكلمة التي تُرجمت «**يجمع** كل شيء» في شرح خطة الله الأزلية التي قصدها منذ الدهور، لتكمُل في اكتمال زمان الخلاص بالنسبة للخليقة كلها حينما يجمعها معاً في المسيح. وهو تعبير جيد إذ يعطي في النهاية إجابة عن معنى وسبب وموقع كل مخلوق أو خليقة من الله بواسطة المسيح والكل في خضوع إلهي وانسجام فائق.

وهذه الكلمة تحوي هنا ثلاث عمليات: (١) استعادة الشيء أو تجديده، (٢) وحدة الأشياء، (٣) إبراز المسيح كرأس لها.

وقد عبَّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي بأكثر توضيح إذ يقول:

+ «لأن فيه سُرَّ أن **يحل كل الملء، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات**.» (كو١: ١٩و٢٠)

وهذا يعني أن المسيح سيصالح كل أجزاء الخليقة، الواحد بالآخر، ثم بالله، بعد الذي صنعته الخطية في الخليقة من تفتت وانقسام وعداوة شديدة أبعدت الكل عن أنفسهم وعن الله. لذلك لزم التوحيد العام بالرأس الواحد المسيح في وحدة مكتملة ناضجة مثمرة كما يقول ق. بولس في رسالة رومية: «لأن منه وبه وله كل الأشياء، له المجد إلى الأبد. آمين.» (رو١١: ٣٦)

فبعد الخزي والشعور بالخجل والعار يعود الإنسان ومعه الكل يفتخر بالله!!

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صُولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالَحون نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة.» (رو٥: ١٠و١١)

ولكن هذه النهاية الفاخرة إنما هي واقعة حتماً بعد أن تتحد الكنيسة أولاً، لأنها هي التي

ستضطلع بالملء لأنها هي جسد المسيح الذي سيجمع الكل مُصالَحاً فيه، بدمه المدفوع ثمناً لكل مصالحة. وبذلك تحقق الكنيسة ذاتها واسمها!! وهذا هو المعنى المخفي وراء «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله» (رو٨: ١٩)، «لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو٨: ٢١). هنا الرباط بين الكنيسة والخليقة التزامي وجوهري للغاية.

فبولس الرسول يوضِّح هنا غرض الله في استرداد وتجديد كل الخليقة وجمعها معاً لتتعرف على رأسها الذي به وله قد خُلقت: «وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو١: ٣)، وتظهر فيه ومعه مؤتلفة:

(أ) «فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء **وفيه يقوم الكل.**» (كو١: ١٦و١٧)

ويعبِّر عن ذلك ق. بولس في الرسالة إلى العبرانيين أشد التعبير بقوله:

«وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب١: ٣)

(ب) «وأجلسه عن يمينه في السماويَّات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل **رأساً فوق كل شيء.**» (أف١: ٢١و٢٢)

أي الذي يجمع مفردات كل شيء في نفسه.

(ج) «كلَّمَنَا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي **جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين.** الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره **وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته،** بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي، **صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم.**» (عب١: ٢-٤)

(د) «إذ أُخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها (آدم) على الرجاء، لأن الخليقة نفسها ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن.» (رو٨: ٢٠-٢٢)

«لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله.» (رو٨: ١٩)

واضح هنا الدرجات التي عبرت عليها الخليقة:

(أ) أكمل المسيح خلقتها وهي قائمة فيه.

(ب، ج) أُخضعت تحت قدميه، وهو رأسها، بالقوة، بعد جلوسه في أعلى السموات.
(د) (١) بعد أن أُخضعت للباطل بسبب خطية آدم ولُعنت الأرض وصارت في فساد،
(٢) تنتظر الآن حصول الإنسان على كمال التبني وكمال الحرية وكمال فداء الأجساد، أي القيامة العتيدة، لكي تسترد حريتها وتتخلص من الفساد لتصير على مستوى حرية مجد أولاد الله.

ثم سوف نرى ق. بولس في هذه الرسالة يكمِّل هذا التجمع الهائل تحت رأس يجمع البشرية المنقسمة والمتقطعة الأوصال لعناصر وأجناس ذات حواجز فولاذية، كذلك انقسام وتعدد في الثقافات والسياسات، ولكن المسيح عاملٌ عمله ومُتمِّمٌ سَعْيه لكي يجمعها في وحدة تحت رأس واحدة وفي جسد واحد هو جسده: الكنيسة.

+ «هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢كو١٠: ٥)

ولكن لا يظن القارىء أن من هذه الآية الواحدة يمكن صنع نظرية كاملة تشمل العالم وكل الناس دون أن نعمل حساباً لفكر الإنجيل من جهة الحرية الكاملة في اختيار الإيمان من عدمه، وفي طاعة الله أو رفضه، وفي الإذعان لفعل الروح القدس أو معاندته. فالوحدة المعروضة هنا والتي تبدو مسكونية شاملة يمكن أن تكون واقعاً حياً بالنسبة للمؤمنين والمفديين، «لأن الإيمان ليس للجميع»!! (٢تس٣: ٢)

كذلك حينما يقول ق. بولس: «ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك»، لا يعني ضم الخليقة السمائية على الأرضية، ولكن يوضح قدرة المسيح على جمع الكل في نفسه، حيث لا يفقد الفرد شخصيته، لكن لا تعود هناك فوارق وحواجز وإنما وحدانية كاملة في الإيمان والفكر والرجاء والحب تجعل الكل وكأن لهم صورة واحدة مستمدة من المسيح ومطابقة للمسيح، فتتحوَّل الفوارق والفواصل التي صنعت الأحقاد والانقسامات والحروب إلى قوة وانسجام تدفع مَلَكات الإنسان إلى قمة قدراتها على مطابقة فكر الله وحبه. من هنا يحدث الاتحاد الفائق الوصف لحساب مجد الله ومجد الإنسان في الله. فالوحدة في النهاية هي للمجد. ويقيناً هي قائمة اليوم جزئياً ينعم بها القديسون كسبق تذوُّق للمجد القادم:

+ «أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخُلقت.» (رؤ٤: ١١)

[١ : ١١-١٤]

رابعاً: تأمين الميراث لليهود والأمم

أول خطوة تمت في خطة اتحاد الإنسان لبلوغ الوحدة الكبرى النهائية

١١:١ «الذي فيه أيضاً نِلْنا نَصِيباً مُعَيَّنِينَ سابقاً حَسَبَ قَصْدِ الذي يَعْمَلُ كلَّ شيءٍ حَسَبَ رأيِ مَشيئتِهِ».

هام للغاية: يقول هنا «أيضاً» مضيفاً لما قاله في الآية (١٠): «ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك»، هنا يضيف: «الذي فيه أيضاً **نلنا نصيباً مُعيَّنين سابقاً**» كأول خطوة جبارة في دخول المتنافرات إلى وحدة الروح المنسجمة في المسيح.

«نلنا نصيباً»: ἐκληρώθημεν

الكلمة اليونانية = اكليروثيمن تعطي معنى الكلمتين معاً «**نلنا نصيباً**». وأصل الكلمة κληρόω وتعني «يُختار بالقرعة» وتحولت الكلمة لتفيد معنى «النصيب» خاصة بالنسبة لإسرائيل أنه «نصيب» الله:

+ «وأنتم قد أخذكم الرب وأخرجكم من كور الحديد من مصر لكي تكونوا له "شعب ميراث" λαὸν ἔγκληρον كما في هذا اليوم.» (تث٤ :٢٠)

ومنها اشتُقت كلمة اكليرونوميا = ميراث، وذلك بتداعي المعنى من «نصيب الرب» إلى «أصحاب ميراث الرب».

هنا ق. بولس يتكلَّم فيما كان في العهد القديم بالنسبة لليهود، حينما بدأ الرب باليهود فجعلهم من نصيبه الخاص وشعبه المحبوب ليعبِّر عن قصده النهائي من الإنسان ككل. وكأنما يريد بولس الرسول أن يقول:

أمَّا نحن اليهود فقد سبق أن امتلَكَنا الله ـــ أي أننا صرنا من نصيبه، وذلك حسب قصده (الذي سيظهر بالنهاية) وحسب رأي مشيئته، أي بما يناسب إرادته (في أن يجمع الكل فيه).

ويُلاحَظ هنا أنه يقول «نحن» للتعبير عن اليهود وهو من جملتهم، ثم يعود ويقول «أنتم» للتعبير عن الأمم. وهذا يعني أن فداء العالم بدأ أولاً باليهود الذين بدأوا برجائهم في المسيَّا، الذي

انتهى بالمسيح. وبذلك شكَّل اليهود في صورتهم السابقة كشعب ميراث الله، جزءاً أساسياً من قصد الله:

+ «حين قَسَّمَ العلي للأمم، حين فرَّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب، حسب عدد بني إسرائيل. إنَّ قِسْمَ الربِّ هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه.» (تث ٣٢: ٨و٩)

صحيح أنهم عصوه وعاندوه وأعطوه القفا دون الوجه، ولكن قصده حسب مسرة مشيئته ظل قائماً يشق طريقه وسط الصخر لا يميل ولا يحيد. لأنه حتى عصيان العصاة ومقاومة الخطاة وطغيان الملوك والولاة محسوبٌ كله سابقاً، بل وموضوعٌ حدوده ومعروف بنوده:

+ «القائل بفم داود فتاك (النبوة كسبق تعريف بأعمال الخطاة) لماذا ارتجت الأمم وتَفكَّر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، (التطبيق): لأنه بالحقيقة (تمَّت النبوة) اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحْته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل، ليفعلوا **كل ما سبَقَتْ فعيَّنت يدك ومشورتك أن يكون!!**» (أع ٤: ٢٥-٢٨)

هذه من أروع أنواع الصلوات، إذ يُذكِّرون الله بأن كل ما حدث من رفض واضطهاد أنت سَبَقْتَ وأعلنته، وبهذا يرفعون من مستوى الحدث المؤلم إلى مستوى صدق الله، وهكذا يمجدونه!!

والقصد هنا من الآية (١١) أن إسرائيل مهما أظهرت من جحود وعمى بصيرة وغلاظة قلب وانسداد الأذن للسمع، فهي صاحبة فضل في الإعلان عن المسيَّا وتمسُّكها المجنون بمجيئه وانتظاره. فهي بذلك كانت أول مبشِّرة بالخلاص مع أنها حُرمت منه. ولا ننسى أن المسيحية هي هي إسرائيل الجديد، ويكفي إسرائيل القديمة فخراً أن اسمها لا يزال يحمله المفديون منهم مع بقية الأمم على السواء:

+ «فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلامٌ ورحمةٌ **وعلى إسرائيل الله!!!**» (غل٦:١٦)

+ «أمَّا نحن أيها الإخوة فنظير إسحق أولاد الموعد.» (غل٤:٢٨)

وهكذا يريد ق. بولس أن يقول، إنه كما الكنيسة الآن كذلك إسرائيل في القديم سواءً بسواء، جرى قصد الله بلا عائق عاملاً من أجل العالم!!

+ «الذين أعلن لهم، أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن.» (١بط١:١٢)

ولكن يعود ق. بولس ويقول: «**حسب قصد الذي يعمل** ἐνεργοῦντος **كل شيء حسب رأي مشيئته**». والكلمة «**يعمل**» هنا تفيد أن قصد الله إنما يكمل بجهد وقوة وفعالية دائمة، وليس أن الأمور تجري حسب قصد الله من تلقاء ذاتها. فهنا مجيء كلمة «قصد»، و «رأي»، و «مشيئة» تؤكد أن العمل الذي عمله الله مدروس ومُخطَّط بحكمة وفطنة ودقة تفوق العقل.

والقديس بولس ينظر إلى الوراء ليرى تاريخ الأمة اليهودية على مدى آلاف السنين، كم كلَّفت الله من جهد متواصل متجدد، وقيام وسقوط وتأديب واسترضاء، ازدحمت به أسفار التوراة:

+ «أنتم رأيتم ما صنعتُ بالمصريين، وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصةً بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة.» (خر١٩: ٤-٦)

وق. بولس إنما يريد أن يقول إن الله يتمم قصده **بعمل متواصل** ليكون دائماً حسب مشيئته. فخطة الله إنما هي تحت التنفيذ المتواصل والمراقبة ذات الدقة التي لا تَخِلّ.

وقد عبَّر العلاَّمة ماير(٢٣) عن هذا العمل المتواصل الذي يقوم به الله بأن دعاه «كلي العمل» = all working، لأنه كلي الإرادة أو ذو إرادة كلية القدرة أو الفاعلية Omnipotent purpose = παντοκρατορικὸν βούλημα، وهذه من تعابير القديس كلمندس الروماني(٢٤).

«رأي مشيئته»: βουλὴν τοῦ θελήματος αὐτοῦ

هنا كلمتان «إرادة» و «مشيئة»، تأتيان دائماً مترادفتين، وقد تتبادلان نفس الموضع لنفس التعبير بسبب عدم التفريق بينهما، لأنهما يُعرَّفان بأن الأُولى إرادة والثانية مشيئة، وقد نجدهما معاً في آية واحدة مثل: «فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ θέλων أن **يُشْهِرها، أراد** ἐβουλήθη تخليتها سرًّا» (مت١: ١٩). هنا جاءت المشيئة والإرادة معاً.

ويقول العلاَّمة ماير(٢٥) إن الفرق بين «**فولي**» و «**ثيليما**» أي «الإرادة» و «المشيئة» هو **أن الإرادة تعبِّر عن القصد أو النية أو التصميم الحر الذاتي؛ أمَّا المشيئة فهي نشاط الإرادة** أو الإرادة عندما تعمل. لذلك يرى العلماء المدققون(٢٦) أن الإرادة لأنها تعبِّر عن التصميم فهي

---

23. Meyer, *op. cit.*, p. 328.
24. Clem. *To the Corinthians* 1.8.
25. Meyer, *op. cit.*, p. 328.
26. Abbott, *op. cit.*, p. 20.

تحتاج إلى عنصر ذهني، لذلك تُستخدم الكلمة للإنسان العاقل؛ أمّا المشيئة فهي لأنها مجرد تنفيذ وقد يكون دون قصد أو تصميم فهي تُستخدم أيضاً لغير العاقل.

كذلك فإن الذي يجعل استخدام **الإرادة** منحصراً في ذوي العقل والتفكير هو أنها تحتاج إلى مداولة أو فحص سابق يجعل الإنسان مسئولاً عمّا يعمله بعد ذلك.

وورود الكلمتين معاً، الإرادة والمشيئة، حيث الإرادة جاءت بمعنى «**رأي**» «**رأي المشيئة**»، كان لكي يوضح منتهى تصميم الله رأياً ومشيئةً بصورة مطلقة[٢٧].

١ : ١٢ **«لنكونَ لمَدْحِ مَجْدِهِ نحن الذين قد سَبَقَ رجاؤنا في المسيح».**

واضح أن الله لم يكن يطلب من اختياره لليهود وتعيينهم مُسْبقاً ليكونوا من خاصته وليحوزوا مبكراً على رجاء المسيح، إلاَّ أن ينطلقوا بالاعتراف والشكر والتسبيح لمجد الله.

وهنا يلزمنا أن نلمح باستمرار أن قصد اختيار الله لنا في المسيح هو **مدح نعمته**، وقصد التبني لله في المسيح هو أيضاً **لمدح مجد نعمته**، وقصد الله من سبق تعيين اليهود ليكونوا **خاصة** له **وورثة** هو أيضاً **لمدح مجده** (لاحظ غياب النعمة من العهد القديم ومن سيرة إسرائيل إلى أن بدأت تُستعلن وتعمل بالمسيح).

فمنذ اختيار إبراهيم ومن بعده جميع الآباء والأنبياء، لم يطلب الله من هذا الشعب إلاَّ أن يشكروه ويسبِّحوه ويمدحوا مجده: «**هذا الشعب جَبَلْتُه لنفسي، يحدِّث بتسبيحي.**» (إش٤٣ : ٢١)

«سبق رجاؤنا»:

القديس بولس يفتخر أنَّ أول مَن ترجَّى مجيء المسيَّا كان الأمة اليهودية. فاليهود كان كل رجائهم طيلة أيام حياتهم هو أن يروا المسيَّا. فكان هذا هو كل أملهم وعزائهم وعِزِّهم وعبادتهم في الحياة. ويا لسعادة ق. بولس مع كل مَن تعرَّف من اليهود على المسيح لمَّا جاء. لقد ظل عالقاً بفكره وروحه أن رجاءه في المسيَّا (المسيح) هو أعز ما يملك في الوجود، قبل أن يتعرَّف عليه من السماء. ومجيئه لم يقلل من صورة الرجاء الشديد الذي عاشه، لذلك ظلَّ يفتخر به وبإيمانه الذي كان يعيشه. فلا تتعجَّب من لغة ق. بولس التي يتخللها المديح والشكر والتسبيح وإعطاء المجد

27. *Idem.*, p. 21.

الدائم لله بصورة ملفتة للنظر جداً، وكأنه مندوب فوق العادة عن الأمة اليهودية كلها في تقديم العرفان بالفضل والجميل لله والمسيح على الدوام.

١٣:١ «الذي فِيهِ أيضاً "أنتم" إذ سَمِعْتُم كَلِمَةَ الحَقِّ إنْجِيلَ خَلاصِكُم، الذي فِيهِ أيضاً، إذ آمَنتُم خُتِمْتُم بِرُوحِ المَوعِدِ القُدُّوسِ».

هنا يبدأ ق. بولس بعرض أعمال الله مع الأمم في ثلاث مراحل، وفي كل مرحلة يبتدىء بـ «**أنتم**»، متكلِّماً بفم اليهود بكلمة «**نحن**»، ويعود ويضم الاثنين، اليهود والأمم، في مواقف الرحمة المشتركة تحت ضمير «**نحن**» أو وضع صيغة المتكلِّم بالجمع:

(أ) [أنتم أيضاً] (١٣:١)،

(ب) [وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا] (١:٢)،

(ج) [لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم ... كنتم] (١١:٢).

لقد سبق ق. بولس وذكَّر اليهود، كيف أن الله بدأ بهم بأخذ نصيبهم في الرب، وكيف حصلوا على رجائهم في المسيح قبل الأمم، سواء فيما قبل مجيء الرب بانتظار المسيَّا رجائهم أو بعده بقبول الإيمان وتأكيد رجائهم وإيمانهم ونصيبهم ومديحهم لمجده.

والآن ليسوا هم وحدهم الذين لهم الرجاء والنصيب والمديح بل «وأنتم (الأمم) أيضاً» وذلك حسب قصد الله الأزلي الذي قَصَدَه في نفسه حسب مشيئته أيضاً. ويُلاحِظ القارىء أن هذه الرسالة بجملتها مكتوبة أصلاً للأمم الذين في مدينة أفسس، ليؤكد لهم أن نصيبهم هو مساوٍ ومشترك مع اليهود الذين آمنوا وقبلوا المسيح وتثبَّت نصيبهم وتقوَّى رجاؤهم.

وطبعاً كما قَبِلَ اليهود الإنجيل، قَبِلَه الأمم ككلمة خلاص مُرسلة لهم في ملء الزمن لنقلهم من الشمال إلى اليمين ومن سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته (كو١ :١٣).

وبولس الرسول يسمي الإنجيل بجملته «كلمة الخلاص»، والإنجيل «**رسالة الحق**». كما عبَّر عنه أيضاً في رسالته إلى كولوسي: «من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات الذي سمعتم به قبلاً في **كلمة حق الإنجيل**» (كو١ : ٥)، كون الله هو الذي قاله وأرسله فهو «إنجيل الله.» (رو١ :١)

ونحن لا ننسى كيف دخل «إنجيل الله» هذا بدفع شديد وإصرار من قِبَل الله على يد القديس

بطرس لباكورة الأمم، كرنيليوس وأهل بيته، مما اضطر الله أن يُعطي بطرس الرسول إعلاناً من السماء ويُكرره ثلاث مرات، ويُعطي كرنيليوس في ذات الوقت رؤية وملاكاً وحديثاً خاصاً وتكليفاً ورسالة وانتظاراً ثم معجزة لأول مرة بحلول الروح القدس على باكورة الأمم، كحلوله يوم الخمسين، قبل العماد وقبل وضع اليد، ليُحسب عماداً بحد ذاته مثلما حدث للرسل، مدموغاً بالتكلُّم بالألسن وعمل المعجزات، لكيلا يكون افتخار من جهة اليهود أو إحساس بالنقص من جهة الأمم. مما أحدث تنبيهاً شديداً لكنيسة أورشليم أن تعطي الأمم حق شركتهم في الإنجيل والميراث والجسد، كما طلب ق. بولس، وكما أعلن الله له، كما كان مكتوماً عنده منذ الدهور.

ولكن ق. بولس يضيف هنا اصطلاح «**الختم**» توكيداً من السماء لإيمان الأمم.

«إذ آمنتم خُتمتم»: ἐσφραγίσθητε

والقديس بولس سبق وذكر الختم هذا بعينه لأهل كورنثوس: «ولكن الذي يُثبّتنا معكم في المسيح وقد مَسَحَنا **هو الله، الذي ختمنا** أيضاً، وأعطى **عربون** الروح في قلوبنا» (٢كو١: ٢١و٢٢)، وذلك تعبيراً من ق. بولس عن شركته الكاملة لمؤمني كورنثوس. ونُلاحظ أنه يستخدم هذه الاصطلاحات هنا في رسالته إلى أفسس «**الختم**» و«**العربون**». وهنا الختم هو «**ختم الله**». وبهذا يوضح ق. بولس أن «**الختم**» هو إجراء سرّي غير منظور من الله قَبِلهُ اليهود كما قَبِلَته الأمم تعبيراً عن التثبيت في المسيح: **«الذي يثبّتنا معكم في المسيح هو الله الذي ختمنا».**

«الختم» هو الروح القدس نفسه. فحلول الروح القدس على المعمَّدين الذين آمنوا بالمسيح يعتبر بحد ذاته **ختماً من الله** منظوراً لله في السماء ولكل السمائيين. فإذا حلّ الروح القدس عند العماد يُعتبر ذلك «ختم الله». وقول ق. بولس «خُتمتم بروح الموعد القدوس» يعني «خُتمتم لـمَّا حلّ عليكم روح الموعد القدوس»! وكون الله يختم المعمَّدين بروح الموعد القدوس يعني أنه أخذهم له خاصة واعتبرهم أولاد الموعد: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به **خُتمتم** ليوم الفداء» (أف٤: ٣٠). وقد جاء اصطلاح «الختم» في مواضع أخرى من العهد الجديد:

+ «إن كنت لست رسولاً إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسول لأنكم أنتم **ختم رسالتي في الرب.**» (١كو٩: ٢)

+ «ولكن أساس الله الراسخ قد ثبت، إذ له هذا **الختم**، يعلم الرب الذين هم له.» (٢تي٢: ١٩)

+ «لا تضروا الأرض ولا البحر ولا الأشجار حتى **نختم** عبيد إلهنا على جباههم. وسمعت عدد **المختومين** مائة وأربعة وأربعين ألفاً ...» (رؤ٧: ٣و٤)

فمفهوم «الختم» عامة هو إعطاء المالك بصمته تعبيراً عن أن البضاعة صارت مِلْكه. وقد يُحسب أن الله هو الذي يختم أو المسيح، فخاصة الله هي خاصة المسيح وشعب الله هو شعب المسيح: «وأمَّا أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

«روح الموعد القدوس»: τῷ πνεύματι τῆς ἐπαγγελίας

«روح الموعد» أو «موعد أبي» أو «الموعد القدوس» هذا يعني «موعد الروح»:

+ «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ **موعد الروح القدس من الآب** سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.» (أع٢: ٣٣)

كما أن عطية الروح القدس بحد ذاتها تُحسب أنها قبول «الموعد»، كما قالها بطرس الرسول يوم الخمسين:

+ «فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا **فتقبلوا عطية الروح القدس، لأن الموعد** هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعْدٍ، كلّ من يدعوه الرب إلهنا.» (أع٢: ٣٨و٣٩)

أمَّا دخول كلمة «**الموعد**» هنا فيلزم أن نعرف أنها الوعد بالعهد الجديد كالوعد بالعهد القديم، الذي كان هو «الختان» كختم في الجسد على عضو الذكر، والذي أصبح في العهد الجديد **بحلول الروح القدس في المعمودية** لإعطاء المؤمن بالمسيح الحق بالتبعية، أي ختم الله أنه صار من خاصة شعبه، كما كان الختان قديماً يعطي حق التبعية لإسرائيل ليكون من شعب الله.

لذلك فالختم لا يكفي أن يُقال أنه «المعمودية» وحدها، بل يتحتم أن يكون بحلول الروح القدس أيضاً لأنه هو المعبِّر عن الختم، والذي صار في الكنيسة الآن هو «**المعمودية ومسحة الزيت**» الذي هو بمثابة حلول الروح القدس، ومسحة الزيت هي التي يُكنى عنها بالتثبيت أو سر التثبيت. وقد ذكر ذلك بولس الرسول في رسالته إلى كورنثوس، قارناً المسحة بالتثبيت هكذا: «**ولكن الذي يثبِّتنا معكم في المسيح وقد مَسَحَنا**، هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو١: ٢١و٢٢)

ويقول العلاّمة بروس(٢٨) إن معنى «روح الموعد القدوس» قد تعني أيضاً أن الروح القدس يُعطى حينما يقبله المعمَّد «**عربون المجد الآتي**»، طبعاً الذي يستعلن في يوم الفداء، أي يوم استعلان الخلاص الكلي: «ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به **خُتمتم ليوم الفداء**» (أف ٤: ٣٠). وهذا سيوضحه بولس الرسول في الآية القادمة مباشرة.

١: ١٤ **«الذي هو عربُونُ مِيرَاثِنا لفداءِ المُقتَنَى لمَدْحِ مَجْدِهِ».**

الآية هنا تخص الاثنين معاً، يهوداً وأمماً، فالروح القدس الذي يحل في المعمودية فيصير ختم الإيمان، أو ختم التبعية للمسيح، هو نفسه عربون الميراث.

«عربون ميراثنا»: ἀρραβών

هنا العربون ليس كما نعرفه في التجارة بعكس ما يقول به علماء الغرب، فليس هو مقدَّم الثمن لضمان دفع بقية الثمن واستلام البضاعة، بل هو إعطاء جزء من البضاعة لضمان استلام بقية البضاعة. كل ذلك من طرف واحد دون دفع أي شيء. لأن مُعطي البضاعة غني جداً وليس في حاجة لثمن ولا مقدَّم ثمن: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون». أي العكس تماما لما هو في التجارة. فالله يعطينا الروح القدس كضمان لنا ليطمئننا ويفرِّحنا ويذيقنا مُسبقاً نصيبنا المُعد لنا فوق ويُعرِّفنا بنوع الحياة التي دُعينا إليها، لأن الروح القدس هو قوة الحياة فوق كل مواهبها. وهنا لا فرق في المعاملة إطلاقاً بين أجناس وعناصر، أو بين يهودية وأممية.

ولكن أفضل تشبيه لكلمة «العربون» الآن عند الغرب هو «خاتم الخطوبة» الذي يقدِّمه العريس مسبقاً تأكيداً شريفاً أنه قادم على الزواج. وهذا جميل حقاً لأن زفافنا مع العريس حتمي هو، حيث ندخل بيته ونبقى فيه إلى الأبد، وهذا صوَّره المسيح نفسه بأبدع تصوير:

+ «يشبه ملكوت السموات عشر عذارى ... خمس منهن حكيمات ... أخذن زيتاً في آنيتهن مع مصابيحهن ... ففي نصف الليل ... جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب.» (مت٢٥: ١-١٠)

فبحسب هذا المثل البديع تكون الخطوبة أو «العربون» («خاتم» الخطوبة بحسب الغرب)، أمَّا بحسب التفسير الروحي فهو أن يُعطى لكل عذراء حكيمة مصباحاً وآنية زيت، وهذا يُكنَى به عن المؤمن حيث المصباح هو السيرة النقية، وآنية الزيت هي هيكل الروح القدس داخل قلبه، فإن

28. Bruce, *op. cit.*, p. 265.

اقتنى الروح القدس أضاءت سيرته بالنعمة لحظة مجيء العريس، وحينئذ بنو النور يدخلون وراء النور الحقيقي، أمَّا الذين لم يقتنوا الروح القدس فتظهر سيرتهم مظلمة، ولا رجاء.

والجميل حقاً في كلمة **«العربون»** هنا، ومعناها أنه هو **«الروح القدس»** فعلاً، الذي علينا أن نحافظ عليه ونستزيده عملاً ونوراً ولا نُحزنه أو نُطفئه كالعذارى الجاهلات. وحينئذ يضيء لنا بالنهاية طريق الحياة والخلود، لأن الروح القدس يأخذ من المسيح ويخبرنا بسر الطريق والباب وسر الدخول. ومعروف أيها القارىء العزيز أن الزيت يُكنى به عن الروح القدس، فهو أساس المسحة وسر قرن الدهن قديماً.

ومعروف بكل تأكيد أن الروح القدس هو بحد ذاته، ومواهبه أيضاً، سبقُ تذوُّق لحياة الملكوت الآتي ولمحة من غنى الميراث المعدّ!

وبولس الرسول يقول لأهل كورنثوس في رسالته الثانية إن «عربون» الروح القدس يؤكد لنا أننا حتماً سنخلع هذه الخيمة الأرضية ــ الجسد ــ ونستوطن عند الرب:

+ «... الله الذي أعطانا أيضاً **عربون الروح.** فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد (الخيمة الأرضية) فنحن متغربون عن الرب ... فنثق ونُسرُّ بالأولى (بسبب العربون) أن نتغرَّب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢كو٥: ٥-٨)

أي أن العربون ــ وهو الروح القدس ــ يجعلنا واثقين أننا سنستوطن عند الرب فيسهل علينا خلع الخيمة: «وليس هكذا فقط بل نحن **الذين لنا باكورة الروح** نحن أنفسنا **أيضاً** نئن في أنفسنا **متوقعين التبني فداء أجسادنا.** لأننا بالرجاء خلصنا.» (رو٨: ٢٣و٢٤)

ويُلاحِظ القارىء هنا أن الروح سُمِّي «باكورة» بمعنى أول طَرْح الفاكهة. فشجرة التفاح تعطي في البداية باكورة قليلة وكأنها تكشف لنا عن نوع وجمال الصنف. والروح القدس يعلن لنا ويُذيقنا بالفعل ما هو الملكوت الآتي وطعم الميراث المعد!

لذلك فالذين يكرِّمون **باكورة الروح** هذه أي **العربون** فإنهم يظلون متلهفين للانطلاق ليكونوا مع المسيح، لأنهم بحسب خبرة ق. بولس قد ذاقوا وتأكدوا أن «ذاك أفضل جداً» (في١: ٢٣). أمَّا الذي أفرغ بجهالته الزيت من آنيته، فيتشبَّث بالأرض ويفزع حتى من ذكر الانتقال.

عزيزي القارىء، اقْتَنِ لك زيتاً وأصلِحْ مصباحك، لأن هوذا الظلام قد عمَّ واقتربنا من نصف الليل.

«لفداء المقتنى لمدح مجده»:

لقد تعددت الآراء وتعددت الترجمات ولكن أبسطها بحسب فولكس[٢٩] وبروس هو أن الأمم الذين أخذوا الختم ونالوا عربون الروح القدس أخذوه ليستعلن فيهم يوم الفداء، أي عند استعلان اكتمال أزمنة الخلاص في القيامة العتيدة. وحينئذ يستعلن «المقتنى»، أي الذين صاروا من خاصة المسيح الذين اقتناهم المسيح لمدح مجده. حيث هنا «المقتنى» هم الذين اقتناهم المسيح لنفسه وعيَّنهم مسبقاً لمدح مجده وهم الأمم كما ذكرهم ق. بطرس:

+ «وأمَّا أنتم (الأمم) فجنس **مختار** — (مسيحيون) — وكهنوت ملوكي — (ذبائح روحية) — أمة مقدَّسة — (معمَّدين) — شعب **اقتناء** — (حائزون على العربون) — لكي تخبروا بفضائل (مدح مجد نعمته) الذي دعاكم (بالعربون) من الظلمة إلى نوره العجيب (حياة الروح القدس).» (١بط٢: ٩)

هنا يقول القديس بطرس عن الأمم أيضاً **شعب «اقتناء»** أي شعب اقتناه الله، الكلمة التي كانت مستخدمة لشعب إسرائيل (خر١٥: ١٦، مز٧٤: ٢، إش٤٣: ٢١ في الترجمة السبعينية). وهي نفس الكلمة الواردة هنا لبولس الرسول، وقد جاءت في سفر الأعمال هكذا: «لترعوا كنيسة الله التي **اقتناها** بدمه» (أع٢٠: ٢٨). وهذه الصيغ تفيد مدى التأمين الذي أعطاه الله للأمم من جهة موقفهم الحالي كشعب الله، ووضعهم النهائي من الله كورثة حقيقيين مع اليهود الذين آمنوا ونالوا الموعد، وبحسب كلام بولس الرسول الذين سبق رجاؤهم في المسيح. وكما كان الذين سبق رجاؤهم في المسيح تعيَّنوا لمدح مجده، هكذا الأمم الذين صاروا شعب اقتناء وكهنوتاً ملوكياً وأمة مقدسة لمدح مجده أيضاً.

وإلى هنا ينتهي نشيد البركة. ويعتبر العالِم بروس[٣٠] أن هذه الأعداد من الأصحاح الأول (١: ٣-١٤) هي مُعتَبَرة في حقيقتها مفتاح الرسالة بجملتها، ولكن للأسف لم يعثر على المفتاح الحقيقي (انظر صفحة ٥٩).

---

29. F. Foulkes, *op. cit.,* p. 66.
30. Bruce, *op. cit.,* p. 267.

[١ : ١٥-١٨]

خامساً: صلاة ليمنحنا الله روح الحكمة والإعلان والاستنارة

١ : ١٥-١٨ «لذلكَ أنا أيضاً إذْ قد سَمِعْتُ بإيمَانِكم بالرَّبِّ يسوعَ ومحبَّتِكُم نَحْوَ جميعِ القدِّيسينَ، لا أزالُ شاكِراً لأجلِكم ذاكِراً إياكُم في صلواتي. كي يُعطِيَكم إلٰهُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ أبو المَجْدِ، روحَ الحِكمةِ والإعلانِ في معرِفَتِهِ. مُستَنيرَةً عُيُونُ أذهانِكم لتعلَمُوا ما هو رجاءُ دَعْوَتِهِ وما هو غِنَى مَجدِ مِيراثِهِ في القدِّيسينَ».

القديس بولس هنا يقدم صلاة يطلب فيها المعرفة والاستعلان لأهل أفسس (١ : ١٥-١٨) لإدراك دقائق أسرار الفداء الذي تمَّ (١ : ١٩-٢٣).

١ : ١٥و١٦ «لذلك أنا أيضاً إذ قد سمعتُ بإيمانِكم بالربِّ يسوعَ ومحبَّتِكم نحو جميع القديسينَ، لا أزالُ شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي».

بعد أن قدَّم ق. بولس المديح العام لله بالبركة والتمجيد عابراً بالقضايا اللاهوتية التي تخص الإنسان عامة والمسيحيين خاصة ثم الخليقة كلها في المسيح، عاد ذهنه يلتفت لأهل أفسس أصحاب الرسالة الذين بَلَغَته أخبار إيمانهم ومحبتهم نحو القديسين، حيث «القديسين» هنا هم مؤمنو اليهودية وأورشليم الذين ما فتئوا يتقبلون منهم المساعدات المالية والعينية لنجدتهم في فقرهم، الأمر الذي استوجب من ق. بولس الشكر لله الذي ألهم قلوب الأمم بالعطف والمحبة نحوهم (فقراء اليهودية).

ويبدو أنه بالنسبة لأهل أفسس فقد كانوا على مستوى عالٍ من الغنى، خاصة وأن منطقتهم كانت قد اشتهرت في العالم كله بتجارة الذهب والفضة والاشتغال بصناعتها. لذلك كانت عطاياهم سخية لفتت ذهن ق. بولس مما جعله يُقدِّم الشكر من أجلهم في مستهل الرسالة، الأمر الذي لا نراه في الرسائل الأخرى بهذه الصورة.

كذلك يبدو أن هؤلاء القوم كانوا على درجة عالية من الثقافة والدراية بشئون الفلسفة وقضايا الخَلْق التي شغلت بال فلاسفة بلاد اليونان كلها منذ قديم الزمان، والتي داخلها كثيرٌ من الاجتهادات البشرية لشرح علاقة الله بالكون ودخول وسائط من خلائق سماوية، ملائكة وغيرها،

بين الله والعالم، مما اضطر ق. بولس في مستهل الرسالة إلى الخوض مباشرة في هذه القضايا، مقدّماً المبادىء اللاهوتية القاطعة التي صارت للعالم ولنا على مستوى العقيدة الثابتة والقانون، مما يرفع ق. بولس في أعيننا وأعين الكنيسة وعالم الفلسفة والفلاسفة إلى درجة النبي الفيلسوف ككاشف أسرار الخليقة على مستوى الصحة الفلسفية واللاهوتية بآن واحد.

ثم أيضاً وبسبب ثقافة هؤلاء القوم وتقدُّمهم بالتالي في الشئون الدينية، استهل قضية الفداء بتقديم موجز سريع لنصيب اليهود، الذين سبقوا الأمم في نوال هذا الفداء بإيمانهم الحر الصادق، ثم قدّم للأمم اعترافاً كريماً لتكريم إيمانهم وتوضيح كيف نالوا هم أيضاً نصيبهم بتوثيق الروح القدس وختمه، وحصولهم على أفخر عطايا الله، وهو الروح القدس، كعربون لتمكين استلامهم ميراثهم في المسيح كاملاً.

إلى هنا انفتح أمامه الباب ليدخل معهم في أعماق أسرار الفداء العام. ولكن لعلمه الأكيد أنهم قوم على مستوى عالٍ في شئون المعرفة العقلية والفلسفية، أراد بادىء كل ذي بدء أن يلفت نظرهم بأدبه الجم إلى أن طرائق العلم المسيحي ليست كطرائق علوم الفلسفة والثقافة المدنية للعالم. فقدّم لهم النصيحة في صورة صلاة صدرت من أعماق روحه بصدق وإخلاص، حتى ينتبهوا إلى خطورة الأمر وينفتح قلبهم وذهنهم الروحي بالحق لنوال عطية الله التي يلحُّ عليها ق. بولس من أجلهم.

١٧:١ «كي يعطِيَكم إلهُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ أبو المجدِ، روحَ الحكمةِ والإعلانِ في معرفتِهِ».

«إله ربنا يسوع المسيح»:

يُلاحِظ القارىء أن ق. بولس أوضح في الآيات السابقة مركز المسيح وصفاته الإلهية العالية جداً. ففيه تمَّ الاختيار والتبني قبل تأسيس العالم، وأن الله بصدد أن يجمع كل شيء ما في السموات وما على الأرض فيه. وفي الرسالة إلى كولوسي ــ الزميلة لأفسس ــ قال بأن الخَلْق كله تمَّ بيسوع المسيح وليسوع المسيح وأنه صورة الله غير المنظور: «الكل به وله قد خُلق» (كو١:١٦). لذلك فإن كان ق. بولس قد رفع الله إلى مستوى إله ربنا يسوع المسيح، فقد رفعه إلى مستواه الإلهي في الأُبوة. ولكن بسبب التجسُّد و «التأنس» الذي دخله «يسوع»، يكون بالتالي دخل البشرية كمخلوق وهو الخالق الإله المنزَّه عن الخليقة، فصحَّ أن يكون الله إلهه بسبب وضع الجسد فقط مع أنه باقٍ ابناً لأبيه كما هو. والمسيح نفسه أراد أن يجمع هذين الوجهين المضيئين معاً، فقال عن الله: «**أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**» (يو٢٠:١٧). فصحَّ هنا أن يكون الله إلهاً وأباً ليسوع المسيح.

وقد سبق ق. بولس أن وصف الله أباً ليسوع المسيح (١:٣)، كما سبق المسيح وقال: «أبي أعظم مني» (يو١٤: ٢٨). وقد قال القديس يعقوب ما يماثل ذلك من حيث التركيب والنسبة: «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران.» (يع١: ١٧)

«أبو المجد»:

وهذا اللقب لا يتغيّر كثيراً عن «إله المجد» (أع٧: ٢)، و«رب المجد» (١كو٢: ٨). وإن أردنا التعريف لماذا نسبة المجد لله بالأُبوة، فلا ننسى أن المسيح هو مجد الآب (عب١: ٣)، وفيه يُستعلن كل مجد الآب (٢كو٤: ٦) فلا ضير أن يُلقَّب الله بـ «أبو المجد». وفي الحقيقة أن هذا اللقب يشيع في النفس الهيبة نحو الله ويزيد الصلاة حرارة من نحوه وثقة وتقرُّباً. ويقيناً أن ق. بولس قالها دون أي تفكير إنما اندفاعاً من عاطفة الإحساس الشديد بمجد الله وتعاليه الذي يشد من انتباه ق. بولس وروحه ليحلِّق أيضاً في العلاء بروحه حيث الله أبو المجد وإله كل مجد!

«روح الحكمة والإعلان في معرفته»:

لقد قدَّم ق. بولس في الآيات السابقة أموراً عن الله تختص بمعرفته لا تمتُّ إلى الدراسة ولا إلى العقل ولا إلى المنطق ولا إلى أي علم من علوم المعرفة البشرية. فهو تكلَّم عن عمل الله قبل تأسيس العالم، فأي علم ينبري هنا ليقيس ويشرح ويعرِّف؟ وهذه كلها أسرار الله لِمَا قبل الخلق؟ ثم تكلَّم عن اختيار الله للإنسان منذ الأزل ليكون من خاصته قديساً وبلا لوم. مع أن تاريخ الإنسان على الأرض ما أرداه، فأي عقل يمكن أن يدرك أو يقيس؟ كذلك تكلَّم عن قصد الله الذي أكمله في نيته من جهة تبني الإنسان، أي أن يصير الإنسان ابناً لله بالنعمة كامتياز، فإلى أي مستوى للفكر أو العلم يمكن أن يلجأ إليه الإنسان لكي يفهم ويقيس؟ طبيعة إلهية تتبنَّى طبيعة ترابية. مع أن الإنسان يستنكف أن يتبنَّى خادمه؟ ثم تكلَّمَ عن الفداء وغفران الخطايا حتى تولَّى الله بنفسه بذل ابنه الذي أطاع واتضع حتى الموت والتراب لتكميل هذه القضايا العظمى المهولة، فأي مستوى من التفكير والتأمل مهما بلغ يمكن أن يرتفع لإدراك هذه الحقائق. والإنسان يترفَّع ويتأذَّى أن يطيع أباه أو يتضع لأخيه؟

إذاً، صحَّ للقديس بولس أن يطلب من الله لأهل أفسس أن يهبهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله ومعرفة أعماله وتدبير أسراره التي تقصر دونها أعظم العقول ويَحارُ أمامها الفهم وكل منطق للإنسان؟ أما الوسيلة الوحيدة التي تتناسب مع الله ومعرفته ومعرفة أسراره فهي عنده وهي خاصة به وحده ومنه وهو يهبها لمن يشاء، لمن يطلبها وكان على مستواها.

دراسة مختصرة عن خواص الروح القدس التي يلقب بها:

روح الوداعة:

+ «ماذا تريدون أبعصاً آتي إليكم أم بالمحبة و**روح الوداعة**.» (١كو٤: ٢١)
+ «أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلَّة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا **بروح الوداعة** ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً.» (غل٦: ١)

روح القداسة:

+ «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة **روح القداسة** بالقيامة من الأموات.» (رو١: ٤)

روح التبني المضاد لروح العبودية:

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم **روح التبني** الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو٨: ١٥)

روح القوة والمحبة والنصح المضاد لروح الفشل:

+ «لأن الله لم يُعطِنا روح الفشل بل **روح القوة** والمحبة والنُّصح.» (٢تي١: ٧)

روح حياة من الله:

+ «ثم بعد الثلاثة الأيام والنصف دخل فيهما **روح حياة** من الله فوقفا على أرجلهما.» (رؤ١١: ١١)

روح الله ـــ الروح الذي من الله المضاد لروح العالم:

+ «لأن مَنْ مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ **روح الله**. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.» (١كو٢: ١١و١٢)

روح الحق المضاد لروح الضلال:

+ «نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومَن ليس من الله لا يسمع لنا، من هذا نعرف **روح الحق** وروح الضلال.» (١يو٤: ٦)

روح الحق:

+ «**روح الحق** الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو١٤: ١٧)

روح الإيمان:

+ «فإذ لنا **روح الإيمان** عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت، نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلّم أيضاً.» (٢كو٤: ١٣)

روح النعمة:

+ «فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسب مستحقاً مَن داس ابن الله وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى **بروح النعمة؟**» (عب١٠: ٢٩)

روح النبوّة:

+ «أنا عبد معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع. اسجد لله. فإن شهادة يسوع **هي روح النبوّة.**» (رؤ١٩: ١٠)

«روح الحكمة الإعلان»:

فإن كان «روح» فهو من الله وهو جدير أن يتعمَّق أسرار الله: لأن مَن يعرف أسرار الله إلاَّ الروح الذي من الله؟

+ «كما هو مكتوب ما لم ترَ عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يحبونه. **فأعلنه الله لنا نحن بروحه.** لأن **الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله** ... هكذا أيضاً **أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ روح الله.** ونحن لم نأخذ روح العالم **بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.**» (١كو٢: ٩-١٢)

واضح جداً أن الله روح ولا يُعرف إلاَّ بالروح، والله وهبنا روحه القدوس. بل ــ تبارك اسمه وتعالى ــ شاء فولدنا بروحه، ليكون لنا فكر المسيح لنعرف كل ما عند الله وما عمله لنا بابنه والأشياء الموهوبة منه. هذه حقيقة علم معرفته إن أردنا أن نتقدّم في معرفة أعماله وإدراك أسراره، بل حيازة إنعامه ونوال غنى أمجاده!

«روح الحكمة»:

لا يصح هنا أن نقول ــ كما يقول كثير من العلماء ــ إنه الروح القدس، ولكنه موهبة من الله للارتفاع إلى مستوى الروح، لأن الروح القدس له تخصصات متعددة في عمله وتأثيره على الإنسان وعلى فكره وروحه وقلبه وحتى جسده. فعمله في الفكر يعطيه الانفتاح، وعمله على الروح يعطيها التسامي عن الأرضيات وإدراك السماويات والانسجام فيما هو لله، وعمله على القلب

يعطيه **الحكمة** حيث القلب هو مركز البصيرة والمشاعر الروحية **والوعي الداخلي** المنوط به إدراك الإلهيات، أما عمله على الجسد فيعطيه الطهارة والعفة ليسير الأسد مع الحمل، أي الجسد مع الروح. وبالجملة يعطي الإنسان سلوكاً بالقداسة ليسير بالكمال أمام الله ويكون بلا لوم!!

فهنا بولس الرسول يخصص عمل الروح بالحكمة، وهذا فيما يخص وعي الإنسان الداخلي لمعرفة مقاصد حكمة الله في كل أعماله التي سبق وصنعها للإنسان ومن أجل الإنسان، حكمة الله في موت ابنه وإقامته من الأموات واتحادنا بالمسيح، فكراً بفكر وعملاً بعمل، وبالتالي قيامتنا وصعودنا مع المسيح وفيه وجلوسنا عن يمين العظمة بجلوسه. وهكذا ينفتح أمام وعي الإنسان أسرار مقاصد الله ليكون شريكاً في كل الأعمال التي عمل!! إنْ في المسيح أو بواسطته، حتى نستطيع أن نستوي إلى مستوى ما يخصنا منها بل ونتحد بالروح فيكون لنا الحياة مع الله كما قصد. فعن طريق «روح الحكمة» إذا انبثَّت فينا وارتاحت وسكنت، يستطيع الروح أن يسلِّمنا كل مخصصاتنا من كل أسرار الله في المسيح، فلا تعود منظورة لنا بالفكر وحسب، بل ونتعرف عليها في واقعها الإلهي الحي ومقاصدها العليا، وبالتالي نشترك فيها عن إحساس بالحق، حيث روح الحكمة يجعل ما للمسيح حقاً لنا ويعرِّفنا بميراثنا المُعد ويعطينا كوسيط دائم شركة في كل أسرار الله المعمولة بالروح: «أمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو١: ٣). فالله روح، وأعماله كلها بالروح معمولة، وبالروح تُعرَّف وتُلقَّن وتُسلَّم، لأن هذه هي مسرة الآب ومسرة الابن ومسرة الروح القدس. والروح كما نعرف لا يكف عن أن ينطق فينا لدعاء الآب، بدالة البنوَّة لله، بحق التبني الذي وهبه لنا بالسلطان كامتياز.

وهكذا بالنهاية يكون روح الحكمة الذي يطلبه ق. بولس لنا هو الذي يضطلع بتعريفنا وتسليمنا كل ما يخصُّنا من جميع أعمال الله العظيمة التي بطبيعتها تفوق إدراكاتنا والتي عملها في المسيح يسوع من أجلنا:

+ «لكننا نتكلَّم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء هذا الدهر الذين يبطلون، بل نتكلَّم "**بحكمة الله في سر**"، **الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا.** التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد.» (١كو٢: ٦-٨)

وفرق شاسع للغاية بين أن نعرف أمور الله التي عملها في المسيح لأجلنا بالفكر البشري، وبين تعريف «روح الحكمة» لنا وتفهيمنا وتعليمنا الحقائق في ذاتها، لأن كل معرفة تأتينا من روح الحكمة للتعرُّف على الحق بالروح هي شركة فيه! لأنه يستحيل علينا معرفة «حق الله» بدون حق

الله!! فكل تعريف بالحق يأتينا من الله إذ يسبق الله ويجعلنا على مستواه، الذي يعطيه الله لا ينزعه أحد، ولا يُنسى ولا يضعف ولا يكل، بل ينمو ويزداد. فالحق يؤدي ويرفع إلى حق آخر و بلا نهاية!!

ويقيناً، أيها القارىء السعيد، أن بولس الرسول الذي يصلّي بإلحاح لكي يعطينا الله روح الحكمة والإعلان في معرفته، هو حائز بالضرورة على هذا الروح عينه بالحكمة عينها مع روح «الإعلان». وإليك الدليل:

+ «أنه **بإعلان عرّفني بالسرّ** ...،
حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا **درايتي بسر المسيح**،
الذي في أجيال أُخر **لم يُعرَّف** به بنو البشر،
كما قد **أُعلن الآن** لرُسُله القديسين وأنبيائه **بالروح** ...،
أُعطيت هذه النعمة أن أُبشّر بين الأمم **بغنى المسيح الذي لا يُستقصى**،
وأُنير الجميع في ما هو **شركة السر المكتوم** منذ الدهور في الله ...،
لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين **في السماويات** بواسطة الكنيسة **بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور** الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٣-١١)

ونحن هنا لا نريد أن نسبق الأمور، فشرح هذه الآيات سيأتي في موضعه ليبرهن على صدق ق. بولس وضرورة ما يطلبه لنا. ولكن ننبه ذهن القارىء كيف يشدِّد على هذه الكلمات: **الروح، المعرفة، الإعلان، السر، الإنارة، حكمة الله.** فبولس الرسول يصلي بإلحاح أن تصبح هذه الذخيرة الإلهية من نصيبنا كما كانت من نصيبه، وأن يستودعها الله قلوبنا وأرواحنا وأفكارنا حتى إذا استقرت بالروح نصير شركاء في كل ما للمسيح وهذا منتهى قصد الله وقصد المسيح ومشتهى الروح الذي فينا. لأن كل ما عمله الله عمله لأجلنا، فكيف لا يكون لنا أو نسقط من دونه وقد كلّف الله دم ابنه؟

وواضح، أيها القارىء السعيد، أن هذه الرسالة — إلى أفسس — لم تُكتب لتُقرأ للتعزية أو تُدرس للوعظ، فهي منهج عملي يُسلّم آية آية ليصير إلى معرفة حقَّة بالله وحياة وشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح كقول يوحنا الرسول. وقد أفصح ق. بولس عن قصده بوضوح عن هذه المعرفة الجديدة بالروح، في رسالته إلى كولوسي فقال:

+ «من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا، لم نزل مُصلّين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا **من معرفة مشيئته، في كل حكمة، وفهم روحيٍّ، لتسلكوا كما يحق للرب، في كل**

رضى ــ مثمرين في كل عمل صالح ــ ونامين في معرفة الله. مُتقوِّين بكل قوة بحسب قدرة مجده ــ لكل صبر وطول أناة بفرح ــ شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور. الذي أنقذنا من سلطان الظلمة (العالم) ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته (الكنيسة).» (كو١: ٩-١٣)

وهذا يتضمَّنه ما قاله الرب يسوع المسيح في صلاته مخاطباً الآب، وطالباً ضمناً أن يكون لنا:

+ «**وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.**» (يو١٧: ٣)
+ «عرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهُم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم.» (يو١٧: ٢٦)

إذاً، ليس جديداً على القارىء أن يعرف أن الله أرسل ابنه يسوع المسيح ليعرِّفنا بذاته، وإذ نعرفه تكون لنا الحياة الأبدية بعينها!

وليس غريباً أن يعرف القارىء أن شركتنا مع الرب يسوع المسيح هي ائتماننا على **كل كنوز** الحكمة والفهم، كما يقول ق. بولس: «لكي تتعزى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة **سر الله الآب والمسيح المذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم.**» (كو٢: ٢و٣)

هذه التعبيرات لا تقف عند مستوى المعرفة بالفكر وحسب، بل هي دعائم الإيمان والحق والحياة في المسيح. يشهد بذلك كل أتقياء الله الذين أحبوا المسيح فملأت التقوى قلوبهم وأرواحهم، فما كفُّوا عن التسبيح لاسمه وما كفُّوا عن الشهادة وكانوا ذوي حكمة وفهم.

«**روح الحكمة "والإعلان"**»: ἀποκαλύψεως

+ «لم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يحبونه، **فأعلنه** ἀπεκάλυψεν **الله لنا نحن بروحه.**» (١كو٢: ١٠)

انظر كيف **أن الله بنفسه هو الذي أعلنه**، وأعلنه لنا بروحه، فيا للاهتمام البالغ الذي ملأ قلب الله لكي يُعلن ما أعدَّه لنا. ثم يشرح ق. بولس لماذا الله نفسه هو الذي أعلن ما أعدَّه لنا وما عمله بروحه؟:

«هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها إلاَّ **روح الله** ــ ونحن أخذنا **الروح الذي من الله**» لأن كل مسرة قلب الله هي أن «**نعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله**»!! (١كو٢: ١١و١٢)

هنا كلمة «الإعلان» هي باليونانية «أبوكالبسيس»، التي تُرجمت في الإنجيل في سفر يوحنا اللاهوتي بـ «**الرؤيا**». وكلنا قرأنا سفر الرؤيا وخرجنا بمعرفة قليلة ولكن بقية السفر ظلت مغلقة علينا.

وفي موضع آخر من سفر الرؤيا أوضح وكشف هذه الأمور لمَنْ يُعطى الحكمة إذ يقول: «هنا الحكمة. من له فهم ...» (رؤ١٣: ١٨). فها هي الرؤيا لم تعرِّفنا بهذه الأسرار، وبقيت رهن تدخُّل الحكمة ومن له فهم. لذلك كانت صلاة ق. بولس أن يهبنا الله روح الحكمة والإعلان (الأبوكاليبسيس) (الرؤيا). وهكذا تحتَّم وجود الحكمة مع الأبوكاليبسيس أي الإعلان لنعرف الله في ذاته وفي أسراره وأعماله. أمَّا الحكمة وحدها كفهم لحكمة الله فهي قادرة أن تعرِّفنا بأمور الله، ولكن «**الإعلان**» يلزم للحكمة جداً لكي تدخل إلى الأمور الغامضة التي تفوق إدراك الإنسان وتكشفها وتعلنها كمنظور إلهي يدركه الوعي كما هو. لأن «**الإعلان**» أو الأبوكاليبسيس ليس هو مجرد رؤية أشياء أو مناظر، بل هو في حقيقته **كشف حقيقة كانت غامضة أو التعريف بسرٍّ كان مخفياً** أو مكتوماً، أو حتى **التعريف بحقيقة هي أعلى من مستوى إدراك الإنسان**. فهنا يتحتَّم أن ينفتح الوعي الداخلي للإنسان ليبلغ إلى معرفتها بالروح لأنها أعلى من مَلَكاته ومن مستوى إدراكاته. لهذا حرص المسيح جداً أن يفتح ذهن التلاميذ ليفهموا أسرار المسيح المكنونة في الكتب:

+ «وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بَعْدُ معكم، أنه لا بدَّ أن يتمَّ جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. **حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا** الكتب، **وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان** ينبغي أنَّ المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم (اليهود). وأنتم شهودٌ لذلك، وها أنا أُرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا (الصلاة) في مدينة أورشليم إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالي.» (لو٢٤: ٤٤-٤٩)

هذه هي بعينها أدوات المعرفة والإعلان والحكمة:

الكتب النبوية، ما قاله لهم المسيح (الإنجيل)، ما عمله المسيح على الصليب والقبر والقيامة والصعود، أورشليم (الكنيسة)، الصلاة، حلول القوة من الأعالي وهي قوة الروح القدس والحكمة!! وهذه هي بعينها ما يطلبها ق. بولس بإلحاح لنا لنكون على مستوى الإنجيل والمسيح والحياة الأبدية التي إليها دُعينا.

فموسى مثلاً عرف الله وتحدَّث معه ولكن اشتهت نفسه مزيداً من التعرُّف على الله، فقال موسى

لله: «أرني مجدك»، فصعب الأمر جداً على الله وعلى موسى لأن موسى لا يحتمل رؤية مجد الله أي «الإعلان المكشوف»، مما جعل الله يقول له: «لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأمّا وجهي فلا يُرى.» (خر٣٣: ١٨-٢٢)

فهنا الإعلان أي «**الرؤيا**» صَعُب على موسى فلم يرَ مجد الله مواجهة بل من خلف، بمعنى بشبه الصورة فقط: «وشِبْهَ الربِّ يعاين» (عد١٢: ٨). لماذا؟ لأن موسى لم يكن على مستوى الإعلان «الرؤيا» المباشرة. إذ كان يعوزه الحكمة الإلهية[٣١] أو باختصار كان يعوزه المسيح. الذي هو «حكمة الله»: «**فبالمسيح قوة الله وحكمة الله**» (١كو١: ٢٤)، «ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا "حكمة" من الله وبراً وقداسة وفداءً.» (١كو١: ٣٠)

وهكذا استطاع الإنسان، هذا المخلوق الضعيف، أن يتكلَّم هكذا عن مجد الله كمن رآه رؤيا العين وليس الصورة والشبه: «ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً.» (يو١: ١٤)

وهكذا «بالحكمة» التي هي بالمسيح وفي المسيح، و «بالرؤيا»، استطاع الإنسان أن يعرف الله وينظر مجده بوجه مكشوف: «ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف** كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب **الروح**.» (٢كو٣: ١٨)

نخرج من هذا أن «الحكمة الإلهية» ضرورية جداً للرؤيا أي «الإعلان»، وق. بولس طلبهما معاً لأنه يعرف تماماً أنه لا بالحكمة وحدها يُعرف الله، ولا بالإعلان وحده يمكن أن نستعلن الله. فالحكمة تشرح الإعلان وتوضحه، والإعلان يصدِّق على الحكمة ويثبتها. بالاثنين تبلغ قدرة الإنسان أقصاها في الدخول إلى معرفة الحق واستعلانه والاقتراب الشديد إليه بالروح حتى إلى مستوى الشركة، فالمسألة بالنسبة لدخول الإنسان في مجال الحق الإلهي ليست أصلاً وأبداً على مستوى الإنسان! «فملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه» (مت١١: ١٢)، وشكراً لله الذي أعطانا روح «الحكمة والإعلان في معرفته»، لكي يخترق بهما الإنسان كل حواجز الجهالة التي تغلِّفه لكي ينفذ إلى حق الله بجرأة الروح وحكمته.

---

(٣١) موسى كان رجلاً حليماً وحكيماً وصحيح أنه كان متفوقاً على جميع الناس ولكن كان حلمه وكانت حكمته على مستوى حلم الناس وحكمة الناس.

وإنها لقاعدة، وضعها المسيح لنفسه: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء **يعطي الروح القدس للذين يسألونه**» (لو١١: ١٣). وأيضاً هي قاعدة كذلك، أنه كلما شهدنا للمسيح كلما ازداد الروح في تعريفنا بالحق على مستوى الحكمة والإعلان. وهذا نلاحظه دائماً في الذين يتحمسون للشهادة باسم المسيح، فإنهم يزدادون معرفة واستعلاناً بل وترافقهم الإعلانات فيزدادون شهادة وتمجيداً.

على أنه يلزم أن نعرف أن «الإعلان» (= الأبوكاليبسيس) لا يأتينا من ذاته، أو نحن ننفتح عليه ولكن هو الروح القدس «روح **الإعلان**» الذي يكشفه لنا أو يُدخلنا فيه، وهو الذي يضطلع بتفسيره والتعريف بالحكمة التي فيه.

كما أنه يلزم أن نعرف أيضاً أن كل المعرفة التي يسمح الله أن يعطينا إياها الآن بروح الحكمة والإعلان، لا تبلغ مستواها الكامل. لأننا هنا نعرف بعض المعرفة كما يقول بولس الرسول: «فإننا ننظر الآن في مرآةٍ (الإعلان) في لغزٍ، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرفُ كما عُرِفتُ.» (١كو١٣: ١٢)

«في معرفته»: ἐν ἐπιγνώσει αὐτοῦ

معرفة الله في العهد الجديد تحمل عنصراً أخلاقياً، وهي تتجه دائماً وبصورة مباشرة للإطِّلاع القلبي والروحي على غرض خلاصنا الذي قصده الله من الفداء الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا من أجلنا، فهي ليست معرفة فكرية ولا تعمُّقاً فيما هو لله، بل فيما يخصُّنا نحن. فالرسالة إلى رومية توضح معنى وأهمية المعرفة وأهدافها. كذلك الرسالة إلى العبرانيين واضح أن المعرفة فيها تستقصي مَن هو المسيح وما عمله لخلاصنا. كذلك رسالة بطرس الثانية. كذلك فالمعرفة في المسيحية تنتهي إلى نهاية وغاية واحدة يحددها بولس الرسول هكذا: «ولبستم الجديد الذي يتجدد **للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو٣: ١٠). أي أن غاية المعرفة المسيحية أن نصير صورة للمسيح ونشابهه في كل شيء.

على أن عنصر المحبة لا يغيب قط عن المعرفة المسيحية: «وهذا أُصلِّيه **أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة** وفي كل فهم.» (في١: ٩)

أمَّا حصيد المعرفة لله، فيتحتم أن يكون نمواً في النعمة والسلام الداخلي: «لتكثر لكم **النعمة والسلام بمعرفة الله** ويسوع ربنا» (٢بط١: ٢)، حيث معرفة الله تكون هي السبب. وبطرس الرسول يؤكد أن بمعرفة المسيح ودعوته لنا قد وُهبنا كل العوامل التي تكفَّل لنا الدخول في الحياة

الأبدية: «كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا **كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا** بالمجد والفضيلة.» (٢بط ١:٣)

واضح في كل هذه الآيات العنصر الأخلاقي الذي يتحكم في المعرفة المسيحية ويوجهها.

١٨:١ **«مُستَنِيرَةً عُيُونُ أذهانِكم لتَعْلَمُوا ما هو رجاءُ دعوَتِهِ، وما هو غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ في القِدِّيسِينَ».**

الطِلْبة الأولى التي صلَّى من أجلها ق. بولس هي أن يعطينا الله روح الحكمة والإعلان في معرفته، حيث تتركز العطية في روح الحكمة والإعلان الذي يهبه الله من عنده، من طبيعته الخاصة، لنعرف به أعمال طبيعته الخاصة. أما هنا فالقديس بولس لا يطلب طلبة جديدة تتعلق ببقية عمل الروح الذي يعطينا الله، ولكن تتركز في النتيجة المباشرة لعمل روح الحكمة والاستعلان في داخلنا نحن، في أعماق إنساننا الداخلي، حيث عيون ذهننا هي نفسها قدرة وعينا الداخلي على النظر إلى الأمور التي يستعلنها الروح، فيفرزها ويكشف مقدار الحكمة فيها ويستوعبها ويفهمها ويستذكرها. وبمعنى آخر طلبة ق. بولس تنقسم إلى قسمين، قسم يختص بعطية الله الخالصة التي تعمل فينا، وقسم يختص بقدراتنا نحن الداخلية على مدى إدراك واستيعاب وفهم ما يعمله الروح القدس من جهته في داخلنا، وإلاَّ يظل عمل الروح القدس يحتاج إلى من يستوعبه.

فهنا ينضم الشقَّان معاً، عمل الروح الخاص في توعية قلوبنا وإعلان حكمة الله في كل الأعمال التي عملها الله فينا ومن أجلنا، ثم إنارة الله عيون أذهاننا، أي قدراتنا الواعية والمستوعبة، لكي نستطيع أن نعرف ونفهم ونستوعب كل ما يعلنه لنا الروح من أعمال الله وحكمته.

«عيون أذهانكم»: τοὺς ὀφθαλμοὺς τῆς καρδίας

الإنسان يرى بعينيه الظاهرتين ما هو ظاهر (العالم). وبعينيه هاتين يستحيل عليه رؤية الأمور غير الظاهرة والخفية (الروحية). هكذا أمدَّ الله الإنسان بعيون داخلية يرى بها أمور الله غير المستعلنة ـــ حقائق وجواهر. ولكن رؤية العيون الداخلية ليست كرؤية العيون الظاهرة.

فالعيون الظاهرة ترى **صور الأشياء** المتغيرة والزائلة منطبعة على العيون، ويتبيَّنها المخ ويحتفظ بها. أمَّا العيون الداخلية فترى **حقيقة وجوهر الأشياء** وليس ظاهرها أو صورتها. فالعيون ترى أي إنسان كصورة تدركها وتتعرَّف عليها وتحفظها في الذاكرة: **الرؤيا** كصورة أولاً ثم **الإدراك والتعرُّف والحفظ.**

أمَّا العين الداخلية: **فتتعرَّف** أولاً على جوهر الخلاص الذي تمَّ بواسطة ربنا يسوع المسيح.
ثم **تدرك** كيف تمَّ وكيف صار من نصيبنا إدراكاً واضحاً.
ثم تكوِّن صورة ذهنية له في الوعي الداخلي تسترجعها كلما شاءت.

وهكذا تتخذ العين الداخلية طريقاً هو عكس ما تتخذه العين الظاهرة لتكوين الصورة:
تتعرَّف أولاً، ثم **تدرك** جيداً، ثم **تكوِّن الصورة** الذهنية وتحتفظ بها.

ولكن كيف تتعرَّف العين الداخلية ـــ أي الوعي الذهني والروحي داخل الإنسان ـــ على حقائق الأمور وجوهرها، ونحن نعلم تماماً أن **حقائق الأمور وجوهرها إن** كانت صحيحة **فهي لا** تُستمد إلاَّ من الله.

هنا يتقابل عمل روح الحكمة والإعلان في معرفة الله، وكشفه للحقائق والجواهر، مع عمل العيون القلبية أي الوعي الذهني والروحي في داخل الإنسان. فعمل روح الحكمة والإعلان في تعريفنا بالله إذا لم تستقبله عيون قلبية مستعدة تماماً وصالحة تماماً لاستقباله فإنه يبقى بلا عمل.

هكذا تصبح العيون القلبية المستعدة لتكون على مستوى استقبال حقائق الله وجواهر أعماله التي يكشفها الروح ويعلنها، في غاية الأهمية لفهم الخلاص وقبوله والشركة فيه.

«مستنيرة»: πεφωτισμένους = اسْتُنيرت.
هذا هو الاصطلاح الذي يعبِّر عن العيون المستعدة تماماً والصالحة تماماً لاستقبال حقائق الله وجواهر أعماله التي يكشفها الروح القدس للإنسان.

ولكن ما معنى «"مستنيرة" عيونكم» في الواقع العملي؟
القاعدة العامة هي أن الله نور، نور في ذاته وبالتالي في كل أفكاره وأعماله وكلماته. ونور في كل المحيط الذي يحيط به الله. لذلك يُقال: الله نور العالم، هكذا أعلن المسيح وجاهر: «أنا هو نور العالم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة» (يو٨: ١٢). أي أن كل ما هو ليس للمسيح ومن المسيح وفي المسيح فهو ظلمة.

هذا كان معلوماً منذ العهد القديم فيقول إشعياء النبي متنبئاً عن مجيء المسيح في أرض الجليل هكذا:

+ «طريق البحر عبر الأُردن جليل الأمم، الشعب الجالس في ظلمة **أبصر نوراً عظيماً** والجالسون في كورة الموت وظلاله **أشرق عليهم نور.**» (مت٤: ١٥و١٦)

والمسيح نور لأنه هو الله: «الله ظهر في الجسد» (١تي٣:١٦)، لذلك فكل ما عمله الله في المسيح وبالمسيح هو نور، ويستحيل لمن كانت عينه غير حاصلة على نور الله أن تدرك شيئاً منه. الله محبة وكل مَنْ يسلك في المحبة يسلك في الله، والذي يسلك بدون محبة يقول عنه يوحنا الرسول: «مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه.» (١يو٢:١١)

إذاً، هنا عين منيرة بالله وبالحب وعين مظلمة لأنها بعيدة عن الله والمحبة. وبهذا تكون «مستنيرة عيون أذهانكم» تعني: أن الإنسان يحفظ وصايا المسيح، أي يحب الله ويحب القريب ـــ أي يسلك في النور ـــ بهذا يكون مع الله يعيش، وفي المسيح يسلك، وبكلمات الإنجيل يهذُّ الليل والنهار، فيضيء الله أعماقه وبهذا تستنير عيون ذهنه، أي يصبح وعيه الذهني الروحي في أعماقه على مستوى فهم واستيعاب كل أعمال الله وأسراره. وقلنا سابقاً ونعود ونكرر أن معرفة حق الله هي حتماً شركة فيه لأن معرفة حقائق الله تعني استعلانها كما هي بغية قبولها والاشتراك فيها والحياة بها، لأن حقائق الله تُستعلن فقط لمن يستحقها، أو على قدر الحق الذي فينا:

+ «طوبى لعيونكم لأنها تبصر»!! (مت١٣:١٦)
+ «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأمّا الآن فنور في الرب.» (أف٥:٨)
+ «إن أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون (الخلاص) ولم يروا.» (مت١٣:١٧)

ونعود وننبِّه أن «استنارة عيون القلب» شيء والاستنارة بالروح القدس شيء آخر. لأن الاستنارة بالروح أو روح الاستنارة هو من عمل الروح القدس الخاص فهو روح استنارة يضيء على ذهن الإنسان، أمّا استنارة عيون الذهن في الإنسان فهو عمل يختص بالإنسان وفي الإنسان، من واقع حب المسيح وحفظ وصاياه ودراسة كلمته والسلوك أمامه بخوف. فيحصل الإنسان على استنارة بنور المسيح في وعيه الداخلي ويصبح بدوره قادراً أن يستوعب عمل الروح القدس فيه وكأنه بمثابة تركيب عين جديدة روحية للإنسان الجديد في الداخل ليستوعب بها أعمال الروح:

«لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي **أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح**» (٢كو٤:٦)، والذي تعذَّر على موسى صار حقاً لنا، هوذا أُعطي لنا أن نرى وجه الله ونعيش: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها» (٢كو٣:١٨)، «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (١يو٣:٢)

هذا أجمل تعبير عن تركيب عيون مستنيرة جديدة في قلب الإنسان!! لتصبح معرفة مجد الله في وجه المسيح منيرة ومُدرَكة جيداً. ويمكن تعديلها (الآية) ليتضح المعنى أكثر هكذا: "لأن الله أشرق بوجه يسوع المسيح في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله". والسؤال: كيف يُشرق وجه يسوع المسيح في قلوبنا؟ بتمجيده وتسبيحه وحفظ كلمة إنجيله، لأن كلماته نور ومنيرة وهي التي تُصوِّر وجهه في قلوبنا وبهذا يُستعلَن مجد الله في كل أعماله: «كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم.» (يو١: ٩)

إذاً، فنحن في عهد النور: «الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضيء» (١يو٢: ٨)، والمسيح حينما يحل في القلب ــ بالإيمان، بالكلمة، بالحب الأخوي من قلب طاهر بشدة ــ حينئذ يُستعلن مجد الله: «لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة **مجد الله** في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦). لقد حدث ذلك بصورة عملية للقديس بولس. لأنه بمجرد أن أشرق وجه المسيح عليه من السماء، استعْلَن بولس كل أمجاد الله وأعماله: «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدَّسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى **القصد والنعمة التي أُعطيت** لنا في المسيح يسوع **قبل الأزمنة الأزلية**، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت **وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل**» (٢تي١: ٩و١٠). الإنجيل هو نور الحياة والخلود، هو الذي ينير عيون قلوبنا وأذهاننا لنستقبل نور الحياة والخلود ونُدرك كيف وأين ومتى نضع خطواتنا على طريق الحياة الأبدية يوماً بيوم.

«لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين»:

هنا الغاية النهائية من عمل روح الحكمة والإعلان في معرفته، ومن استنارة عيون أذهاننا! فكل همِّ ق. بولس وشاغله الشاغل أن نتعرَّف بأنفسنا، وليس عن طريق تعليمه هو فقط، بالنسبة للمواهب العظمى التي دبَّرها الله من أجلنا من خلال أعمال الفداء والخلاص الرهيبة، وهو هنا يبدأ بنهاية وغاية عطايا الله الثمينة: رجاء دعوته، وغنى مجد ميراثه:

+ **حيث رجاء دعوته** يشد من أزر إيماننا وجهادنا وأرواحنا الآن في هذا الدهر، ويجعلنا نتطلع بثقة إلى مستقبل عجيب وباهر مع المسيح والآب في السماء.

+ **وحيث «غنى مجد ميراثه في القديسين»** يجعلنا نشعر أننا في وسط جوقة هائلة من الأرواح القديسة نالت الحظوة ليكون مصيرها مرتبطاً بالمسيح ارتباطاً أبدياً لا فكاك منه، ولنا معهم نصيب. ثم بعد أن ينتهي ق. بولس من وصف هذا النصيب النهائي، يدخل بعد ذلك في أوصاف دقيقة

لعمليات الفداء وما تمَّ في الموت والقيامة والصعود، لتصبح معرفتنا لهذه الأسرار على مستوى ما تمَّ بالحق، حتى تكون شركتنا فيها جاهزة. لأنها كلها إنما أكملها الله بقوته العظيمة المقتدرة من أجلنا، فكيف لا نكون على معرفة حقيقية بهذه الأمور التي يدعونا المسيح رسمياً بأن نشترك معه فيها كلها؟

«ما هو رجاء دعوته»:

لقد دعانا الله لنشاركه في المجد القادم ولنحيا في ظله الآن بالرجاء.

متى عيَّننا الله ودعانا، ولأي شيء عيَّننا؟

+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى **القصد والنعمة** التي أعطيت لنا في المسيح يسوع **قبل الأزمنة الأزلية.**» (٢تي١: ٩)

والقديس بولس شرح ذلك في بداية الرسالة: «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف١: ٥). فالآن ونحن في حالة تَبَنٍّ والروح يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله صارخاً فينا بلساننا يا أبًا الآب، يكون بالحقيقة «**قد دعانا**» كأبناء بالتبني.

والآن يدعونا ق. بولس لكي بروح الحكمة والإعلان وبعيون ذهننا المستنيرة نراجع مع الله ومع أنفسنا قيمة دعوته التي صارت لنا بالتبني، أو ما هي القيمة التي حصلنا عليها كوننا صرنا أبناء الله! ثم ما هو رجاء هذه الدعوة؟ حيث «**الرجاء**» هنا يقع مباشرة على ما هو آتٍ، أي مستقبل حياتنا مع الله الآب.

فأول كل شيء عرفناه، هو أن الله دعانا لنكون أبناءً لنشترك مع المسيح **في المجد القادم!**

+ **«كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة.»** (٢بط١: ٣)
+ «ونُشهِدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي **دعاكم إلى ملكوته ومجده.**» (١تس٢: ١٢)
+ «الذي **دعاكم** إليه بإنجيلنا **لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح.**» (٢تس٢: ١٤)
+ «وإله كل نعمة الذي **دعانا إلى مجده الأبدي** في المسيح يسوع ...» (١بط٥: ١٠)
+ «لأنكم قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا **فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد!**» (كو٣: ٣و٤)
+ «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح. إن كنا نتألم معه **لكي نتمجَّد أيضاً معه.**» (رو٨: ١٦و١٧)

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس **بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا.»** (رو٨:١٨)

كل هذا يوضِّح أن حياتنا مع المسيح إنما تترجَّى المجد الآتي بكل ثقة ويقين.

+ «**الذين سبق فعيَّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً**، والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً، والذين برَّرهم **فهؤلاء مجَّدهم أيضاً.**» (رو٨:٣٠)

واضح جداً أن الله سبق فعيَّننا للتبني، وعلى هذا الأساس **دعانا**. وهنا واضح أن نهاية الدعوة أنه «**مجَّدهم**». هذا المجد الأكيد الذي نلناه إزاء دعوة التبني هو جزء لا يتجزأ الآن من «**الرجاء**» الذي نعيشه بالإيمان والصبر! هو هبة.

ولكن يقول قائل: ومَنْ يُزكِّي فينا هذا الرجاء ومَنْ يشهد له؟

يقول ق. بولس أيضاً في رسالته إلى كولوسي: «الذين أراد الله أن يعرِّفهم **ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم** الذي هو "**المسيح فيكم رجاء المجد**"» (كو١:٢٧). **فطالما** نحن نعيش للمسيح والمسيح يعمل فينا، فهذا بحد ذاته أقوى تزكية لنمسك برجاء المجد المُعد!

كذلك فنحن قد علمنا أيضاً من ق. بولس أننا لمَّا آمنَّا بالمسيح: «إذ آمنتم **خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا** لفداء المقتنَى لمدح **مجده**» (أف١: ١٣و١٤). فهذا هو شاهد صدق رجاء المجد المُعدّ: ختم الروح، والروح نفسه فينا عربون قائم يطالب لنا بباقي حقنا في الميراث والمجد.

ولكن ق. بولس لا يكتفي بأن ننتظر في صبر لرجاء المجد القادم، بل يدعونا أن نفتخر به من الآن كأمر واقع: «لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول **إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله!!**» (رو٥: ١و٢).

والقديس بولس يصوِّر لنا الكنيسة باعتبار المؤمنين ككل وقد أعدَّها المسيح للمجد بكل اهتمام واعتناء، كما يعدُّ الرجل عروسه لتكون على أعلى كرامة: «أحب المسيح **أيضاً** الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدِّسها مطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة **مجيدة** (**ممجَّدة**) ... مقدَّسة وبلا عيب.» (أف٥: ٢٥-٢٧)

أمَّا بطرس الرسول فيرى أن دعوة الله لنا للمجد تصيِّرنا بالفعل شركاء الطبيعة الإلهية!! «إن قدرته الإلهية قد وَهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي **دعانا بالمجد والفضيلة**، اللذين

بـهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي **تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية.**» (٢بط١: ٣و٤)

يعوزنا جداً أن نراجع دعوة الله لنا كل يوم لأنها كفيلة أن ترفع عنا كل همٍّ وغمٍّ وضيق وحزن وارتبـاك، سـواء مـن عثرات فينا أو عثرات في طريقنا، أو حروب بلا سبب. فنحن حتماً مدعوون لـنـقـف أمـامـه في المسيـح قديسين وبلا لوم في المحبة. هذا أمر تسجَّل لنا كحق إلهي منذ الأزل، وأعطـي لـنـا أن نمدح مجد نـعـمـته التي أنعم بها علينا في المحبوب. فنحن في المسيح شركاء محبة، شركاء فضيلة، شركاء قداسة، شركاء مجد، شركاء الطبيعة الإلهية. هذا ليس مجرد إحسان من الله بـل هـذا تـمَّ حـسـب مسرة مـشـيئته. فإن وثقنا وآمنا وصدَّقنا وثبتنا على وعده فنحن بذلك نزيده سروراً، بل ونحقق مسرة مشيئته من نحونا!

وإن كـان ق. بـولس قال مرَّة: «إن كان الله **معنا فمن علينا**» (رو٨: ٣١)، فنحن نقول إن كـان الله هـكـذا يُـسـرُّ بنا ووقوفنا أمامه يكمِّل مسرة مشيئته بل ويفرِّح قلبه، فكيف لا نطرح عنَّا كـل هـم ونـدوس على كـل تـهـديـد أو وعـيد ونرفض كل حزن ونفرح في آلامنا لأن «الآب نفسه يحـبكم»!!! (يو١٦: ٢٧). هذا هو «**رجاء دعوته**» الذي يتحتَّم أن يغلي في قلوبنا ولا نكف عن تزكيته بالصلاة والشكر والتسبيح نهاراً وليلاً.

«وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين»:

الآيـة هنا حيَّرت العلماء، لأن المظنون أن تكون «ما هو غنى مجد ميراث القديسين فيه». هذا صحـيـح ووارد، ولـكـن الـذي عـمـلـه الله يـفـوق هذا الظن، كما تفوَّقت كل مراحم الله وألطافه وإنـعـامـاته عن كل تصوُّر. وهل يتصوَّر أحد أن الخطاة الذين تعفَّنوا في خطاياهم وماتوا ولم يعد لهم وجـود وصـاروا خـارج السياجات، مُزدرَى بهم ومُداسين عَبَدة أوثان ومُدمني خطايا، يحتضنهم الله ويحـبـهـم ويُخاطبهم بلسان ق. بطرس قائلاً للأمم الذين آمنوا واعتمدوا وأحبوا: «أمَّا أنتم فجنس مخـتـار وكـهـنـوت ملوكي أُمة مقدسة شعب **اقتناء** (أي ميراث)» (١بط٢: ٩). ولكن الذي عمله الله في الـقـديـم في شـعـب إسرائيل وجعله «**ميراثه الخاص**»، الآن نعتز ونفتخر به نحن، إذ جَعَلَنا ميراثه:

+ «**لأنـهـم شـعـبـك ومـيـراثك** ... لأنك أنت **أفرزتهم لك ميراثاً** من جميع شعوب الأرض.» (١مل٨: ٥١و٥٣)
+ «واختار داود عبده ... ليرعى يعقوب شعبه **وإسرائيل ميراثه.**» (مز٧٨: ٧٠و٧١)

+ «بها يبارك رب الجنود قائلاً مبارك شعبي مصر، وعمل يدي أشور، **وميراثي إسرائيل.**» (إش١٩ : ٢٥)
+ «أجمع كل الأمم ... وأحاكمهم هناك على شعبي **وميراثي إسرائيل.**» (يؤ٣ : ٢)

فإن كان شعب إسرائيل قد دعاه الله ميراثه، فكيف نتعجَّب عندما يقول الله عن غنى **مجد ميراثه في القديسين؟**

أليس نحن قد امتلأنا من المسيح الذي حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسدياً ونحن مملوؤون فيه، إذاً، هذا هو ملء المجد: «لأن المسيح فيكم رجاء المجد» (كو١ : ٢٧). إذاً، إن كان الله قد دعانا أن نقف أمامه قديسين وبلا لوم في المحبة في شخص يسوع المسيح ليُسرَّ ويفرح بنا، فقد صرنا ميراثه الجديد، وهو بالحقيقة ميراث غنى بمجد المسيح الذي فينا. هذا أمر لا يعقله العقل، لذلك طلب ق. بولس لنا روح الحكمة والفهم واستنارة عيون أذهاننا لندرك هذا السر الجديد، سر غنى مجد ميراث الله في القديسين!!

والله أيضاً قال مخاطباً المسيح في شخص المسيَّا: **«أُعطيك الأمم ميراثاً لك»** (مز٢ : ٨). إذاً، هذه الآية هنا هي من صميم روح التوراة أخذت جمالها وجلالها في العهد الجديد حينما كثَّر الله غنى مجده في ميراثه الجديد في قديسيه.

والقصد من التعرُّف عليها واستعلان حكمة الله فيها هو أن نتعرَّف نحن على مدى دالتنا التي ستصير مع الله الآب، حينما يُستعلن المسيح في مجده ويدخل ميراثه بصفته الابن الوحيد المحبوب، فنجد كيف أضاف الله من غنى مجده الأبدي الخاص علينا أيضاً، فصرنا شركاء مجد الابن في ميراث الله ومُنعَماً علينا ـــ بالإضافة ـــ بغنى مجد الآب!! ألم يقل المسيح للآب: «وأنا قد **أعطيتهم المجد** الذي أعطيتني» (يو١٧ : ٢٢)؟

إننا مدعوون للمجد مع الابن كشركاء. ثم يزيد أن الله أفاض أيضاً من غنى مجده علينا بزيادة. ماذا حدث؟ هنا بولس الرسول يدعونا بروح الحكمة والإعلان لمزيد من معرفة الله وأن تستنير عيون أذهاننا لندرك مدى أهمية وخطورة هذا الوعد، لأنه وعد الابن والآب لمجد مضاعف في ميراث مضاعف ضمَّه الله لنفسه ليكون ميراثه هو فينا، وكأنما صرنا حقاً أبناءه ليفتخر بنا، هذا يُذهلنا!

[١ : ١٩-٢٣]

سادساً: أسرار الله التي صنعها في المسيح يسوع لأجلنا

١ :١٩و٢٠ **«وما هي عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الفائقَةُ نحوَنا نحن المؤمِنينَ حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ، الذي عَمِلَه في المسيحِ إذ أقامَهُ من الأمواتِ وأجلَسَهُ عن يمينِهِ في السَّماوِيَّاتِ».**

لكي نفهم موقع وأهمية القيامة من الأموات في مسلسل الإعلانات التي قدمها ق. بولس من أول الرسالة حتى الآن، نذكرها بالترتيب:

أولاً: **الاختيار** الذي أجراه لنا ــ قبل تأسيس العالم ــ في شخص المسيح.

ثانياً: التبنّي في المسيح الذي قام على أساسه الاختيار، أي اختارنا ليأخذنا بنينَ لنفسه.

ثالثاً: الفداء الذي أجراه بيسوع المسيح لينقلنا من الظلمة إلى ملكوت ابن محبته.

رابعاً: مغفرة الخطايا بدم يسوع المسيح، التي من أجلها تمَّ الفداء.

خامساً: إعلان مشيئة الله كيف يجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض.

سادساً: أ ــ **سَبْق نوال اليهود** (الذين آمنوا وصاروا مسيحيين) **لنصيبهم في المسيح** والميراث السماوي.

ب ــ **نوال الأمم نفس النصيب** بعد إيمانهم ونوالهم ختم الإيمان والروح القدس عربون الميراث.

سابعاً: تقديم صلاة لله **ليمنحنا روح الحكمة والإعلان في معرفته** وإنارة عيون قلوبنا.

(أ) **لنعلم ما هو رجاء دعوته بالمجد.**

(ب) **غِنَى ميراث الله في القديسين،** الذين نحن نمثلهم على الأرض.

وهذه كلها تشكل قضايا بشرية خلاصية عامة ثم خاصة. والآن يدخل بولس الرسول في كشف وتحليل عناصر الخلاص، وكم كلَّفت الله، وذلك بتدقيق لنكون على وعي بكيف تمَّ خلاصنا، لنُقيِّمه إيمانياً تقييماً يناسب القوة العظمى التي عملته ونعتز ونفتخر به ونعرف أين نحن منه.

أولاً: القوة الإلهية الفائقة التي مارسها الله:

(أ) لإقامة المسيح من الأموات.

(ب) **وأجلسه عن يمينه في السموات.**
(ج) **وأخضع كل قوة ورياسة وسلطان تحت قدميه.**
(د) **وجعله رأساً للكنيسة.**
(هـ) **وضمَّنا إليه لنكون جسده** = الكنيسة.
(و) سلطة الكنيسة وامتدادها.

والآن نتمعَّن في الأدوات التي استخدمها الله:

قدرته = δυνάμεως = power
عمل = ἐνέργειαν = operation
شدَّة = κράτους = might
قوة = ἰσχύος = strength

هذه الأوصاف كما جاءت باليونانية واضحة وأيضاً ترجمتها بالإنجليزية، ولكن لأن هذه الاصطلاحات تختص بالتحليل العلمي (الميكانيكي) الروحي، فإنها جاءت بالعربية متقاربة وغير واضحة بحيث يمكن أن تحل الواحدة محل الأخرى بسهولة. لذلك وبالتالي يضيع منا تحليل المعنى تحليلاً واقعياً. ولكن الذي نقوله، أن بولس الرسول في هذه القائمة العجيبة قد أبدى منتهى الدقة في اختيار الأوصاف وتمادى في تقديمها على أعلى قوتها وشدتها، مستخدماً كل الألفاظ الممكنة للتعبير عن عظمة وضخامة وشدة وبأس العمل الذي عمله الله في المسيح لكي يُقيمه من الأموات ونحن فيه، ثم يُجلسه عن يمينه في السموات ونحن معه، ثم يُخضع كل شيء تحت قدميه، ثم يجعله رأساً لكل شيء وفوق كل شيء لحساب الكنيسة التي هي نحن.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة بالنسبة لهذه القوى العظمى والهائلة التي استخدمها الله في إقامة المسيح من الأموات: ما هي هذه القوة؟ ولماذا هي هكذا بأوصافها الفائقة عن اللغة والفهم والتصوُّر؟ وهل يمكن لنا نحن الآن في القرن العشرين أن نأخذ فكرة أو صورة ذهنية عن هذه القوة؟

عزيزي القارىء، معلوم عندك تماماً كيف فجَّر الإنسان الذرَّة، ومدى القوة المرعبة التي خرجت منها لتفككها إلى مجرد طاقة حرارة ذرية لا حدَّ لقوتها، ونور ذرِّي بلغ من شدته أن طبع ظل الأشجار على صخور الجبال البعيدة وبقيت الصورة على الحجر حتى اليوم، ثم قوة انطلاق ودفع وتفريغ وضغط دكَّت مدينتين ــ هيروشيما ونجازاكي ــ إلى أنقاض!! كل ذلك نتج من تفكيك

كمية من ذرات اليورانيوم تُقدَّر بثلاثين جراماً، أقل حجماً من بيضة الفرخة!! ثم تبددت كل آثار هذه الطاقة في الكون ولم يبقَ منها إلاَّ موجات مجهولة الهوية.

والسؤال الآن: إن كانت المادة تحوي هذه الطاقة المرعبة والتي لا توجد لها ألفاظ لتصفها وصفاً واقعياً، أدركناها تماماً وعياناً ومقياساً عند تفكيكها؛ فكم احتاجت هذه المادة كلها التي يتكوَّن منها العالم كله من القوة والطاقة لكي يضغطها الله ويحوِّلها إلى هذه الصورة الجامدة المتعددة الأشكال والألوان من جبال وصحارٍ وبحار، والتي لا تخرج جميعها عن هذه الطاقة التي رأيناها ولمسناها عند انفجار القنبلة الذرية على هيروشيما؟

والآن نسأل: إن كان تفكيك المادة وإزالتها من الوجود ــ ولو تباسطنا نقول «موتها» ــ نتج عنه هذا الكم الهائل والمرعب من الطاقة المدمرة؛ ثم الذي على ضوئه تصوَّرنا أن الكم المطلوب من الطاقة أصلاً لتكوينها تحت الضبط الهائل وإخراجها للوجود في صورة مادة ــ أي في الخلق الأول ــ يكون أكثر بحسب الأصول العلمية.

فالآن ماذا يمكن أن نتصوَّر ــ بدل المادة في مجال الروح ــ فيما ينشئه **الموت** من طاقة روحية تتبدَّد؟ في موت المسيح! وبالتالي ماذا يمكن أن نتصوَّر من طاقة روحية لازمة لإعطاء طاقة حياة لميت (أي الذي هو بمثابة خَلْق جديد) ليقوم من الأموات؟

لذلك أعتقد هنا أن استخدام بولس الرسول لكل هذه الأوصاف للطاقة اللازمة لإقامة يسوع المسيح من الأموات، هي صحيحة وربما أقل من الحقيقة: «وما هي **عظمة، قدرته الفائقة، نحونا**، نحن المؤمنين، حسب **عمل، شدَّة، قوته**، الذي **عمله** في المسيح إذ **أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات** ... وأخضع كل شيء تحت قدميه.» (١:١٩-٢١)

ولكن همَّ ق. بولس الأكبر هو أن هذه القوة الهائلة التي استخدمها الله لإقامة المسيح من الأموات وجلوسه عن يمينه في السموات وإخضاع كل شيء تحت قدميه هي، كما قال في بدء الآية، هي «**من نحونا**»، أي من أجلنا صنع الله كل هذا الذي صنع في المسيح!

إذاً، فقصد ق. بولس أن نستخدم معرفتنا الآن، بروح الحكمة والإعلان، وبالعيون المستنيرة للذهن لفهم علاقتنا بهذه القوة، فهي لا تزال قائمة وفعَّالة «نحونا»، لأنه من المعروف ومن صميم الإيمان أننا متنا معه وقمنا معه وبالتالي خضعنا لعظمة القدرة الإلهية الفائقة وجُزْنا مع المسيح في عمل شدة قوة الله، إذ نحن الآن في حالة قيامة وحياة في القيامة. والقديس بولس بعد ذلك يعود

ويذكّرنا بهذا: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ... وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع.» (أف٢: ٥و٦)

معنى هذا أن قيامتنا الآن، وتلك العتيدة أن تكون، محفوظة بعظمة قدرته الفائقة نحونا وعمل شدة قوته فينا!! فمن ذا يستهين بعد بقيامة المسيح من الأموات أو بقيامتنا نحن معه، وترائينا أمام الله كل يوم باعتبارنا قمنا من موت الخطية ونحيا الآن القيامة في بر الله والمسيح!!

ولكن لا يزال اهتمام ق. بولس الشديد بوصف القوة العظمى التي أقامت المسيح من الأموات وأصعدته أعلى من السموات يحمل معانيَ جديدة وعظيمة حقاً:

(أ) أليس هذا الوصف بكل تعبيراته الضخمة يكشف عن مدى تعظيم الآب للمسيح الذي بذل حياته على الصليب لخلاص العالم؟ وبما يتناسب مع كرامة ومجد الابن؟ الذي نزل بإرادته تحت الهوان والمذلّة:

+ «وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه **وأطاع** حتى الموت موت الصليب، لذلك **رفّعه** الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومَن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ٨-١١)

إذاً، في هذه الآيات يظهر وضوح تعظيم الله الآب ليسوع المسيح لأنه أطاع حتى الموت!! وهي رؤية نبوية قديمة تكلّم عنها داود النبي: «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز١١٠: ١). هنا الجلوس عن يمين الله قمة الإعلان عن علو شأن الابن عند الله الآب:

+ «مَنْ هو الذي يَدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي **هو أيضاً عن يمين الله** الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو٨: ٣٤)
+ «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس **عن يمين الله.**» (كو٣: ١)
+ «ثم لمَنْ من الملائكة قال قط **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (عب١: ١٣)
+ «وأمّا رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا **قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات.**» (عب٨: ١)

+ «أمَّا هذا فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة **جلس إلى الأبد عن يمين الله.**» (عب١٠: ١٢)

+ «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي **فجلس في يمين عرش الله.**» (عب١٢: ٢)

علماً بأن يمين الله ليس موضعاً ولا مكاناً ولا رتبة ولكن كناية عن المساواة الكاملة ووحدة القوة والسلطان والعمل.

وأيضاً يستمر ق. بولس ليوضِّح مدى التمجيد والارتفاع والسلطان الذي ناله المسيح بسبب تألمه وموته بطاعة مذهلة: «وأخضع كل شيء تحت قدميه **وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة...**» (أف١: ٢٢)

(ب) ثم أليست هذه الأوصاف تحمل أيضاً أقوى تعبيرات عن الحب غير الموصوف الذي يربط الآب بالابن الذي يتوازى مع هذه القوى الهائلة المستخدمة لإقامته وإجلاسه عن يمين الله؟

(ج) ولماذا كل هذا؟ للإنسان؟ لنا نحن؟ ومن أجلنا؟ إذاً، أي تكريم وأي تمجيد وأي محبة هذه كلها التي كشفها الآب في ابنه ليعلنها لنا واضحة صريحة أنه أحبنا حباً لا يُوصف، واختطفنا من الموت من براثن عدو مقتدر شرير، لنحيا في مجده وبجواره كما يشتهي الآب الحنون أن يفرح بأولاده من حوله.

(د) ثم بعد كل شيء وقبل كل شيء، فالله أراد أن يُظهر عظمة قدرته الفائقة وشدة قوته لتكون جزءاً لا يتجزأ من إيماننا به.

ق. بولس يصرُّ على أن إقامة المسيح من الأموات هي أقوى تعبير إلهي صدر من الله على الواقع العملي لإعلان بنوَّة المسيح الجوهرية للآب: «عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعيَّن **"ابن الله" بقوة** (وقد تكلَّم هنا في رسالة أفسس عن هذه القوة بأكثر وضوح) من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو١: ٣و٤)

كما يصرُّ بطرس الرسول أن الله هو الذي أقامه من الأموات:

+ «ورئيس الحياة قتلتموه الذي **أقامه الله من الأموات** ونحن شهود لذلك.» (أع٣: ١٥)

وأيضاً: «فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري

الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً.» (أع٤: ١٠)

وأيضاً: «هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم.» (أع١٠: ٤٠و٤١)

وأيضاً لبولس الرسول: «الله ... أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل "برجُلٍ" قد عيَّنه مقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه (الله) من الأموات.» (أع١٧: ٣١)

والآن وبعد أن أكمل المسيح عمل الآب، وقام وصعد وجلس عن يمين الله، بذلك يكون قد أنهى المسيح عمله على الأرض حسب قصد الله بكل قوة الله هذه وفاعليتها. هكذا وبالنهاية تكون «عظمة قدرة الله الفائقة»، وشدَّة قوته، قد استقرت في صميم حياتنا، لأن الأعمال التي عملها في المسيح كانت أصلاً من نحونا، وعمل المسيح وإن كان قد انتهى على الأرض ولكنه قائم كما هو ودائم كما هو فينا نحن. فموت المسيح انتقل من الحدث الزمني للمسيح ليستقر في كياننا البشري إلى الأبد كحياة في الله، كقائمين من الموت. لأننا سنحيا القيامة العتيدة بهذه القوة التي استقرت فينا ولن تغادرنا، لذلك لن يسود علينا الموت أبداً! فهذه القوة المتعاظمة التي لله تحوَّلت فينا إلى حياة أمَّنها لنا المسيح، بأن صارت كل القوات والسلاطين مُخضَعَة تحت قدميه بواسطة هذه القوة عينها. انظر أية شدَّة قوة وأية عظمة قدرة فائقة حازتها البشرية بقيامة المسيح وظلت محتفظة بها باعتباره رأسها.

ثم لا تستكثر، عزيزي القارىء، هذه الينابيع الكثيرة التي انفتحت علينا من قِبَل الله بسبب قيامة المسيح المملوءة أسراراً. اسمع ق. بولس نفسه وهو الرسول ذو الدراية الفائقة بسر المسيح يقول: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته، لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات» (في٣: ١٠و١١). إذاً، القديس بولس الذي يتمنى لنا المعرفة المفتوحة بالعيون المفتوحة بكل حكمة وبروح الإعلان، لا يزال هو نفسه يجتهد ليعرفه ويعرف قوة قيامته وأسرار شركة آلامه وأقصى ما يتمناه أن يتشبه بموته أي يستقبل في أعماقه سر قوة طاعته ليبلغ سر قيامته.

نحن نشتهي أن نتعرَّف على سر عظمة قدرة الله الفائقة وشدة عمله الذي عمله في المسيح لأجلنا. لأنها هي وحدها، بقياسها السري الفائق هذا وعملها غير المنظور، تقدر أن تنقلنا إلى حياتنا الجديدة بإنساننا الجديد لنحيا مع المسيح ــ كما يقول ق. بولس تماماً ــ متشبهين بموته بكل طاعته وانسحاقه حتى نبلغ إلى قيامة الأموات بشموخها الذي طال السماء.

+ «الله قد أقام الرب وسيُقيمنا نحن أيضاً "بقوته"!!» (١كو٦: ١٤)
+ «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيُقيمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح ويحضرنا معكم.» (٢كو٤: ١٤)
+ «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو٢: ١٢)

١ : ٢١ «فوقَ كلّ رياسَةٍ وسُلطانٍ وقوّةٍ وسيادةٍ وكلّ اسمٍ يُسمَّى ليس في هذا الدهرِ فقط بل في المُستقبَلِ أيضاً».

بعد أن ارتفع المسيح وجلس عن يمين الله أصبح «يعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (في٢: ١١)، أو كما قال ق. بطرس: «هذا هو ربُّ الكل» (أع١٠: ٣٦). ومعروف أن ابن الله قبل أن يتجسَّد كان مركزه أنه «**خالق الكل**»: «فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواءٌ كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكلُّ به وله قد خُلق» (كو١: ١٦). لذلك لمَّا أكمل الابن تدبير الآب من جهة الفداء، وقَبِلَ الموت موت الصليب من أجلنا، رفَّعه الله وجعله فوق أعلى جميع السموات ليأخذ مركزه الأول «**فوق الكل**» كما تقول الآية هنا، فليس هذا وضعاً جديداً للمسيح الابن المتجسِّد بل هذا هو سابق وضعه، استردَّه وهو متجسِّد بجدارة و بقوة مضاعفة.

وإنجيل ق. يوحنا يشهد بفم المعمدان بمركز المسيح أولاً وأخيراً: «الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع ... الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع.» (يو٣: ٣١)

وق. بولس يكمِّل كلام المعمدان بحذق إلهي واضح: «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف٤: ١٠)

والقصد الأساسي من تعديد ق. بولس لهذه الأسماء أو الألقاب: «كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة»، هو تفنيد أفكار الفلاسفة والمراطقة، الذين كانوا قد اخترعوا نظريات في الخلق وفي وجود عناصر متداخلة في الخلق على درجات وألقاب. وهنا ق. بولس يذكرها ويزيد ما سوف يستجد من نظريات بأسماء جديدة سواء ادَّعوا أنها قائمة أو ستقوم(٣٢): «لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً

32. F. Foulkes, *op. cit.*, p. 72.

فوق كل اسم(٣٣) لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض (الأموات) ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في٢: ٩-١١)

واضح هنا أن ق. بولس يصرُّ أن الله أعطى المسيح اسماً فوق كل اسم لكي يخضع من تحته كل اسم في الحاضر والمستقبل أيضاً.

هذا من جهة أن هذه الرئاسات والسلاطين والأسماء هي، بحسب ادعاء الهراطقة، قوات سمائية نصف آلهة. ويقول كثير جداً من العلماء حتى التقليديون إنه لا وجود لمثل هذه الخلائق. فالقديس بولس يردُّ هنا على الغنوسيين الذين يجزمون بأنها خلائق موجودة ومتوسطة بين الله والمسيح وكان لها دور في الخلق.

هنا القديس بولس الرسول مقتنع قطعاً ضد نظرية توسُّط الملائكة برئاساتها في الخلق والتدبير، فهو هنا يشير إلى هذه الأسماء وحسب ولكن لا يعترف أبداً لا ضمناً ولا تلميحاً بوجود هذه الخلائق التي لم يحددها، إن كانت سمائية أو أرضية.

كل ما عمله ق. بولس هنا هو أنه ألغى أية صفة أو أي عمل لمثل هذه الخلائق سواء كانت موجودة أو غير موجودة، فبإلغائه أية قيمة أو عمل لمثل هذه الأسماء، يكون في حقيقة الأمر قد ألغى وظيفتها الوهمية في الخلق. وكأن لسان حال ق. بولس يقول إنه سواء وُجدت حقاً هذه الخلائق أو أنها مجرد اختلاق، فالمسيح أخضعها تحت قدميه إخضاعاً كلياً ونهائياً.

أمَّا بالنسبة للرئاسات والسلاطين الأشرار وهي طبعاً التي تتبع الشيطان، القوة الشريرة الكبرى، فالقديس بولس انتهى منهم في رسالته إلى كولوسي: «إذ محا الصك الذي علينا في

(٣٣) يقطع العلاَّمة أبوت أن ق. بولس لم يذكر هذه الأسماء تخميناً من عنده، لأنها مذكورة في كتاب: «عهد البطاركة الاثني عشر» Testament of the Twelve Patriarchs، وهو مؤلَّف يهودي مسيحي مكتوب سنة ١٣١م تقريباً، حيث ذكر سبع رتب، أعلاها اثنان في السماء السابعة، وهما العروش θρόνοι والسلاطين ἐξουσίαι، والآخرون مذكورون بحسب وظائفهم.

وأوريجانوس يذكر خمس درجات تصاعدية: الملائكة القديسون، الرؤساء، السلاطين، العروش، السيادات.

وأفرآم السرياني وهو يشرح سفر التثنية (١: ٥) يعطي ثلاث رتب عليا مقسَّمة إلى تحت رتب:

١- آلهة θεοί، عروش θρόνοι، أرباب κυριότητες.

٢- رؤساء ملائكة ἀρχάγγελοι، رياسات ἀρχαί، سلاطين ἐξουσίαι.

٣- ملائكة ἄγγελοι، قوات δυνάμεις، شاروبيم χερουβιμ، سيرافيم σεραφιμ.

(انظر Abbott, op. cit., p. 33).

الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مُسمَّراً إياه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو٢: ١٤و١٥)، بل وأنهى على كل قوة شريرة معاكسة أيًّا كانت، لا بالنسبة له كربِّ الكل فقط، بل بالنسبة لنا ليؤمِّن لنا حياة معه لا يعتريها خوف ولا قلق. لهذا انطلق ق. بولس من هذا المنطلق ليقول:

+ «فإني متيقِّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.» (رو٨: ٣٨و٣٩)

+ «بقيامة يسوع المسيح الذي هو في يمين الله، إذ مضى إلى السماء، وملائكة وسلاطين وقوات مُخضَعَة له.» (١بط٣: ٢٢)

ليس كأننا أصبحنا وقد أخذنا الغلبة النهائية على الشيطان وجنوده وأعوانه، ولكن هؤلاء أخضعهم المسيح تحت قدميه وظفر بهم على الصليب وأشهرهم، فأصبحوا منهزمين له ولاسمه ولصليبه، وسلَّمنا المسيح اسمه وصليبه كضمان لنصرة أكيدة إنْ دخلوا معنا في مصارعة:

+ «فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا.» (أف٦: ١٢و١٣)

أمَّا سلاح الله الكامل فكما سبق وقلنا هو اسم المسيح وصليبه، ويضيف بولس الرسول أسماء هذه الأسلحة: «الحق»، «البر»، «الإنجيل»، «الإيمان»، «الخلاص»، «كلمة الله» مع «الصلاة والسهر.» (أف٦: ١٠-١٨)

وقد أعطانا القديس يعقوب سر النصرة واستصغار قوة العدو: «قاوموا إبليس فيهرب منكم.» (يع٤: ٧)

١: ٢٢ **«وأخضَعَ كلَّ شيءٍ تَحْتَ قدمَيهِ وإياهُ جَعَلَ رأساً فَوْقَ كلِّ شيءٍ للكنيسةِ».**

هنا رنين المزمور الثامن مسموع بوضوح:

«بمجد و بهاء كلَّلته[٣٤]، تُسلِّطه على أعمال يديك، **جعلتَ كل شيء تحت قدميه**» (مز٨:

(٣٤) المسيح حال تجسده وهو قائم في السماء.

٥و٦). وفي الرسالة الأُولى إلى كورنثوس نفهم أن إخضاع كل شيء تحت قدميه جاء نتيجة أنه أُعطي المُلك: «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه، (أمَّا) آخر عدو يبطل هو الموت» (١كو١٥: ٢٥و٢٦). ومن هذه الآية نفهم تماماً أن إعلان مُلك المسيح النهائي على العالم لم يجئْ بعد لأن الموت لا يزال قائماً ينخر في عظام المجاهدين على الأرض.

وإنما العالم كله الآن بسمائه وأرضه ينتظر تلك اللحظة الأخيرة التي يسمع فيها:

+ «سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير في السماء قائلاً هللويا الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا.
... فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء ...
ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع، ...
وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودِينَ الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم ... وسلَّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله،
وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار ...» (رؤ١٩: ١و٦ و٢٠: ١١-١٤)

«وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة»: κεφαλὴν ὑπὲρ πάντα τῇ ἐκκλησίᾳ

يُخطىء الكثيرون في هذه الآية بالذات ليقرأوها أن الله جعله رأساً للكنيسة، ولكن ولو أن في مواضع أخرى يذكر ذلك ولكن هنا بالذات يضعها بولس الرسول بصورة أخرى مكبَّرة وممجَّدة، **فالله جعله رأساً فوق كل شيء، من أجل الكنيسة**(٣٥).

والمعنى دفين مختبىء يفيد: أن المسيح كما هو قبل التجسُّد معتبَر خالقَ الخليقة كلها: «فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلق، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٦و١٧)؛ هكذا وبعد أن تجسَّد، لمَّا قام من الأموات وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب استعاد نفس ترؤسه وسيادته على الخليقة كلها متجسداً: «الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه.» (أف١: ٢٠-٢٢)

(٣٥) يلاحظ أنها جاءت باليونانية τῇ ἐκκλησίᾳ = من أجل الكنيسة، وليس τῆς ἐκκλησίας = للكنيسة.

ولكن بموت المسيح من أجل خطايا العالم وقيامته من الأموات، **وَلَدنا ثانية من جسده ولادة جديدة، فنشأت خليقة جديدة هي الكنيسة**، ذات امتدادات متناهية في القوة والاتساع باعتبار أنها جسده، وجسده الإلهي يحتوي الكل ويملأ الكل. وهكذا صار المسيح بالتالي رأس الخليقة الجديدة، الكنيسة، مع احتفاظه بسيادته على الخليقة الأخرى، أي كونه رأس كل خليقة أخرى. فلو تأملنا في هذا الوضع الجديد الذي نشأ بالنسبة للمسيح بعد قيامته من الأموات، فإننا نجد بوضوح أنه استعاد رئاسته على الخليقة وصار رأساً فوق كل شيء، للكنيسة، أي من أجل الكنيسة.

وهنا تسحَّبت على الكنيسة سلطة المسيح الفائقة كرأس على كل شيء إذ تحوَّلت لصالحها هذه السلطة. بهذا صارت هذه القوة الغالبة وقفاً على الكنيسة لأن المسيح مدبرها، وقد سلَّمها هذا الذي له، أو أنه يعمل فيها ولها بهذه السلطة الفائقة.

والمعنى الحقيقي عجيب وعظيم جداً، إذ يعني أن الله قد رفعه فوق كل شيء ووضع كل شيء تحت قدميه خصيصاً لأجل الكنيسة، لأجل الإنسان!! وهذا الأمر منطقي للغاية، لأن المسيح بحد ذاته وقد نال مركزه الأول عن يمين الله، أصبح في غير حاجة أن يخضع له كل شيء لأنه هو بالأصل خالق كل شيء، وكلُّ شيء يستمد وجوده منه!! ولكن الآن وقد **تجسَّد، وتأنس**، فأصبح خضوع كل شيء له مرة أخرى هو بالضرورة لحساب الجسد أي الكنيسة. وكأنما ابن الله تجسَّد خصيصاً لهذه الغاية: لكي ينقل خضوع كل شيء له كابن الله ليكون للكنيسة — جسده — أي البشرية المُفتداة والمتبنَّاة.

أمَّا الناحية الإيجابية في نوال هذا السلطان فيذكرها المسيح نفسه في صلاته للآب:

+ «مجِّد ابنك ليمجدك ابنُك أيضاً. إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل مَن أعطيته.» (يو١٧: ١و٢)

وبالفعل قد سلَّم المسيح سلطانه لتلاميذه ليكرزوا به للخليقة كلها بالحياة الأبدية:

+ «فتقدَّم يسوع وكلمهم قائلاً **دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض**: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ...» (مت٢٨: ١٨و١٩)
+ «وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا **ويكون لهم سلطان** على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين.» (مر٣: ١٤و١٥)
+ «فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم، **كما أرسلني الآب أُرسلكم أنا**، ولما قال هذا نفخ وقال لهم **اقبلوا الروح القدس** مَن غفرتم خطاياه تُغفر له ومَنْ أمسكتُم خطاياه أُمسكت.» (يو٢٠: ٢١-٢٣)

١ : ٢٣ «التي هي جَسَدُهُ مِلءُ الذي يملأُ الكُلَّ في الكُلِّ».

«للكنيسة التي هي جسده»:

[سر الكنيسة الأخيرة يستعلنه دانيال النبي مما يجعل كل أقوال بولس الرسول غاية في الواقعية وعلى نفس الاستعلان:

«أمّا قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين.» (دا٧: ١٨)

«حتى جاء القديم الأيام وأُعْطِيَ الدِّينُ لقديسي العلي وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة.» (دا٧: ٢٢)

«والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي، ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون، إلى هنا نهاية الأمر.» (دا٧: ٢٧و٢٨)].

يعلّق العلاَّمة وستكوت على هذا الوصف قائلاً: [إن هذا الوصف يحتفظ بملء قوته ومعناه].

كان هذا التصريح خطيراً للغاية، فهو يعني أن هدف المسيح الأخير من كل ما حصل عليه واكتسبه بقيامته من الأموات وصعوده وجلوسه عن يمين الآب وإخضاع كل شيء تحت قدميه، هو لأجل الكنيسة أي ليسلمه للكنيسة. ثم لكي يكشف سر العلاقة الجوهرية التي تربطه بالكنيسة، أعطاها هذا التعبير ـــ جسده ـــ الذي يربطه بها رباطاً ذاتياً كيانياً حياً أبدياً، كما يربطها هي به على نفس الكيان والمستوى.

ولننظر الآن إلى هذه الحقيقة من كل جانب:

+ «مُبطلاً بجسده (على الصليب) ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين (أُمماً ويهوداً) في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويُصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف٢: ١٥و١٦)

يُلاحَظ هنا أنه يقول: «يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً»، ثم يعود ويقول: «يُصالح الاثنين في جسد واحد مع الله». واضح هنا أن «جسده» يحل محل «نفسه» أي أن ما يخص نفسه يخص جسده. وهكذا يأتي اصطلاح «الكنيسة» أنها جسد المسيح ليعبِّر تعبيراً قوياً للغاية عن مدى الالتحام الجوهري الذي صنعه المسيح مع الكنيسة، تماماً على مستوى تجسُّده كيف أخذ جسداً واتحد به. هنا يكون المسيح في الحقيقة قد استعلن لنا سر الكنيسة قائماً في سر تجسُّده. **فالتجسُّد بداية والكنيسة نهاية.**

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي **يملأ الكل** ... **لبنيان جسد المسيح**.» (أف٤: ١٠و١٢)

واضح هنا أيضاً أن ارتفاع **المسيح فوق جميع السموات ليملأ الكل، كان ليعطي مواهب** وتدبيراً «**لبنيان جسد المسيح**» أي الكنيسة. **هنا علاقة قائمة ودائمة بين المسيح وهو فوق جميع السموات وبين جسده أي الكنيسة على الأرض وهو متكفِّل بملئها بالمواهب الروحية السماوية لبنيانها.** وليتنا نتنبه هنا لكلمة «ليملأ الكل» لأن الكنيسة نالت، بحق الأولوية كجسده، الملء الكافي لملء الكل في مشروع «جمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك».

+ «بل **صادقين في المحبة** ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو **الرأس المسيح**. الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عملٍ على قياس كل جزء، يحصل **نمو الجسد لبنيانه في المحبة**.» (أف٤: ١٥و١٦)

واضح أن **المحبة هنا هي سر البنيان للكنيسة، لأن الكنيسة برُمَّتها محسوبة أنها ملكوت محبة المسيح**: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى **ملكوت ابن محبته**» (كو١: ١٣). ونهاية نمو كل عضو في الكنيسة ــ في المحبة ــ أن يبلغ إلى الرأس الذي هو ابن محبة الآب، بمعنى أن **غاية إيماننا وجهادنا وحبنا لبعضنا البعض هو أن نبلغ شركة محبة المسيح**.

ويصف بولس الرسول الكنيسة وكأنها أعضاء ملتحمة ومرتبطة معاً، طبعاً بسر المحبة في الروح القدس، وكل عضو ينال من المحبة ما يعوزه تماماً، فلا يعود نقص بل اكتمال بين الأعضاء. وبذلك ومن التعاون معاً يحدث بنيان حقيقي، بمعنى نمو في المحبة والخدمة والبذل، وبالتالي الشهادة. وهو ينتهي بالبنيان بذكر المادة الأساسية فيه «**المحبة**».

والمنظر بديع حقاً، فالرأس في السماء يسكب من محبته على أعضاء جسمه على صورة نعمة ملازمة، والأعضاء تغتذي بنعمة المحبة، وتعود تفرزها على صورة أعمال محبة وبذل وخدمة وتعاون وتضحية وإنكار ذات.

+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

هنا بلغ التصوير للكنيسة كجسد المسيح أروع وأعظم تعبير بلغ من السرية ما يفوق العقل والخيال! فأن نكون جسد المسيح فهذا عظيم حقاً، لأننا نتمثل الجسد في تصوُّرنا كجماعة متحدة

اتحاداً ألغى الفوارق منها، والمسيح فيها يجمعها معاً بقوته الفائقة فيجعلها كأنها وحدة واحدة تعمل بإرادته لحسابه، هو فيها رأس بمعنى الفكر المدبِّر ومنبع المواهب ومصدر الروح؛

ولكن أن نكون نحن «من لحمه ومن عظامه» فهنا سرٌّ ربطٍ جديدٍ يفوق العقل. فهنا دخلنا ككنيسة في اتحاد عضوي مع المسيح، فلسنا أعضاء بعد في جسده وحسب وكأننا مجرد أفراد تجمعنا وحدة الرأس، بل هنا دخلنا في سر الطبيعة الرهيبة، فالكنيسة هنا هي بالفعل جسده الذي وُلد به ومات وقام، فتحيا إياه بكل أسراره، بل الآن عَظْم من عَظْمه ولحم من لحمه. لم يُسمع بهذا قط إلاَّ عندما أخذ آدم حواء وتعرَّف عليها أنها أُخذت من ضلعه: «فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي» (تك٢ : ٢٣). وهكذا يقول المسيح عن الكنيسة، هذه عظم من عظمي ولحم من لحمي!!

المسيح أعطانا جسده بالقيامة من الأموات بعد أن أمات الخطية فيه وأنهى على الموت، وكأنه ولدنا من جسده، بشرية جديدة مُقامة «من لحمه ومن عظامه» في ملء القيامة إنساناً جديداً حقاً، فصار المسيح آدم الجديد باكورة من الأموات، وصارت الكنيسة حواء الجديدة التي هي نحن!!

هذا السر أوضحه ق. بولس كحقيقة قائمة: «ويكون الاثنان جسداً واحداً ... ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف٥ : ٣١و٣٢)

وهذا هو المنظر الأخير الذي ينكشف فيه سر الكنيسة:

+ «هللويا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء، لنفرح ونتهلل ونُعطِهِ المجد، لأن عُرْسَ الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها. وأُعطيت أن تلبس بزًّا نقيًّا بهيًّا لأن البز هو تبررات **القديسين.**» (رؤ١٩ : ٦-٨)
+ «هكذا نحن الكثيرين جسدٌ واحدٌ في المسيح **وأعضاءٌ بعضاً لبعض كل واحد للآخر.**» (رو١٢ : ٥)

هنا كشف جديد لمعنى الأعضاء، إذ لسنا فقط أعضاءً للمسيح بل أعضاء بعضنا لبعض، وكأنه يستحيل أن يوجد إنسان بمفرده. فقد ركَّبنا ق. بولس ليلتحم الواحد بالآخر فنصير كلنا أعضاءً ملتحمة مع بعضنا، وهكذا تُهيِّأ أنفسنا لعضوية أعلى لكي نكون معاً أعضاءً للمسيح، لا كأفراد بعد بل كجسم متماسك.

هذا التصوُّر حقيقي جداً. فإن تعذَّر تصوُّره هنا فسوف يكون هذا بنصِّه هناك. فالمؤمن لا يجد

فرحه ولا يجد عزاءه إلاَّ باكتماله بالمحبة مع الآخرين. فمحبة المسيح ونعمته تربطنا أولاً معاً، ثم تربطنا ثانياً بالمسيح. فإذا أخفقنا بأن نلتحم معاً بالمحبة والخدمة والبذل، كان هذا نذيراً أننا لسنا على مستوى الاتحاد بالمسيح. الوصية تكشف ذلك لأن محبة الله تكمِّلها محبة القريب، فإذا سقطت محبة القريب امتنعت محبة الله. إذاً، فمحبة الأعضاء بعضهم لبعض هي أساس حتمي للاتحاد بالمسيح لتكوين وحدة أو لاستيفاء مواصفات الجسد الواحد، الكنيسة.

وفي الحقيقة نجد أن سر الكنيسة ومعنى اتحاد الأعضاء معاً واتحاد الكل بالمسيح، وأن الكنيسة هي جسد المسيح، وجسد المسيح حيٌّ بالمسيح، يستحيل أن يحتمل التفرُّد ويستحيل أيضاً أن يحتمل الانفصال بأية صورة. كل هذا جاء في المثل الذي قاله المسيح بيُسْرٍ وبساطة وعمق وواقعية تفوق العقل:

+ «**أنا الكرمة وأنتم الأغصان،**
الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير،
لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً،
إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف،
ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق.» (يو١٥: ٥و٦)

والسؤال الذي يجعل مَثَل المسيح هذا سرًّا بحد ذاته:
هل يمكن أن تعرف أين تنتهي الكرمة وأين تبدأ الأغصان؟
أو هل تستطيع أن تفرِّق بين طبيعة الكرمة وطبيعة الأغصان؟
وهل الثمر يُحسب للغصن أم يُحسب للكرمة؟
هل يمكن أن تعرف كيف يثبُت الغصن في الكرمة وكيف تثبُت الكرمة في الغصن؟
هل يمكن أن تجد غصناً في الكرمة غير متصل بباقي الأغصان؟

هذه هي الكنيسة، وهذا هو سر المسيح، وهذا هو سر الجسد!!

ولكن هنا يتحتم علينا أن نكمِّل الصورة البديعة التي رسمها لنا المسيح من عمق الحياة بالآية الأولى التي جاءت في المثل: «**أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام**»**!!** (يو١٥: ١)

وهنا يتضح أن المسيح يتكلَّم عن نفسه كابن الله **متجسِّداً**، حيث تُنظر الكرمة (الابن المتجسِّد) ولا يُنظر الكرَّام (الآب السماوي)، وحيث جسم الكرمة لا يمتُّ للكرام (الآب) لأنه جسد الابن الوحيد الخاص. إنه مَثَلٌ مملوء سرًّا. ويُغطي كل حقيقة الكنيسة بالنسبة للمسيح والله الآب.

لذلك حينما يقول ق. بولس إن المسيح رأس الكنيسة، فالمسألة هنا ليست مجرد انتساب، وكلٌّ له كيانه المنفرد، المسيح والجسد، ككنيسة، لا. هنا جسد له رأس والرأس هنا متصل بالجسد جسدياً، والجسد يستمد الحياة والفكر والتدبير من المسيح الرأس روحياً. هنا نحن نتكلَّم بلغة التجسُّد، ولكن ليس مادياً بل روحياً. فالرأس ليس منظوراً ولا الجسد أيضاً منظور ولا أرضيٌّ هو. فالمسيح حلَّ فيه **ملء اللاهوت جسدياً**، فالجسد وإن كان أصلاً من العالم ــ اتخذه من العذراء القديسة ــ ولكنه صار ليس من العالم: «لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو١٧: ١٤)، «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠)، «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩). المنظور هنا (المسيح متكلِّماً مع تلاميذه) جسديٌّ هو؛ ولكن هو الله غير المنظور بآنٍ واحد. الجسد هنا جسد المسيح المنظور أمام أعينهم؛ وهو بآنٍ واحد جسد الابن الوحيد غير المنظور الواحد مع أبيه. هذا الجسد، جسد المسيح المنظور أمام أعينهم، بعد أن أكمل الفداء والخلاص دخل في غير المنظور. نحن هنا نتكلَّم عن الجسد الذي كان منظوراً في المسيح على الأرض، وصار غير منظور الآن لأنه دخل إلى مجده في السماء، ولكنه بقي على الأرض كما هو في أشخاص المؤمنين الذين آمنوا به إذ هم جسده. ولا تزال كل كنيسة محلية في العالم تمثل جسد المسيح منظوراً وغير منظور، بل كل جماعة مؤمنين اتحدت بالإيمان والروح والمحبة، بل كل اثنين أو ثلاثة اجتمعوا باسمه:

+ «وسمع صوتاً قائلاً له شاول شاول لماذا تضطهدني، فقال مَنْ أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده!!» (أع٩: ٤و٥)

إذاً، **فالمؤمنون هم جسد المسيح «غير المنظور» على الأرض**، والمنظور للمسيح فقط لأنه الرأس في السماء.

«ملء الذي يملأ الكل في الكل»:

τὸ πλήρωμα τοῦ τὰ πάντα ἐν πᾶσιν πληρουμένου

«الكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل»:

«ملء»: τὸ πλήρωμα

تعني بحسب العلاَّمة لايتفوت بالمفهوم اللاهوتي الدقيق: **«المجموع الكلي لكل قوَى الله وصفاته»**(٣٦). و يقول العلاَّمة لايتفوت أيضاً في بحثه المطوَّل عن الـ πλήρωμα:

[إن الكنيسة تُعتبر كنموذج العروس «بلا دنس ولا غَضْنَ أو شيء من مثل ذلك». إذ

36. Lightfoot, *On Colossians,* p. 158-159.

تصير بنوع ما ذات شخصية أو هوية مستمدة من المسيح. فكل النعم والمواهب الإلهية الكائنة في المسيح تصبح منتقِلَة للكنيسة حيث يكون ملء المسيح متصلاً ومتحولاً إليها حتى إنه يُقال لها أنها «**ملؤه**» (١: ٢٣). هذه هي الكنيسة المُثْلَى. ولكن الكنيسة طالما هي مجاهدة، فهي تكون متقدمة دائماً في الجهاد حتى تبلغ هذا الوضع الأمثل. فالرسول هنا إنما يصف نهاية وغاية التدبير الذي تجوزه الكنيسة حتى تبلغ في مجموعها المتحد النمو الكامل، أو بمعنى آخر تبلغ إلى **القامة الكاملة لملء المسيح**. ليس على المستوى الفردي وإنما كجسد منجمع متحد معاً، وإنما قطعاً على أساس تقبُّل كل مؤمن من المواهب والنعم التي تكمّله هو في ذاته وتؤهله للاتحاد مع الآخرين، لبلوغ الكلّ المتحد المعبَّر عنه «**لبناء الجسد**» ليبلغ إلى قامة «ملء المسيح».

ولكن ملء المسيح هو حتماً ملء الله!! لذلك في مكان آخر يصلي حتى يبلغ الإخوة بملء المسيح إلى التكامل الذي يبلغون به إلى **ملء الله** (٣: ١٩). كما يقول في موضع آخر: «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)] [٣٧].

إذاً، فالكنيسة ليست فقط جسده بل هي «ملؤه» = ملء المسيح الذي يملأ الكل في الكل. هذه هي المشيئة التي قصدها منذ الأزل بحسب إعلان بولس الرسول أن تصير الكنيسة هي التعبير الكامل للمسيح، الذي هو نفسه يملأ الكل: «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل ... لبنيان جسد المسيح.» (أف ٤: ١٠و١٢)

واضح من هذا الكلام أنه صعد فوق جميع السموات **بقصد** أن يملأ الكل، والكنيسة بالدرجة الأُولى. فصعوده واضح أنه كان **لكي** يمتلك الكل وليملأه. وواضح أنه يمتلك الكل ويملأه لكي يمتلك الكنيسة ويملأها بالتالي بكل ملئه. فتصير هي ملؤه:

ويقول العلاَّمة لايتفوت:

[**لأن المسيح لمَّا قام من الأموات صار في الحال ἀρχή رأس الكنيسة**، لأنها منه ومن جسده القائم من الأموات وُلِدَت وجاءت إلى الوجود (فهو آدم الثاني)، بل ولأن **قيامة المسيح من الأموات حققت لاهوته، فأهّلته في الحال ليكون رأس الكنيسة**. ثم عادت الكنيسة وشهدت لقيامته ولاهوته فحققت بالفعل ملأه الذي امتلأ بكل ملء اللاهوت،

37. Ibid., p. 263.

فصحَّ أن تصير الكنيسة «ملأه»، أي التي تعبِّر بالفعل وتشهد بالحق أنه حائز على ملء اللاهوت جسدياً!!]

كذلك يقول العلاَّمة وستكوت:

[فإن كان المسيح تعيَّن ابن الله بالقيامة من الأموات، أي تعيَّن لاهوته وتحقق، بواسطة الكنيسة، فالكنيسة هي التي رأت وشهدت وآمنت بذلك، ثم حققت هذا كله عملياً بحياتها الجديدة مُعلِنة الله والمسيح الذي فيها ولها. أي أن الكنيسة بكل جدارة حققت **«ملء المسيح» لاهوتياً بشهادتها وحياتها، فهي التعبير الفعلي والكامل عن ملء المسيح.** لذلك فالمسيح وجد وحقق مِلأه في مجموع كل ما جاء به إلى الاتحاد معه. هكذا صارت الكنيسة وعُرفت أنها جسده الذي جُمعت فيه، أي جُمعت إلى نفسها، «باكورة من خلائقه» الجديدة أي الرسل وغيرهم الذين يُرى المسيح فيهم بالإيمان](٣٨).

ولكن يعود وستكوت ويقول:

[إن ذلك صار الآن بالتمثيل ــ أي أن الكنيسة تمثِّل أو تصوِّر ذلك الآن، أي أن النهاية مصوَّرة الآن فقط، وهي تُعِدُّ نفسها لتكون كذلك، وستكون بالفعل كذلك، حينما ينجمع كل شيء في المسيح بواسطة الكنيسة حتى يكون الله الكل في الكل].

+ «**لأنه فيه** سُرَّ أن يحل كل الملء.» (كو١: ١٩)
+ «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو٢: ٩)

أي أن جسد المسيح امتلأ باللاهوت في لحظة التجسد، وبالتالي صار رأس الخليقة كلها متجسداً كما كان قبل تجسده، وبالتالي والأولى صار رأس الكنيسة.

ولكن الرسالة إلى كولوسي تكمِّل: «**وأنتم مملوؤون فيه**» (كو٢: ١٠). أي أن «**الكنيسة مملوءة فيه**». وهذا يعني مباشرة أن الكنيسة ــ في المسيح ــ قد «**امتلأت بكل ملء الله**». هذا يقوله ق. بولس في رسالته إلى أفسس بوضوح: «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.**» (أف٣: ١٩)

وإنجيل ق. يوحنا يعبِّر عن ذلك أيضاً بقوله:

+ «والكلمة صار جسداً، **وحلَّ بيننا** ورأينا مجده مجداً **كما لوحيد من الآب مملوءاً**

38. Westcott, *op. cit.*, p. 28.

نعمة وحقاً.» (يو١ : ١٤)

+ «**ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة.»** (يو١ : ١٦)

أي أصبح ميسوراً للإنسان بعد تجسُّد المسيح، والخلاص الذي تمَّ، أن يتقبَّل صفات ومواهب الله حتى الملء. هكذا يقول ق. بولس عن الكنيسة وهي تنمو في كل شيء «**إلى قياس "قامة ملء المسيح"**».

إذاً، صحَّ قول بولس الرسول إن **الكنيسة تعبِّر عن ملء المسيح**، في عملها ومن **واقع هدفها النهائي**، ولكن ليس بدون المسيح أو بعيداً عنه، لأنه هو الذي يملأها بملئه، فهي تمثِّله فقط وهي قائمة فيه!!

ونحن لو أخذنا تعبير المسيح لشاول وهو يضطهد مؤمنيه: «شاول شاول لماذا تضطهدني»، وكأن شاول يضطهده هو شخصياً لأنه يضطهد المؤمنين به باعتبارهم أصبحوا جسده، ثم لو أخذنا القول الآخر الذي قاله الرب يسوع لتلاميذه: «لأني جُعْت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني عرياناً فكسوتموني مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إليَّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يا رب متى رأيناك جائعاً ...، أو عطشاناً ...، ومتى رأيناك غريباً ...، أو عرياناً ... مريضاً أو محبوساً ... فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم **بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم**» (مت٢٥ : ٣٥-٤٠)؛ إذاً، **فجسده** اضطُهد وضُرِب وأُهين وسُجن وقُتِل على يد شاول. ثم **جسده** أيضاً أُطعم بعد جوع، وارتوى بعد عطش، واكتسى بعد عُري، وأُوي من بعد غربة، وتعزَّى في المرض والسجن.

واضح هنا أن المسيح وهو لا يزال في الجسد وقبل عمليات الفداء، وضع **المعنى المستيكي للكنيسة على واقع حيٍّ متكلِّم «أنا»**. أنا الجسد المتألم في المظلومين، وأنا الجسد المتعزي في القديسين والأتقياء والباذلين والمضحين والخادمين وكل مَن أحب فقيراً أو يتيماً!!

إذاً، ليس من فراغ يقول ق. بولس إن الكنيسة هي ملء المسيح التي تعبِّر عن كل ما يريد وكل ما يُفرِّحه وكل ما يُمجِّده، بل وتُعبِّر عن كماله وتكميله على الأرض وفي السماء: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات **بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة** حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣ : ١٠و١١)

والآية تعود وتسلِّم كرامة ومجد الملء لصاحب الملء بقولها: «الكنيسة التي هي "ملء الذي"

يملأ الكل في الكل»، بمعنى أنه إن كانت الكنيسة قد وُجِدت لتعبِّر عن ملء المسيح في العالم في الأرض أو في السماء، فالمسيح فيها هو الذي يملأ الكل في الكل. لأنه إن كان هو رأس الكنيسة فهو لا يزال «رأس فوق كل شيء». والكنيسة هي ملء المسيح طالما هي في المسيح والمسيح فيها، لأنه هو الذي يمدُّها بملئه!! «خذوا كلوا هذا هو جسدي» (مر١٤: ٢٢)، «أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)

«الذي يملأ الكل في الكل»:

المسيح هو ملء الكنيسة ملء الجسد. ولكي نأخذ صورة واقعية حية وملموسة، نعود إلى التجسُّد، كيف وُجد ابن الله في جسد، اتحد به اتحاداً كليًّا وكاملاً، ملأه ملئاً؟ هكذا يملأ المسيح الكنيسة جسده وهي البشرية المفتداة، يملأها ملئاً كلياً ولكن هي لا تحدُّه، يملأها بمواهبه التي لا تُحدُّ، ويملأها بروحه الذي لا يُحد، ويملأها بوجوده الذي لا يُحد، يملأها بلاهوته الذي ملأ جسده ولاهوته لا يُحد. ولكنها لا تصير بذلك إلهاً، ولكنه يُحييها معه ويقدِّسها له. فهي لا تخرج عن كونها مجموع المؤمنين وقد اتحدوا بالروح ولهم صورته في البر وقداسة الحق.

ولنا عودة لهذا الموضوع في شرح الآيات الأخرى التي جاءت عن الكنيسة في رسالة أفسس.

في الأصحاح الأول أكمل ق. بولس عرض كل الأعمال العظيمة
التي عملها الله من أجلنا

الأصحاح الثاني

هنا تبدأ الأعمال العظيمة التي عملها الله فينا:

١ ــ أحيانا من موت الخطية.

٢ ــ أقامنا معه وأجلسنا معه في السموات.

٣ ــ وحَّد الأمم مع اليهود إنساناً واحداً جديداً في المسيح أمام الله.

٤ ــ بروح واحد ندخل إلى الله الآب في هيكل واحد سماوي بدون حاجز متوسط.

الأعمال العظيمة التي عملها المسيح فينا

بعد أن سرد بولس الرسول في الأصحاح الأول الأعمال العظيمة العامة التي عملها الله لأجلنا (في الأعداد ٣-١٤)،

وبعد أن أدخل نفسه متشفعاً لدى الله ولدينا حتى ننال روح الحكمة والإعلان في معرفته، وتستنير عيون أذهاننا حتى نعلم أسرار قوة الله العظيمة:

التي أجرى الله بها قيامة المسيح من الأموات،

وأجلسه عن يمينه في السموات،

وأخضع كل شيء تحت قدميه،

ثم جعله رأساً فوق كل شيء،

وبعد أن استعلن سرًّا خفيًّا كان مكنوناً وهو أن الله الآب صنع كل ذلك في ابنه ليجعله رأساً فوق كل شيء **للكنيسة**،

ثم كشف لنا السر العجيب وهو أن الكنيسة هي في الحقيقة **جسد المسيح**،

ثم كشف لنا سر الكنيسة أنها **ملء المسيح**، هذا الذي يملأ الكل؛

الآن وفي الأصحاح الثاني:

يبدأ ق. بولس يكشف لنا الأسرار العظيمة التي عملها الله **فينا**.

ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح

٢ : ١ «وأنتم إذْ كنتم أمواتاً بالذُّنُوبِ والخَطايا».

يُلاحَظ أن بولس الرسول ظلَّ يصوِّر بؤس حال الأمم (مخاطباً أهل أفسس) وسقوطنا تحت سلطان الشيطان، وكيف حُسبنا أننا بنو العصيان، سالكون بالشهوة، عبيد الجسد، أبناء تحت غضب الله. ثم عرج على اليهود أيضاً، ذاكراً نفسه كمتكلِّم عنهم، أنهم كانوا هم أيضاً كذلك، كالباقين من الأمم. وفي نهاية هذا المسلسل الحزين الذي ينتهي بوصف حالنا أصدق وصف، وهناك في نهاية العدد (٥) أبرز عمل النعمة التي افتقدتنا لتُدخِلَنا تحت عمل المسيح لنقوم معه ونحيا معه.

هذا المسلسل عينه سرده ق. بولس في رسالته إلى كولوسي:

+ «وأنتم (أهل كولوسي باعتبارهم أمميين) الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريَّته بالموت ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو١: ٢١و٢٢)

«أمواتاً بالذنوب والخطايا»: νεκροὺς τοῖς παραπτώμασιν καὶ ταῖς ἁμαρτίαις ὑμῶν

الذي يسترعي انتباهنا هنا أن الأصل اليوناني لا يفيد «أمواتاً بالخطايا»، بل «أمواتاً **في** الذنوب **وفي** الخطايا». هنا الموت في حقيقته مصوَّرٌ كأنه جوٌّ خاص يعيش فيه الخطاة والمذنبون، وهم غارقون في أعمال الذنوب والخطايا، فلا يعرفون أنه توجد «**حياة**» في الله أو نور يتبعونه لأن حياتهم هي في ظلمة الموت.

لأن **الإنسان** إذا لم يتغيَّر كل يوم ليشابه المسيح كخليقة جديدة، يكون إنساناً ميتاً.
لأن **الحياة** إذا كانت بدون أعمال حيَّة تكون هي الموت (١تي٥: ٦).
مثل **الإيمان** الذي يقول عنه ق. يعقوب إنه إذا كان ليس له أعمال يُحسب ميتاً (يع٢: ١٧).
بل **والخطية** نفسها، إذا كانت ليس لها أعمال (في الإنسان الجديد) تُحسب ميتة.

+ «كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦: ١١)
+ «إذاً لا تَملِكَنَّ (تحبوا) الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو٦: ١٢)

والجسد إن كان ليس له أعمال خطية فهو ميت بالنسبة للخطية!

+ «وإن كان المسيح فيكم **فالجسد ميت** بسبب الخطية (عدم الخطية)؛ وأمَّا الروح فحياة بسبب البر.» (رو٨: ١٠)

والأعمال إذا لم يكن فيها عنصر المسيح وفعالية الدم تصبح **أعمالاً ميتة**.

+ «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من **أعمال ميتة** لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

هذه الحالة ــ أي الموت بالذنوب والخطايا ــ يعبِّر عنها بولس الرسول في الرسالتين إلى أفسس وكولوسي بلفظة: «**متجنِّبون عن حياة الله.**» (أف٤: ١٨) ἀπηλλοτριωμένοι
وفي كولوسي: «أجنبيين وأعداء في الفكر.» (كو١: ٢١) ἀπηλλοτριωμένους

ولكن ليس المعنى أنهم متجنبون كعمل إرادي، ولا هم أجنبيون كأنهم مجرد غرباء، ولكن الموت الذي يعيشون فيه محترفين أعمال الذنوب والخطايا جعلهم لا يعرفون ولا يشعرون بالحياة مع الله، وإن سمعوا عنها لا يمكن أن يقيّموها تقييماً صحيحاً، لأن فكر الخطايا ملأ كل وعيهم فلم يعُدْ مكانٌ لوعي الحياة أو تقييمها. وربما أوضح تعبير عملي لهذا الموت موت الخطايا هو العَيْش في الظلام. ونحن نعلم أنه في علم الأحياء يقولون إنه يوجد نوع من السمك يعيش على أعماق كبيرة في البحار بعيداً عن أية أشعة للضوء في ظلام دامس، ولمّا أخرجوه وفحصوه وجدوه أنه ليس له عيون بالمرّة. لذلك لمّا أخرجوه إلى الضوء لم يَرَ ولم يشعر بالضوء. هكذا المعيشة في احتراف الخطايا والذنوب فإنها تُفقِد الإنسان معرفة الحياة مع الله، بل وحتى الإحساس بها ولا أي ميل نحوها. هذا هو الموت عينه، هذا هو الظلام الروحي: «الشعب السالك في الظلمة أبصر(١) نوراً عظيماً. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور.» (إش٩ : ٢)

وهذا هو الذي يعبّر عنه ق. بولس بقوله: «**متجنّبون** عن حياة الله» أو «**أجنبيين** وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة». أي انفصلوا انفصالاً تاماً عن حياة الله بانغماسهم في الذنوب والخطايا للدرجة التي ملأت كل حياتهم.

واضح هنا أن الإنسان بهذا الوضع يكون حقيقة قد بلغ حالة الموت الروحي، أو بلغ حالةً ميئوساً منها ليس لها مخرج. كما سبق ووصفنا حالة السمك الذي يعيش في الظلام دائماً فيفقد عضو النظر، وبالتالي لا يعرف النور أو يتقبّله. هكذا الذين عاشوا حياتهم بالذنوب والخطايا فإنهم يحتاجون إلى أعضاء جديدة ــ عيون قلبية مستنيرة بالروح ــ يستقبلون بها الحياة والنور حيث الحياة والنور هما المسيح!!

«الذنوب والخطايا»: παραπτώμασιν - ἁμαρτίαις

كثير من الشرّاح الأولين والآخرين أعْيَتْهم الحيل في التفريق بين الذنوب = trespasses والخطايا = sins. فقالوا اعتباطاً أن لا فرق بينهما، معتمدين على أنه في بعض المواضع القليلة في النص الكتابي قد تبادلا المواضع. ولكن هذا يكذّبه اهتمام بولس الرسول بوضع النوعين معاً كأساس للموت الروحي والحرمان من الحياة مع الله.

وقد حاول كثير من الشرّاح التفريق. فقال ق. جيروم إن παράπτωμα تعني بدايات فعل

(١) هنا العائشون في ظلام الخطية والموت اخترق ظلمتهم شعاع نور المسيح الذي يبدد الظلمة و يبيد الموت. فأبصروا المسيح الذي أضاء عليهم.

الخطية في الفكر، أمَّا كلمة ἁμαρτία فهي تعني التدبير. ولكن جاء غيره وقلَّبَ الفكرة. وجاء كل شارح واجتهد بالتخمين ووضع اعتقاده. ولكن إلى القارىء هذا البحث القليل:

أ ــ الخطية:

يشرحها القاموس اللاهوتي للعهد الجديد هكذا:

« ἁμαρτία » **هي التعبير عن الطبيعة البشرية في حالة عداوة لله:**

+ «لو كنتم عمياناً لما كانت لكم **خطية** ἁμαρτίαν . ولكن الآن تقولون إننا نُبصر فخطيتكم باقية.» (يو٩: ٤١)

+ «لو لم أكن قد جئت وكلَّمتُهم لم تكن لهم **خطية** ἁμαρτίαν ، وأمَّا الآن فليس لهم عذر في خطيتهم = ἁμαρτίας .» (يو١٥: ٢٢)

كذلك يقول القاموس: إن كلمة **الخطية** قد تبلغ في عمق مفهومها كاصطلاح ضخم ليعبِّر عن بلوغ طبيعة الإنسان لحالة خطية كلية!! وهذا أخطر تعبير عنها. وقد ورد تعبير عمَّا حمله المسيح في جسده من خطايانا: «لأنه جعل الذي لم يعرف **خطية** ἁμαρτίαν ، **خطية** ἁμαρτίαν لأجلنا» (٢كو٥: ٢١). الأولى عادية تُعبِّر عن **طبيعة في حالة خطية**، ولكن الثانية = **طبيعة كلية للخطية!!** = a whole sinful nature of man يا للفزع ويا للعمق المروع الذي تحمَّله المسيح على الخشبة[2]!!!

ب ــ الذنوب παραπτώμασιν = الزلات[3]:

يشرحها القاموس اللاهوتي للعهد الجديد هكذا:

أصل الكلمة πίπτω وتعني يسقط (يزل) بإرادته، ومنها παραπεσόντας ، التي وردت في سفر العبرانيين: «... وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي **وسقطوا** لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم **يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية** ويُشهرونه.» (عب٦: ٥و٦)

ولكن παράπτωμα تعني أصلاً أن يسيء الإنسان إلى جاره أو أي إنسان. ولكن لأن أية

2. *Theological Dictionary of the N.T.*, Vol. I, p. 296.

(٣) نرجو الرجوع أعلاه إلى شرح الآية ١: ٧: «غفران الخطايا»، وأيضاً إلى شرح الرسالة إلى العبرانيين ص٢١٨، تحت عنوان «كل تعدٍّ ومعصية»، حيث التعدِّي والمعصية παρακοή - παραβάσις هما الوجهان الظاهري والباطني لخطية «التعدي» παράπτωμα: الظاهري هو الفعل والباطني هوعدم السمع، عدم الطاعة، العصيان؛ وهو الأصل في التعدي. فآدم قفل أذنه عن سمع الوصية ثم مدّ يده وأكل.

إساءة نحو الإنسان تُحسب بحسب الوصايا إساءةً إلى الله، استُخدمت الكلمة للتعبير عن الإساءة نحو الله (بالنهاية).

وقد جاءت في المعنيين هكذا: «وإن لم تغفروا للناس **زلاتهم** لا يغفر لكم أبوكم أيضاً **زلاتكم**» (مت٦: ١٥). ولكن يُلاحَظ أن الأصل اليوناني لا يكرر كلمة «زلات» بل تأتي مرة واحدة لتسدّ عن الاثنين هكذا: [إن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم παραπτώματα].

أمّا في الاختيار والتفريق بين الخطية والذنب (أو الزلة) فهي في غاية الدقة، وقد تجاوز الإنجيل في ترجمة بيروت العربية الفرق بينهما وأوردهما كليهما تحت اسم الخطية. وقد جاء الاثنان في آيتين متلاحقتين هكذا:

+ «فإنه حتى الناموس كانت **الخطية** ἁμαρτία (sin) في العالم، على أن الخطية ἁμαρτία (sin) لا تُحسب إن لم يكن ناموس.» (رو٥: ١٣)
+ «ولكن ليس **كالخطية** παράπτωμα (**trespass, offence**) هكذا أيضاً الهبة، لأنه إن كان **بخطية** παραπτώματι (trespass, offence) "**واحد**" مات الكثيرون ...» (رو٥: ١٥)
+ «وأمّا الناموس فدخل لكي تكثر **الخطية** παράπτωμα (trespass, offence)، ولكن حيث كثرت **الخطية** (trespass, offence) ازدادت **النعمة** جداً.» (رو٥: ٢٠)

من هذا نفهم أن:

خطية آدم حُسِبَت παράπτωμα = offence = إساءة لله trespass.

والخطية **قبل الناموس** حُسبت ἁμαρτία = sin.

والخطية **بعد الناموس** حُسبت παράπτωμα = offence = إساءة لله trespass.

ويُلاحَظ الآتي:

أن **الخطاة** ἁμαρτωλούς عكسهم هم **الأبرار** δικαίους :

+ «فاذهبوا وتعلّموا ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة، لأني لم آتِ لأدعو أبراراً δικαίους بل خطاة ἁμαρτωλούς إلى التوبة.» (مت٩: ١٣)

إذاً، عكس الخطية، هو البر من الله. هنا تقف طبيعة الإنسان أمام **طبيعة الله!** «وبينما هو متكىء في البيت إذا عشارون **وخطاة** ἁμαρτωλοί كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه.» (مت٩: ١٠)

هنا طبيعة «البر» في المسيح لم تنفر من «خطية» الخطاة. لأن طبيعة البر في المسيح قادرة أن تلغي الخطية وتلاشيها.

هنا المسيح موقفه دائماً من الخطية ἁμαρτία والخطاة موقف المنتصر، ليس بمجرد إلغاء الهوة بين الأبرار والخطاة، ولكن بمغفرة الخطية ومصالحة الخطاة، وهكذا يلغي الهوة بين الخطاة والله نفسه ليصنع لهم شركة مع الآب بأن يصنع معهم شركة مع نفسه. وهكذا يثبت حقاً أنه جالس عن يمين الله له كل السلطان المطلق أن يغفر الخطايا.

في نظر بولس الرسول فإن نوع **الخطية** ἁμαρτία هو المسيطر والشامل:

+ «لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية ... ليس بار ولا واحد ...» (رو٣: ٩و١٠)
+ «إذ الجميع أخطأوا ἥμαρτον وأعوزهم **مجد** الله.» (رو٣: ٢٣)

نفهم من هذا أن وجود الخطية ἁμαρτία يعني غياب مجد الله!!

لذلك فالخطية ἁμαρτία عند ق. بولس هي حالة احتضنت كل البشرية في غياب الله ونعمته والمسيح.

يُلاحَظ هنا أن خطية آدم παράπτωμα، كانت إساءة إلى الله شخصياً وتعدٍّ على كرامته (رو٥: ١٥). ولكن الخطية التي دخلت إلى العالم وسادت هي ἁμαρτία (رو٥: ١٢)، وهي التي تجسَّد المسيح لرفعها!

وجاء الناموس فأعاد سلطة خطية آدم: **التعدِّي** παράπτωμα (رو٥: ٢٠) لأنه تعدَّى على الوصايا. ولكن لما جاء المسيح، كان تعامله الأساسي والرسمي مع **الخطاة** ἁμαρτωλούς، وعمله الأساسي والرسمي وتعامله على الصليب كان مع الخطية ἁμαρτία. وعمل بر الله والمسيح كان متجهاً مباشرة ودائماً نحو الخطية ἁμαρτία. فقط لأنه ألغى عقوبة الناموس.

بهذا نكون أعطينا للقارىء فكرة واضحة عن الخطايا والزلات أو الذنوب.

وفي الآية التي نحن بصددها جمع بولس الرسول الذنوب والخطايا معاً، أي التي هي أصلاً من ضعف واعوجاج الطبيعة البشرية، والتي هي بالأساس هجوم وإساءة مباشرة لله. هكذا تضافرت جحافل الظلمة وأغرقت الإنسان بصنوف الذنوب والخطايا، وغَشَّته الظلمة، وبات لا يعرف كيف وأين الخلاص. وهكذا بات الإنسان ميتاً بمنظار الحياة الأبدية التي أُعدَّت له وهو سادر في موته.

٢:٢ «الـتـي سَلَكتُم فيها قبلاً حَسَبَ دَهرِ هذا العالمِ حَسَبَ رئيسِ سُلطانِ الهواءِ الرُّوحِ الذي يعمَلُ الآنَ في أبناءِ المَعْصِيَةِ».

كل إنسان إذا لم يسلك بحسب الله وإذا لم تَقُدْه نعمة الله في نور المسيح ومحبته، فهو حتماً سالك تحت تسلُّط القوى الشريرة المضادة لله، التي يقسّمها بولس الرسول إلى ثلاث عوامل:
الأول: وهو هذا العالم، **الثاني:** رئيس سلطان الهواء، **الثالث:** روح العصيان الذي في الناس.

أولاً: «حسب دهر هذا العالم»:
فهذا واضح لنا بمعنى رزوح الناس تحت تيارات العالم السياسية والاقتصادية والأدبية، وكلها ذات ألوان كثيراً ما تُجبر الإنسان على السلوك الخاطىء. فالعوامل السياسية منها ما هو ذو الاتجاه القهري الاستعبادي الذي يوجّه نحو الشر والإباحية مثل الشيوعية فيما كانت عليه وغيرها مما يتعاطف معها مثل المادية والنفعية، أمّا في القديم فالأباطرة والملوك ونزعتهم الاستبدادية في استعباد الناس والاستهانة ببشريتهم وحريتهم ودينهم ... إلخ. أمّا تسلُّط التيارات الاقتصادية فمن جَوْرها واستبدادها يفتقر الناس ويمدون أيديهم للسرقة والنهب، والتي أيضاً بسبب تقنينها الأعمى لا تراعي الفقير والمتوسط الحال مما يجعل هؤلاء يخرجون عن خط الأمانة. أمّا التيارات الأدبية فمعظمها إباحي يسهِّل الخطية ويعلِّم السلوك بغير ضمير ولا شرف. وبالنهاية نجد فئات لا حصر لها رازحة تحت تيارات العالم في سلوك ضاغط من العالم يستمرىء الخطية والتعدي والنصب والكذب والحلفان واللاشرف واللاضمير واللاإنسانية.

ثانياً: «حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية»:
تعبير عن الشيطان وجنوده. ومعروف في فن تقييم الأرواح أنه توجد أرواح تقيّة قديسة ذات سمو في كيانها، ويعبَّر عن سموّها بأنها تقطن السماوات العُلا، وأرواح كانت تقية خفيفة متسامية ولكنها لما أخطأت وخرجت عن مستواها في النقاوة والطاعة تثقلت بالخطية وهبطت ولم تعُدْ ترقى إلى السموات، بل انحطت لتسكن المواضع السفلية من الكون:
+ «كيف سقطتِ من السماء يا زهرةُ بنتَ الصبح، كيف قُطعتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم، وأنت قلتَ في قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيِّ فوق كواكب الله ... أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي. لكنك انحدرتَ إلى الهاوية إلى أسافل الجب.» (إش١٤: ١٢-١٥)

وهكذا اقترب الشيطان وجنوده من أرضنا واستبد بجنسنا. فقد استحكمت العداوة بين

الشيطان والإنسان منذ البدء، إذ تميَّز الإنسان عنه في قربه من الله وفي محبة الله له وفي معرفته النهاية المجيدة التي سينتهي إليها الإنسان. لذلك قامت حروب الشيطان كلها على الحقد والنقمة والغيرة المرَّة والاستهانة والتضليل، وله في ذلك فنون وفنون يعرفها الآباء المتوحدون، إذ استطاعوا أن يرصدوا حركاته ويدرسوا سلوكه وأخلاقه، «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١)؛ لولا أن الله ظفر به على الصليب هو وكل أعوانه وفضحه وجرَّده من كرامته وأسلحته المميتة وتركه جبَّاراً بلا قوة ومارداً يهرب من إشارة الصليب. والقديس يعقوب درس أخلاقه وخرج بنصيحة ذهبية: «قاوموا إبليس فيهرب منكم.» (يع٤: ٧)

هذا الشيطان وكل جنوده، يا ويل مَن يقع تحت سلطانه وهو خالٍ من الإيمان بالمسيح وغير حائز على قوة الصليب والقيامة، فإنه يقوده في التيه، ويرشده إلى الضلال، ويعلِّمه كل رذيلة ويغرس فيه حقده وأطماعه ونقمته وغيرته المرَّة وضلالته، فيتقمصها الإنسان ويسير بها ولا يدري أنه تحت قيادة إجبارية لإتيان كل ما هو مكروه من الله والناس. وهو في هذا يخفي عنه ما يترصده من الموت والهلاك: «مَن ليس معي فهو عليَّ. ومَن لا يجمع معي فهو يفرِّق. متى خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحةً. وإذ لا يجد، يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه، فيأتي ويجده مكنوساً مزيَّناً. ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أُخر أشرَّ منه فتدخل وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله.» (لو١١: ٢٣-٢٦)

ثالثاً: تيار المعصية الذي تنضح به طبيعة الإنسان المتغرِّب عن الله.

آدم أتى العصيان، وخرج مطروداً من أمام الله، يحمل العصيان في فكره ومزاجه ويسلمه لأولاده. وهكذا صار لآدم أولاد في المعصية، كل من رفض الطاعة لله واستقل برأيه ومشورته. هؤلاء هم أقرب فئة للشيطان ليمارس فيهم ضلالته وهم بأنفسهم راضون!

تحت هذه التيارات عاش الإنسان في الخطية والتعدي ومات وتغرَّب عن الحياة مع الله.

ويُلاحِظ القارىء أن ق. بولس يكلِّم أهل أفسس باعتبارهم أمميين: «**التي سلكتم فيها قبلاً**»، حيث يتكلَّم عن سلوك ما قبل الإيمان بالمسيح واقتبال نعمة الخلاص وروح التبني.

٢: ٣ **«الذينَ نحنُ أيضاً جميعاً تَصَرَّفنا قبلاً بينَهُم في شَهَواتِ جَسَدِنا عامِلِينَ مشيئاتِ الجسدِ والأفكارِ وكنَّا بالطبيعةِ أبناءَ الغضبِ كالباقِينَ أيضاً».**

بعد ما ابتدأ بولس الرسول بالتكلُّم عن الأمم مخاطباً إيَّاهم في أشخاص أهل أفسس، ينتقل

الآن ليعرِّج على اليهود. فهو يتكلَّم عن اليهود بصيغة المتكلِّم واضعاً نفسه معهم في تصرفهم فيما قبل المسيح كأبناء الغضب كما يوضحها في رسالة رومية: «فماذا إذاً، أنحن أفضل؟ كلاَّ البتة، لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين (الأمم) أجمعين تحت الخطية» (رو٣: ٩)، «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله.» (رو٣: ٢٣)

ولو تأملنا في حال ق. بولس، حينما كان لا يزال شاول الطرسوسي الفريسي، فيما يمكن أن يقوله عن نفسه واليهود معه آنئذ بالنسبة للأمم (الكلاب)، وما يقوله الآن، ندرك كيف عمل فيه روح الحكمة والإعلان في معرفة الله، واستنارت عيون ذهنه لإدراك عظم مجد أعمال الله في المسيح التي صيَّرته هكذا يحكم حسب الحق وبفكر المسيح: «وأمَّا نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو٢: ١٦)

«تصرَّفنا»: ἀνεστράφημεν

الكلمة اليونانية لا تفيد معنى التصرُّف ولكن «زججنا بأنفسنا» بينهم، وتفيد السلوك باندفاع.

«في شهوات جسدنا»:

تفيد لا شهوة الجسد وحسب بل والطبيعة: فكراً وإرادةً وشهواتٍ من كل نوع، نفسية وجسدية بلا تفريق. وهنا يتكلَّم ق. بولس عن اليهود الذين قبلوا الإيمان لمَّا كانوا تحت الناموس. وهذا ضمناً يزكي ما أفاض به في الرسالة إلى رومية أن الناموس لم يستطع أن يردع الخطايا ولا يضع حدًّا لها ولا حلاً. وكأنه بالنسبة للخطايا يزكِّي ولا يمنع.

«عاملين مشيئات الجسد والأفكار»:

يشرح منتهى التسيُّب وعدم الانضباط، وليس رادع ولا ناصح ولا معلِّم للتقوى يعلِّم، فكل ما يطرأ على الفكر يتحرك له الجسد خاضعاً طائعاً منفِّذاً ليتحمَّل الضمير وِزْرَ الاثنين. وهكذا يكشف ق. بولس أن نعمة الله لمَّا تحركت وأحشاء الله لمَّا تحننت لم تجد أي فارق بين يهودي خاضع للناموس مُتمِّم كل وصاياه، وبين وثني عابد صنم يعيش كل يوم الزنى والفجور كجزء من استرضاء وجه الصنم.

وبولس الرسول يعتبر أن الفكر أصلاً هو سبب الخطية(٤). فالخطية والتسيُّب يضربان الفكر

(٤) هذا من حيث المنهج العام في أساسه، ولكن تأتي بعض الآيات التي فيها يضع الجسد قبل الأفكار مثل هذه الآية.

أولاً، فهو المكان المختار لتلاقي الشيطان مع الإنسان، فكلاهما مخلوق عاقل، والقوة العاقلة في الاثنين قوة موجِّهة خطيرة. فالشيطان، كقوة عقلية شديدة التزييف، يزيِّف على عقل الإنسان مدى حسن الخطية وجمال الشهوة وضرورة الزنا وحتمية الكذب ومنفعة الغش وربح السرقة. فتقتنع الإرادة وتتحرك المشيئة بلا جهد ولا معوِّق، لأن قدرة الشيطان على تخدير الضمير بمدى لياقة الخطية يفوِّت عليه الحركة والتدخُّل في لحظة الإيحاء المسموم.

لذلك كانت نعمة الله ورحمته العظيمة فوق ما يتصوَّر الإنسان، إذ أمدَّه بالروح القدس، وهو بالفعل جوهر عقلي، وهو روح الحكمة والفهم والمشورة والحق. لذلك، وإذ نال الإنسان هذا المعين الفائق القدر لا كزائر ولا ناصح بل كشريك حياة، فإنه يملأ الفكر والإرادة والمشيئة والضمير، بل ويطهِّر الجسد بحركات سماوية، فلا يعود للشيطان مدخلٌ في الإنسان، وإن دخل خلسة لا يجد راحة ولا يجد استجابة فيهرب مهزوماً.

وهنا لا يستهتر القارىء بالناموس، لأن ق. بولس نفسه يسأل: ولماذا الناموس؟ نعم جاء الناموس ليحدِّد أنواع الخطايا ويُظهرها ويقسِّمها ويُوعِّي الإنسان بمدى خطورتها، ويتركه ينضنك تحت ثقلها، حيث لا يقوى الناموس على معالجتها أو إبطالها أو إعطاء أي حلٍّ لها حتى يضخِّم من خطورتها ويرفع قلب الإنسان وروحه ليطلب الحل من فوق الناموس. فإذا جاء المسيح الذي سيرفع الخطية وعقوبتها جملة وتفصيلاً، لا يعود يتمسَّك بالناموس إلاَّ الأحمق والمكابر والمنافق.

«وكنَّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين»:

يلزم أولاً أن نفهم أن كلمة **«بالطبيعة»** φύσει لا تفيد الجبلة البشرية، فقد استخدمها بولس الرسول بعيداً عن هذا المعنى: «نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة» (غل٢: ١٥). لذلك تفيد هنا في هذه الآية (أف٢: ٣) معنى **الحال الذي وُجدنا فيه**، لأنها لو كانت تفيد الطبيعة البشرية لكان في آية غلاطية معنى أن بشرية اليهود غير بشرية الأمم.

ولكن القصد هنا أننا كنا بالطبيعة أبناء الغضب، ذلك بقدر ما خضعنا لإيحاءات الطبيعة وشهواتها. فالذي يخضع لشهوات طبيعته يصبح ابنها، والذي يرفض شهواتها تجتذبه رحمة الله. وهذه قاعدة، لأن المُعان بروح الله هو ابنٌ لله، والخاضع لطبيعة جسده هو عبد لطبيعة الغضب: أمَّا الطبيعة البشرية بحدِّ ذاتها فهي مخلوقة بيد الله، وقد اكتسبت الغضب واللعنة بمخالفتها لخالقها وبالتالي مخالفتها للطبيعة التي خلقها عليها. فالإنسان أصلاً مخلوق على الخلود ـــ على غير فساد ـــ وليس للموت واللعنة.

يفهم بعض العلماء من هذا الاصطلاح «كنَّا بالطبيعة أبناء الغضب»، أن هذا يفيد عقيدة «الخطية الأصلية»، بل ويزيد آخرون أن «الطبيعة البشرية آثمة في أصلها». أو عقيدة «الإثم المعقول بالطبيعة»، كل هذا خاطىء ومرفوض في الإيمان القويم.

لأننا قد سبق وقلنا أن الإنسان بطبيعته مخلوق عاقل، حيث القوة العاقلة فيه هامة جداً وخطيرة، وأنها في وضعها الطبيعي مستهدفة لمصادمة الشيطان لأنه قوة عاقلة أيضاً؛ ولكن لا يسندها عنصر الحق، بل دخلها عنصر الغش وكل انحراف عقلي لمَّا عصى الله الذي هو الحق المطلق والحكمة المطلقة. هنا الإنسان بالطبيعة العقلية التي له مستهدَف لتأثيرات شيطانية خطيرة، لذلك كان الله يسنده بنعمته وبنور خاص من عنده بواسطة الضمير الذي يحمل صوت الله لدى كل إنسان.

كذلك الملائكة المنيرون والأنبياء والآباء المحبوبون من الله الذين نالوا امتيازات المعرفة والفهم والحكمة من الله كامتياز، إلى أن جاء الابن صاحب كنوز الحكمة والفهم، ومعه الروح القدس روح الحق، وسكن الإنسان كساكنٍ مقيم: «**لأنه ماكث معكم ويكون فيكم**» (يو١٤: ١٧). لذلك أخذت الطبيعة البشرية أقوى مُدافع ونصير ومرشد ومعلم. فلم تعُدْ مستهدَفة في شيء للشيطان.

فالإنسان لم يرث الخطية بل ورث طبيعة حرَّة **قابلة للخطأ، وقادرة على مقاومة الخطأ** وبالتالي مقاومة الشيطان وتأثيره على ملكات العقل والإرادة في الإنسان! لذلك اعتُبر الإنسان مسئولاً عن خطاياه لأنه يعملها بحرية إرادته إطاعةً لإيحاءات خارجة عنه تجيئه من الشيطان.

فالله حينما غضب على الإنسان لم يغضب على طبيعته بل غضب عليه شخصياً لأنه أدخل الخطية على طبيعته بحرية إرادته، **كعنصر غريب عنه قَبِلَه من الشيطان**. ولكن لو أن الله غضب على الإنسان وكانت الخطية هي أصلاً جزء من طبيعته أو ميراثه لكان هذا هو الظلم بعينه، وحاشا لله. الله يعاقب الخاطىء على خطية اقترفها بحرية وليس لأنه خاطىء بطبيعته، فالله مسئول عن طبيعة الإنسان كخالق، ولكن ليس مسئولاً عن خطية الإنسان لأنها من صنع الإنسان وحده وهو الذي قَبِلَها من غيره.

كذلك فالإنسان لم يُخلق أو يُولد بطبيعة خاطئة، هذا افتئات على رحمة الله ونعمته، ولكنه يولد **بطبيعة حرَّة ولكنها مُستهدفة لتأثيرات القوى الشريرة**، لذلك يعوزه دائماً قوة تسنده ليغلب هذه الإيحاءات، وقد وجد هذه القوة في المسيح.

وإن كان داود قد قال إن «بالخطية ولدتني أمي» (مز٥١)، فهذا القول يؤخذ بالمعنى الذي قلناه تماماً، أي **بجسد مستهدف للخطية**. وحتى الإنسان ليس حتماً يولد ليخطىء أو باستعداد الخطية. فحالة إرميا النبي تكشف هذه الحقيقة وتدعمها: «قبلما خرجتَ **من الرَّحِم قدَّستك**» (إر١: ٤). إذاً، **فليس أن الإنسان يولد بالخطية، ولكن باستعداد عمل الخطية!**

وفي حالة إرميا النبي آزرته نعمة الله فحفظت الطبيعة ولم تستهدف للخطية. فكلمة «قدَّستُك» تفيد الاحتواء والتبعية، فإرميا دخل حالة التخصص لله. هذا هو التقديس، ولكن كامتياز نعمة وليس تقديس طبيعة، كالأمر الذي حدث بالفداء والخلاص والتبني ثم الاتحاد بطبيعة المسيح القدوسة، التي صرنا بها قديسين في الابن بطبيعة جديدة ـــ لإنسان جديد ـــ **لا سلطان للخطية عليه ولا الموت**، لأنه حتى إن أخطأنا فلنا شفيع عند الله الآب الذي يغفر الخطية وكأنها لم تكن.

والمسيح لم يأخذ منا طبيعة خاطئة، حاشا، بل أخذ طبيعة مستهدفة للخطية، وقد استطاع أن يحفظها بقوته دون أية خطية، لأنه استطاع أن يصد الشيطان وكل إيحاءاته بإرادته: «اذهب عني يا شيطان»، فتركه!

ولكن المسيح أخذ منَّا كل الخطايا بكل صنوفها وكل عقوبتها بحرية إرادته على خشبة الصليب ـــ والله الآب هو الذي وضع عليه إثم جميعنا ـــ وليس قبل ذلك: «**الذي حمل هو نفسه** خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (١بط٢: ٢٤)

فالمسيح حتى إلى لحظة الصليب لم يكن فيه خطية واحدة، بل ولا كان في فمه غشٌّ! «**لأجلهم أُقدِّس أنا ذاتي**» (يو١٧: ١٩). وكقدوس طاهر بلا عيب تقدَّم نحو الصليب كذبيحة إثم، «**والرب وضع عليه إثم جميعنا.**» (إش٥٣: ٦)!!!

فكل خطايا البشرية بعقوبة الموت عليها لم يَرِثْها المسيح بالميلاد، ولا أخذها من ذاته كأنها عملية بسيطة، بل الآب هو الذي قرر أن يبذل ابنه ويضع عليه إثم البشرية وعقوبة موتها في آنٍ واحدٍ. فوُلد الابن ليحيا باتجاه الصليب، وُلد ليقدِّم ذبيحة نفسه. هذه حُسبت له طاعة ما بعدها طاعةً رفعته فوق أعلى السموات، وطاعته ابتلعت كل عصيان تمَّ بواسطة الإنسان كل إنسان. ولكن كان المسيح يئن من منظر الصليب كلما اقترب إليه، ففيه عقوبة لا يستحقها ولا تتناسب مع قداسته، وفيه كأس الموت تعيَّن أن يشربه وهو الحياة ومنبع الحياة، هذه المضادة العظمى زلزلت أعماقه لما جاء يوم الصليب، كيف يموت؟ ولكنه وُلد ليموت: «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه

الساعة» (يو١٢: ٢٧). الآب قدَّم له وهو على الصليب كأس الموت مذاباً فيه كل خطايا العالم، فكان شُرْبه مرارة قاتلة جزع منها، ولكنه قَبِلَها من يد الآب حُبّاً وطاعةً وكرامةً من أجل السرور الموضوع أمامه، أي فداء البشرية وتقديسها ومصالحتها مع أبيه! لم يستطع أن يمدّ يده ليستلمها، ولكن الآب سقاه إيَّاها فوق الخشبة لمَّا «وضع عليه إثم جميعنا» (إش٥٣: ٦)!! يا للمحنة العظمى! يا للبذل الذي احتمله الآب نفسه قبل الابن!! وبهذا الثمن نجا الإنسان من الموت، وانفك من قيود الخطية ومن سلطان الشيطان، وكان الثمن باهظاً للغاية تقاسم فيه الآب مع الابن!!

٢: ٤و٥ **«الله الذي هو غنيٌّ في الرَّحمةِ، من أجلِ محبتِهِ الكثيرةِ التي أحبَّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيَانَا مع المسيح! بالنعمةِ أنتم مخلَّصُونَ».**

منظران متقابلان:

الإنسان في أدنى حالات بؤسه وشقائه، وقد حرمته الخطية من أي بصيص أمل في الحياة، يعيش موته كل يوم؛

والله في ملء غناه في الرحمة، ومن ورائها محبته على مستوى الكثرة والاستعداد.

غنى رحمة الله فكرٌ رسولي تغنَّى به جميع الرسل كلما تطلَّعوا إلى ما صرنا إليه كخليقة روحانية جديدة بعدما كنَّا أبناء ظُلمة وموت: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي **حسب رحمته الكثيرة** ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم» (١بط١: ٣و٤)، «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن بل **بمقتضى رحمته** خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس.» (تي٣: ٥)

والسؤال: لماذا تأخرت الرحمة في عملها هذه الآلاف من السنين، والمحبة الكثيرة وقفت وكأنها غير قادرة على انتشال الإنسان من الظلمة الحالكة التي يعيش فيها والموت الذي استبدَّ به؟

الإجابة في الحقيقة تنفي أي تأخير أو إهمال من جانب الله لا في الرحمة ولا في المحبة. ولكن هذه هي المفارقة العُظمى بين طبيعة الإنسان وطبيعة الله التي منها يستمد الإنسان الحياة الأبدية ليحيا مع الله ويحيا إلى الأبد. فالإنسان مخلوق من تراب الأرض، متغيِّر بسبب الخطية لا إلى أعلى بل إلى التراب الذي أُخذ منه، ثم إلى زوال!!

فلكي يرث الفاسد عدم فساد، ولكي يلتحم الميت بالحياة، ولكي ينتقل الزمني إلى الخلود،

ولكي يتحوَّل الذي لا يعرف حتى نفسه إلى معرفة الله، كل هذا وأكثر احتاج من الله إلى عمليات رتيبة لينتقل بالإنسان مئات بل ألوف النقلات الداخلية والخارجية، وكل نقلة كان يعوزها أجيال ليرتقي الإنسان إليها بأمان. فكان نوح وكان إبراهيم وكان الوعد، وكان يعقوب وكان موسى وكان الناموس، وكان داود وكان السبي، وكانت العودة، وكانت الخيمة وكان الهيكل. فلما تعلَّم الإنسان كيف يسجد وكيف يسمع الله، وكيف يسير حسب الوصية، وكيف يحب الله ويخشى غضبه، بدأ الله يطمئن أن تطأ قدمه أرض الإنسان التي كان قد لعنها بعد أن لعن ساكنها. ومن حين إلى آخر وجد الله مَنْ يستأمنه ليُطلع الإنسان على نيَّاته ويكشف عن غنى رحمته وشدة محبته المخزونة ليوم الاستعلان.

فحينما بلغ الإنسان أقصى حالات شقائه على الأرض وملأت العتمة كل الأرض، لم تقْوَ رحمته الغنية على الصمت، ولا محبته الشديدة استطاعت أن تُغلق أحشاءها حينما رأت الإنسان قادراً أن يعيها ويتقبلها وهي أيضاً قادرة أن ترفعه من بؤسه لتُجلسه مع النعمة وتُهيىء طريقه نحو المجد، ليحيا إلى الأبد ولا يموت.

ولكي يثق القارىء أن الرحمة كانت تعمل بلا هوادة منذ البدء لتبلغ هذه الساعة المجيدة، اسمع العذراء وهي ترفع الستار عن عمل الله الذي لم يكف:

+ «عضد إسرائيل فتاه **ليذكر رحمةً!!**

كما كلَّم آباءنا (قديماً) لإبراهيم ونسله إلى الأبد!» (لو١: ٥٤و٥٥)

أمَّا آخر صورة من صور النقلات الأخيرة لتعليم الإنسان، والتي صنعها الله قبل تفجير نور الحياة، فهي حينما قال زكريا لابنه يوحنا هكذا: «وأنت أيها الصبي نبيَّ العلي تُدْعى لأنك تتقدَّم أمام وجه الرب **لتُعدَّ طرقه، لتُعطي شعبه معرفة الخلاص** (قبل أن يتم) **بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المُشرق من العلاء، ليُضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت...**» (لو١: ٧٦-٧٩)

«الغنيُّ في الرحمة»: πλούσιος ἐν ἐλέει

في الحقيقة كما سبق وقلنا أن رحمة الله أثبتت غناها بلا نزاع إذا تطلعنا إلى أعماله مع الإنسان في القديم وخاصة منذ إبراهيم. فإن كان العهد الجديد هو فيض من غنى محبة الله الآب: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو٣: ١٦)، فالعهد القديم هو فيض متوالٍ ومتكاثر من رحمة الله التي لا تُعدُّ ولا تُحصى ولا تُقاس، وخاصة مع شعب إسرائيل، بصورة حية واقعية

ملموسة، مما جعلهم يطمعون في الله ظنًّا منهم أنه نَسِيَ تأديبه: «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدّامه ونادى الرب: **الرب إلهٌ رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء.** حافظ الإحسان إلى ألوف. **غافر الإثم والمعصية والخطية، ولكنه لن يُبرىء إبراءً**» (خر٣٤: ٥-٧)، «**الرب رحيم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة.**» (مز١٠٣: ٨)

هنا «غني في الرحمة» تُفيد مذخرات الله من الرحمة التي لا تفرغ التي يستطيع أن يعمل بها ما لا يخطر على بال بشر. وما الفداء الذي تمَّ إلاَّ عمل من أعمالها.

والمُلاحَظ هنا أن «الرحمة» بدأت تنطلق لتعمل عملها على أرض الإنسان بناء على توصية خاصة من المحبة «من أجل محبته الكثيرة». فالرحمة استجابت لإلحاح المحبة لمَّا تكاثرت عليها. فاشتغلت الرحمة على مستوى غناها لتُرضي المحبة!!!

«من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها»:

كانت محبة الله ــ كما سبق وقلنا ــ تنتظر بلوغ الإنسان درجة احتمال تعاملها معه. والواقع العملي ينطق بذلك نطقاً. إذ لمَّا استحق الإنسان أن يحل الروح القدس فيه ويصنع من أحشاء بتول قديسة لحماً وعظماً لجسده، لم يتأخر ولا لحظة واحدة. هذا بالإضافة إلى أن صراخ الإنسان وهو تحت عبودية الموت والفساد كان قد بلغ آخر مراحله التي لم تَطِقْ محبة الله ولا رحمته أن تتجاوزاه: «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور.» (مت٤: ١٦)

و يُلاحِظ القارىء أنه بعد قوله: «**محبته الكثيرة**» عاد واقتصرها على الإنسان: «**التي أحبنا بها**». وهكذا يعبِّىء بولس الرسول أقصى ما يمكن من استعدادات الله ويدفعها لعملية الفداء:

غِنَى الرحمة وكثرة المحبة: الرحمة تُنقذ من الموت، والمحبة تطيِّب وتنفخ روح الحياة.

«ونحن أموات بالخطايا»: καὶ ὄντας ἡμᾶς νεκρούς

هنا سقطت من الترجمة العربية كلمة καὶ التي تفيد «حتى»، وهكذا تجيء الآية ولها رنَّة الاندهاش والمفارقة: «حتى ونحن أموات بالخطايا ...».

والقديس يوحنا الرسول في رسالته الأُولى يشعر بهذه المفارقة الهائلة، ويحوِّلها إلى مفهوم محبة متضاعفة سبَّاقة من طرف الله وحده فقط!! بل يجعلها مقياس المحبة الوحيد!! «**في هذا هي**

المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا (دون أية بادرة من طرفنا ونحن أموات في الذنوب والخطايا) وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا.» (١يو٤: ١٠)

كانت حالة الإنسان ميئوساً منها، فالحكم صدر من الله ولا رادَّ لقضائه، فالذي يقوله يكون: «مَن أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي» (خر٣٢: ٣٣)؛ «النفس التي تُخطىء هي تموت» (حز١٨: ٤)؛ «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو٦: ٢٣)؛ «لأني لا أبرِّر المذنب.» (خر٢٣: ٧)

وهنا وردت آية لإشعياء النبي وهو يصف الله وقد رأى حالة الإنسان الميئوس منها. فلا يوجد إنسان يُعتمد عليه ليقوم بعملية الخلاص ولا حتى مَنْ يتشفع في بؤس الإنسان، فشمَّر عن ذراعه (ويسوع هو ذراع الرب): «فرأى أنه ليس إنسان وتحيَّر من أنه ليس شفيع، فخلَّصت ذراعه لنفسه وبرُّه هو عضده. فلبس البرَّ كدرع وخوذة الخلاص على رأسه. ولبس ثياب الانتقام كلِبَاس واكتسى بالغيرة كرداء» (إش٥٩: ١٦و١٧). «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.» (يو٣: ١٦)

«أحيانا مع المسيح، وأقامنا معه، وأجلسنا معه»:

συνεζωοποίησεν - συνήγειρεν - συνεκάθισεν

ثلاثة أفعال متتابعة في تدرُّج صعودي هائل: «أحيانا ــ أقامنا ــ أجلسنا»، تكشف عن أية قوة محبة هذه، بل أي غنى مراحم، بل أي اهتمام يفوق العقل والتصوُّر(٥)! فمن موت في عفن الذنوب والخطايا، إلى حياة في تقديس وبر، إلى تأهيل للوجود مع السمائيين لحياة ملء الأبد؟ القديس يوحنا الرسول يقول إن هذا هو أعظم قياسٍ عُرف للمحبة، بل عُرِّفت به المحبة!! «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة، ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبَّنا وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا.» (١يو٤: ٩و١٠)

هذا في الحقيقة منظر خاطف للإنسان وهو ميت رُئي حيًّا ومع المسيح. القديس بولس يضع المضاهاة: الحياة أمام الموت. ولكن «الموت مع الخطايا» و«الحياة مع المسيح»، وضعه كعنوان صغير لأكبر عملية قام بها الله مع ابنه يسوع المسيح بعد الخَلقْ.

فهي عملية خَلقْ ما بعد الخلق. ثم تحويل الموت فيها إلى حياة، واللعنة إلى برٍّ، وبؤس الإنسان

(٥) [ما هذه الرأفة كلها؟! ما هذا الاهتمام العظيم الذي لأبُوَّتك؟! ما هذه اللجة التي لصلاحك؟] (القداس الكيرلسي — صلاة شكر بعد التناول).

إلى نعمة فيها يقيم!! ويصفها ق. بولس أيضاً في رسالته إلى كولوسي:

+ «وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغَلَف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا.» (كو٢:١٣)

«بالنعمة أنتم مخلَّصون»:

أي لا تسأل كيف، كيف يحيا الإنسان وقد كان ميتاً، كيف انتهت مأساة خطاياه، كيف انحلت رُبُطُه وأُطلق حرًّا، كيف خلص من ماضيه وخلص من حكم مستحكم دون مرافعة ولا شهادة ولا شُفعاء، كيف أخذ البراءة وفوق البراءة تبريراً. لماذا عَملت الرحمة عملها فيه، ولماذا كثرت المحبة أيضاً وهو في حالة عداوة لله؟ لا تسأل لأن هذا كله اضطلعت به **«نعمة الله»** بلا أجر وبلا سؤال ولا تذلُّل. ألم نَقُلْ أن الرحمة تضافرت مع المحبة، وكانت الأُولى غنيَّة والثانية متكاثرة؟ هذه هي المحبة.

٢:٦ **«وأقامَنا مَعَهُ وأجلَسَنا مَعَهُ في السَّماويَّات في المسيح يسوعَ».**

لقد قالها بولس باختصار إنه **أحيانا مع المسيح،**
وسبق أيضاً وقال إنه **باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح،**
وأنه **اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة،**
وأنه **سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه،**
وأن **نعمته أنعم بها علينا في المحبوب،**
وأن **فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته،**

الآن يشرح وباختصار أيضاً كيف «أحيانا مع المسيح»،
أنه **«أقامنا معه»**
لقد مات المسيح ليتلاقى معنا في موتنا! ونتلاقى نحن معه في موته فنحيا ونقوم!!

+ **«مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات!»** (كو٢:١٢)
+ «فإن كنتم قد قُمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالسٌ عن يمين الله.» (كو٣:١)

سبق أن قلنا إن الله وضع عليه إثم جميعنا، وبالتالي حمَّله حكم القضاء بالموت نظير الخطية،

فمات المسيح على الصليب وهو حامل خطايانا في جسده،

أخذ **جسدنا** وأخذ **خطايانا** وأخذ حكم **الموت الصادر علينا** ومات!

فأكمل العقوبة واشتركنا معه في تكميل هذه العقوبة عينها، أي أننا مُتنا معه، ولكن كان موته ليس مثل موتنا.

أمّا موته فماته عن خطايانا التي حملها، أي ماته ليس عن نفسه لأنه لم يفعل خطية واحدة ولا كان في فمه غشٌّ. ولكنه مات من أجلنا، لذلك بعد أن أكمل الموت من أجلنا وصفَّى حساب حكم الموت، قام من الأموات حيًّا، لذلك فجسده الذي كان حاملاً لخطايانا وحاملاً لحكم الموت الصادر ضدّنا قام به من الأموات بدون خطايا و بدون حكم الموت، وهكذا أقامنا معه بدون خطية، وأحيانا معه إنساناً جديداً لحياة جديدة ليس فيها خطية بعد ولا موت.

وأمّا موتنا الذي متناه معه فهو بجسد الخطية، فمات الجسد وماتت الخطية فيه: «عالمين هذا أن **إنسـاننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية** كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية. لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية.» (رو٦: ٦و٧)

لذلك حينما يقول بولس الرسول أنه أقامنا معه فهو يعني أنه أقامنا مغفوري الخطايا، مرفوعاً عنّا حكم الموت، أحياءً مع المسيح كإنسان جديد.

ولكن وإن كنّا قد شاركنا المسيح في موته بأجسادنا العتيقة التي ماتت بالفعل بموته وقامت في ملء الحياة بحياته، ولكن لا تزال أجسادنا تنتظر برجاءٍ روح القيامة الذي أقام المسيح من الأموات، لنقوم ونحيا في ملء القيامة العتيدة أن تكون.

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات (الروح القدس) ساكناً فيكم (وهو ساكن فينا بالحق)، فالذي أقام المسيح من الأموات **سيُحيي** (في القيامة العتيدة) أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

«وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع»: καὶ συνεκάθισεν

+ «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني **يكونون معي حيث أكون أنا** لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم.» (يو١٧: ٢٤)

كانت هذه هي طِلبة المسيح من الآب قبل أن يدخل على الصليب. والآن هكذا تمّم الله طِلبة المسيح وأجلسنا معه في السماويات. لا كأننا نجلس بجواره أو كأن لنا مكاناً نجلس فيه، ولكنه لـمّا جلس هو في السماويات جلسنا معه بالتالي. ولكن مكان جلوسنا هو فيه لأننا جسده. فكما

مُتنا معه لمَّا مات، وكما قُمنا معه لمَّا قام، هكذا جلسنا معه لمَّا جلس، لأنه مات من أجلنا وقام من أجلنا **وجلس بنا في السماوات**، فضَمَنَ لنا الحياة الأبدية معه ومع الآب.

وهكذا تمَّ القول الذي قاله بولس الرسول في بداية الأصحاح الأول إنه: «اختارنا فيه قبل تأسيس العالم **لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة**» (أف ١ : ٤)، لأن بموته غُفرت خطايانا وبدمه تقدَّسنا وبجلوسه في السماء عن يمين الآب تراءينا أمام أبيه قديسين وبلا لوم في المسيح وفي المحبة التي أحبنا بها. وهذا هو أيضاً القول الذي قاله سابقاً إنه: «باركنا بكل بركة روحية في السماويات» (أف ١ : ٣). وهل توجد لنا بركة أكثر من أن نجلس معه في السماويات!

ولماذا الجلوس؟ وماذا يعني الجلوس؟ **وفي المسيح**؟

أليس الجلوس يعني الانتظار، بانتظار الباروسيا أي ظهور المسيح علانية لتكميل عمل الفداء وعمل الخلاص باستعلان النتيجة النهائية؟

«إن كنتم قد قُمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة (الآن) مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ١-٤). هذا ختام عمل الفداء والخلاص، وهذا هو ما بعد الجلوس بانتظار البارُوسيا!!

أمَّا المعنى الخلاصي المختبىء في الجلوس معه في السماويات فهو يعني أننا صرنا بالفعل مواطنين سمائيين، لأن الجلوس في السماء يفيد أننا دخلنا بيتنا الجديد:

+ «صادقة هي الكلمة أنه إن كنَّا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه. **إن كنَّا نصبر فسنملك أيضاً معه...**» (٢تي٢: ١١و١٢)

هذه كلها تعابير صادقة عن حياةٍ جدّ سعيدة ومجيدة تنتظرنا في الملكوت السمائي، وعلينا من الآن وقد نلنا ختمها وعربونها داخلنا، أن نعتبر أنفسنا في هذا الواقع نعيشه بالروح والإيمان والرجاء والحب، لأن الذي وعد أمين:

+ «فإن سيرتنا نحن (الآن) هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في٣: ٢٠)

+ «أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة.» (رو٦: ٣و٤)

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)
+ «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيُقيمنا نحن أيضاً بيسوع و يُحضرنا معكم.» (٢كو٤: ١٤)
+ «مَن يغلب فسأُعطيه أن يجلس معي في عرشي كما غلبتُ أنا أيضاً وجلستُ مع أبي في عرشه.» (رؤ٣: ٢١)
+ «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم **إيماننا.**» (١يو٥: ٤)
+ «وأمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا **أولاد الله.**» (يو١: ١٢)
+ «**لأن كل مَن وُلِدَ من الله** يغلب العالم.» (١يو٥: ٤)
+ «مَن هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي **يؤمن أن يسوع هو ابن الله.**» (١يو٥: ٥)

فغلبة المسيح غلبتنا ونصرته نصرتنا وجلوسه هو من أجلنا.

٧:٢ «ليُظهِرَ في الدُّهورِ الآتيةِ غِنى نِعمَتِهِ الفائقَ باللُّطفِ علينا في المسيحِ يسوعَ».

قد وصل بولس الرسول إلى اقتناع كلِّي يزكيه الإنجيل والروح والإعلان، أن الله منح الكنيسة قدرات غير عادية في المسيح. ففوق ما استعلنه من جهة المسيح أن الله قد رفعه فوق جميع السموات ــ نظير طاعته حتى الموت لخلاص عظيم أكمله بالدم ــ فوق كل خليقة سماوية وأرضية، وأخضع كل شيء تحت قدميه فصار رأساً فوق كل شيء، كان هذا لحساب الكنيسة أو بمنتهى الاختصار «للكنيسة»؛ فإن الله عاد واستعلن له أن الكنيسة هي جسده، **وهو جسد البشرية** الذي تألم به ومات وقام، فأدرك أننا تألمنا معه ومتنا معه وقمنا معه، وأحيانا في المسيح وأجلسنا معه في السماويات. ورفع بولس بصره وامتد ليرى قصد الله من كل هذا أنه يتعدَّى اختصاصات الكنيسة من جهة قوتها ومجدها كقوة لن تقوى أبواب الجحيم عليها، وكنعمة أُعطيتْ لتعيد خَلْقَ الإنسان على صورة الله مرة أخرى، وتُنير الإنسان ليُدرك مدى عظم قوة الله التي استخدمها في قيامة المسيح وقيامتنا، وكقوة ملء وتوحيد عُظمى وُهِبتْ أن تعمل في المسيح لكي ينجمع كل شيء ما في السموات وما على الأرض فيه.

وفوق أنها صارت شاهدة على الأرض بكل أعمال الله في المسيح من أجل العالم، فإنه يتبقى لها دور هام في السماء وفي الدهور الآتية لإعلان وإظهار غنى نعمة الله، هذا الغنى الفائق الحد

والوصف في لطفه الفائق أيضاً والعجيب الذي صنعه معنا وسكبه علينا، وذلك بين السمائيين وعلى مشهد من كافة الخلائق الروحانية في السماء.

وهكذا يتيقَّن لنا أن الكنيسة بصفتها جسد المسيح الممجَّد سيُستعلن دورها الكبير في الدهور الآتية كمركز شهادة وإعلان عن كل مراحم الله وغنى حكمته ومحبته ولطفه وإحسانه الذي عمله للبشرية في المسيح.

لذلك نُدرك الآن لماذا أعطاها الله بخطةٍ أزلية أن تكون جسد المسيح والمسيح رأسها؟ وذلك لكي يجمع فيها كل أعمال غنى رحمته ونعمته ولطفه وإحسانه الذي عمله في المسيح، ويجعل لها وجوداً وإقامة بل وجلوساً في السموات، هذا كله لتكون القوة المنتصرة والناجحة التي تشهد لحكمة الله وغنى نعمته الذي لا يقاس بين كل الخلائق القديسة، هذا الذي لم يكف ق. بولس من الأول بالتلميح عنه بقوله: لمدح مجده ولمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، فكل أعمال الله يتحتم أن تنتهي بهذا المديح المتواصل الذي هو بحد ذاته شهادة وإعلان — من الكنيسة — على الأرض وفي السماء بنعمة الله التي لا تقاس.

«ليُظهر»: ἐνδείξηται

وتحتمل باليونانية أكثر من إظهار، بل هي عرض علني وتوضيح show forth، وكأن الكنيسة ستكون في السماء نموذجاً حيًّا ناطقاً يستعرض كل أعمال الله ومدى عظم القوة وغنى الرحمة والنعمة الفائقة الحد والقياس التي صنعها الله في المسيح لأجلنا.

من ذلك يظهر بوضوح أن البشرية المفدية في شكلها الجديد السماوي في المسيح هي مركز اهتمام الله ومركز تمجيده الدائم بين كل الخلائق وفوق كل الخلائق!!

وبولس الرسول يرى أنه حتى من الآن، والكنيسة في زمان آلامها، فهي الشاهد وربما الوحيد والمؤتمنة على حكمة الله بين الرؤساء والسلاطين في السماويات!!

+ «لي... أُعطِيَتْ هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. **لكي يُعرَّف الآن** عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٨-١١)

هذا بالنسبة **«للآن»**؛ أمّا وقد وصل ق. بولس إلى أننا صرنا خليقة جديدة في المسيح يسوع

وتقرر أن نجلس معه في السماويات، فقد وضح أن للكنيسة دوراً دائماً في السماء في الدهور الآتية لتشهد نفس التهادة وتستعرضها على كل خلائق الله القديسة، التي كما يقول بطرس الرسول: «التي تشتهي الملائكة أن تطّلع عليها.» (١بط١: ١٢)

ونستعجب على بصيرة بولس الرسول الذي أُعطِيَ أن يمتدَّ بها دائماً نحو المستقبل، والمستقبل الذي ليس من هذا العالم، ليرى أعمال الله في أوج مجدها. اسمعه يقول بالنسبة للمسيح وبالتالي الكنيسة:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط **بل في المستقبل أيضاً.**» (أف١: ٢٠و٢١)

ولا عجب أن تمتد رؤية ق. بولس إلى أسرار الدهر الآتي، لأن المسيح فتح سابقاً هذا المجال:

+ «ومن قال كلمةً على ابن الإنسان يُغفر له. وأمَّا مَن قال على الروح القدس، فلن يُغفر له لا في هذا العالم **ولا في الآتي.**» (مت١٢: ٣٢)
+ «الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخواتٍ أو أباً أو أُمًّا أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلي ولأجل الإنجيل إلاَّ ويأخذ مائة ضعف **الآن في هذا الزمان** ... مع اضطهادات، **وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية.**» (مر١٠: ٢٩و٣٠)

«غنى نعمته الفائق باللطف»:

النعمة: χάρις عند بولس الرسول تشكِّل فكراً مركزياً يشرح به عمل الخلاص[6].

على أن بولس الرسول يتحاشى استخدام الجمع «للنعمة». ولبولس الرسول أيضاً استخدامات جانبية لكلمة «خاريس»، يستخدمها في التحيات الأُولى كتمنيات طيبة، ويستخدمها كعطية، ولكن بالأساس يستخدمها لكي يشرح بها قوة عمل الخلاص، سواء من جهة فعلها من الله أو من جهة ردّ فعلها عندنا. فهي من عند الله تعبِّر عن إعلان عمله في المسيح، المجاني؛ وردُّ فعلها عندنا هو اللهج بالشكر وتقديمه لله كذبيحة.

وق. بولس لا يشرح بكلمة «النعمة»، طبيعة الله، ولكن يشرح بها عمله الذي يتركَّز في الصليب، كنعمة تقف مواجهة ضد الناموس لتلغيه، لتعطي الخلاص المجاني: «**فإن الخطية لن**

---

6. Bultmann, *Theology*, p. 281-5, 287-91.

تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل **تحت النعمة**» (رو٦: ١٤)، «قد تَبَطَّلتُم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون **بالناموس، سقطتم من النعمة**» (غل٥: ٤). لذلك يشدِّد ق. بولس على أن النعمة هي أيضاً من نصيب الخطاة إذا تابوا: «إذ **الجميع أخطأوا** وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً **بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح.**» (رو٣: ٢٣و٢٤)

وعند ق. بولس يمكن أن تكون النعمة هي الإنجيل!! لأن الإنجيل هو أعظم عطية نالها الإنسان من عند الله:

+ «من أجل **الرجاء الموضوع لكم في السموات** الذي سمعتم به قبلاً في **كلمة حق الإنجيل**، الذي قد حضر إليكم كما في كل العالم أيضاً، وهو مثمر كما فيكم أيضاً منذ **يوم سمعتم وعرفتم نعمة الله بالحقيقة.**» (كو١: ٥و٦)

فالإنجيل، ونعمة الله على السواء وعلى التوازي، كلٌّ منهما يشكِّل عقيدة الخلاص. لأنك إن كنت تسمع الإنجيل، أو تُدرك نعمة الله تصير مسيحياً!!

وتأثير **كلمة الإنجيل** في قلب الإنسان تساوي أو هي **فعل** النعمة بحد ذاته:

+ «**لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى**، وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية **بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب** ...» (كو٣: ١٦)

وعند ق. بولس تظهر النعمة دائماً أنها فضل وامتياز إلهي مُعطى من الله في المسيح. وأوضح أن هذا الفضل الإلهي يتركز في الفداء ومغفرة الخطايا: «الذي فيه لنا **الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.**» (أف١: ٧)

وق. بولس يؤمِّن عمل النعمة لتقف في موضعها الصحيح فينفي عنها استخدام أي عمل أو مجهود بشري لنوالها:

+ «**بالنعمة أنتم مخلَّصون بالإيمان**».
+ «ذلك **ليس منكم** هو **عطية الله**».
+ «ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد.» (أف٢: ٨و٩)

وتظل نعمة الله عند ق. بولس عطية وهِبَة لتبقى حرَّة في عملها:

+ «لكل واحد منَّا **أُعطيت** النعمة حسب قياس هبة المسيح.» (أف٤: ٧)

«غنى النعمة الفائق»:

غنى النعمة هو منبثق من غنى الرحمة وغنى المحبة في الله من نحونا، لأن حصيلة الرحمة إذا اتحدت مع المحبة تُنشيء عملاً مجانياً هائلاً تدفعه الرحمة وتزكيه المحبة.

لذلك عبَّر ق. بولس بعد أن أوضح عمل الرحمة والمحبة في إقامتنا من الموت للحياة مع المسيح أن هذا «**بالنعمة أنتم مخلَّصون**». **هذا هو غنى النعمة.** فلمَّا عادت الرحمة والمحبة لتعمل عملها في المسيح بجلوسنا معه في السماويات، عاد بولس وعبَّر عنها «بغنى النعمة **الفائق**». وهنا كلمة «الفائق» جاءت في اليونانية: ὑπερβάλλον وتعني «تفوُق الحد المعقول». وإن ذلك لحقيقة، فأن ننتقل من الموت إلى الحياة فهذه نعمة فوق العقل، ولكن أن نرتفع ونجلس في السماء فهذه نعمة قد تعدَّت كل حد معقول للإنسان.

«باللطف علينا»: χρηστότητι

بولس الرسول هو الوحيد الذي استخدم هذه الكلمة في كتب العهد الجديد.

وإن كانت أصلاً تُستخدم كصفة للناس، إلاَّ أن ق. بولس اختارها بالذات لتأخذ مكانها بين عطايا الله وهباته ومعاملاته. وهي في أصلها تفيد «طيبة القلب»، ولكن هنا تفيد «**مستوى النعمة العالي**» الذي يتعامل به الله مع الخطاة **حتى تزداد المعاملة رقة وودًّا وسخاءً.**

وقد استخدمها ق. بولس في الرسالة إلى رومية: «أم تستهين **بغنى لطفه** وإمهاله وطول أناته ...» (رو٢: ٤)، «فهوذا لطف الله وصرامته ...» (رو١١: ٢٢). وهنا يظهر أن اللطف يقابله في الصفة العكسية الصرامة. ومنها يظهر أن اللطف يحمل معنى الوداعة مع الطيبة.

وفي الرسالة إلى تيطس يظهر في معنى الخلاص والإحسان: «ولكن حينما ظهر **لطف مخلصنا الله وإحسانه**» (تي٣: ٤). والإحسان هنا جاء امتداداً للطف، فهما على مستوى واحد، **ولكن اللطف يفيد المعاملة والإحسان والعطية.**

واعتناء ق. بولس في اختيار هذه الكلمة بالذات هو لأن عملية الخلاص لا تزال في قلب بولس تحمل أعماقاً من غنى مشاعر معاملات الله. ولو علمنا أن قانون الله في التعامل مع الخلائق السماوية تحكمه القياسات الدقيقة في الطاعة، على أساس أن المخلوقات السماوية مخلوقة على وظائفها لا تحتمل التغيير ولا الترقِّي، فطبيعتها مجبولة على قياس خدمتها؛ فالذي يترك خدمته يسقط من رتبته: «والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام.» (يهوذا٦)

ولكن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي خُلق للتغيير والترقّي. لذلك رعاه الله كأب منذ البدء **وعامله باللطف**. ولأن طبيعة الإنسان مجبولة على المحبة، أصبحت مشاعر الإنسان تتأثر بشدة بمحبة الله ولطفه وإحسانه.

لذلك سيكون أمراً مُدهشاً ومُستغرباً للغاية لدى الخلائق السماوية، حينما تُستعلن أعمال الله في المسيح من أجلنا، وفيها **الرحمة والمحبة والنعمة واللطف** بالذات، فتصير هذه سبب تسبيح ومديح ومجد لدى السمائيين، لأن اللطف غريب على طبائعهم ومرتفع جداً.

٢:٨و٩ **«لأنكم بالنعمةِ مُخلَّصونَ بالإيمانِ، وذلك ليس منكم. هو عطيةُ الله. ليسَ من أعمالٍ كَيْلا يَفتخِرَ أحدٌ».**

«بالنعمة مخلَّصون بالإيمان»:

لقد ذكر ق. بولس نفس هذا المفهوم في الآية (٢: ٥): «بالنعمة أنتم مخلَّصون». وكأنها بين قوسين، لأنه وضع في نفسه أنه سيعود إليها. وهنا قد عاد ليضيف على النعمة سر تعاملها المجاني مع الإنسان: **«بالإيمان»**. أمَّا كلمة «لأنكم» التي افتتح بها الآية فهي لإعطاء السبب، **السبب في ماذا؟ السبب في أهمية وضرورة إظهار** غنى نعمة الله الفائقة باللطف علينا في المسيح يسوع لدى كل السمائيين في الدهور الآتية، لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان، أي أن عمل الله الفائق في تكميل الخلاص كان مجاناً، كان بعمل نعمة الله! شيء لم يُسمع به قط قبل ذلك وسط كل خلائق الله منذ الدهر. أمَّا دور الإنسان الوحيد الذي زكّاه الله للخلاص فكان: **«الإيمان»!!** الإيمان بابن الله! «الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت.» (يو١٦: ٢٧)

وحتى الإيمان ليس من جهاد الإنسان أو اجتهاده ولكنه عطية الله بالإنجيل!! كما سيوضّح ق. بولس. فالذي قَبِلَه، نال النعمة ونال الخلاص: «الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا لفداء المُقتَنَى لمدح مجده.» (أف١: ١٣و١٤)

ويضعها يوحنا الرسول ببساطة قائلاً: «وأمَّا كل الذين قَبِلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وُلدوا، ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله.» (يو١: ١٢و١٣)

وعلى القارىء أن ينتبه جداً للعلاقة بين هذا المسلسل المجيد:

+ **قَبِلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله،**
وأولاد الله **يعني أنهم آمنوا باسم المسيح!!**
والذين آمنوا باسم المسيح **هؤلاء وُلِدوا من الله!!**

وهذا المسلسل المبارك المجيد يعود ويوظِّفه القديس يوحنا في رسالته الأُولى هكذا:

+ «**لأن كل مَن وُلِدَ من الله يغلب العالم.**
وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا.
مَن هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي **يؤمن أن يسوع هو ابن الله.**» (١يو٥: ٤و٥)

ويعود ق. بولس ليربط عطية **البرّ بالإيمان** أيضاً: «**برُّ الله بالإيمان** بيسوع المسيح إلى كل وعلى **كل الذين يؤمنون**، لأنه لا فرق» (رو٣: ٢٢)، «... آمنَّا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر **بإيمان يسوع.**» (غل٢: ١٦)

ويعود ويربط نعمة الكفَّارة بالإيمان: «الذي قدَّمه الله **كفَّارة بالإيمان بدمه.**» (رو٣: ٢٥)
أمَّا بطرس الرسول فيُعطي ثمن الإيمان: حراسةً بقوة الله، وخلاصاً سيُستعلن حتماً:

+ «أنتم الذين بقوة الله محروسون **بإيمان** لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير الذي به تبتهجون.» (١بط١: ٥و٦)

وينتهز ق. بولس فرصة ربط الخلاص بالإيمان بالنعمة، ليقوم بتأمين النعمة وتأمين الإيمان من أية محاولة لتلويثها بأعمال الإنسان، وإلاَّ فلا الإيمان يُدعى إيماناً لأنه عطية الله، ولا النعمة تُدعى نعمة لأنها عطية الله!

«وذلك ليس منكم هو عطية الله»:
«ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد»:

وضعنا جزء الآية (٨)، مع الآية (٩)، ليتضح أمام القارىء أنه بالرغم من أن المعنى يكاد يكون واحداً، إلاَّ أن الحقيقة ليست كذلك، مما دفع المفسرين إلى تفسير الآيتين بمعنى واحد. ولكن الآية الأُولى: «وذلك ليس منكم هو عطية الله» تفيد أن **عملية الخلاص هي عطية من الله من جانب واحد ولا تدخُّلَ للإنسان فيها بتاتاً**، بمعنى أنها كانت في قصد الله منذ الأزل وحققها في زمانها المبارك دون العودة إلى الإنسان إطلاقاً لا من جهة استحقاقه (بل بالرغم من عدم استحقاقه) ولا من جهة إيمانه، لأن المسيح صُلب ومات وقام وصعد وجلس في السموات ـــ أي أكمل

الخلاص نهائياً، والإنسان لم يستيقظ بعد ليعرف ما هذا الذي تمَّ. هذا من جهة الإنسان، بل المسيح كان قد جلس عن يمين العظمة في السموات بعد ما قدّم للآب عملية الخلاص برُمّتها ودمه عليه، والإنسان لا يزال يجهل كل شيء. إذاً، فقول ق. بولس هنا: «ذلك ليس منكم هو عطية الله»، يعني أن كل الخلاص ــ بعملياته الفائقة القوة والنعمة ــ كان من طرف واحد فقط: «هو عطية الله». وضمناً يلمّح لليهود أن لا موسى ولا إبراهيم ولا إسرائيل يعقوب ولا داود كان لهم أي دور على الإطلاق.

والقصد من ذلك أن لا يحاول الإنسان، أي إنسان، أن يعتبر نفسه مستحقاً للخلاص، فهو عطية صافية خالصة من الله. ومن جهة أخرى يمتنع على أي إنسان مهما كان خاطئاً وبعيداً عن الله أن يعتبر نفسه غير مستحق للخلاص، لأن الله قدّمه من طرفه هو مجاناً للإنسان ككل كعطية مجانية من عنده خاصة بالخطاة فقط. فالله قصد ذلك قصداً أن لا يتدخل أي إنسان أو أي رسول لتكميل أية ناحية من نواحي الخلاص أو حتى يشترك فيها لتظل عطية مجانية لكل إنسان وكهبَة مُهداة للخطاة بلا ثمن.

«ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد»:

فالآية (٨) تؤكد أن الخلاص عطية كلية من الله وحده، وليست من أي أحد ولا بشركة أي أحد. وهنا الآية (٩) تتجه ناحية كيفية الحصول على الخلاص. فهي تنفي أن يكون هناك أي عمل مطلوب لنوال الخلاص. ولكن الذي في ذهن بولس الرسول هو أعمال الناموس، فهو هنا ينفي إطلاقاً أن يكون للناموس وأعماله ووصاياه أي نصيب أو تدخُّل في الخلاص، بل وحتى في شرحه أو فهمه. فاليهود الذين دأبوا على الافتخار بأعمال الناموس حُرموا نهائياً ــ في مجال الخلاص ــ من الافتخار بأي عمل!!

وليس اليهود فقط بل وكل المؤمنين أيًّا كانوا، يمتنع عليهم إطلاقاً الاعتماد على أعمالهم الخاصة مهما كانت طيِّبة وصالحة ومملوءة إيماناً ومحبة وبذلاً كأنها تقرِّبهم إلى الخلاص أو تعطيهم استحقاقاً فيه، هذا مستحيل. فالخلاص الذي أكمله المسيح للإنسان بالنعمة مجاناً ليس فيه مكان لعمل إنسان مهما كان تقيًّا أو قدّيساً. فدم المسيح لا يُشترى بعرق جبين الإنسان أو بعطاياه مهما كانت ولا حتى بتقواه. لذلك فالافتخار بالأعمال يُحسب افتئاتاً على نعمة الله وصليب المسيح!!

أمّا أعمال الإنسان الصالحة وتقوى الأتقياء وقداسة القديسين فتضاف لهم ليس كأنها استحقاق للخلاص بل كثمار الخلاص المجاني، التي تزكّي دم المسيح وتمجّده وتصبح له بمثابة قوة

لمدح مجد نعمته. **فكل أعمال القديسين سيتكرم بها المسيح وسط السمائيين**، وكلما ازدادت الأعمال الصالحة وازدادت القداسة والتقوى **ازداد المسيح كرامة** وسط السمائيين وازداد مديح القديسين وتسبيحهم لله وللمسيح في المجد.

أمَّا قول الكتاب بأنه سيجازي كل واحدٍ حسب أعماله، نعم فهكذا ستكون المجازاة: مَن لهم أعمال مجيدة في الشهادة للمسيح وخدمته سيأخذون الصفوف الأُولى والأقرب إلى المسيح، للمديح الأوفر مجداً والتسبيح الأكثر بهاءً، والذين قلَّت أعمالهم وضعفت شهادتهم ضعف مديحهم وقلَّ تسبيحهم وبَعُد مكانهم عن العريس القائم في مجده:

+ «وسمعت صوتاً كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم، وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمام العرش.» (رؤ١٤: ٢و٣)
+ «معهم **قيثارات الله**، وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف **قائلين عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين.**» (رؤ١٥: ٢و٣)
+ «مَن افتخر فليفتخر بالرب.» (١كو١: ٣١)
+ «وأمَّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم.» (غل٦: ١٤)

ولا ينبغي أن ننسى ما ردَّده ق. بولس كثيراً أن أعمال الخلاص كلها والخلاص بحدِّ ذاته هو أولاً وأخيراً تمَّ وكمُل في مقاصد الله قبل تأسيس العالم، وعندما يُستعلن كاملاً وسط السمائيين سيكون «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» (أف١: ٦)!! وفي يقيني أن أعظم هبة ينالها أعظم قديس هي أن يُعطى سرَّ «**مَدْح مجد نعمته** التي أنعم بها علينا في المحبوب» هنا وهناك!! فالتسبيح والتمجيد هو عملنا الوحيد المحسوب لنا الآن أعمالاً على مستوى الذبيحة المقبولة. هذا من جهة الأعمال وعلاقتها بالخلاص.

أمَّا الأعمال الصالحة التي **هي ثمرة خلاصنا فهي مطلوبة** وضرورية للغاية لتمجيد الله: «لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت٥: ١٦)، وتمجيد المسيح أيضاً: «بما أنكم فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت٢٥: ٤٠). وهكذا رفع المسيح جميع أعمال المحبة والرأفة والرحمة والبذل والمعونة مهما صَغُرَت حتى إلى تقديم كوب ماء بارد، فقد أكَّد المسيح أنه لا يضيع أجرها! ولكن يبقى تحذير أخير أنه: «بأعمالي ليس لي خلاص» (صلاة نصف الليل، الخدمة الثالثة).

١٠:٢ «لأننا نحنُ عَمَلُهُ مخلوقِينَ في المسيح يسوعَ لأعمالٍ صالِحةٍ قد سَبَقَ الله فأعدَّها لكي نَسْلُكَ فيها».

«نحن عمله»: αὐτοῦ γάρ ἐσμεν ποίημα

وترجمتها «نحن صَنْعَته»، كما جاءت في المزامير: «هو صَنَعَنا وله نحن» (مز١٠٠:٣)؛ «يداك صنعتاني وأنشأتاني.» (مز١١٩:٧٣)

الله عمل الإنسان كما عمل الخلاص، فإن كنَّا نحن عمله فكيف نستزيد الخلاص عملاً بعملنا؟ أو هل يصحّ أن يتدخل المخلوق في عمل الخالق؟ هذا هو منطق بولس الرسول. فهذه الآية توضيحية أو تأكيدية للآية السالفة التي يقول فيها إن الخلاص أو حتى الإيمان بالخلاص ليس من أعمال، وإلاَّ بطل الخلاص كعطية وبطل الإيمان كهبة.

كما يلزم أن نفهم أن الخلاص بصورته النهائية يخص الإنسان الجديد، والإنسان الجديد على صورة الله مخلوق في البر وقداسة الحق، وهو عمل الله مائة بالمائة. فكيف يتسنَّى للإنسان الجديد الذي هو **عمل الله** أن يعمل عملاً أيًّا كان ليضيف إلى خلاصه خلاصاً أو لجدَّته جِدَّة؟ الإنسان الجديد مفروض عليه أن يعمل عمل المخلَّصين ولكن ليس من قدرته قط أن يعمل خلاصاً أو يستزيده لنفسه أو لغيره. فالخلاص المقدَّم لنا أُكمل كمالاً لا يحتمل استزادة، وحينما نقبله فإننا نقبله كاملاً كما صنعه المسيح تماماً.

كذلك فالخلاص في المفهوم اللاهوتي هو الحياة الأبدية مُنحت للإنسان بالفداء، فهل يمكن للإنسان الذي قَبِلَ الحياة كعمل الله الفائق أن يضيف إلى الحياة عملاً يستزيدها؟ ويلاحظ القارىء أن كلمة نحن «**عمله**» جاءت باللغة اليونانية بنفس الكلمة التي استُخدمت في عمل الخليقة (رو١:٢٠)، فنحن صنعته ποίημα ، **His workmanship**.

كما كان في الخلقة الأُولى هكذا في الخلقة الجديدة.

كذلك فإن الإنسان، كإنسان طبيعي، فَقَدَ وجوده وكيانه أمام الله، بل حطَّم حياته وطبيعته بيديه ومات، فجاءه الخلاص ليجدِّد طبيعته ويحييه ويضمه إلى الله. فبأي وجهٍ يمكن أن يعمل عملاً يخلِّص به نفسه؟ والخلاص هو عمل الله كليًّا وجزئيًّا.

«مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها»:

تماماً كما خلق الله الإنسان في البدء وقال له «اعمل الأرض»!

«وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها» (تك2: 15)، هكذا خلقه جديداً من روحه، وعلى صورته خلقه، في البر وقداسة الحق خلقه، وقبل أن يخلقه جديداً أعدّ له أعمالاً جديدة يحفظ بها حدود خلقته الجديدة لئلا تطغى عليه العتيقة: «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً. ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح **وأعطانا خدمة المصالحة.**» (2كو5: 17و18)

وهذه المرة **لم يخلقه وحيداً أو حرًّا لنفسه**، بل «في المسيح»: «**مخلوقين في المسيح يسوع**»؛ فلم يعد يختار لنفسه نوع الحياة: «وأمّا نحن **فلنا فكر المسيح**» (1كو2: 16)؛ «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل2: 20)؛ «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (1كو15: 10)؛ «لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرَّة» (في2: 13)، «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به» (كو3: 17)؛ «فافعلوا كل شيء لمجد الله» (1كو10: 31)؛ «قدّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات برٍّ لله» (رو6: 13)؛ «وأمّا الآن إذ أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية.» (رو6: 22)

ولكن بالرغم من أن الإنسان الجديد ليس حرًّا لنفسه أن يعمل من نفسه لنفسه إلاّ أنه حرٌّ لله يعمل بحرية إرادته الجديدة ليكون على صورة المسيح ومثاله:

+ «فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوة. غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً ... اسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد.» (غل5: 13و16)

صحيح أن الخلاص ليس منكم وليس من أعمال،
ولكن الخلاص هو لكم وله أعمال صالحة يتحتم أن نسلك فيها!!
ولكن فرق كبير بين أن يكون لنا عمل صالح خاص نقوم به،
وبين أن يكون الله قد أعدّ لنا أعمالاً صالحة لنسلك فيها.

هذا يعني أن الخلاص يشمل عطية البر. وقد رتَّب الله في صميم طبيعة الخلاص أن يحيا الإنسان في القداسة، لأن طبيعة الخلاص نفسها قائمة على القداسة، ولابد للقداسة أن تُعلن ذاتها بالأعمال.

هنا الأعمال هي أعمال الله بالأساس، وقد زرعها في صميم الخلاص والبر اللذين منحهما

للإنسان ، فأصبح الإنسان مُطالَباً بأن يأتي هذه الأعمال ويُتقنها لأنها جزء لا يتجزأ من خلاصه وبر الله فيه!!

+ «إن كان أحد في المسيح (في الخلاص) فهو خليقة جديدة.» (٢كو٥: ١٧)
+ «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.» (أف٤: ٢٤)

واضح أن الخليقة الجديدة في المسيح لها أعمال صالحة في البر وقداسة الحق.

«سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها»:

هذا حق كل الحق لأن الله سبق فرسم الخلاص. والخلاص في صميم طبيعته يشمل أعمال القداسة. إذاً، فالله كما سبق وعمل الخلاص سبق وأعدَّ أعماله الصالحة، لكي إذا خلصنا نسلك حتماً فيها. ولكن ليس هذا معناه أن هناك أعمالاً معروفة ومحددة أعدَّها بمعرفته، ولكن فعل البر وفعل القداسة الذي غرسه الله في الخلاص، وبالتالي في الإنسان الجديد ـــ إذ خلقه بحسب (صورته) ومشيئته في البر وقداسة الحق، هو فعل له عمل. فالقداسة قوة ديناميكية تتحرك في الإنسان بكل الطرق والأعمال لنقترب من الله ونُوجد أمامه. وهنا يستحيل أن يوجد خلاص إلاَّ وله أعمال، أو يوجد إنسان جديد ولا يعمل أعمالاً صالحة، لأنها في صميم طبيعة الإنسان الجديد الذي خلقه الله على صورته ليشهد لله ويعمل أعمال الله!!

وهذا ما حدده ق. بولس من قوله: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف١: ٤)، كما يعبِّر عن هذا أيضاً في موضع آخر: «الذي بذل نفسه لأجلنا (فداء وخلاص) لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة.» (تي٢: ١٤)

وهل العنب في الكرمة يُخرج عنباً كما يشاء أبيضَ أو أحمرَ له بذرة أو بدون؟ أم أن على الغصن أولاً أن يثمر (عمل) وإلاَّ يُقطع ويُطرح في النار.

ثم عليه أن يَطرح (عملاً) عنباً كما تمليه عليه الكرمة، سبق وأن اختزنته في طبيعتها بحسب صورتها؟

وما الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدَّها لنا، إلاَّ كما قال المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، «مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة» (يو٨: ١٢)، «فسيروا ما دام لكم النور لئلا يُدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥). فالمسيح نفسه هو الطريق، وهو النور، وهو مجال الأعمال الصالحة.

+ «إن **سلكنا في النور** كما هو في النور فلنا شركة (كنيسة) بعضنا مع بعض ...» (١يو١: ٧)
+ «ما هو حق فيه وفيكم أن الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يُضيء.» (١يو٢: ٨)

أي أن المسيح أوْجَد لنا المجال المنير الذي نعمل فيه الأعمال، وذلك بوجوده وعمله فينا.

+ «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا ...» (في٢: ١٣)
+ «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو١٥: ٥)

وهكذا تصبح الأعمال الصالحة «بالله معمولة» (يو٣: ٢١)، ومع المسيح مرسومة، وبالروح معلومة.

وبذلك تصير **الأعمال الصالحة** جزءاً لا يتجزأ من «**مدح مجد** نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»، «لكي يروا أعمالكم الحسنة **ويمجّدوا أباكم الذي في السموات.**» (مت٥: ١٦)

أمّا أمثلة الأعمال الصالحة فذكرها المسيح: مثلاً في تصوير نفسه بالضعفاء والغرباء والمساكين والمسجونين والجياع والعطاش والعرايا. فكل عملٍ موجَّه لهؤلاء موجَّه للمسيح رأساً. فهذا نموذج جيد للعمل الصالح وعلى أضعف مستوى.

أمّا أعظم الأعمال وأفخرها فهي: الشهادة للمسيح، وخدمة كلمة الإنجيل، وإنارة الآخرين في معرفة ابن الله وردّ كثيرين إلى البر!!

محبة الجميع بشهادة محبة الأعداء!!
البذل، «هذه أعطت كل ما عندها» فلسي الأرملة!! (لو٢١: ١-٤)
دعْ الموتى يدفنون موتاهم أمّا أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله!! (لو٩: ٦٠)
يعوزك شيء واحد، اذهب بع كل ما لك ... وتعالَ اتبعني!! (مر١٠: ٢١)
ومن ترك يأخذ مائة ضعف هنا والحياة الأبدية!! (مت١٩: ٢٩)
أنتم الذين تبعتم معي وتبعتموني في التجديد ... (مت١٩: ٢٨)

أعظم وحدة تمت بين الناس على مدى تاريخ الإنسان

نشأة الكنيسة

كان سر مشيئة الله منذ الدهور، والذي كان ضمن مقاصده العملية حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة، أن يجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك (أف١: ٩و١٠).

وتنفيذاً لهذا القصد الإلهي بدأ المسيح بالفداء مكمِّلاً طاعة الآب حتى الموت على الصليب فأكمل فداء الإنسان. وكانت نتيجة هذه الطاعة أن رفَّعه الله فوق جميع السموات، فوق الرؤساء والسلاطين والقوات وكل اسم، وأخضع الكل تحت قدميه. وبذلك صار المسيح رأساً فوق كل شيء. ولكن ذلك كله كان لحساب الكنيسة، لذلك قال ق. بولس: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء **للكنيسة**» (أف١:٢٢). ولـمَّا ارتفع المسيح فوق جميع السموات، كان ذلك لكي «يملأ الكل» (أف١:٢٣). وهكذا مَلأ الكنيسة من ملئه، لذلك قال: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف١: ٢٢و٢٣). وهذا يعني أنه سلَّم الكنيسة جسده، وبالتالي كان هو فيها كالرأس وأعطاها مِلأه، فصارت الكنيسة ملء المسيح الذي يملأ الكل في الكل.

كل هذا كان لتكميل مسرة مشيئة الله التي قصدها في نفسه وأعلنها لنا، أن يجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما في الأرض. وهذا يعني مباشرة أن الكنيسة اضطلعت بهذا الدور الكبير مع المسيح، أي جمع كل شيء في المسيح.

+ «هوذا الكل قد صار جديداً (أولاً)، ولكن الكل من الله الذي **صالحنا لنفسه** بيسوع المسيح وأعطانا (الكنيسة) خدمة المصالحة. أي أن **الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه** غيرَ حاسبٍ لهم خطاياهم **وواضعاً فينا كلمة المصالحة**. إذاً، نسعى كسفراء عن المسيح (الكنيسة) **كأن الله يعظ بنا**. نطلب (ككنيسة) عن المسيح تصالحوا مع الله.» (٢كو٥: ١٧-٢٠)

واضح من هذه الآية أن عملية التجديد الكلية «**هوذا الكل**»، كانت هي البداية الضرورية جداً لبدء عملية المصالحة لتكوين وحدة جديدة بالنسبة للإنسان الجديد.

كان جمع الإنسان وتوحيده في المسيح هو المشيئة الأُولى عند الله والمسيح. وكانت أعظم فُرقة وانقسام وعداوة عرفتها البشرية قائمة بين اليهود والأمم.

فبدأت خطة الله في تجميع البشرية وتوحيدها في المسيح بعمل أول وحدة بين اليهود والأمم. وكان هذا أشد اختبار لإمكانية توحيد الإنسان معاً، لأن العداوة والفُرقة كانت بينهما على جميع المستويات وتعمقت جذورها آلاف السنين وأثمرت مرارة وأفسنتيناً، وكان اليهود يَدْعون الأمم «كلاباً». ولكن كان عامل المصالحة شيئاً فوق كل قوة وحكمة وفكر = «دم ابن الله». فنجحت الوحدة وقامت الكنيسة، على أساس الإيمان بالمسيح:

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ ليس عبدٌ ولا حرٌّ ليس ذكرٌ ولا أُنثى، **لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع.**» (غل٣: ٢٦و٢٧)

ولكن هذا الاتحاد الذي تمَّ واحتضنته الكنيسة الواحدة في الإيمان الواحد بالمسيح، لم يكن يظهر أبداً في بدايته على مستوى التساوي في الأصول إذ كان العنصر اليهودي متفوقاً بشرياً على الأمم بصورة شديدة؛ ففي تاريخه الطويل تراكمت ما رآه اليهودي — بعينه — أنها امتيازات لا تُعدُّ ولا تُحصى. هذا إبراهيم خليل الله أبو الآباء هو أبوهم وحدهم بصورة احتكارية، وإسحق ويعقوب (إسرائيل) أحباء الله جداً مما حدا بالله أن يسمِّي نفسه «إله يعقوب» أو «إله إسرائيل». ثم هذا موسى أعظم أنبياء الله بمعجزاته، ثم الناموس وصايا الله وَقْفٌ على اليهود، وهذا الختان مفخرة اليهود فوق شعوب وأمم العالم أنهم أخذوا علامة عهد الله في الجسد، فكل مختون هو ابن إبراهيم بالوراثة وبالتالي إسرائيلي وواحد من الشعب المحبوب المختار. وكان الختان علامة في عضو الذكر للرجل فقط مما جعل الرجل في اليهودية يتعالى على المرأة، فكان اليهودي يقف كل يوم في الهيكل يصلِّي شاكراً الله أنه لم يخلقه أمميًّا ولا امرأة!!

نعم بهذا الحجم من الفوارق والعداوة، تمَّ الاتحاد بين اليهودي والأممي **واعتمد الاثنان بمعمودية واحدة، وبالإيمان الواحد صاروا جسداً واحداً إنساناً جديداً صانعاً سلاماً!!** ولكن بقيت آثار افتخار اليهودي بسابق يهوديته واحتقار الأممي لسابق وثنيته مترسِّبةً في الأعماق.

وهنا يُذكِّر ق. بولس الأمم بما كانوا عليه وبما صاروا إليه حتى يزداد شكرهم ومديحهم لمجد نعمة الله التي أنعم بها عليهم في المحبوب.

١١:٢ «لذلِكَ آذكُرُوا أنكم أنتُم الأممُ قَبْلاً في الجسدِ المَدْعُوِّينَ غُرْلَةً من المدعُوِّ خِتاناً مَصْنُوعاً باليَدِ في الجسدِ».

هنا بولس الرسول يذكّر الأمم بحالهم الأول ــ من واقع نظرة يهودية ــ كبشرية مُحتقرة ومتغرِّبة عن الله!

«أنتم الأمم»: τὰ ἔθνη

هذه الكلمة هي اختراع يوناني، فاليونان كانوا كاليهود يعتزُّون جداً بجنسيتهم، كأنهم سليلو الآلهة «ذرية الله»، كما قال أحد شعرائهم (أع١٧:٢٨). فكانوا يدعون الناس الذين يعيشون خارج مدنهم الوطنية، من الأجانب من أي جنس، كانوا يدعونهم برابرة βάρβαρος (١كو١٤:١١). وقد التقطها اليهود وترجموها بالأمم ἔθνη، ولكن ليس على أصول جنسية فقط وإنما على أصول دينية، فهم «أنجاس» و«كلاب»، وهذه ألقاب رسمية، فمن الجهة الدينية كانوا يسمونهم الذين في «الغرلة» أو «الغُلْف»؛ أمّا هم فأهل «الختان».

فمن جهة «**الجسد**» يذكّرهم ق. بولس أنهم «غرلة» أو «غُلْف»، ليفرِّقهم من المدعوِّين ختاناً. ولكنه هنا يصف الختان الذي كان هو قمّة الطهارة، وعلامة الاختيار، وختم الموعد، أنه مصنوع باليد في الجسد، وذلك من وجهة نظر يهودي مسيحي. إذ لم تعُدْ الختانة ذات قيمة على الإطلاق.

ونلاحظ تسمية ق. بولس **للختان هنا** أنه «**في الجسد**» وذلك بالفكر اليهودي؛ أمّا في مواضع أخرى حيث يذكر **الختان بالروح من وجهة نظر مسيحية** فيعني المعمودية بالروح القدس، وفي هذه الحالة يكون: «اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان **في الظاهر في اللحم** ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب (التوراة) هو الختان، الذي مدحه ليس من الناس بل من الله.» (رو٢: ٢٨و٢٩)

لذلك قوله عن الختان في هذه الآية «**مصنوعاً باليد**» هو مقابل «**مصنوعاً بالروح**»، و«**ختاناً في الجسد**» هو مقابل «**في القلب**».

فهنا ق. بولس ولو أنه يذكّر الأمم بقصورهم السابق في **نظر اليهود**، ولكنه حينما يقارن قصورهم بكمال اليهود يعود و يذكر ما لليهود، بلغة تنفي تماماً أنهم كاملون، لأنه هو نفسه يقول إن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً، والختان الذي في اللحم باليد ليس ختاناً. و بذلك نفى اليهودية

الحقيقية عن اليهود، وهكذا جعلهم على مستوى الأمم. ولكنه في هذا لم ينفِ قيمة الختان في جوهره، لأنه إذا كانت تسنده يهودية صادقة **من القلب** يكون علامة صحيحة من الله لشعبٍ دعاه الله ليرث المواعيد.

وطبعاً هذا تمهيد أن يجمع الاثنين معاً وعلى التساوي في إيمان واحد.

وهكذا يتضح للقارىء أن التسلسل الفكري قائم عند ق. بولس للوصول إلى الوحدة.

١٢:٢ **«أنكم كنتم في ذلِكَ الوقتِ بدونِ مسيحٍ أجنبيِّينَ عن رَعَويَّةِ إسرائيلَ وغُرَباءَ عن عُهُودِ الموعِدِ لا رجاءَ لكم وبلا إلهٍ في العالمِ».**

الآية السالفة تشرح ما كانت عليه الأمم في نظر اليهود،

هذه الآية تشرح ما كانت عليه الأمم في نظر ق. بولس المسيحي وفي نظر الله نفسه وفي واقع حياتهم، وبالتالي مستقبلهم الروحي أيضاً. ثم يوضح لهم كم كانت خسارة حياتهم إذ كانوا محرومين ـــ أو بحسب نص الآية بعيدين ـــ عن المسيح، مع أن المسيح جاء إلى العالم خصيصاً من أجل الأمم أولاً ثم إسرائيل بعد ذلك حسب نبوة سمعان الشيخ المفتوح العينين: «الآن يا سيد تطلق عبدك حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا **خلاصك، الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم**، ومجداً لشعبك إسرائيل.» (لو٢: ٢٩-٣٢)

ويبدو أن معنى «بدون مسيح» ـــ بعكس ما يعتقد كثير من المفسرين ـــ لا تعني عدم التعرُّف عليه أو عدم الإيمان به بل تعني عدم «الرجاء بمجيئه» باعتباره «المسيَّا الآتي»، كما كان يترجاه اليهود قبل أن يظهر(٧)، فهي تنصبُّ على العلاقة الشخصية، لأن بقية الآية توضِّح ذلك إذ تقول إنهم في ذلك الوقت أيضاً كانوا أجنبيين عن رعوية إسرائيل وأيضاً غرباء عن عهود الموعد، ثم لا رجاء لهم في العالم وبلا إله.

«رعوية إسرائيل»: πολιτείας

وتعني المواطنة، ولكن تفيد بدقة حقوق المواطن في كافة المؤسسات التي أسسها الله، ذلك بالنسبة «لوطن إسرائيل»، لأن مواطنة إسرائيل كانت إلهية Theocratic.

وهنا **بلا مسيح وبلا إله** تأتي في مقابل اليهود، إذ كان لهم المسيح أي المسيَّا في حدود الانتظار لمجيئه ولهم **رعوية إسرائيل** ولهم رجاء الخلاص، ولهم إله في العالم.

---

7. Meyer, *op. cit.*, p. 378.

هنا واضح عدم توافق القول «بدون مسيح» مع «وغرباء عن رعوية إسرائيل»، وكأن الانتماء إلى المسيح يساوي في الحرمان منه الحرمان من رعوية إسرائيل!! هذه مضادة، ولكن الشرح الواقعي والمنطقي هو أن الأمم في القديم كانوا بلا مسيًّا لهم ينتظرونه، ولا رعوية ــ مواطنة ــ لإسرائيل يتمتعون بها فيُحسبون من خاصة الله، أي الشعب المحبوب: لا مواعيد لهم أو عهود تلك التي كانت وقفاً على إسرائيل فقط، ولا رجاء لهم من جهة الخلاص الذي كان يترجاه اليهود حسب الأنبياء، ولا إله لهم كإله اليهود.

هكذا كان العالم الوثني قبل مجيء المسيح، في ذلك الزمان حينما كان الناس كل الناس ليس لهم ما ينتظرونه في حياتهم أو بعد مماتهم. فكان اليونانيون مثلاً يجترُّون ماضيهم الذهبي كل يوم دون الأمل في أي مستقبل على الإطلاق، وكانت فلسفتهم الميتة قد آمنت بالدورات التاريخية، أي أن التاريخ يُعيد نفسه، وكأن الموت عندهم هو حدُّهم في الشؤم النهائي. وكانت آلهتهم الميتة لا تعطيهم أية معرفة بالله الحق، فتغربوا عن الله وكأنه غير موجود. وليس لهم أي معين أو معزٍّ في كوارثهم.

وقد قصد ق. بولس أن يضع أمامهم مدى النقلة العظمى التي نقلهم بها الله من هذا الحرمان الفادح كله إلى وقوفهم مع اليهود في الدخول إلى عهد النعمة الفائق الوصف كَتِفاً لكتف، حتى أن ما ناله اليهود في المسيح ناله الأمم دون أن يسقط من حقهم حرف واحد. بل و بالأكثر جداً نالوا المسيح بكل عطاياه، وهم لم يكونوا يعرفونه ولا ترجّوا مجيئه ولا يوماً واحداً، كما ناله اليهود تماماً، الذين ظلوا يترجونه ألفَيْ سنة منذ أن تنبأ به موسى لهم.

والسبب المباشر الذي دعا ق. بولس ليذكِّرهم به، هو أن يجعلهم يبتهجون بنصيبهم في المسيح والخلاص ثم يحافظون على وحدانية الروح والمحبة مع اليهود الذين آمنوا وصاروا شركاء معاً في مسيح واحد! بإيمان واحد لا امتياز فيه لأحد ولا تمايز فيه بين يهود وأمم.

كما أنه من خلال السطور، أراد ق. بولس سواء في الآية (١١) أو (١٢) أن يوضِّح للأمم أية خسارة كانت لهم عندما كانوا في عدم توافق مع اليهود، لأن ذلك جعلهم في ابتعاد كلِّي عن المسيح ومحرومين من رعوية إسرائيل كأمة يهوه العظيم شعب الله المختار، و بلا عهود ولا رجاء في أي شيء قادم، إذ لم يكن لهم أنبياء، ولا وعد بشيء يتمسكون به، ثم هم بلا إله في العالم لأن يهوه كان إله اليهود فقط. كانت لهم آلهة كثيرة، ولكن ليس واحدٌ منها يعطف أو يُحب أو يُعين أو يرعى، كلها آلهة ترعاها الناس من الصدأ والبلى والسقوط.

١٣:٢ **«ولكن الآنَ في المسيح يسوعَ أنتُمُ الذينَ كنتُمْ قَبْلاً بعيدِينَ صِرتُمْ قريبِينَ بدمِ المسيح».**

[«سلامٌ سلامٌ للبعيد (الأممي) وللقريب (اليهودي)، قال الرب، وسأشفيه.» (إش٥٧: ١٩)
«لأن الموعد هو لكم ولأولادكم، **ولكل الذين على بُعدٍ**، كل مَنْ يدعوه الرب إلهنا.» (أع٢: ٣٩)]

لقد استيقظت الوثنية الأممية من نومها الذي هو بشبه الموت على اسم المسيح الذي مات من أجلهم ليفديهم دون أن يعرفوه. لم يقتربوا إليه، ولكنهم في بُعدهم السحيق عنه استيقظوا ليجدوه قد احتضنهم في صدره، بل حملهم على كتفه وحمل ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، بل مآسيهم وجهالاتهم وخطاياهم. فكانت هذه أول معرفة لهم بكيف يكون الإله؟ وماذا يعني؟!! «لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٤). وقد استعار ق. بولس هذه الجملة ـــ حسب رأي العلماء ـــ من طقس المعمودية حينما كانوا ينادون الأممي بعد أن يعتمد ويُدفن في ماء المعمودية هاتفين به أن يقوم لجِدَّة الحياة والنور.

+ «وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغَلَف جسدكم أحياكم معه مُسامحاً لكم بجميع الخطايا.» (كو٢: ١٣)

والآن، الذين كانوا بعيدين عن المسيح، فبالإيمان به وبما عمله من أجلهم على الصليب بسفك دمه صاروا قريبين بل صاروا فيه، وأصبح «لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (عب١٠: ١٩)!! وأدركوا أن الذي لم يكونوا يعرفونه كان يعرفهم، وقد نزل إليهم من سمائه من حضن أبيه ليفديهم إذ كان قد نقشهم على كفِّه! بل وقبل أن تأسس العالم كان قد اختارهم بل تبنَّاهم بل أعدَّ لهم الفداء بدمه لغفران خطاياهم. وأدركوا أن سبب بُعدهم كان الخطية، وليس مَنْ يُعرِّف أو مَنْ يُنقذ. وهو من جهته بسبب هذه **الخطية** ـــ إنْ خطيتهم أو خطية اليهود لا فرق ـــ قرر أن يتقابل معهم على الصليب ويتعامل معها ويفك أسرهم وموتهم. على الصليب عينه تقابل الأمم مع اليهود، والدم الواحد غسل الاثنين، فسقطت الخطية عن الاثنين، وصارا واحداً. إذ قبل أن يوحِّدهم الدم، كانت الخطية قد وحَّدتهم في الظلمة، فلم يروا أنفسهم إلاَّ عدوَّين، لا يجمعهما إلاَّ الموت.

٢: ١٤و١٥ **«لأنه هو سَلامُنا الذي جَعَلَ الاثنَين واحِداً ونَقَضَ حائطَ السِّياجِ المتوسِّط، أي العداوَةَ، مُبطلاً بجسدِهِ ناموسَ الوصايا في فرائضَ لكي يَخلُقَ الاثنين في نفسِهِ إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً».**

لم يصنع المسيح سلاماً بين الاثنين بل صار هو بذاته سلامنا، لأن ثمن الصلح كان دمه، فصار الصلح قائماً فيه والسلام نابعاً منه. والعدوَّان جمعهما في بيت قلبه، فخرج الاثنان واحداً وسقط سور العداوة بغير يد.

كان الناموس قد بنى هذا السور بكلتا يديه، فبالفرائض أوهم اليهود أنهم أطهار، ولأن الأمم بغير ناموس، لذلك فهم الأنجاس! وبه تعالى اليهود على الأمم وبسببه حقد الأمم على اليهود. فصار سور العداوة المزدوج، يرتفع بكثرة التطهير، ويتقوى في قلب الأمم مع الزمن. فلمَّا جاء المسيح «صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداءً» (١كو١: ٣٠)، فانسحب الناموس، وتوقف التطهير، ورُفعت النجاسة عن الأمم. فتعانق اليهود مع الأمم على مائدة واحدة وظهرت الكنيسة إنساناً واحداً صانعاً سلاماً:

+ «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح، فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (١كو١٠: ١٦و١٧)
+ «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو١٢: ١٣)

كانت هذه الرؤيا تملأ قلب المسيح قبل أن يخطو نحو الصليب:

+ «ولي خراف أُخر (الأمم) ليست من هذه الحظيرة (اليهود) ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون **رعية واحدة وراعٍ واحد.**» (يو١٠: ١٦)

أمَّا عن الأمم فكانوا عند المسيح شغله الشاغل حتى إلى آخر لحظة:

+ «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً **من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، ليكون الجميع واحداً** كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك **ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني.**» (يو١٧: ٢٠)

كان في هيكل اليهود في أورشليم حائط يفصل اليهود عن الأمم الذين كانوا يحضرون الصلوات للتعرُّف على الإله يهوه العظيم. وكانت لافتة مكتوبة على هذا الحائط المتوسط: [الذي يَعبُر هذا

السور يُقتل!](٨). فكان الحائط شاهداً على العداوة مدى السنين. وحينما ضاق المسيح بالهيكل والسور، قال لهم: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» (يو٢: ١٩)، فنقضه وهو في القبر وبناه من جسده في ثلاثة أيام ولكن بدون هذا السور. وعوض سور العداوة جعل جسده بيتاً للمحبة!! والعجيب حقاً أن جسده هذا هو نحن، يهوداً وأمماً: «من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠)! وجعله إنساناً جديداً صانعاً سلاماً، «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف٢: ١٨)

كان بطرس الرسول أول مَنْ رفع مِعْوَل الله وهدم أول ثغرة دخل منها كرنيليوس وأهل بيته، وأعطى الله بولس الرسول تعليماته ليهدم الباقي، لتدخل كافة الأمم بلا مانع.

وما هذا السور الذي بناه اليهود من عداوتهم إلاَّ صورة مصغَّرة لصك الخطايا والآثام التي سجّلها الناموس عليهم والتي وقفت حائلاً بينهم وبين الله (إش٥٩: ٢). هذا رفعه المسيح على الصليب لمَّا ارتفع جسده عليه ومزَّقه لمَّا تمزَّق الجسد: «إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا وقد رَفَعه من الوسط مسمِّراً إياه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه.» (كو٢: ١٤و١٥)

هكذا محا المسيح الصك لمَّا محا الفرائض في الناموس.

«ناموس الوصايا في فرائض»: τὸν νόμον τῶν ἐντολῶν ἐν δόγμασιν

وتعني ناموس الوصايا المُعلنة في الفرائض. لأن الناموس مكوَّن من وصايا ἐντολαί، والشكل المحدَّد الذي تُقدَّم فيه هذه الوصايا هو الفرائض (الدُّجا) δόγματα. وهذه الفرائض ذات سلطان وتُعتبر «كأمرٍ عالٍ» أي رسمي، أو قانون أو حكم، وتُسمَّى لدى الحكومات (دِكريتو)، وهي بمثابة حكم قضائي، هذا هو معنى «الدُّجا».

أمَّا علاقة الفرائض بالوصايا فهي أن الفرائض منبثقة من الوصايا، أي أن الوصايا تشكِّل مرتبة خاصة في الناموس حتى ولو عُبِّر عنها بالفرائض.

والفرائض في العهد الجديد هي المعروفة في الكنيسة «بالدُّجا» أي قانون أو حكم:

+ «وفي تلك الأيام **صدر أمر** ἐξῆλθεν δόγμα من أُغسطس قيصر...» (لو٢: ١)

---

(٨) اكتشفت لوحة أثرية مكتوبة بالعبرية عليها هذا الإنذار، وذلك بواسطة العالم الأثري الفرنسي كليرمونت جانو = Clermont Ganneau في سنة ١٨٧١. انظر الصورة أمام صفحة ٢٠٨.

+ «وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر ἀπενάντι τῶν δογμάτων καίσαρος قائلين إنه يوجد ملكٌ آخر يسوع.» (أع١٧: ٧)

ثم أدخلت الكنيسة باختيارها أحكاماً نافذة لا تقبل أية زيادة أو نقصان أو تغيير:

+ «وإذ كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلِّمونهم **القضايا التي حكم بها** τὰ δόγματα τὰ κεκριμένα الرسل.» (أع١٦: ٤)
+ «إذ محا الصك الذي علينا في **الفرائض** δόγμασιν الذي كان ضدًّا لنا.» (كو٢: ١٤)

هذه لغة ق. بولس في العهد الجديد، ولكنه يتكلَّم عن فرائض الناموس أي أحكامه.

«يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً»:

أ - المسيح أولاً جمع البشرية ووحَّدها جسدياً **بتجسُّده!!**

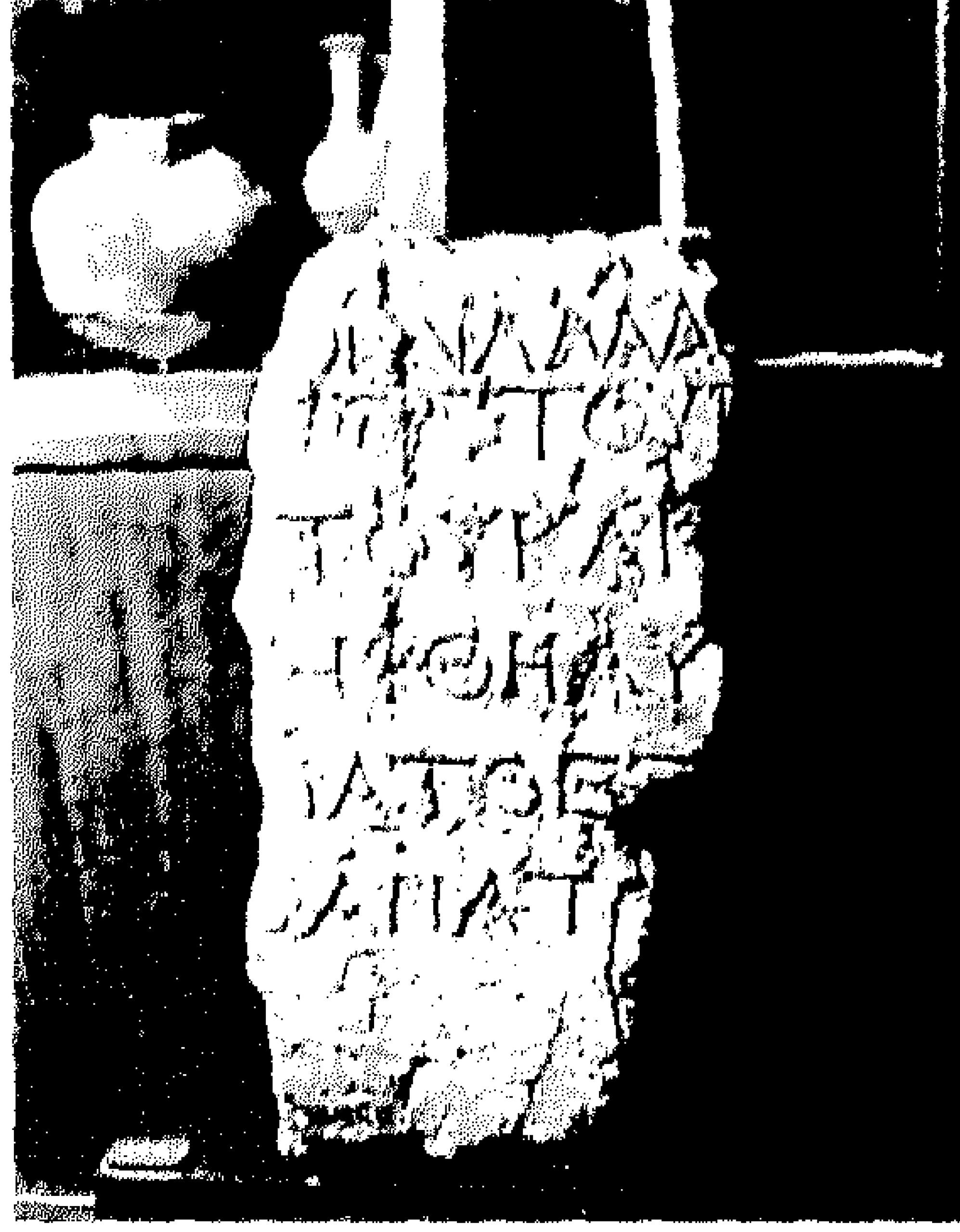
ب - ثم وحَّدها روحياً خلواً من خطية، **بالصليب**، وقدَّمها لله أبيه، بالقيامة من الأموات، إنساناً واحداً فيه صانعاً سلاماً!! لذلك صحَّ قول ق. بولس أننا حتماً سننتهي إلى إنسان واحد له قامة ملء المسيح (أف٤: ١٣). ولينتبه القارىء، فبهذين العملين الشديدَيْ الإخلاء جمع البشرية المنقسمة المتفتتة إلى واحد، ورفع الخصومة والعداوة إلى مصالحة، وارتفع بالإنسان فيه من الأرض إلى السماء.

٢: ١٦ «ويُصالِحَ الاثنينِ في جسدٍ واحدٍ مع الله بالصليبِ قاتِلاً العداوةَ به».

هذه الآية تكملة للآية السالفة وتسلسلها كالآتي: «مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض **لكي يخلق الاثنين** في نفسه إنساناً واحداً ...، **ويصالح الاثنين** في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به». وكلمة «لكي» تجمع الاثنين معاً. والمعنى المترتب على ضم الاثنين معاً هو أنه بجسده على الصليب أكمل الكفَّارة والفداء، ثم بموته أكمل غفران الخطايا، ثم بقيامته أنشأ الإنسان الجديد المغفور الخطايا بجسده، فصار اليهودي والأممي لا يتبعان عنصريهما القديمين بإنسانهما القديم المحكوم عليه بالموت بل يتبعان الإنسان الجديد الواحد في المسيح يسوع. ثم الآية (١٦) تعود وتقول إنه بهذا يكون قد أكمل عملية المصالحة للاثنين لحساب الله الآب.

فإذا أردنا أن نعرف في كلمة واحدة أداة المصالحة التي صالحهما المسيح بها، فهي «الصليب» الذي ألغى به الناموس وهدم حائط العداوة المتوسط، أي قتل العداوة به.

ولكن لم يكن ممكناً أن يصعد على الصليب إلا بجسد البشرية التي صُلب لها ولأجلها.



قطعة من نقش قديم جداً على الحجر عُثر عليها في أورشليم تحظر على الأجانب الدخول إلى الأماكن المخصصة لبني إسرائيل في الهيكل القديم (أع ٢١: ٢٧).

انظر صفحة ٢٠٧

فإذا أردنا أن نضع تسلسل الأفكار في هذه الآيات ١٣-١٦ تكون كالآتي:

بدمه صار الاثنان قريبين في المسيح.

نقض سور العداوة فصار الاثنان في سلام في المسيح.

أبطل الناموس فصار اليهود كالأمم في المسيح. وبهذا يكون المسيح قد أكمل خلقة الإنسان الجديد في جسده إنساناً واحداً صانعاً سلاماً.

وبالنهاية يكون **بالصليب** ـــ أي بكل عمليات الفداء والخلاص ـــ قد صالح الاثنين مع الله في جسدٍ واحد.

وهكذا حينما نبلغ المُصالحة، مصالحة اليهود مع الأمم باتحادهما في المسيح، ومصالحة الاثنين كإنسان واحد مع الله، يكون المسيح قد أكمل مصالحة العالم لله في وحدة نموذجية تحمل أصعب مصالحة، ويكون الله قد أكمل جمع كل شيء في المسيح، بصورته المبدئية كما في بذرة ـــ في جسدٍ واحد.

وهكذا يكون ق. بولس قد أكمل نسيج المصالحة الثنائية، سَدَاةً ولُحْمَةً، يهوداً مع أمم، اللذين كانا يمثلان العالم آنئذ، ثم مصالحة هذا الواحد المتحد بالله.

وبهذا يكون ق. بولس قد بلغ آخر معنى للخلاص وقوته وهدفه:

+ «لأنه إن كنَّا ونحن أعداء قد **صولحنا مع الله** بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون **نخلص بحياته**.» (رو٥: ١٠)

وهذا لا يُنسب للمسيح فقط بل ولله:

+ «ولكن الكل **من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح**.» (٢كو٥: ١٨)

ثم سلَّم المسيح صليبه ودمه وموته وقيامته لنا لنكمل خدمة المصالحة حتى يتصالح العالم لله:

+ «**وأعطانا خدمة المصالحة**، أي إن الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم **وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً، نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله**.» (٢كو٥: ١٨-٢٠)

ولكن ق. بولس لا يكتفي بمصالحة العالم الأرضي فقط بالله:

+ «وأن يصالح به **الكل** لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواءٌ كان ما على الأرض أم **ما في السموات**.» (كو١: ٢٠)

وبالنهاية يقدِّم ق. بولس قوة الخلاص وغايته النهائية التي تمت بجسد المسيح وفيه، التي هي

هي الكنيسة العاملة بالمسيح في سرّ:

+ «جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد: ربٌّ واحدٌ، إيمانٌ واحدٌ، معموديةٌ واحدةٌ، إلهٌ وآبٌ واحدٌ للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم.» (أف٤: ٤-٦)
+ «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنَّا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو١٢: ١٣)
+ «وليملك في قلوبكم سلامُ الله الذي إليه دعيتم في جسد واحد، وكونوا شاكرين.» (كو٣: ١٥)

١٧:٢ «فجاءَ وبشَّرَكُم بسلامٍ أنتمُ البعيدِينَ والقريبِينَ».

الآن وقد انتهى ق. بولس من مقاصد الله الأزلية: في كيف اختار وتبنَّى وفدى وغفر الخطايا، وكشف سر الفداء والغفران، وكم كلَّف الآب، وكيف أُخضِع كلُّ شيء تحت رجليِّ المسيح، وكيف سلَّم المسيح سر الجسد للكنيسة مع كل الملء؛

ثم استدار ليكشف كيف بدأ الله يجمع كل شيء في المسيح بتقديم وحدة اليهود والأمم كأعظم نموذج لسر الوحدة التي بدأت تسري في جسم البشرية ككل؛

فالآن بدأ ق. بولس يحكي كيف نزل المسيح إلى مستوى اليهود في هيكلهم وهم القريبون فيه، وإلى الأمم بين أصنامهم وهم البعيدون منه المبتعدون عنه، وذلك سواء بسواء.

«من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت٤: ١٧). وسلَّم البشارة للرسل بوصية: «**دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم** وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت٢٨: ١٨و١٩)

«وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم مُبتدأً من أورشليم.**» (لو٢٤: ٤٦و٤٧)

وهكذا تمَّ بالحرف الواحد: «بقوة آياتٍ وعجائب بقوة روح الله، حتى إني من أورشليم وما حولها إلى إلليريكون قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح» (رو١٥: ١٩) (إلليريكون: أقصى شمال اليونان ــ ألبانيا الآن).

+ «... كان بولس منحصراً بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع، وإذ كانوا يقاومون ويجدِّفون نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم، أنا بريء، **من الآن أذهب إلى الأمم.**» (أع١٨: ٥و٦)

«وبشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين»:

وتمَّت النبوة كما رآها إشعياء النبي: «سلام سلام للبعيد وللقريب قال الرب وسأشفيه» (إش٥٧: ١٩). أمَّا الذين رفضوه فأكمل إشعياء نبوته عنهم: «لا سلام قال الرب للأشرار.» (إش٥٧: ٢١)

ويعود إشعياء ويرى ويصف كيف دخل الإيمان المسيحي أورشليم وتعزَّت إسرائيل بخلاصها وعودة الرب بعد خرابها، وكيف فدى أورشليم وتعزَّى شعبه: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر، المخبر بالسلام المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد مَلَك إلهكِ. صوت مراقبيكِ، يرفعون صوتهم، يترنمون معاً لأنهم يبصرون عيناً لعين عند رجوع الرب إلى صهيون. أشيدي، ترنَّمي معاً يا خِرَب أورشليم لأن الرب قد عزَّى شعبه، فدى أورشليم. **قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا.**» (إش٥٢: ٧-١٠)

هذا التهليل الذي عرضه إشعياء بالنبوة كان سرُّه أنه رأى يوم الموعد قد حلَّ، وجاء الرب، وكما قال، فدى شعبه وأعلن الخلاص إلى أقصى أطراف الأرض.

والقديس بطرس أحسَّ في يوم الخمسين هذا الإحساس عينه الذي كان لإشعياء النبي منذ ٨٠٠ سنة، فوقف يهنىء الشعب الباكي من الفرحة بحلول الروح القدس وقال لهم: «لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعْدٍ» (أع٢: ٣٩). فالسلام الذي بشَّر به المسيح القريبين والبعيدين بفم رسله القديسين كان هو بعينه بدء تنفيذ المواعيد.

والدليل القاطع أن كلًّا من ق. بطرس وق. بولس كان في تمام الشعور بحلول يوم الموعد وعلى اتصال روحي بنبوَّة إشعياء نفسها، هو أن بولس عاد وكرَّر نفس النبوَّة لنفس الواقع الذي كان يعيشه: «كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات.» (رو١٠: ١٥)

وكان إحساس كل الرسل أن المسيح جاء بإنجيل (بشارة) السلام. بل كان هو بعينه بحسب هتاف الملائكة يوم وُلد المسيح في بيت لحم إذ ترنمت معاً: «المجد لله في الأعالي **وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.**» (لو٢: ١٤)

فلقد انغرست على أرض الإنسان راية السلام يوم أن دُقَّت خشبة الصليب على رابية الجلجثة في عاصمة اليهود، وبعد ذلك كانت أول بشارة من فم بطرس الرسول لأول أممي — وهو كرنيليوس — تحمل بشرى السلام كأول كلمة ينطقها بين الأمم بعد تردُّد — كيهودي — مما ضايق الله، فدفعه دفعاً ليكمِّل الرسالة: «ففتح بطرس فاه وقال بالحق أنا أجد أن الله لا يقبلُ الوجوه بل في كل أمة الذي يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده. الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل **يُبشِّر بالسلام بيسوع المسيح، هذا هو رب الكل.**» (أع١٠: ٣٤-٣٦)

٢:١٨ «لأن به لنا كِلَينا قُدُوماً في روحٍ واحدٍ إلى الآبِ».

إن كان سلام واحد للاثنين، وبإنجيل واحد وروح واحد اعتمدا، فحتماً قد صار لهما دخول أو قدوم واحد بالروح الواحد إلى الآب.

«قدوم»: προσαγωγήν

وتُترجم «دخول» أو «قدوم»، وهو لفظ رسمي يُستخدم في قصور الملوك وفي محاكم القضاء إذ يُنادى على الاسم فيذهب المقدِّم ويُمسِك بيد المنادَى عليه ويدخل به إلى الملك أو القاضي ويقدِّمه إليه. ولقد أراحنا الرب يسوع من التفريق بين الدخول والقدوم حينما قال: «أنا هو الطريق» (يو١٤: ٦)، «أنا هو الباب» (يو١٠: ٩)، «ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي» (يو١٤: ٦). فهو الطريق والباب الموصِّل إلى الآب، أي في المسيح يسوع نصبح، وبلا أي جهد، في حضرة الله قائمين، كمن يمسكنا بيدنا ويقدِّمنا إلى الله، حائزين على شرف البنوَّة وتاج الخلاص.

وهو لا يمسك اليهودي بيد والأممي باليد الأخرى، بل مجرد أن يقف هو أمام الآب نكون قد وقفنا كلانا، لأننا فيه وهو فينا، هو يمثلنا كأننا حاضرون، ونحن نمثله كأنه حاضر. فالدخول أو القدوم قد كمل وتمَّ كفعل أُكمل، يوم أخذ هو جسدنا بأسمائنا وأشكالنا كلها معاً ومات وقام حيًّا وصعد بنا، ودخل إلى الأقداس العليا، فوجد فداءً أبدياً لجميعنا على السواء، وقدَّمنا إلى أبيه في ذبيحة حبِّه: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده، وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلةً أجسادنا بماء نقي. لنتمسَّك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين.» (عب١٠: ١٩-٢٣)

ولكن هذا الدخول أو القدوم بحقيقته التي تمَّت لنا في المسيح لكل مَنْ يؤمن، كل واحد

باسمه وكل واحدة باسمها، يظل يحتاج إلى الإيمان الصادق والثقة بالذي تمَّ كله من أجلنا، أي لابد لنا من مراجعة قلبية واقعية فاحصة في القلب، هل نحن فعلاً جُزْنا الموت مع الحبيب؟ هل آلامه أصبحت آلامنا، وآلامنا حلوة في مذاقة حَلْقِنا لأنها آلامه؟ حتى ولو كانت تحمل غُصَّة الموت، وما هو أصعب من الموت؟ إنها خبرة إيمان وإيمان خبرة، إذا تمَّ كانت شهادة ما بعدها شهادة، أننا معه قمنا وفيه دخلنا إلى الآب، وأمامه نتراءى حسب مشيئته.

ثم هل أصبحت قيامته حقيقة نعيشها كل يوم كقائمين من الموت حقاً، فلا نقرب الأعمال الميتة التي تمزِّق الضمير وتطرح الإنسان بعيداً عن خلاصه؟ إن كنَّا قد قمنا مع المسيح حقاً فيلزم أن تكون طلباتنا واهتمامنا دائماً لها علاقة بما فوق، أي لا نطلب أو نهتم إلاَّ بما يزكي وقوفنا أمامه بلا لوم، لا نشتهي إلاَّ ما يرضيه أمامه، ولا نخاف إلاَّ ما يحرمنا مما هو فوق.

إذاً، فلنا قدوم حقاً إلى الآب إن كان الروح الذي فينا يصدِّق على هذا الحق الإلهي الذي نقوله، وإلاَّ فتتحتم المراجعة. فالمسألة ليست عقيدة ولا فكراً، فاللاهوت لا يُفهم ولا يُحفظ ولكن يؤخذ ويُمارس ويُختطف: «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان؟ ... إن لم تكونوا مرفوضين» (٢كو١٣: ٥)، «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو١: ٣و٤)

هذا كله يتطلب أن يكون إيماننا بما تمَّ على الصليب هو حركة نحسُّها في داخلنا ونحس بالدم المتدفِّق وقد غسلنا حقاً وطهَّرنا من كل إثم، وأن فكر الخطايا وضمير الخطايا قد غطَّاه بر الله في المسيح الذي اكتسبه لنا بآلامه وصليبه فأصبحنا بلا خطية مع أننا خطاة؟ وأصبحنا قادرين، ونحن ممسكون بالمسيح، أن نقف أمام الله بلا لوم في المحبة مع أننا في ملء الضعف نعيش؟

«في روح واحد»:

«لأن به لنا كلينا قدوماً واحداً إلى الآب»:

هذه عقيدة نحفظها عن ظهر قلب، ولكن إن تمهَّلنا قليلاً، وتأملنا مليًّا، وسألنا أنفسنا هل هي حقيقة نحسُّها حقاً في داخلنا ونؤمن بثقة أننا نعيشها؟

يا قارئي العزيز، إنه صعب كل الصعوبة أن نحس أننا نعيش الآن وفي هذا الدهر «في روح واحد»!!

إن بُعْدَنا عن الروح القدس جعلنا غير قادرين أن نتقابل بالفكر، فكيف الجسد الواحد والروح

الواحد والدخول الواحد إلى الله الآب؟

فإن لم يبارك الروح القدس على إيماننا هذا وعقيدتنا هذه فستظل المقابلة بيننا في هذا الدهر صعبة للغاية. فكم نحتاج من انسكاب الروح القدس في داخلنا ليُطهِّر عقولنا وأفكارنا وضمائرنا ومشاعرنا بل وأرواحنا، لكي يزفنا حقاً للمسيح، لنلتحم به جسداً بجسد ودماً بدم، واحداً واحداً وحينئذ نقوى أن ندخل إلى الآب؟ لأنه يتحتَّم لكي ندخل كلنا إلى الآب أن يكون كلانا في روح واحد، لكي يقودنا الروح الواحد!!

ألم نأخذ جميعنا الروح الواحد في المعمودية الذي جعلنا أبناءً حقاً لآب واحد؟

«إذ لم تأخذوا روح العبودية (الخطية) أيضاً للخوف (من الله) بل أخذتم روح التبنِّي الذي به نصرخ يا أبَّا، الآب» (رو٨: ١٥). فإن كنَّا أبناءً للآب الواحد فهل نحن حقاً إخوة وأخوات؟ بالحق والروح؟

بولس الرسول لمَّا يقول: لنا كلينا قدوم بروح واحد إلى الآب، فهذا إيمان وعقيدة قائمان على أساس أننا نلنا روح الله الذي ينطق في داخلنا شاهداً أننا كلنا أبناء الله الحي، وبالتالي أننا إخوة وأخوات على مستوى الوحدة الإيمانية بالروح والجسد، لأننا نستمد أُخوَّة واحدة من المسيح الأخ الواحد البكر القائم من الأموات، أُخوَّة ليست من هذا العالم بأطماعه وأحقاده وطموحاته وتكالبه على الكرامة والغنى والأولوية والمجد الكاذب، بل أُخوة جديدة لإنسان جديد أعطى ظهره للعالم بل مات بل صُلب!!

سألني صديق: ما هي الشروط الأساسية باختصار التي يتطلَّبها المسيح منَّا ليورِّثنا معه الملكوت، وهل من علامة؟

فقلت له: يا صديقي ليس لي رأي بل الرأي رأي المسيح وكلمته! «أنا قد أعطيتُهم كلامك والعالم أبغضهم **لأنهم ليسوا من العالم** كما أني أنا لستُ من العالم.» (يو١٧: ١٤و١٦)

قالها المسيح مرتين: «**ليسوا من العالم**» هذا هو الشرط الوحيد!!!

أمَّا العلامة: «**العالم أبغضهم** لأنهم ليسوا من العالم»!!

والآن سهل على القارىء أن يجيب كيف نتأهل أن يكون لنا كلينا قدومٌ في روح واحد إلى الآب!!

ثم نظرة أخرى سريعة على هذه الآية الاختبارية الحاسمة، لو تأملنا فيها على ضوء ما قلنا، فإننا

نجد أصعب ما في هذه الآية ليس «الدخول»، لأنه مضمون في المسيح مائة بالمائة، ولكن الصعب فيها كما رأينا هو كلمة «كلينا»، فأن ندخل واحداً واحداً سهل في نظرنا بحسب إيماننا الأضعف في الحاضر، ولكن أن ندخل «كلانا معاً»، فهنا النار الممحِّصة للضمير والفكر والقلب والروح، فلا حسداً ولا غيرة ولا تعالٍ ولا كبرياء ولا طموحاً ولا أولوية ولا كرامة ولا مجداً ولا غِنىً، هل يمكن؟ هنا يتبارى الاتضاع والحب حتى نصبح «كلانا» على مستوى الدخول إلى الله في روح واحد!

بعد ذلك يصبح الدخول معه عملية يتحملها المسيح كما يقول القديس بطرس: «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة لكي يقرّبنا = προσαγάγῃ إلى الله مُماتاً في الجسد ولكن مُحيًى في الروح.» (١بط٣: ١٨)

لذلك جدير بنا أن نتأمل جيداً في هذه الكلمة اليونانية: «دخول = προσαγωγή» كما جاءت في الآية بمعنى «لنا دخول»، هذا يعني «الدخول هو مِلْكُنا»، فهو لنا لأننا اكتسبناه بالإيمان وصار حقاً من حقوقنا، فنحن غير مطالبين بأن نقدّم أعمالاً لنناله، بل هو تسجَّل لحسابنا بمجرد أن آمنّا واعتمدنا وقبلنا الروح القدس، فهو ضمن صكّ الميراث.

١٩:٢ «فلستُم إذاً بَعْدُ غُرباءَ ونُزُلاً بَلْ رَعِيَّةٌ مع القدِّيسينَ وأهلِ بيتِ اللهِ».

مترتبة تماماً على الآية السابقة لأنه إن كان للأمم دخول كاليهود بروح واحد للآب، أي صار للأمم حق التراثي أمام الآب كأبناء على مستوى اليهود حيث رُفعت كل الفوارق، إذاً، فقد أصبحوا أعضاءً رسميين في بيت الله، بعد أن كانوا غرباء.

«غرباء ونُزُلاً»: ξένοι καὶ πάροικοι

الكلمة اليونانية الأُولى «غرباء» تفيد «غرباء بوجه عام»، «غريباً ليست له إقامة»، أمّا الكلمة الثانية «نُزُلاً» فهي تفيد غريباً نازلاً في دولة أخرى أو مملكة كساكن فقط وليست له حق المواطنة. ويقول العلماء أنها لا تتفق مع «دخيل προσήλυτος». وهنا يُعتقَد أن كلمة «نزيل» هي عكس «ابن البيت» οἰκεῖος .

وكلمة «غريب» هي عكس عضو مواطن في الدولة.

«رعية مع القديسين»: συμπολῖται τῶν ἁγίων

و «الرعية» معناها «مواطنون» كما تفيد الكلمة اليونانية بوضوح.

والقصد أن بولس يهنئهم بوضعهم الجديد، إذ بعد ما كانوا غرباء عن رعوية إسرائيل، وحتى إن تواجدوا يكونون مجرد «نُزلاء»، أصبحوا مواطنين في مملكة الله مع القديسين.

والقديسون في مفهوم ما قبل الأمم، هم إبراهيم وإسحق ويعقوب وأبناؤهم كل بني إسرائيل أي شعب الله المختار، أمة مقدَّسة.

وأمَّا القديسون في مفهوم العهد الجديد، فهم المسيحيون المؤمنون عامة: «... اغتسلتم بل تقدَّستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو٦: ١١). والآن قوله: «رعية مع القديسين»، يعني أنه انضم القديسون على القديسين وصاروا إسرائيل الجديد، إسرائيل الله: «فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله» (غل٦: ١٦)؛ نسل إبراهيم: «اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم» (غل٣: ٧)؛ «ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا.» (رو٤: ١٦)

فكلمة «رعية مع القديسين»، لا تفيد أي تحديد لمن هم هؤلاء القديسون، بل قديسو مملكة الله بكل ما تحوي، ويعبِّر عنهم دانيال النبي بقديسي العلي: «أمَّا قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين» (دا٧: ١٨)؛ «حتى جاء القديم الأيام وأُعطيَ الدين لقديسي العلي، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة» (دا٧: ٢٢)؛ «والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديسي العلي. ملكوته ملكوت أبدي وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون، إلى هنا نهاية الأمر» (دا٧: ٢٧و٢٨)، «ولي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد.» (يو١٠: ١٦)

«أهل بيت الله»: οἰκεῖοι

أمَّا كلمة «أهل بيت الله» فهذه تعبير ما بعد اليهودية، حيث بيت الله هو الكنيسة التي ضمَّت قديسي العهد القديم القدامى والمحدثين المتنصِّرين، الرعية الأُولى من هذه الحظيرة، وقديسي العهد الجديد من الأمم «خراف أُخر»، والكل أصبحوا رعية واحدة لراعٍ واحد. «كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.» (١تي٣: ١٥)

وكلمة «أهل» οἰκεῖοι صارت اصطلاحاً في العهد الجديد أيضاً بمعنى أعضاء عائلة واحدة: «فإذاً، حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل οἰκείους الإيمان» (غل٦: ١٠). حيث أن أهل الإيمان هم أبناء الله الحي في أسرة الله الكبرى: «لأنكم جميعاً أبناء

الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (غل٣:٢٦). الله هنا هو الآب والمؤمنون له أبناء تجمعهم أسرة الملكوت.

٢٠:٢ «مبنيِّينَ على أساسِ الرُّسلِ والأنبياءِ ويسوعُ المسيحُ نفسُهُ حَجَرُ الزَّاويةِ».

هنا تداعي المعنى جاء على ذكر «بيت الله» في قوله السابق: «رعية مع القديسين وأهل بيت الله»، وهنا يعود إلى أساس البيت أو الهيكل.

هنا يتصوَّر بولس الهيكل الجديد الذي قام عِوَض الهيكل القديم، وهو نفس التصوُّر الذي تصوَّره المسيح بالروح: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه.» (يو٢:١٩)

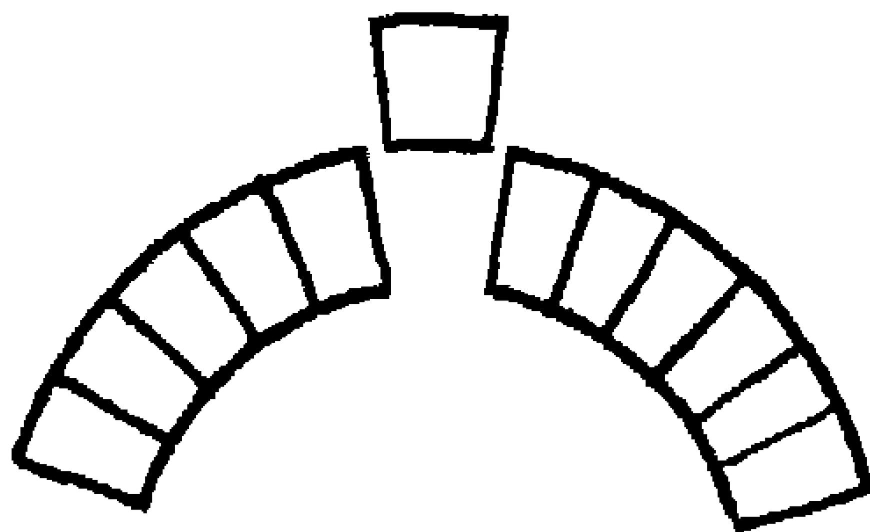
الهيكل القديم حجارة هو وأعمدة، حجر فيه لم يبقَ على حجر، ولا عمود إلاَّ وسقط وانكسر.
أمَّا الهيكل الذي بناه فعلاً في ثلاثة أيام فكان هو هيكل جسده الذي هو الكنيسة حيث المسيح فيها ليس حجر الزاوية بل رأسها(٩).

والآن أراد ق. بولس أن يجعل للأمم مكاناً في هذا الهيكل الروحي القائم بغيريد، فماذا يكون موضعهم بعد أن قبلوا الإيمان وصاروا رعية مع القديسين وأهل بيت الله؟
إن كان الهيكل الجديد قد عُرِف أنه الكنيسةَ فقد سهل علينا أن نعرف موضع الأمم.

فالأساس الأول وضعه المسيح على الرسل: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت٢٨: ١٩و٢٠)

وبعدهم نسمع عن الأنبياء الذين أول ما ظهروا، ظهروا في أنطاكية وكان عددهم خمسة (أع١٣:١)، وكانوا يكرزون بحرارة وعلَّموا الشعب وتكاثر المؤمنون جداً على أيديهم، وفي البداية

(٩) حَجَر الزاوية: في كل بناء مقبي على شكل قبو يتحتم أن يكون فيه بالنهاية حَجَرَة واحدة ذات شكل واحد أساسي تعتبر أهم حَجَرة في المبنى كله، توضع في مكان واحد دائماً لتحكم ربط البناء كله وإلا يسقط، وهذه تسمى بالإنجليزية Keystone أو حَجَر السر الذي يقوم عليه البناء وإليك التوضيح بالرسم:



ولربما يكون قصد المزمور (١١٨ : ٢٢ : «الحَجَرَ الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية»)، مثل هذا الوضع.
لأنه لا توجد زاوية تمسك البناء كله إلا هذه الزاوية. علماً بأن فوق القبو تبنى المساكن.

كانوا مع الرسل. وطبعاً لا ننتظر أن نقرأ عن الأنبياء بصورة كاملة أو حتى معقولة والإنجيل كله هو من أعمال الرسل، والأنبياء هم الطغمة التي أرسلها الروح القدس لتكميل الكرازة. نحن نسمع عن الأنبياء وعملهم في الكنيسة بوضوح في الديداخي وما بعدها من الكتابات: ولكن على أية حال كان للأنبياء كما سبق وقلنا وجود في الكنيسة وخاصة كنائس الأمم أيام بولس الرسول، وحتى أيام الرسل.

وق. بولس يكلِّم الأمم، فهم لم يروا المسيح، والمسيح لم يكرز لهم، فأول معرفتهم بالإيمان كان على يد الرسل ثم الأنبياء.

ولكن أي بناء وُضع في الإيمان المسيحي، فذلك على أساس المسيح الذي يُحتسب بمثابة حجر الزاوية، ولكن لا في بناء معيَّن ــ إذ في الحقيقة لا يوجد أي بناء شكلاً ــ ولكن في المفهوم الروحي للبناء عامة أي الكرازة، وأي كرازة تقوم على غير المسيح؟ سواء للرسل أو الأنبياء: «فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح.» (١ كو٣: ١١)

هذه الآية ذكرها ق. بولس في موضوع تفريق شعب كورنثوس بين تعليم بولس وتعليم أبولُّس، بمعنى الكرازة، فكان معنى هذه الآية أنه لا يمكن لأحد أن يكرز بنفسه أو من تلقاء نفسه أو بما عنده، فالمسيح هو أساس الكرازة الوحيد أو بمعنى آخر لا يوجد غير الإنجيل الذي علَّم به المسيح.

فهنا ق. بولس يقول لأهل أفسس بمنتهى الاختصار والبساطة: أنتم مبنيون على الإنجيل!! الذي بشرناكم به كرسل والذي من بعدنا خَدَمَه عندكم الأنبياء أيضاً، ولكن المسيح هو حجر الزاوية لكل كرازة وكل تعليم وكل بناء روحي.

والآية القادمة توضح هذا المعنى:

٢: ٢١ «الذي فيهِ كلُّ البناءِ مُرَكَّباً معاً يَنمُو هَيكلاً مُقَدَّساً في الرَّبِّ».

واضح هنا أن القصد من التشبيه بحجر الزاوية كما هو في الشكل المرسوم أنه يمسك البناء معاً، أو فيه كل البناء يتركب معاً، بحيث لو رُفع يسقط المبنى كله في الحال. من هنا جاء التشبيه بهذا الحجر من أحكم وأصدق ما يمكن، فهو أولاً في الرأس كأعلى حجر وثانياً يمسك جميع الأحجار معاً وبالتالي يقف البناء. لذلك لا يمكن ذكره في الأساس!! لهذا ذكر ق. بولس بكل حكمة وفن أن الرسل في الأساس أسفل، أمّا الرب ففي الرأس فوق الكل ولكنه هو أهم من الأساس، فالمبنى بدونه يسقط.

وق. بولس بالتجائه إلى هذا الشكل الهندسي ليقتبس منه موضع المسيح في هيكل الله أو كنيسة الله كان بإلهام يفوق أية قدرة لأي مهندس.

لذلك لمَّا حوَّل التشبيه لبيت الله من هيكل إلى كنيسة والتجأ هنا إلى الجسد ليعطيها شكلها الروحي وطبيعتها جعل المسيح فيها «**الرأس**» وهو نفس موضع حجر الزاوية بالنسبة للبناء!! هذا يجعلنا نندهش للغاية من الإحكام البديع في إعطاء المسيح موقعه الصحيح المُحكم بالنسبة لعمله وعلو شأنه.

أمَّا كلمة «ينمو»:

فهي تمنع أن يكون البناء منتهياً بحجر الزاوية من أعلاه، كما حاول المفسرون أن يجعلوا حجر الزاوية في الأساس على الأرض؛ فالنمو هنا قد كَمُل وانتهى. فكنيسة الرب لا تحتاج إلى نمو أو تكميل، فلينتبه القارىء لأن الكنيسة هي جسده، وجسده هو كمال الكمال. وكذلك لو قلنا بالهيكل فالرب هو الذي وصف جسده بالهيكل الذي بناه في القبر وأقامه معه هيكلاً شامخاً رأسه في السماء أي جسده. فالبناء قد تمَّ والكنيسة قد أُكمل كل ما لها ولا تنتظر إلاَّ أن تعود إلى موطنها مجيدة مُظَفَّرة.

أمَّا قوله: «الذي فيه كل البناء مركَّباً معاً **ينمو** هيكلاً مقدساً في الرب»، فالنمو نمونا نحن، ونمونا ليس من الخارج بل من الداخل.

وهكذا كان الهيكل ينمو مقدَّساً في الرب:

+ «وكانت كلمة الله **تنمو** وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان.» (أع٦: ٧)
+ «هكذا كانت كلمة الرب **تنمو** وتقوى بشدة.» (أع١٩: ٢٠)
+ «فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا **وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.**» (أع٢: ٤١)
+ «وكان الرب كل يوم **يضم إلى الكنيسة** الذين يخلصون.» (أع٣: ٤٧)
+ «وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا **وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف.**» (أع٤: ٤)
+ «وكانوا **لا يزالون كل يوم في الهيكل** وفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح.» (أع٥: ٤٢)

+ «وكانت يد الرب معهم **فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب.**» (أع١١ : ٢١)
+ «وأمَّا التلاميذ **فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس.**» (أع١٣ : ٥٢)
+ «وكْرِيسبُس رئيس المجمع **آمن بالرب** مع جميع بيته، وكثيرون من الكورنثيين إذ سمعوا **آمنوا واعتمدوا.**» (أع١٨ : ٨)

وهكذا ستظل الكنيسة تنمو وتزداد، وكلمة الله فيها تقوى وتشتد كل يوم، ولن تبلغ كمالها إلاَّ إذا بلغت إلى ملء كمال جسد المسيح: «**قامة ملء المسيح.**» (أف٤ : ١٣)

+ «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف٤ : ١٢و١٣)

«الذي فيه كل البناء مركباً معاً»: πᾶσα οἰκοδομὴ συναρμολογουμένη

معروف أن التئام المؤمنين معاً **بالإيمان والمحبة** يشبَّه برص الطوب أو بناء الحجر على الحجر، لأن القصد هو أولاً اتحاد الإنسان بالإنسان بالإيمان لقيام وحدة تنمو باستمرار. ولكن بالإضافة إلى أن التصاق الحجر بالحجر يحتاج إلى عمليتين هامتين جداً: الأُولى نحت الحَجَرة لتركب على الحجرة الأخرى بارتفاق، ثم المونة مادة اللصق. فنحت الحجر هو في التعبير الروحي تهذيب المؤمنين بالنعمة ليأخذوا الشكل الموافق للبناء حسب رؤية النعمة، أمَّا مادة اللصق فهي المحبة من قلب طاهر بشدة التي تجعل الحَجَرة مع الحَجَرة حَجَرة واحدة لا يأتيها الخطر من أية جهة. ولكن الأهم من بناء الحجرة على الحجرة، هو من يمسك البناء كله معاً ويضمه ليأخذ تركيبه الموضوع له. هنا الرب يسوع المسيح ــ تبارك اسمه ــ ارتضى أن يكون حجر الزاوية الذي يملك ويمسك ويترأس فوق البناء كله كأنه واحد منه والكل قائم فيه وبه:

+ «الذي إذ تأتون إليه **حجراً حيًّا مرفوضاً من الناس**(١٠) ولكن مختار من الله كريم. كونوا

(١٠) «**حجراً مرفوضاً**»، «**رفضه البناؤون**» (مز١١٨ : ٢٢): كان سليمان النبي قد رتب بحكمة ــ حتى لا يُسمع صوت قادوم أو مِعْوَل أو آلة داخل الهيكل أثناء بنائه ــ أن تُقطع الحجارة وتُنحت بعيداً عن الهيكل، ثم يستحضرونها جميعاً ويبدأ البناؤون يبنون. ومعروف أن حجر الزاوية ــ كما سبق ووصفناه ــ له شكل معيَّن مختلف عن باقي الحجارة، فلما عثر عليه البناؤون لم يعرفوه بأنه حجر الزاوية لغرابة شكله فرفضوه. ولما كمل البناء بحثوا عن حجر الزاوية هذا فلم يجدوه لأنهم ألقوه بعيداً، وأخيراً جاء الفنيون الذين نحتوا الحجارة كلها وبحثوا عنه فوجدوه. فوضعوه في مكانه بعد جهد وتعب كثير، فكانت هذه مسبَّة في حق البنائين واحتقرهم القائمون على البناء. ومن هنا جاء المثل تعييراً لحكماء إسرائيل ورؤساء الكهنة والربيين لما رفضوا المسيح، وإذ به يُعرف في النهاية أنه رب المجد!!

وذكره المزمور مسبقاً وهذا كان عجباً!!

أنتم أيضاً مبنيين **كحجارة حيّة بيتاً روحياً** كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط٢: ٤و٥)

+ «فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله، **بناء الله**.» (١كو٣:٩)

وق. بولس يشبِّه الجسد الترابي ببيت أرضي أو خيمة أرضية، أمَّا الجسد السماوي الذي سنأخذه على شبه جسد مجد الرب فسمَّاه بناءً أيضاً ولكن بغير يد: «إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات **بناء من الله، بيت غيرُ مصنوعٍ بيدٍ أبديٌّ**» (٢كو٥:١). ثم عاد وسمَّى جسدنا الجديد الممجَّد في السماء: «**مسكننا الذي من السماء**» (٢كو٥:٢). كل هذا امتداد لمعنى جسد المسيح أنه هو الهيكل الجديد وهو نحن، والكنيسة هي «بيت» الله وهي نحن!!

فإن كانت الكنيسة هي جسد المسيح، فبالتالي كما تُبنى الكنيسة (روحياً) هكذا أيضاً دخل مفهوم بنيان جسد المسيح: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة **لبنيان جسد المسيح**» (أف٤:١٢). والمعنى أن يهب الروح القدس مواهب للخدام القائمين على تعليم المؤمنين وتعزيتهم وتشديدهم بالكلمة الموهوبة من الله سواء رؤساء أو خدام من كل الفئات، فهذا في رأي ق. بولس هو «بناء جسد المسيح»!! وهذا تعبير صادق لأن نمو الإيمان والمحبة والتقوى والبذل في المؤمنين لا يمكن تصويره تصويراً واقعياً إلاَّ بنمو النبات أو نمو البناء أمام أعيننا كل يوم.

«هيكلاً مقدساً في الرب»:

النمو هنا ــ كما سبق وقلنا ــ هو من طرفنا نحن، فنحن الكنيسة ونحن جسده، ولكن جسده لا يحتاج إلى نمو فهو ــ كما قلنا ــ كمال الكمال، ولكن نحن ننمو لنبلغ هذا الكمال، وننمو في القداسة لنبلغ إلى ملء قداسته.

ولكن حينما يقول ق. بولس: «هيكلاً **مقدَّساً** في الرب»، فهنا اتجاه الفكر هو التطبيق العملي على الهيكل. فقمة كماله هي في قدس الأقداس، هنا الفكر حطَّ رحاله، فبولس الرسول يطلب أن نكون على مستوى قدس الأقداس حيث يتقابل الله مع الإنسان وجهاً لوجه. ومرة أخرى نقول إن الهيكل الجديد كامل القدس في ذاته، فهو جسد الرب القدوس. ولكن نمو القداسة هو فينا نحن حتى يتقابل الله معنا بلا مانع، قدس أقداسنا ليس خباءً وستارة ولكنه قلوب تقدَّست بالروح وعلى استعداد أن يحلَّ الله فيها!

+ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا **بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم**، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة حتى تستطيعوا

أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف٣: ١٦-١٩)

٢ : ٢٢ «الذي فيهِ أنتُم أيضاً مبنيُّونَ مَعاً مَسْكناً لله في الروح».

تنتهي الآية السالفة بكلمة «الرب»: «هيكلاً مقدساً في الرب».
وتنتهي هذه الآية بكلمة «الروح»: «مسكناً لله في الروح».

واضح أن المُضمَر هو حتمية وجود المسيح والروح القدس في الكنيسة، وهذا نلمحه بوضوح في الآية التي عبرنا عليها (١٨): «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب».

هنا الثالوث متكامل: «به»، «في روح واحد»، «إلى الآب» به وفيه وإلى.
هذه هي القوى الثلاث التي تجعل لنا كياناً روحياً مهيَّأ للاتحاد بالآب والابن في الروح.
الثالوث القدوس هو المجال الذي فيه نوجد و به نحيا لنبلغ قصد الله ومشيئته. و بغير الثالوث لا يوجد بناء أو كيان روحي يثبت ويدوم وينمو.

«مبنيون معاً»: συνοικοδομεῖσθε

هنا لا يُعطي أمراً ولكن يصف حالة، يلزم أن تكون كواقع حالِ مؤمنين يعيشون لا لأنفسهم بل لأجل الذي مات من أجلهم وقام، وهو مات لأجلنا لنموت عن أنفسنا، وقام بنا لنحيا معاً بروح القيامة الواحد.

ويُلاحَظ في هذه الكلمة اليونانية الواحدة أنها أعطت كلمتين بالترجمة «مبنيون» و «معاً». فالكلمة اليونانية مُعبِّرة عن معناها أجمل تعبير فنحن نُبنى ولكن ليس أفراداً بل «**معاً**»، «أنتم وآخرون معكم»، وإلاَّ لا يصحّ البناء ولا يُحسب أنه بناء، فالذي يبني نفسه فقط لا يعمل مع المسيح: «ومن لا يجمع معي فهو يفرِّق» (مت١٢: ٣٠). سرُّ البناء في المسيح وفي الروح هو: قامة روحية + قامة روحية = ٣ قامات روحية، حيث القامة الثالثة هي المسيح حسب القانون الإلهي: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت١٨: ٢٠). وقامة المسيح ليست كثالث بين الاثنين ولكنها أكثر من الاثنين لأن المسيح بحدّ ذاته «الأول والآخر، الألف والياء» (رؤ١: ١٧و٨)، بمعنى أنه يكمِّل الجماعة بقوة وطاقة لا تنتهي، فيصبح الاثنان كنيسة ونموها لا ينتهي.

أمّا الروح وسط الاثنين فهو يشكّل فيهم ويغيّر ويجدّد على الدوام ليصبح الاثنان واحداً، وما يسري على الاثنين يسري على الجماعة.

«مسكناً لله»: εἰς κατοικητήριον τοῦ θεοῦ

هنا εἰς سقطت من الترجمة إلى اللغة العربية فتغيَّر المعنى.

أمّا الترجمة الصحيحة للآية: «الذي فيه أيضاً أنتم مبنيون معاً في مسكنٍ لله في الروح»، حيث حرف «فيه» الذي في أول الآية يعني «في» الهيكل المقدس السابق ذكره.

والمعنى يتغيَّر، فبدل أن يعني كما في الترجمة العربية أنهم حينما يُبتَوْن معاً يصيرون مسكناً لله في الروح، يصير في الترجمة الصحيحة حسب النص اليوناني: «حينما يُبتَون معاً يتأهلون أن يكونوا في مسكن الله بالروح».

والمعنى يكون بحسب الترجمة العربية: «حينما يُبتَون معاً يصيرون جسد المسيح بالروح».

أمّا المعنى بحسب النص اليوناني فيعني: «حينما يُبتَون معاً يتأهلون لأن يتحدوا بجسد المسيح بالروح».

وهذه تشبه في المعنى: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم»، حيث **الاجتماع هو «مبنيون معاً»**. فإذا لم يجتمع الاثنان **معاً بالروح والمحبة**، وهذا هو «البناء معاً»، فلا يحل المسيح في وسطهم.

وهذا المعنى خطير إذ يتسحَّب على الكنيسة كلها، فإذا لم تُبْنَ الجماعة **معاً**، فهم ليسوا لائقين أن "يكونوا في مسكن لله في الروح".

وهكذا يتضح أهمية هذه الآية للغاية وكيف أضاعت الترجمة العربية هذه الأهمية.

«في الروح»:

ظن كثير من المفسرين حتى الأوائل منهم، أنها تعني مسكناً روحياً. ولكن هذا فوق أنه يُضعف المعنى ويجعل الآية كلها بغير ذات أهمية، فإنه يضيِّع علينا المفهوم الصحيح.

فالروح القدس هنا ليس أداة ليجعل المسكن روحيًّا بل هو مالىء المسكن والمعطي له الإمكانية واللياقة أن يحلَّ الله فيه، فيصير هيكل الله عوض أن يصير هيكلنا، ليعطي معنى أننا هيكل الله وروح الله ساكن فينا: «إن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله»

(١كو٦: ١٩)؛ «فإنكم أنتم هيكل الله» (٢كو٦: ١٦)؛ ولكن الأصح والأهم أن «بالروح يسكن الله في هذا الهيكل». هنا معنى الكنيسة مكتمل وصحيح.

والمعنى النهائي: أنتم أيضاً مبنيون معاً ــ في هذا الهيكل المقدس ــ الذي هو مسكن الله بالروح. أمّا بحسب الترجمة العربية فيستحيل فهم هذا المعنى الواضح.

الأصحاح الثالث

١ - ٣ : ١-١٣ «سر المسيح» الأمم شركاء الميراث والجسد بالإنجيل = إنجيل بولس الرسول لكل العالم.

٢ - ٣ : ١٤-١٩ «سر المسيح والله» من ملء المسيح إلى ملء الله = نهاية النهاية.

٣ - ٣ : ٢٠-٢١ «تمجيد الله».

بسبب هذا أنا بولس (أف ٣ : ١): ἐγὼ Παῦλος

كيف تبرز شخصية بولس الرسول في رسائله:

ـ في رسائل بولس الرسول تبرز شخصيته وسط الكلام توكيداً لرسالته التي أخذها من الله.
ـ ولتوعية الأمم لأهمية الرسالة والسر الذي اؤتمن عليه من نحوهم.
ـ وللتركيز على النواحي السرية في تعاليمه ذات العلاقة الكبيرة بخلاص الأمم.
ـ وأخيراً محاولة غير إرادية منه أن يكوّن رابطة نفسية وروحية مع الذين يخدمهم.

أمثلة:

٢ كو ١٠ : ١: «ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه **أنا نفسي بولس** الذي في الحضرة ذليل بينكم وأمّا في الغَيْبة فمتجاسر عليكم».

غل ٥ : ٢: «ها **أنا بولس** أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً».

كو ١ : ٢٣: «إن ثبتُّم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء الذي صرت **أنا بولس** خادماً له».

١ تس ٢ : ١٨: «لذلك أردنا أن نأتي إليكم **أنا بولس** مرة ومرتين. وإنما عاقنا الشيطان».

فليمون ١٩: «**أنا بولس** كتبت بيدي. أنا أوفي. حتى لا أقول لك إنك مديون لي بنفسك أيضاً».

أف ٣ : ١: «بسبب هذا **أنا بولس** أسير المسيح يسوع لأجلكم أيها الأمم».

كيف يبرز منهج بولس الرسول في الثلاثة الأصحاحات الأُولى من الرسالة إلى أفسس:

ببعض الملاحظات وجدنا أن هناك خطة يسير عليها ق. بولس في رسالته إلى أفسس:

الأصحاح الأول: استعلان **مقاصد الله الأزلية** في القضايا الخلاصية العظمى،

ينـدفع ق. بولس من فرط تأثره بسبب أهمية وعمق ما كتب ليرفع صلاة يبثُّ فيها رجاءً لأهل أفسس ولله أن يعطيهم روح الحكمة والإعلان في معرفته، وأن تستنير عيون أذهانهم ليدركوا خطورة هذه الإعلانات العميقة التي سردها عليهم، وأن يدخلوا في عمق سر الفداء بما عمله الله في المسيح لأجلنا وما انتهى به إلى سر الكنيسة.

الأصحاح الثاني: نفس الخطة، إذ يستمر ق. بولس في كشف وإعلان سر الفداء بما صنعه المسيح فينا ونحن أموات، كيف أحيانا وأقامنا وأجلسنا معه، الأمر الذي سيكون موضوع مدح السمائيين. ثم يعود ويذكر سر الوحدة التي دبرها الله ونفذها المسيح بين اليهود والأمم.

الأصحاح الثالث: يستمر في إعلان سر المسيح الذي اؤتمن عليه من جهة الأمم، وإذ ينفعل من شدة إحساسه بخطورة سر الكرازة لكل الأمم يعود ويركع ويصلّي متوسلاً إلى الله أن يؤيدهم الروح القدس في إنسانهم الجديد، ليحلّ المسيح نفسه بالإيمان في قلوبهم، ليدركوا بقية نصيبهم في الله أي ليمتلئوا إلى كل ملء الله!!

١:٣　**«بسببِ هذا أنا بُولُسُ أسيرُ المسيح يسوعَ لأجلِكم أيُّها الأُمَمُ».**

«بسبب هذا»:

بسبب ما صنعه المسيح بين اليهود والأمم وكيف خلقهما إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً،
وكيف صالحهما في جسد واحد مع الله بالصليب،
وكيف صار لهما قدومٌ واحدٌ في روح واحد إلى الآب،
وكيف صارت الأمم رعية واحدة مع القديسين وأهل بيت الله.
وكيف دخلوا رسمياً ضمن البناء الإلهي للهيكل الجديد الذي صنعه المسيح بجسده (في ثلاثة أيام).

نعم، بسبب هذا كله ابتدأ ق. بولس يصلّي، ولكنه انشغل في تقييم سر الله الذي أعلنه له بخصوص الأمم من الآية الأُولى حتى الآية الثالثة عشرة ــ وبعدها في الآية الرابعة عشرة بدأ يصلي تكملةً للآية الأُولى: «بسبب هذا أحني ركبتيَّ ...»!!

«أنا بولس»:

أنا بولس الفريسي لذلك الزمان،
أنا الذي تعرفونه جيداً بكل أعماله التي عملها بينكم وسمعتم عنها،
أنا الذي كشف الله لي محبته نحوكم فصارت إنجيلي الجديد، والجديد لأنه بلا ناموس ولا ختان ولا سبت.
أنا الذي تألمت أكثر مِمَّن سبقوني لأعلن حقكم في المسيح وأدافع عنه،

أنا الذي سلَّمتُكم الإيمان الثمين إيمان المسيح وعمل دمه على الصليب من أجلكم،
أنا الذي لن تروا وجهي بعد الآن (أع ٢٠: ٢٥)، وها أنا أصلي من أجلكم وأطلب لكم حكمة واستعلاناً واستنارة لتدركوا نصيبكم الكامل في المسيح والله!

«أسير المسيح يسوع»:

أسير: ὁ δέσμιος = ارتقاء في الرتبة من عبد يسوع المسيح إلى أسير يسوع المسيح!!

«المسيح يسوع»: τοῦ Χριστοῦ Ἰησοῦ

يقول العالِم وستكوت[1] إن هذه هي المرة الوحيدة في كل رسائل بولس الرسول التي يعطي فيها علامة التعريف «ألْ» ὁ (التي صارت في حالة الإضافة τοῦ) أمام اسم «المسيح» مضافة «ليسوع». وهذا يتذوقه دارس التوراة، لأن مسيًّا لا يُعرَّف بـ «ألْ». فإذا جاء اسم يسوع بعده فيكون التعريف به هكذا: «**مسيًّا الذي هو يسوع**». أمَّا في اللغة العربية فيستحيل علينا نطق مسيح يسوع بدون «ألْ».

وقد تأتي ὁ Χριστός وحدها، كذلك ὁ Ἰησοῦς وحدها. لذلك يفكر العالِم وستكوت ليرى حلاً لهذا الاستثناء فيقول، إنه ربما يقصد أن يقول أسير «المسيًّا» ــ رجاء إسرائيل ــ الذي هو يسوع!

كان رنين السلسلة في يديه يعطيه الإحساس الدائم أنه أسير (مسجون) المسيح لأجل الأمم، فكان هذا يقوي إحساسه بمسئوليته وبالأمانة على الرسالة والطاعة حتى السجن والموت كسيده الذي أطاع حتى الموت موت الصليب ــ كتبها: «**أنا بولس أسير**...» بشيء من الافتخار: «أنا أفضل: في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في **السجون** أكثر!» (٢كو١١: ٢٣)، لم يطلب عزاءً من أحد بل كان يعزِّي الجميع: «كما تُربِّي المُرضِعة أولادها» (١تس٢: ٧)؛ ولا طلب إشفاقاً من إنسان بل كان يُشفق على من يكتب إليهم: «وأمَّا أنا فإني أشفق عليكم» (١كو٧: ٢٨). كذلك يود أن يقول ضمناً أن غيرتي للمسيح ولأجلكم أوصلتني إلى هذه «السلاسل» (لأن ق. بولس كتب من روما وهو مقيَّد بسلاسل) وخدمة المسيح لها أحزانها الحلوة، وأحزانها سرعان ما تتحوَّل إلى افتخار بثمارها:

+ «ولمَّا وصلنا إلى أورشليم قَبِلَنا الإخوة بفرح. وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب

1. Westcott, *op. cit.*, p. 43.

وحضر جميع المشايخ. فبعد ما سلَّم عليهم، **طفق يحدِّثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته. فلما سمعوا "كانوا يمجدون الرب".**» (أع٢١: ١٧-٢٠)

كان كلما تثقل عليه السلسلة، ومن ثقلها لا يتحرك براحة ولا ينام، يتذكر الصوت: «**فقال لي اذهب فإني سأُرسلك إلى الأمم بعيداً**» (أع٢٢: ٣١)، فيقبِّل السلسلة ويعطيه الله نُعاساً!

ويا للعجب لهذا القديس المسجون والمربوط بسلسلة، فقد أضاف ثقل السلسلة لحساب الأمم وكأنها من ذهب أوفير: «**لذلك أطلب ألاَّ تكلّوا في شدائدي لأجلكم التي هي مجدكم.**» (أف٣: ١٣)

ويقيناً لو عثرنا على هذه السلسلة لوضعناها في دولاب من ذهب ورفعناها أمامنا في أعلى موضع نتلمس منها القوة والصبر والشجاعة والفخر أيضاً!!

فحينما كتب هذه الآية (٣: ١) لم يكتبها ليزداد بها كرامة في عيونهم بل ليضيفها لحساب كرامتهم هم!! ولا كتبها ليذكرهم بمنَّة عليهم بل كتبها ليجعلها علَّة لصلاة مشتركة تنتهي لحسابهم وحساب المسيح.

كان سجنه وكانت سلسلته في نظره تكملةً لأعمال الله العظيمة. كان يرى بحسب قصد الله منذ الأزل ومسرة مشيئته أنه «**سجين روما**» من أجل خلاص الأمم، **وأن السلسلة** جزء من الصليب، وعلى صوت رنينها يلد مؤمنين جدداً للمسيح: «أطلب إليك لأجل ابني أُنسيمس الذي **ولدتُه في قيودي**» (فل١٠)، وقد أسماها: «قيود الإنجيل» (فل١٣)، واعتبرها تاج شيخوخته: «إذ أنا إنسانٌ هكذا نظير بولس الشيخ والآن أسير يسوع المسيح أيضاً» (فل٩)، وأنها نظير الصليب الذي هو عند الهالكين جهالة، هكذا هي عند الجهلاء مدعاة للخجل: «فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بي أنا أسيره» (٢تي١: ٨)، وقد اعتبرها مصدر سلطان رسولي إضافي يرفع مستوى النصيحة إلى مستوى الوصية لإنسان ذاهب ليكون مع المسيح: «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها.» (أف٤: ١)

لذلك كيف لا يفتخر بسلسلته وهو الذي قال: «وأمَّا من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح.» (غل٦: ١٤)!

وللقارىء أن يُلاحظ كلمة «أسير المسيح يسوع». فبولس في سجن روما ليس أسير الناس، لا بيد رؤساء الكهنة في أورشليم، ولا بيد رؤساء سجن روما بل سجين يسوع المسيح.

وهكذا يتحوّل السجن إلى إقامة في ضيافة المسيح بل ملكوته.

ولكنه يخترع اصطلاحاً آخر يزيِّن به سجنه فيقول: «أنا **الأسير في الرب**» (أف٤: ١)، حيث يصبح عوض أن يكون في السجن يعتبر نفسه «في الرب»، أي أسير في حالة وجود في المسيح. فأصبح وكأن السجن سياحة بالروح في يوم الرب: «أنا يوحنا أخوكم وشريككم **في الضيقة وفي ملكوت يسوع المسيح** وصبره، كنت في الجزيرة التي تُدعى بَطْمُس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح؛ كنت **في الروح في يوم الرب** ...» (رؤ١: ٩و١٠)

لاحظ كيف يربط ق. يوحنا الضيقة بالملكوت بخيط قرمزي مضيء.

٣: ٢ «إنْ كنتُم قد سمِعْتُم بتدبيرِ نعمةِ الله المُعْطاةِ لي لأجلِكم».

أول ما ذكر لهم أنه أسير لأجلهم، تذكَّر في الحال قصة دعوته العجيبة ومدى قوة هذه الدعوة والنعمة المؤازرة له وانكشاف الأسرار التي وراء هذه الدعوة وعمقها في الأرض وفي السماء كما سبق الله وقصدها فأُعلنت له. وهكذا نسي ماذا سيقوله بعد «بسبب هذا أنا بولس»، فتوقف الكلام عن تكملة ما وراء هذا السبب حتى الآية (١٤). ويستمر يكشف عن شهرة خدمته بين الأمم التي ذاعت في كل أنحاء العالم.

«إن كنتم قد سمعتم»:

هذه الآية برمتها ملحقة ومعتمدة على الآية السابقة فهو كأنما يقول: أنا أسير **لأجلكم** على أساس تدبير نعمة الله المعطاة لي للأمم التي ذاعت في كل مكان، وأرجو أن تكونوا قد سمعتم أيضاً بها، وأعتقد أنكم سمعتم.

وهو هنا لا يشك في كونهم قد سمعوا بكرازته لأنه سبق وكرز لهم. ولكن ق. بولس يكتب هذه الرسالة معتقداً أنها ستجوب كل أصقاع آسيا. فهو يخاطب الذين لم يروه بالوجه، الذين منهم مَنْ سمعوا، ومنهم مَنْ لم يسمع بعد وهو يكتب للصنفين:

«تدبير نعمة الله»: οἰκονομίαν τῆς χάριτος

معروف أن كلمة «تدبير» باليونانية جاءت أصلاً من معنى القيام بالإشراف على نظام المنزل. لذلك نجد في صميم تركيبها كلمة «المنزل» οἶκος . وقد دخلت في كافة المجالات الروحية من تدبير الكنيسة وتدبير شئون الأسقف بل وارتفعت لتدخل في عمل الله نفسه حسب «تدبير الله»، بل وأُطلقت كاصطلاح ثابت لمفهوم عمل الله في إرسال ابنه مولوداً من عذراء، فيُقال مباشرة أن

الله أرسل ابنه «كالتدبير». وهكذا صارت هذه الكلمة هامة وعظيمة وكريمة.

ودخلت في نظام الرهبنة الديرية، فـ «مُدبِّر» الدير صارت وظيفة رسمية ويُسمى بالسريانية «دبارا» = «إيكونوموس». وتعني بالأساس قدرة خاصة بنعمة وحكمة على التصرُّف والتمييز واختيار المناسب وقد تشمل ــ بصفة هامة ــ نعمة الإلهام لمعرفة حال النفس وتوجيهها.

ولكن ما معنى أنهم سمعوا بتدبير نعمة الله المعطاة له، وما هي النعمة هنا؟

واضح من حياة ق. بولس ومن رسائله واعترافاته، أن نعمة الله التي أُعطيت لبولس الرسول أكثر من أي رسول آخر تكمن في استعلان الله له عن سر رضاه على الأمم وتكليفه بتبشيرهم بالأخبار السارة. فالإنجيل عامة لا يوجد فيه هذا السر صراحة، أي أن «المسيح للأمم» أيضاً، ولم يجرؤ أحد أن يقول أن ليس على الأمم أن يحفظوا الناموس ولا الختان ولا السبت. لذلك لمّا أخذ ق. بولس هذه «النعمة» الخاصة أن يبشِّر الأمم بالخلاص بدون ناموس مع الأخبار السارة التي في الإنجيل عامة، أصبح بحسب قوله يبشِّر بالأخبار السارة للأمم «حسب إنجيله» الذي لم يستلمه من أحد ولا عُلِّمه من أحد بل أعلنه له الله بالسر!! (غل١:١٢)

إذاً، فتدبير نعمة الله المعطاة لي لأجلكم، أصبحت تعني حدود خدمتي حسب إعلان الله لي بأن الأمم شركاء في الخلاص والميراث والجسد. هذه هي النعمة الجديدة الخاصة بالأمم والتي اؤتمن ق. بولس عليها. فالتدبير = هو «أصول الخدمة والتصرُّف»، والنعمة للأمم «هي خلاصهم»!! فهو يتمنى أن يكونوا قد سمعوا وأدركوا أن بولس الرسول اؤتمن على النعمة الخاصة بالأمم وهي الكرازة لهم بإنجيل المسيح خُلواً من ناموس وختانة وسبت!! وبسبب **هذه النعمة**، أي الكرازة بالإنجيل بدون ناموس وختانة وسبت، **وقع تحت اضطهاد قاتل** على أيدي اليهود انتهى به إلى **هذا السجن** الذي هو فيه الآن يُقيم. **«فالنعمة من أجلهم»** هي التي أودت به إلى السجن، وهو فيه مسرور، ويفتخر لأنه يعتبر أن هذه الآلام هي هي مجدهم!!

إن خبرة ق. بولس في السجن تنطق بصدق سابق قوله: «إن كنّا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه.» (رو٨:١٧)

٣:٣ «أنَّه بإعلانٍ عرَّفني بالسِّرِّ. كما سَبَقتُ فكتَبْتُ بالإيجازِ».

«بإعلان»: κατὰ ἀποκάλυψιν وصحتها «بحسب الإعلان»:

ويقول وستكوت إن هناك فرقاً بين أن يُقال «بحسب الإعلان» κατὰ ἀποκάλυψιν :

«وللقادر أن يثبّتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح **حسب إعلان** السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية.» (رو١٦: ٢٥)؛ وأن يُقال: «بإعلان δι᾽ ἀποκαλύψεως» (غل١: ١٢)

فالأُولى «بحسب»، تشرح كيف تمَّ بصفة عامة، أمَّا الثانية «بإعلان» فتشرح حقيقة الوسيلة النوعية.

«بإعلانٍ عرَّفني بالسر»: κατὰ ἀποκάλυψιν ἐγνωρίσθη

وهذه هي المعرفة التي يهيم بها ق. بولس جداً والتي كشفت له كل الإنجيل بكل دقائقه:

+ «وأعرِّفكم أيها الإخوة **الإنجيل** الذي بشَّرت به أنه **ليس بحسب إنسان**،
لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمته،
بل بإعلان δι᾽ ἀποκαλύψεως يسوع المسيح!!» (غل١: ١١و١٢)

ومعنى الإعلان أي الأبوكاليبسين قد سبق وشرحناه (في شرح الآية ١: ١٧).

ويضيف هنا وبحسب آية غلاطية (١: ١١و١٢) أن هذا الإعلان لا يدخل فيه اجتهاد شخصي من الشخص نفسه ولا اجتهاد من شخص آخر في التعريف والتعليم، بل هي معرفة موهوبة مباشرة من الله بوضوح مشروح. وهنا **لزم الإعلان**، حيث الإعلان = أبوكاليبسيس يفيد ضمن ما يفيد أن تكون قوى العقل غير نشطة بل في حالة استقبال فقط والمعرفة تُستعلن بانفتاح الوعي الداخلي المتصل بالروح مباشرة. وهذا يتم بحد ذاته بعمل النعمة، أي بتدخُّل روح الله، ليسقي روح الإنسان المعرفة الفائقة عن المعرفة!!! فيلتقطها العقل، وتسجِّلها الذاكرة، وتصير معرفة مؤيدة بالروح، والنعمة ثابتة ومؤكدة، والمسيح يعبِّر عنها بقوله: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي ــ الذي هو عين الإعلان ــ لا يزول.» (مت٢٤: ٣٥)

هذا يا عزيزي القارىء هو «**الحق**» الذي نشتهيه شهوة أكثر مما نشتهي الحياة، وقد صار من نصيبنا بالروح القدس: «**روح الحق** الذي يعلِّمكم كل شيء ... ويرشدكم إلى جميع **الحق**.» (يو١٤: ٢٦، ١٦: ١٣)

ويُلاحَظ أن ق. بولس تلقَّى في حياته أعظم ثلاثة إعلانات لم تُوهب لأحد غيره:

الإعلان الأول: ظهور الرب من السماء في طريق دمشق بوجه مضيء أكثر لمعاناً من الشمس حيث تحدَّث معه واختاره رسولاً وجعله إناءً مختاراً له يحمل اسمه لكل العالم.

الإعلان الثاني: استعلان الإنجيل، إنجيل يسوع المسيح الذي استلمه ق. بولس من

المسيح بإعلان وليس بالتعليم أو التلقين وفيه تعاليم كثيرة وجديدة.

الإعلان الثالث: غالباً في الثلاث السنوات التي قضاها في خلوة في العربية.
وبه استُعلن له السر المخفي منذ الدهور في الله وأعلنه له وهو أن الإنجيل للأمم أيضاً ولهم الخلاص والتبني والعهود كلها وأنهم شركاء في الميراث السماوي (كوعد الله لإبراهيم ولنسله) والجسد أي الكنيسة.

وباستعلان هذه الحقائق في الإعلانات الثلاثة، صار ق. بولس أقوى كارز بالإنجيل للأمم أي العالم. ويُلاحَظ أن الإعلان الأول ــ التعرُّف على المسيح شخصياً ــ كان لحساب الإعلان الثاني أي استعلان الإنجيل، والاستعلان الثاني كان لحساب الاستعلان الثالث: سر رضا الله عن الأمم.

«بالسر»: μυστήριον

إذا سمعت عن **الإعلان** (أبوكاليبسيس) يتحتَّم أن يكون وراءه سرٌّ (مستيريون). إذاً، فالسر هو حقيقة فائقة في طبيعتها عن العقل، تكون مخفية ولكن مهيأة للإعلان في ميعادها لكي تُعرَف وتُفهَم بين الناس. فإذا جاء الميعاد استُعلن السر ليصير مَشاعاً بين الناس. ولكنه، كما سبق وقلنا، هو فائق في طبيعته على طبيعة العقل، لذلك أصبح بعد إعلانه لا يقبله العقل الطبيعي الذي يعمل في حدود العالم والمادة والمنفعة الأرضية فقط. أمَّا العقل الذي تدرَّب على التقرُّب من الروحيات ثم ارتاح إليها ثم قَبِلَها، فتدرَّب على فهمها، هذا العقل إذا أُعلن له مضمون السر أي حقيقته ينفعل له جداً ويقبله بسرعة، ويستقر في خزانة وعيه الروحي الداخلي ليعمل هناك كالخميرة حتى يجدِّد كل فكر الإنسان وحياته.

وهذا واضح أمام القارىء من الإنجيل بحد ذاته، الذي هو سِرُّ المسيح. فانظر كيف استُعلن الحق فاستقبله البعض فصاروا قديسين.

وسبق وقلنا إن السر الذي عرَّفه الله لبولس الرسول بالإعلان هو رضاه عن الأمم وقبولهم ضمن شعب الله الخاص وضمُّهم إلى القديسين وأهل بيت الله. ومعروف أن هذا السر سبق المسيح وأعلن عنه: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد.» (يو١٠: ١٦)

«كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز»:

بالإيجاز ἐν ὀλίγῳ = باللاتينية in brevi, in modico.

ليس كما يظن بعض الشُّرَّاح أنه يُشير إلى رسائل أخرى، لأن الكلمة «**سبقتُ فكتبتُ**» προέγραψα لا تُفيد الزمان بل تُفيد **المكان** أي الموضع. فهو يُشير هنا لما سبق وكتبه في هذه الرسالة باختصار، لأن الأصحاحين الأول والثاني أشارا كثيراً ــ إنما بتركيز ــ إلى نصيب الأمم في الإنجيل والخلاص والمُصالحة والاتحاد بجسد المسيح والدخول إلى الله بجراءة وقدوم بروح الله.

وقد سبق في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس أن أشار إلى مثل هذه الإشارة بوضوح: «كتبتُ إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة» (١كو٥: ٩). أي نفس الرسالة التي كان يكتبها. وأيضاً بطرس الرسول استخدم هذا التصرُّف: «كما أظن كتبتُ إليكم بكلمات قليلة واعظاً وشاهداً أن هذه هي نعمة الله الحقيقية التي فيها تقومون» (١بط٥: ١٢)؛ مُشيراً إلى ما كتبه لهم في نفس الرسالة.

٣: ٤ «الذي بحَسَبِه حينما تقرأونَهُ تقدِرُون أن تفهَمُوا دِرايَتي بسِرِّ المَسيحِ».

والمعنى أن ما سبق وكتبتُه باختصار في الأصحاحين الأول والثاني من هذه الرسالة هو الذي ــ بحد ذاته ــ حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح.

صحيح، أيها القارىء العزيز، فما قرأتُ في حياتي معرفة مثل هذه، ذات استعلان واضح بحقائق تُبرهن على الحق الذي فيها بالحق الذي فيها، وتأثَّرتُ وأدركتُ مثل هذا العمق والفهم والدراية التي فيها بسر المسيح. هذا الأمر لم يذهلني أنا فقط بل وأذهل جميع العلماء الغربيين العظام وكل مَنْ اقترب إلى فهم هذه الرسالة.

والرجاء الرجوع إلى المقدِّمة والاطلاع على آراء عظماء المفسرين والتي سردناها بخصوص هذه الرسالة، حيث العمق فيها كله يتركز في الأصحاح الأول ثم بعده الأصحاح الثاني، ثم المهم الأصحاح الثالث.

إنها جوهرة وسط الإنجيل وفيها روح المسيح يشهد لحق المسيح كما يشهد لعظمة الآب وقدراته ونعمه ولطفه وإحسانه.

«درايتي بسر المسيح»: τὴν σύνεσίν μου ἐν τῷ μυστηρίῳ τοῦ Χριστοῦ

درايتي: الكلمة اليونانية تفيد المعرفة **المحيطة**. المعرفة والبصيرة المحيطة بالشيء إحاطةً. أمَّا **سرُّ المسيح** فلا يعني سرَّ المسيح في ذاته بل السر الذي للمسيح، بمعنى السر الخاص بالمسيح من

نحو الآخرين فتفيد عمق الخلاص الذي أكمله، أنه ليس فقط من أجل اليهود بل ولجميع أمم العالم أيضاً.

ويعترض بعض المفسرين أن مثل هذا الظهور بالدراية المتعمِّقة في سر المسيح، إنما يكشف عن كبرياء شخصي لبولس الرسول. ولكن ق. بولس في الحقيقة يجاهد لكي ينسب كل معرفته إلى الإعلان الذي وهبه الله كعطية مجانية، سخَّره بها الله ليخدم الأمم ويخرج من سجن ليدخل سجناً، فأين الكبرياء؟ وإن كان في هذا افتخار، فهو مستعد فعلاً أن يفتخر بالصليب والضعفات والمشقات والموت.

أمَّا فهمه للسر وإدراكه، فلم يكن من عمله الشخصي أو اكتشافه، ولكن هو نفسه اعترف أنها نعمة وُهِبَتْ له بالروح القدس وإعلان!

وحينما يمجِّد ق. بولس المعرفة التي قدَّمها لهم، فهذا لكي يدركوا السلطان الذي فيها ويُقبِلوا عليها باهتمام ويبذلوا كل الجهد ليفهموها ويُتمموا ما فيها لأنها لخلاصهم.

ولكن يوجد معنى آخر لمفهوم «سر المسيح»، هو كما جاء في كولوسي ١:٢٧: «الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا "السر" في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد». وتفيد أن هذا «السر» هو الحقيقة العجيبة التي أعلنت أن المسيح جاء وسكن وحلَّ في قلوبكم مُعطياً إياكم «رجاء» المستقبل لتظهروا به أمام الله.

ثم السر الآخر الذي له معنى آخر هو كما سيجيء في الآية (٦) في هذا الأصحاح «سر المسيح ... أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل».

بل ونجد إضافة أخرى لبولس الرسول في رسالة أفسس هذه (١:٩و١٠) لمعنى آخر «لسر المسيح» يختلف عن الأوضاع الأخرى: «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرتَّه التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك»، الذي بعده تكون النهاية!

هنا أربعة معانٍ في أربعة مواضع لتحديد ما هو «سر المسيح»، ليس بينها أي تعارض، بل على العكس تفيد «غِنَى سر المسيح» الذي لا يُستقصى والذي لن تستنفذه معرفة الإنسان!

٣:٥ «الذي في أجيالٍ أُخَرَ لم يُعرَّف به بَنو البشر كما قد أُعْلِنَ الآن لرسُلِه القدِّيسينَ وأنبيائهِ بالرُّوح».

«يُعرَّف به بنو البشر»:

ق. بولس في مواضع أخرى يذكر كيف استعلن الله أسراره:

+ «الكنيسة ... التي صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المُعطى لي لأجلكم لتتميم **كلمة الله (الإنجيل ككل)، السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد "أُظهِر لقديسيه".»** (كو١: ٢٥و٢٦)
+ «وللقادر أن يثبِّتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح، **حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية، ولكن ظهر الآن وأُعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية** حسب أمر الإله الأزلي لإطاعة الإيمان.» (رو١٦: ٢٥و٢٦)

وهنا في هذه الآية يضيف موضعاً آخر لإعلان سر المسيح لرسله القديسين وأنبيائه بالروح. ولو دققنا نجد أن هذه الأسرار ولو أنها فعلاً كانت مخفية ولكن لم يكفّ الأنبياء على مدى العصور بذكر كل سر من هذه الأسرار، ولكن ليس في الضوء الكافي لمعرفته تماماً.

صحيح أن جميع الأنبياء تنبأوا بدخول الأمم في دائرة مملكة إسرائيل، ولكن لم ترقَ أية نبوَّة إلى مستوى القول بالتساوي المطلق في الحقوق والميراث والتبنّي والمجد وأن يصير الاثنان واحداً!! في اتحاد الجسد الواحد!

لذلك يقول هنا في هذه الآية: «لم يُعرَّف به بنو البشر "كما" قد أُعلن الآن».

بمعنى أن ق. بولس اختُصَّ باستعلان سر المسيح في الأمم بصورة فريدة، واختُصَّ أيضاً بتعريف هذا السر بصور متعددة، ليس للأمم فقط بل وللرسل أنفسهم. ثم اختُصَّ بتطبيق هذا السر عملياً فحمل أمم العالم على كتفه بل في قلبه وأدخلها حظيرة المسيح حسب سابق وعد المسيح نفسه في الإنجيل.

«لرسله القديسين وأنبيائه بالروح»:

يعترض كثير من المفسرين كيف يكتب ق. بولس ــ وهو رسول ــ ذاكراً أن الرسل قديسون؟ وأرادوا أن يثبتوا بذلك أن الكاتب لم يكن هو بولس، بل ولم يكن حتى رسولاً. ولكن بشيء من التبصُّر نجد أنها مسألة مقارنة بين: «يُعرَّف به **بنو البشر**» و «أُعلن الآن **لرسله القديسين**».

كان يتحتم أن يظهر الفارق بين بشر وبشر. فالبشر في القديم لم يكن لهم ما للرسل الآن من كيان روحي وكنسي يجعلهم مُميَّزين عن باقي البشر. فكان لابد لبولس الرسول بنوع التلقائية أن يُعرِّف الرسل مَنْ هم من جهة مكانتهم عند الله والناس فوضع هذه الصفة ــ القداسة ــ التي تخصِّصهم بالفعل، إن لم يكن من أجل أنفسهم فمن أجل العمل الذي كشف الله لهم سرَّه ليقوموا بخدمته.

«أنبيائه»:

هنا لا يقصد قط أنبياء العهد القديم لأن ذِكْرَهم جاء بعد الرسل، والإعلان صار لهم ليس على مستوى المعرفة كأنبياء العهد الجديد الذين دُعوا للكرازة بذات السر الذي أُعلن لهم. والروح هنا هو المنوط به عملية الإعلان.

«أُعلن ... بالروح»:

يهتم العالِم وستكوت بهذا الاصطلاح ويقول إنه نادر الحدوث:

[وعملياً لكي يُعلَن لإنسان ما إعلانٌ بالروح، فإن هذا يستلزم أن تتركز كل قوى الإنسان في أعلى مستوى لطبيعته حتى يتسنَّى له أن يدخل في شركة مع الله، فإذا تحققت هذه الشركة، يكون الإنسان في هذه الحالة قد أصبح في الروح القدس والروح القدس أيضاً فيه.](٢)

٣ : ٦ **«أن الأممَ شركاءُ في الميراثِ والجسدِ ونوالِ موعدِهِ في المسيح بالإنجيلِ».**

συγκληρονόμα καὶ σύσσωμα καὶ συμμέτοχα

القديس بولس هنا، لا يشرح كيف جاء هذا السر ولماذا اختار الله هذا الوقت المحدد، ولكنه انطلق مباشرة يعدِّد محتواه: شركاء في الميراث، شركاء في الجسد، شركاء في الموعد.

وهذا التدرُّج صعودي أي إلى أعلى. فأصل النِعَم هذه كلها هي نعمة نوال الموعد، والموعد هنا هو الروح القدس الذي حلَّ عليهم كما حل على التلاميذ في البداية، ولم يميِّز الله بينهم وبين اليهود في شيء!!

فهنا شركة حياة في الروح القدس، وهذا يُعتبر، في معنى المعمودية، أنه شركة في الجسد، على أن الموعد يترسَّخ بالنهاية في الميراث.

2. Westcott, *op. cit.*, p. 46.

«شركاء في الميراث»: συγκληρονόμα

ليس شركاء الميراث، بل شركاء في الميراث. والقصد شركاء اليهود في شركة المسيح في الميراث المُعَد: «ورثة الله **ووارثون** مع المسيح συγκληρονόμοι (رو٨: ١٧). وهذه الكلمة (συγκληρονόμος = شريك في الميراث) نادرة في الكتاب المقدَّس، فقد وردت أربع مرات فقط في كُتب العهد الجديد: (رو٨: ١٧، أف٣: ٦، عب١١: ٩، ١بط٣: ٧). والأكثر شيوعاً هي كلمة « الوارث κληρονόμος »:

+ «لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. **فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة.**» (غل٣: ٢٩)
+ «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبّا الآب. إذاً، لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً **فوارث** لله بالمسيح.» (غل٤: ٦و٧)

فالأمم صاروا واحداً مع اليهود في شركة ميراث المسيح الواحد:

+ «لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً.» (أف٢: ١٥)

«شركاء في الجسد»: σύσσωμα

الكلمة بحسب جميع العلماء لم تَرِدْ في كُتب العهد الجديد الأخرى ــ ولا في اللغة اليونانية أصلاً ــ وقد نحتها بولس الرسول كتعبير مباشر وشديد للتساوي المطلق في شركة الجسد مع اليهود ــ حيث الجسد هنا هو جسد المسيح الذي وُهب للكنيسة أن تعيش به وفيه!!

+ «ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب.» (أف٢: ١٦)
+ «فلستم بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف٢: ١٩)

«نوال موعده في المسيح بالإنجيل»:

συμμέτοχα τῆς ἐπαγγελίας ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ διὰ τοῦ εὐαγγελίου

هنا قمة التدرُّج في التعبير. ويُلاحَظ شدة التوكيد على كل تعبير حتى إنه اختار ألفاظاً يُعتبر بعضها جديداً ويُستخدم لأول مرة، والبعض الآخر يندر استعماله مثل كلمة «سيمّيتوخا» وهي أيضاً تُفيد «**شركة في نوال**» الموعد بالإنجيل ولم ترد في كُتب العهد الجديد الأخرى إطلاقاً.

ويُلاحَظ أن شركة الموعد في الإنجيل تعني الروح القدس، كما قلنا، وهي التي تؤهِّل لشركة الجسد، وشركة الجسد هي الكنيسة الواحدة.

يُلاحَظ أيضاً أن شركة الموعد هنا هي شركة في «**موعد**» **الإنجيل** الذي أكمل وهو **الخلاص** أي لنوال نصيب في ملكوت المسيّا!!

ويلزم أن ينتبه القارىء إلى الحروف المستخدمة هنا لأنها هامة: **في** المسيح ἐν Χριστῷ؛ بالإنجيل διὰ τοῦ εὐαγγελίου .

فالمسيح ليس واسطة بل غاية، أمَّا الإنجيل فهو واسطة.

لقد حقَّ لبولس الرسول أن يقول لهم: «ونوال موعده **بالإنجيل**» διὰ τοῦ εὐαγγελίου : «لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون لأني أنا **ولدتُكم في المسيح يسوع بالإنجيل**» (١كو٤: ١٥). وقد ثبت بالحق وعلى مرأى من العالم كله وشهادة السماء والأرض أن الإنجيل بالفعل وبالحق هو المصدر السري الإلهي لمنح الحياة الأبدية لولادة الإنسان من جديد ليكون مواطناً سماوياً، مهما كان جنسه أو ثقافته أو ميراثه الأدبي أو السياسي أو العقائدي.

٣: ٧ **«الذي صِرْتُ أنا خادِماً له حَسَبَ موهبةِ نعمةِ الله المعطاةِ لي حَسَبَ فِعْلِ قوَّتِهِ»**.

انتهت الآية السابقة إلى أن كل العطايا التي تدفقت على الأمم جاءت بواسطة الإنجيل — إنجيل بولس الرسول الذي يكرز به بدون ناموس ولا ختان ولا سبت ولا عوايد!!

إلى هنا استيقظ ق. بولس فجأة إلى وظيفته وموهبته وعمله والأمانة العظمى التي سُلِّمت ليديه، لذلك بدأ يوضِّح العلاقة بين هذا الإنجيل «إنجيل الغرلة» كما سمَّاه هو: «... أني اؤتمنتُ على **إنجيل الغرلة** كما بطرس على **إنجيل الختان**» (غل٢: ٧)، وبين دعوته التي خصَّه بها الرب يسوع المسيح من السماء دون كافة الرسل التي أوضحها سابقاً في رسالته إلى غلاطية:

+ «فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدَّم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي. ولكن لمَّا سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته. أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم، للوقت لم أستَشِرْ لحماً ودماً ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل ...» (غل١: ١٣-١٧)

وفي رسالته إلى كولوسي يوضِّح للأمم رسالة الإنجيل والتمسُّك بها كأساس راسخ لحياتهم لا يتزعزع ومصدر قوة لا تفرغ:

+ «إن ثبتُّم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن **رجاء الإنجيل** الذي سمعتموه، المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء، الذي صرت أنا بولس خادماً له. الذي الآن

أفرح في آلامي لأجلكم وأكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة. التي صرتُ أنا خادماً لها حسب تدبير الله المُعطى لي لأجلكم لتتميم كلمة الله. السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد **أُظهر لقديسيه** الذين أراد الله أن يعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد. الذي ننادي به منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة، لكي نُحضِر كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع. الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو١: ٢٣-٢٩)

ثم لا يمل من ذِكر كيف حسبه الله أميناً لهذه الخدمة، وذلك في رسالته الأُولى إلى تيموثاوس:

+ «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا **الذي قوَّاني أنه حسبني أميناً إذْ جعلني للخدمة**، أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان.» (١تي١: ١٢و١٣)

هنا يفتخر بولس الرسول أنه حُسب مستحقاً أن يكون **خادماً**، وبالرغم من ذلك لا يعتبر نفسه أهلاً لهذا اللقب وهذه الخدمة:

+ «ليس أننا كُفاةٌ من أنفسنا أن نفتكر شيئاً كأنه من أنفسنا، بل **كفايتنا من الله، الذي جعلنا كُفاةً لأن نكون خدام عهد جديد** لا الحرف بل **الروح**.» (٢كو٣: ٥و٦)
+ «من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة ــ كما رُحمنا ــ لا نفشل!» (٢كو٤: ١)
+ «فقال لي تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل، فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢كو١٢: ٩و١٠)

ق. بولس في هذه الآية يذكر عاملين أساسيين رفعا من قدراته للخدمة من الصفر حتى أوج النجاح:

أولاً: حسب موهبة الله المعطاة لي. κατὰ τὴν δωρεάν

ثانياً: حسب فعل قوته. κατὰ τὴν ἐνέργειαν

أمَّا موهبة الله المعطاة له فهي «**النعمة**» ذات الفضل وذات الغِنَى والتغاضي عن الضعفات. لأن ق. بولس يحكي عن أسوأ أنواع السلوك تجاه اسم الرب المجيد قبل أن تفتقده نعمة الله هذه،

إذ تغاضت عن ماضيه وعن كل ما سبَّبه لأولاد المسيح من آلام وأحزان وموت وتشريد!!

لذلك حقَّ لبولس الرسول كل الحق أن يقول: «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ١٠). ولكن ليس هذا كل عمل النعمة، ولكن زادت وأفاضت ومنحته «لسان المتعلِّمين» (إش٥٠: ٤)، وأعارته حكمتها فخدم ووعظ وتصرَّف كأحد الحكماء مع أنه صرَّح بل صرخ وقال: «لأني فعلت بجهل في عدم إيمان» (١تي١: ١٣). والذي افترى على الإنجيل وأهان وجدَّف، أهَّلته نعمة الله ليكرز بإنجيل يسوع المسيح كأقوى كارز عرفته المنابر بل وأحسَّته القلوب، وها كلماته لا تزال تحمل رنين صوته يهز مشاعرنا ويملأ أسماعنا وكأنه لا يزال يعظ.

«حسب فعل قوته»: κατὰ τὴν ἐνέργειαν τῆς δυνάμεως αὐτοῦ

وأي إنسان يعرف أصول الخدمة والوعظ ويكون قد جاب البلاد، يُدرك أية قوة كانت تسند هذا الواعظ المتجول لا في بلاد العالم بل قارَّاته، لا تحمله طيارة ولا سيارة بل رجلاه على الجبال والوديان، بالليل والنهار، لا يملّ ولا يكلّ. وليس كل مَنْ يتكلم يعظ. لأن كلمة الله تحتاج إلى قوة تطلقها من مصدرها وتصيغها بفكر صاحبها. لذلك كان الروح يعضد وينطق في فمه، وقوة العليّ تظلله. ألم يقل المسيح للكارزين قبل أن يكرزوا: «أن لا يبرحوا من أورشليم إلى أن يُلبَسوا قوة من الأعالي» (لو٢٤: ٢٩، أع١: ٤). القوة التي يتكلَّم عنها ق. بولس، ونحن حسبناها مجرد قوة، مع أنها قوة كانت تأتيه من الأعالي فتنعش فكره وقلبه وجسده المتداعي. وحينما انهار جسده تحت لطمة الشيطان وطلب لنفسه شفاءً، تعجَّب الله، إذ لماذا الصحة وقوته ترفعه فوق جسده!! فذكَّره بما هو فيه: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمَل» (٢كو١٢: ٩)؛ فتذكَّر وهتف: «حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي» (٢كو١٢: ١٠). لأنه يوم انتخبه الرب للخدمة، منحه معها بالتلازم قوته الخاصة، ليكون على مستوى الأمانة فيها ولها: «وأنا أشكر المسيح يسوع الذي "قوَّاني" أنه حَسِبني أميناً إذ جعلني للخدمة.» (١تي١: ١٢)

ومن أسرار هذه الكلمة "قوَّاني"، أنها ليست مجرد قوة؛ بل قوة ديناميكية لا تزال متجددة فيه باندفاعها الدائم والمستمر. وهذا يُستفاد من صياغتها باللغة اليونانية: ἐνδυναμώσαντι = empowering. ولكن الذي يُظهر معناها أكثر في الآية التي نشرحها هي الكلمة التي أتت قبلها ἐνέργειαν ، وتفيد **عمل الطاقة**، فهي قوة يمدُّها عمل طاقة. ومعروف أن هذه الطاقة هي طاقة الروح القدس التي يحوِّلها فيه إلى قوة «روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» (إش١١: ٢). والقديس بولس يذكر هذه "القوة" التي تأتيه وقت الجهاد والمجاهدة والتعب حينما يبلغ اللاإحتمال:

+ «الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو١ : ٢٩)

والذي يتابع اللغة اليونانية لهذه الآية يتعجب من مفهوم القوة ومصدر عملها بالاصطلاحات الفنية الشديدة التحديد والمعرفة:

κατὰ τὴν ἐνέργειαν αὐτοῦ τὴν ἐνεργουμένην ἐν ἐμοὶ ἐν δυνάμει

بالمفهوم العلمي: هنا طاقة (نعمة) تحرِّك بولس الرسول لتولِّد قوة كلمة، والقوة تضيء (نعمة). القديس بولس، بالنعمة دُعِيَ، و بالقوة خَدَم، حتى أكمل السعي!!

٣ : ٨ «لي أنا أصغَرَ جميع القدِّيسِينَ أُعْطِيَتْ هذه النعمةُ أن أُبشِّرَ بين الأمَمِ بغِنَى المسيح الذي لا يُستقصَى».

وهكذا بولس الرسول حينما يتكلَّم عن كيف اؤتمن على الخدمة وكيف كان أميناً و بذل الجهد والجهاد وأعانته النعمة والقوة، يسرع إلى ضعفه لتستكين فيه لحظة ليرتاح ضميره.

«لي أنا أصغر جميع القديسين»: ἐλαχιστοτέρῳ = باللاتينية minimo:

وترجمتها الصحيحة: «أصغر من أصغر جميع القديسين»(٣)، والقديسون هنا بلا تعريف، فهم المسيحيون على الإطلاق، أي المؤمنون. واستخدام الصفة المتضاعفة المتركبة الواحدة على الأخرى بهذا الوصف هو — كما يقول العلماء(٣) — من فن الشعر. ولكن ق. بولس لا يلعب بالألفاظ ولكن يريد أن يلغي وجوده فوضع هذا التشبيه ليضع نفسه ليس آخر الكل كوصية المسيح التي يعرفها ق. بولس جيداً، بل استكثر على نفسه أن يكون أكمل الوصية، فنزل إلى ما تحتها ليتوارى عن أعين الناس جميعاً، وكان صادقاً لأن صورة الماضي كانت ترهق ضميره باستمرار، فهو عن صدق يتكلَّم. ولكن إن سأله ناقد: فلماذا تبشِّر وتعلِّم غيرك إن كنتَ أصغر جميع المؤمنين؟ يقول لك:

أولاً: «**الضرورة موضوعة عليَّ. فويلٌ لي إن كنت لا أُبشِّر.**» (١كو٩ : ١٦)،

ثانياً: إني انتُخبتُ عن غير استحقاق ولا استعداد مني، ولكن الذي دعاني أرسلني وقال لي. بشِّر فبشَّرت. أمَّا من جهة ضميره أمام الله فيقول: «أشكر الله الذي أعبده من أجدادي بضمير طاهر ...» (٢تي١ : ٣)

وهو كمسيحي وإن كان يحسب نفسه أصغر من أصغر جميع القديسين، ولكنه إذ هو واثق من

3. Abbott, *op. cit.*, p. 85.

إيمانه ومحبته وثقته وسلوكه بضمير طاهر أمام الله، يقول للمؤمنين: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو١١: ١)، وذلك بسبب نعمة المسيح العاملة فيه، أمَّا من جهة نفسه فهو لا يكفُّ عن القول: «لستُ شيئاً.» (٢كو١٢: ١١).

وهو حينما قال «أنا أصغر جميع القديسين»، لم يجلس ليحسبها، ولكن نطقها تلقائياً من شعور طاغٍ أنه لا يستحق أن يكون لا رسولاً ولا كارزاً ولا خادماً بسبب ماضيه الذي كان يفرِّغه من ذاته حينما يتكلَّم عن الخدمة، والذي كان يعتمل في قلب بولس ليس كأنه خاطىء أو أكثر خطية من بقية المؤمنين، لأن الفداء والخلاص جعل جميع الخطاة سواسية، ولكن الذي يدفع ق. بولس لوضع ذاته تحت المؤمنين هو أنه أساء إلى المسيح شخصياً: «لماذا تضطهدني؟» (أع٩: ٤)، الأمر الذي لا يزال يمزِّق ضميره وأحشاءه، وكأن دم المسيح المسفوك يزيده ويلهبه ناراً. وهذا ما كان يكرِّره بألم مرّ: «لأنه أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). وهنا تأتي المقارنة مرعبة، فالمسيح أحبه ومات من أجله، وهو كان يصلبه كل يوم. فلا ننسى تقريره الرسمي عن نفسه: «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا. **لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً** لأني اضطهدت كنيسة الله. ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١كو١٥: ٨-١٠). وهو القائل: «... المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا.» (١تي١: ١٥)

وهذا التعبير في الواقع «**أصغر جميع القديسين**» استُحضِر في ذهنه بسبب ما سيأتي بعده وهو «**أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر...**». فبولس الرسول لا يعطي تصوُّره لنفسه وقياس قامته بين المؤمنين، ولكنه يعمل مقارنة وموازنة بين **ما هو، وما هي النعمة** التي أُعطيت له. فالقياس هنا ليس بينه وبين القديسين، ولكن بينه وبين هذه الموهبة في طولها وعرضها وارتفاعها: "أن أُبشِّر بغنى المسيح الذي لا يُستقصى"، الشيء الذي لم يحدث له مثيل ولا اؤتمن قديس غيره عليه!! فارتفاع النعمة هو الذي صغَّره إلى ما تحت كل المؤمنين، ورؤيته لغنى المسيح الذي لا يُستقصى جعلته يرتد إلى فقره المدقع.

«أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي "لا يُستقصى"»: ἀνεξιχνίαστον

هذا هو مضمون النعمة التي أُعطيت له، أن الأمم، وهم على جهل تام بالمسيح، يبشرهم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى. وهكذا تبدو العملية فوق قدرات البشر، ولهذا توسطت النعمة لتعطي بولس الرسول حكمة الكرازة وتُعطي الأمم روح الحكمة والاستعلان في معرفة المسيح، مستنيرةً

عيـون أذهـانهم ليعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا.

«غنى المسيح الذي لا يُستقصى»:

نـعـم، أن يعرف ق. بولس ويبشِّر بأن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل، وأن ليس يهودي ولا أممي ... بل الكل واحد في المسيح بالإنجيل ...،

وأنه يصالح الاثنين، اليهودي والأممي، في جسد واحد مع الله بالصليب،

هذا من ناحية الأمم، وهو لون من ألوان غنى المسيح.

أمّا من ناحية عملية الفداء والخلاص ـــ العام لليهود والأمم ـــ بأعماقها التي كان قد استعلنها بـولـس لأهـل أفـسس في بداية رسالته، فبمجرد النظر إليها وقياس ما عمله المسيح، ينذهل العقل، فـأيـة محبـة وأي تواضع وأي بذل وأي انسحاق وأي احتمال لأشنع الآلام والعار وأي عمق لقياس كـل هـذا على الـغـفـران الـلازم للإنسان؟ هنا لا تكفي كلمة «غنى» ولا كلمة «لا يُستقصى»، فـكلمة «غِنَى» يلزم أن يصيغها على مستوى «أصغر من أصغر القديسين»، لتكون «غنى الغِنَى». فـأضـاف «الـذي لا يُستقصى» أي لا يُفحص. فهي أكثر من إمكانيات الفكر والروح، بل يكفي أن «**لا يُحاط بها**» أو «**لا يُدركها مُدرِك**». ولكن ق. بولس وحده هو الذي استقصى واستغرق في الاسـتـقـصـاء، فهي لائقة به وحده، ذلك النبي الذي ارتفع إلى السماء الثالثة ورأى وسمع **ما لا يُرى وما لا يُتكلَّم به!!**

أليـس هو الذي صلّى من أجلنا لكي يعطينا الله **روح الحكمة والاستعلان** في معرفته؟ وطلب لـنـا أن **تستنير عيون ذهننا** لنتعلَّم (فقط وليس أن نستقصي) ما **هو رجاء دعوته**، ثم ما **هو غنى مجد ميراثه** في القديسين، ثم ما هي **عظمة قدرته الفائقة نحونا** حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح. وكيف يطلب لنا هذا كله إلا إذا كان قد ناله هو؟؟

هذا لون آخر من ألوان غِنَى المسيح.

ثـم مـا تـبـقَّـى لـنا من أعمال المسيح في استعلانه العتيد، أن يكون هو أيضاً لوناً آخر من ألوان غِنَى المسيح، والباقي مَنْ يستقصيه؟!!

كـذلك لا ننسى أن بولس الرسول هو الوحيد الذي سلَّمنا الإنجيل مطبَّقاً على السلوك والأخلاق والـتـعـامـلات وفـحـص الـضـمير ومحاسبته، وضبط الأفكار والجسد والتحكم في المشاعر والعواطف، والـتـمـيـيـز الدائم بين ما هو للجسد وما هو للروح وما هو للعالم وما هو لله، وقلَّدنا أسلحة المحاربة

الإنجيلية لمقاومة كل أعمال إبليس وأفكاره وتصوراته. فجعل الإنجيل إنجيل حياة كل يوم وكل العمر وما بعد الحياة والعمر. وهكذا أغنانا بغِنَى المسيح الذي لا يُستقصى! وبقي غِنَى المسيح يحتاج إلى مزيد لمن يَستقصِي!!

٣: ٩ **«وأُنيرَ الجميعَ في ما هو شرِكةُ السِّرِّ المكتُومِ منذُ الدُّهورِ في الله خالِقِ الجَميعِ بيسوعَ المسيحِ».**

هنا ق. بولس بعد أن أوضح رسالته **الخاصة بتبشير الأمم** وتوصيل رسالة الخلاص لهم بكل غناها الذي لا يُستقصى، انتقل هنا إلى رسالة أخرى تُحتسب على **مستوى الجميع** للبحث في الأساسات التي انبثقت منها عملية الخلاص بكل غناها وما ستنتهي إليه.

أمّا نموذجها الجميل الواضح، فهو ما قدّمه في الأصحاح الأول من جهة **قصد الله منذ الدهور قبل تأسيس العالم فيما يخص الإنسان**، قبل أن توجد السماء والأرض، وما قصده في نفسه حسب مسرة مشيئته كيف سيُحضِر الإنسان إلى التبنّي وكيف سيفديه ويكمّل خلاصه. ثم يقدّم قصد الله فيما بعد الخلاص، كيف سيجمع الإنسان والخليقة كلها في وحدة واحدة في المسيح. هذا هو في الحقيقة ما عبّر عنه ق. بولس: «إذ عرّفنا بسرّ مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه **لتدبير ملء الأزمنة ليجمع "كل شيء" في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك»** (أف١: ٩و١٠). وهذا ما يتناسب ويلتحم مباشرة بقوله هنا في الآية ٣: ٩: **«خالق الجميع بيسوع المسيح»**.

فقوله «خالق الجميع» يشير إلى أن الرسالة التي يريد أن يخدمها ق. بولس هنا وينير الجميع من جهتها تختص بعمل المسيح من جهة الخليقة جميعها وذلك «في ملء الأزمنة»، أي في نهاية اكتمال الأزمنة التي نَمُرُّ فيها. وقد تعرَّض لها ق. بولس في رسائله، ولكن ليس بصورة مركّزة، سواء من جهة انعتاق الخليقة من الفساد الذي تعيشه الآن حينما يبلغ الإنسان إلى القيامة العامة وفداء الأجساد (رو٨: ١٩-٢٣)، أو من جهة استعلان المسيح ومجيئه (١تس٤: ١٦و١٧) أو من جهة الدينونة العتيدة.

وباختصار نرى أن ق. بولس قسّم رسالته إلى أفسس التي يخدمها إلى ثلاثة أقسام أو مراحل:

المرحلة الأُولى:

إنارة أذهاننا في ما كانت عليه مقاصد الله من جهة خلاصنا وفدائنا قبل تأسيس العالم، وهذه الحقيقة أبدع فيها أيّما إبداع.

المرحلة الثانية:

إنارة أذهاننا في أعاجيب الأعمال التي عُملت لتكميل الفداء وارتفاع المسيح فوق السموات.

المرحلة الثالثة:

في السر المكتوم في الله منذ الدهور الذي لا يزال يحتاج إلى استعلان، وذلك فيما يختص بالخليقة وجَمْعها في وحدة مؤتلفة في المسيح، التي هي تكميل أن «الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه» (٢كو٥: ١٩)؛ «وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو١: ٢٠)

إذاً، هي ثلاث حلقات متصلة أشد الاتصال في مقاصد الله من جهة تدبير عمل المسيح، ما قبل الخلق، ثم الخلق والفداء، ثم ما بعد الفداء وتكميل الخلق. والقديس بولس استُعلنت له هذه الحلقات الثلاث ولكن بقدر. وعلى قدر ما سمحت بها معرفته، قدّمها لنا في هذه الرسالة بإيجاز كما يقول هو.

٣: ١٠و١١ **«لكي يُعرَّفَ الآنَ عندَ الرؤساءِ والسَّلاطينِ في السماوِيَّات بواسطةِ الكنيسةِ بحكمةِ اللهِ المتنوعةِ،**
حَسَبَ قَصْدِ الدُّهورِ الذي صنعَهُ في المسيحِ يسوعَ ربِّنا».

هذه الآية ذات اتصال بالآية التي جاءت في الأصحاح الثاني: «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، **ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق** باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف٢: ٦و٧)

وهكذا كان في صميم تدبير الله أن تستلم الكنيسة أعمال الله، وتخبر بها، وتتجاوز محيط عملها على الأرض وفي الزمن!! لِيُظهر (بها) **في السماويات وفي الدهور الآتية** غِنَى نعمته علينا في المسيح!! في السماويات وفي الدهور الآتية، أي **ما وراء الأرض وما فوق الزمن!**

ويبدو أن هناك علاقة وثيقة بسبب الخلاص الذي تمَّ بالفداء بدم المسيح بين الإنسان على الأرض والخلائق السماوية، حيث الصلح بالدم سيدخل في المصالحة الأعلى بين السمائيين والأرضيين. لأنه كما أن الخليقة الأرضية تئن وتنتظر التبنّي فداء أجسادنا ــ لتنحل رُبُط فسادها ــ كذلك السمائيون أيضاً ينتظرون بفارغ الصبر ارتقاء الإنسان عند تمام الفداء والخلاص لتبدأ وحدة السمائيين بالأرضيين: **«وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته**

سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو١ : ٢٠)

لأننا نعرف من ق. بطرس أن الملائكة تشتهي أن تطَّلع على ما صار إلينا بالروح القدس السماوي الأعلى: «إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم **في الروح القدس المُرسَل من السماء، التي تشتهي الملائكة أن تطَّلع عليها**» (١بط١: ١١و١٢). **لهذا تهللت الملائكة في السماء يوم ميلاد المسيح**، وأعطت المجد لله في السماء وبشَّرت الأرض بالسلام والمسرة، لأن أمر ميلاد المخلِّص وفداء الإنسان ومصالحته بالدم تخصُّهم أيضاً، لأن المُصالحة القادمة ستشمل الإنسان والخلائق السماوية.

ويقول في ذلك العالِم بروس:

[الرؤساء والسلاطين يعرفون من الكنيسة أنهم هم أيضاً لهم مكان في خطة الله هذه، فإن المُصالحة بين اليهود والأمم التي حدثت فأثمرت الخليقة الجديدة، هي دليل على المصالحة التي ستتم في وقتها وستشملهم بدورهم ـــ أي الرؤساء والسلاطين. فإن المصالحة المسكونية العامة التي ذكرها ق. بولس في كولوسي ١: ١٩-٢٢، والتي دبَّرها الله، سيدخلها البشر الذين سبق أن نالوا التصالح في المسيح. أمَّا وسيلة المصالحة هنا وهناك فهي عمل المسيح الخلاصي الذي صالحنا بدم صليبه. وبهذا تُظهَر الكنيسة لتكون دليلاً في خطة الله لمصالحة العالم مستقبلاً، وهي عينها حسب مشيئة الله لتدبير ملء الأزمنة، حينما يتقابل السمائيون مع الأرضيين في المسيح (أف١: ٩و١٠).

ويبدو أن هناك عبئاً كبيراً مُلقى على الكنيسة التي أصبحت بحدّ ذاتها حاصل عمل مصالحة الله هكذا، إذ وُضِعت في تدبيره أن تكون هي ـــ وهي قائمة في المسيح ـــ وسيلةً لقيام المصالحة النهائية الكاملة.](٤)

ويُلاحظ أن الآية التي نحن بصددها تبدأ بكلمة «لكي». إذاً، هذا هو القصد المباشر المتحصَّل من مضمون الآية السالفة. وقد قلنا إن الآية السالفة هي الحلقة الثالثة في عمل موهبة بولس الرسول، وهي إنارة الجميع من جهة السرِّ المكتوم منذ الدهور في خطة الله وتدبيره حسب قصده من جهة العلاقة التي ستجمع البشر بالسمائيين، والتي حدَّد زمانها بملء الدهور، أي بنهاية أزمنة تغرُّب الكنيسة على الأرض.

4. Bruce, *op. cit.*, p. 322.

ومعرفتنا بتدبير الله هذا لها حكمة وقصد، وهما لكي يُعرَّف الآن — أي مُسْبقاً — عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بحكمة الله المتنوعة!

وما هي حكمة الله «المتنوِّعة»؟ ἡ πολυποίκιλος σοφία τοῦ θεοῦ

في الحقيقة يصعب حصرها إلاَّ إذا كان أمامنا جدول نشتغل عليه، أمَّا جدول أعمال الحكمة فهو هكذا:

سفر الحكمة الأصحاح السابع من الآية ٢٢-٢٣:

+ «فإن فيها (أي الحكمة كنبوَّة عن المسيح) الروح الفَهِم، القدوس، المولود الوحيد، ذا المزايا الكثيرة، اللطيف، السريع الحركة، الفصيح، الطاهر، النيِّر، السليم، المحب للخير، الجديد، الحرّ، المُحسن، المحب للبشر، الثابت، الراسخ، المُطَمئِن، القدير، الرقيب، الذي ينفذ جميع الأرواح الفهمة الطاهرة اللطيفة».

هذا بحسب الكتاب المقدَّس الطبعة الكاثوليكية.

أمَّا بحسب الترجمة المباشرة من الإنجليزية فهي كالآتي:

+ **[لأن فيها الروح المُدْرِك، القدوس، الفريد، "المتنوع"، اللطيف، المتحرك، الصافي، الطاهر، الواضح، المضيء، محب الصلاح، الحاذق، الذي لا يقاوم، الخيِّر، محب الإنسان، الثابت، الراسخ، الواثق، المُطَمئِن، الكلي القدرة، الناظر على الكل، الذي ينفذ في الأرواح العاقلة والطاهرة واللطيفة جداً.]**(٥)

هذه هي حكمة الله المتنوعة كما سجَّلها سفر الحكمة.

ويقول القديس غريغوريوس النيسي معلِّقاً على كلمة الحكمة «المتنوعة»:

[قبل تجسُّد مخلصنا كانت القوات السمائية تعرف حكمة الله كحكمة بسيطة وعلى نسق واحد، مجترحة الأعاجيب بصورة مناسبة لكل طبيعة، فكان لا يوجد شيء متضاعف (غير بسيط). ولكن الآن بالتدبير، أي بعمل التجسُّد والفداء بالنسبة للكنيسة والجنس البشري، فإن حكمة الله لم تعُدْ معروفة بعد كحكمة بسيطة وعلى نسق واحد، بل حكمة متنوعة ذات متضادات فوق متضادات، موت، حياة؛ ذلّة، مجد؛ خطيئة، برّ؛ لعنة، بركة؛ ضعف، قوة؛ غير المرئي صار مرئيًّا في الجسد، يفدي أسرى، هو الشاري وهو الثمن.](٦)

---

5. Bruce, citing H. Schlier, *op. cit.*, p. 321:
6. Greg. Nyssa, *Hom.* viii in Cant. Cant. I.

والآن ليس من الصعب أبداً، بل فقط يعوزنا الوقت أن نطبّق صفات الحكمة بحذافيرها على أعمال الله التي عملها في المسيح لأجلنا، فما من فرع من فروع الحكمة إلاّ وكان له عمل في عمل الخلاص الذي تمَّ بكل حكمة وفطنة!! «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غِنَى نعمته التي أجزلها لنا بكل **حكمة وفطنة**» (أف ١ : ٧و٨). فهوذا الرب يسوع نفسه هو الحكمة حسب الآية: «صار لنا **حكمة** من الله وبرًّا وقداسة وفداءً» (١كو١ : ٣٠)، بل إنه هو «المذخر فيه جميع **كنوز الحكمة والعِلم**.» (كو٢ : ٣)

ولسنا نغالي إذا قلنا إنه وُجد على مدى الأجيال وحتى الآن أشخاص بلغوا في درايتهم بحكمة الإنجيل وحكمة أعمال الله مصدَّقة بالآيات، يتلونها عن ظهر قلب، ولا تكفي مجلدات لتحويها. أين هؤلاء الآن؟ لقد انتقلوا جميعاً إلى السماء، نعم، في السماء مع السمائيين يُخبرون بحكمة الله ويُسبِّحون ويمدحون مجد نعمته مع المادحين من القوات السمائية.

والآن إن كانت الكنيسة ستُخبر وتعرِّف الرؤساء والسلاطين في السماويات بحكمة الله المتنوعة، فلزم أن تكون هي بحد ذاتها قد احتوت كنوز الحكمة والمعرفة التي في المسيح، **لأن الكنيسة مملوءة فيه وهي مِلْؤه.**

آه يا إخوتي، لقد تأخّرنا جداً عن أن نكون حسب قصد الله!!

يقول العالِم أبوت تعليقاً على هذه الآية:

[إن الكنيسة هي الظاهرة، التي وجودها ـــ بحد ذاته ـــ يُعتبر البرهان والنموذج معاً للحكمة الإلهية كما استُعلنت في تدبير الفداء الذي ملأ الدنيا على اتساعها](٧).

ويقول العالِم وستكوت:

[في الكنيسة تتقدم البشرية نحو وحدتها المرتقبة وبآنٍ واحد، نحو وحدة كافة الخلائق مع الإنسان المحسوب أنه رأسها (رو٨ : ١٨، يع١ : ١٨). أمَّا الحكمة المتنوعة فنراها في قدرات الإنسان الجديد المتعددة ومواهبه في خدمة الهدف الذي تزحف نحوه كل الخليقة](٨).

7. Abbott, *op. cit.*, p. 69.
8. Westcott, *op. cit.*, p. 49.

«حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا».

«حسب قصد الدهور»: κατὰ πρόθεσιν τῶν αἰώνων

عودة مرة أخرى للأصحاح الأول لكي نُدرك معنى هذه الآية. فقد عرفنا من الأصحاح الأول أن كل أعمال الله التي تمت على ممر الأزمنة السالفة من اختيار وتبنِّي وفداء ومصالحة، وما تخلَّل هذه العمليات من تجسُّد وموت وقيامة، هذه كلها كانت مرسومة في مقاصد الله الأزلية قبل الدهور. أي كان هناك غرض محدَّد في قلب الله في الأزلية قبل أن يبدأ بأي عمل في الزمن، أي أن كل عمل تمَّ على الأرض كان معروفاً لدى الله منذ الأزل، وليس ذلك فقط بل ومدى عمله ممتد إلى الأبد، لأن الزمن ساقط من عمل الله ومعرفته. فاليوم كأمس الذي عَبَر، لا فرق على الإطلاق، وألف سنة مضت لا أثر لها في معرفة الله، والماضي كله كالحاضر لا فرق، بل كالمستقبل الآتي لا فرق. كل الأعمال التي عُملت والمعمولة الآن والتي ستُعمل، هي معمولة جاهزة في تدبير الله ومنتهية منذ الأزل، وحدوثها الزمني هو الذي يخصُّنا ويؤثِّر فينا!!

فقصد الله الأزلي منذ الدهور سُلِّم للمسيح ليوقِّعه على زمن الإنسان حسب تدبير الله تماماً، أو حسب القصد في مشيئة الله المباركة منذ الأزل. فالتجسُّد للابن في ملء الزمن كان هو بعينه تجسيداً لمقاصد الله الأزلية في ملء الزمن.

«الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا»: ἣν ἐποίησεν ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ

هنا «صنعه» تظهر غير منسجمة مع ما سبق وقلنا، والأفضل تكون «حقَّقه» أو «أتمَّه» أو «أكمله»(٩)، أي أكمل الغرض الذي كان في مقاصد الله الأزلية. فما نراه الآن معمولاً بواسطة المسيح هو قائم ومعروف عند الله منذ الأزل.

«في المسيح يسوع ربنا»:

إنها فرصة لنشرح هذا الاسم العظيم بألقابه:

فهنا ثلاثة أسماء لشخص واحد: المسيح، يسوع، ربنا، وهذه الثلاثة الأسماء إنما تفيد التعريف بشخصية المسيح على المستوى اليهودي والمستوى الأممي:

على المستوى اليهودي هكذا المسيَّا هو يسوع!

على المستوى الأممي هكذا يسوع هو الرب.

لذلك جاء التعريف الكامل على هذه الأسماء الثلاثة: المسيح يسوع ربنا.

9. F.Foulkes, *op. cit.*, p. 106.

١٢:٣ «الذي بِهِ لنا جَرَاءَةٌ وقُدُومٌ بإيمانِهِ عن ثِقَةٍ».

عجيب ق. بولس هذا، بعد أن حلّق بنا في الأزلية مستعرضاً مقاصد الله المرسومة قبل كل الدهور، الذي طرح هذه المقاصد كلها على الابن المتجسِّد المسيح للتنفيذ في ملء الدهور والزمن، هبط إلى عالمنا ليأخذ بيدنا من خلال موت المسيح وقيامته لينطلق بنا بجراءة يستمدها من سلطان المسيح على كل ما في السماء والأرض، وبإيماننا به ندخل معه إلى الآب وأيضاً عن ثقة!! والثقة نستمدها من سلطان البنوّة التي أعطانا الآب!!

«جراءة وقدوم»: παρρησίαν καὶ προσαγωγήν

«الجراءة» هي البارّيسيا = παρρησίαν، وهي في المفهوم اليوناني بحسب أصل الكلمة تفيد «الحرية في الكلام»، ولكن انتقلت لتفيد الشجاعة والإقدام أي الجراءة في مواجهة الآخرين، كما جاءت في الآية القادمة:

+ «الذي لأجله أنا سفير في سلاسل لكي **أُجاهر** παρρησιάσωμαι فيه كما يجب أن أتكلَّم.» (أف٦ :٢٠)
+ وأيضاً: «فلنتقدَّم بثقة = μετὰ παρρησίας إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.» (عب٤ :١٦)

وهكذا أخذت كلمة «البارّيسيا» معنى المجاهرة والثقة في الكلام وفي الدخول: الكلام بالإنجيل والدخول إلى الله، ولكن على أساس أن **يخلو الكلام أو الدخول إلى الآب من الخجل والخوف!**

والقدوم سبق أن شرحناه (انظر صفحة ٢١٢ شرح أف٢ :١٨).

«بإيمانه عن ثقة»:

هنا بالرغم من أن الكلمة اليونانية للجراءة والقدوم يخلو مفهومهما من **الخوف والخجل**، فأساس كلمة البارّيسيا هي عدم الخوف وعدم الخجل، ولكن عاد ق. بولس وأضاف **«عن ثقة»**. فالجراءة والقدوم أساسهما في المسيح أو بالمسيح وبإيمانه: «الذي به لنا جراءة وقدوم **"بإيمانه"**»، أمَّا عن الثقة، فهذا يعتمد على مدى القدرة في الاعتماد على الإيمان الذي منحنا الجراءة والقدوم به. فنحن أخذنا بالمسيح حق الدخول إلى الله بجراءة (في عدم خوف أو خجل)، وبقي عمل الإيمان. فإن كان لنا ثقة بالإيمان تحققت لنا الجراءة.

ثلاثة عوامل: **جراءة** = «بارّيسيا» **وإيمان** و**«ثقة»**.

وفي اعتقادي أن الثقة ولو أنها تبدو عملاً شخصياً إلاَّ أنها هي التي تمنحنا الجراءة، فالجراءة هي من حق الذي عنده إيمان بثقة أو الواثق من إيمانه. فنحن آمنَّا بابن الله، ومقابل إيماننا به أعطانا الآبُ السلطانَ أن نصير أولاد الله (بحسب إنجيل يوحنا ١ :١٢). فهنا تتحقق لنا ثقة الإيمان وثقة البنين لله. فالمسألة ليست نظريات أو عقائد فكرية، بل هي من صميم خبرتنا العملية الإيمانية التي نعيش بها الآن والتي عليها يقوم الخلاص كله.

١٣:٣ «لذلك أطلُبُ أن لا تكِلُّوا في شَدائِدي لأجلِكُم التي هي مجدُكُم».

ق. بولس يكتب من سجن روما، والرسالة ستصلهم بأخبار تقديمه للمحاكمة وربما الموت، فهو يقول لهم: انظروا عمق الرسالة الموضوعة عليَّ سواء **للأمم** أم **للجميع**. وهنا أنا في شدة عظيمة ربما تؤدي إلى الموت، وبهذا تُحرم الأمم ويُحرم الجميع من تكميل هذه الرسالة، فلا تكلُّوا أو تخوروا في إيمانكم بسببي، كما لا تكلُّوا في الصلاة حتى أوهَب لكم ثانية. ولا تستهينوا كوني مقيَّداً وسجيناً، فهذا ليس لخطأ فيَّ ولكن هو بسببكم وبسبب الخدمة التي أقوم بها التي هي لمجدكم.

وهذا الوضع تشرحه وتكمِّله آيات أخرى:

+ «ولكن لكي تعلموا أنتم أيضاً أحوالي ماذا أفعل، يعرِّفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب والخادم الأمين في الرب، الذي أرسلتُه إليكم لهذا بعينه لكي تعلموا أحوالنا ولكي يعزِّي قلوبكم.» (أف٦: ٢١و٢٢)
+ «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» (كو١: ٢٤)
+ «لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت. إذاً، الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم.» (٢كو٤: ١١و١٢)
+ «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً. ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم.» (في١: ٢٣و٢٤)

الصلاة الثانية: من أجل تقدُّم المؤمنين(*)
«الروح والمسيح والله»
«الحب والمعرفة»

٣: ١٤-١٦ «بسببِ هذا أحْني ركبتيَّ لَدَى أبي ربِّنا يسوعَ المسيحِ،
الذي مِنْهُ تُسمَّى كلُّ عَشيرَةٍ في السَّمواتِ وعلى الأرضِ،
لكي يُعطِيَكُم بحسبِ غِنَى مَجدِهِ
أن تتأيَّدُوا بالقوةِ برُوحِهِ في الإنسانِ الباطنِ».

ق. بولس يكمِّل تشفعاته من أجل مؤمني الأمم:

الصلاة الأُولى: كانت لنوال روح الحكمة والإعلان، واستنارة عيون الذهن للتعرُّف والتأمل في أعمال الله العظيمة في الفداء والخلاص، وكيفية ارتفاع المسيح فوق جميع السموات ليخضع الكل تحت قدميه. وذلك كله ليصير رأساً للكنيسة التي صارت هي جسده المملوء به.

الصلاة الثانية: أن يتأيَّدوا بالقوة **بالروح** في الإنسان الباطن،
ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبهم،
ويكونوا متأسسين على المحبة،
ليعرفوا مع جميع القديسين محبة المسيح الفائقة المعرفة،
ويمتلئوا إلى كل ملء الله،
بحسب القوة التي تعمل فينا.

واضح هنا أنها إضافة قوة بالروح لما سبق أن نالوه، على ضوء ما أعلنه لهم من أن الكنيسة، أي هم كشعب الله، منوط بهم أعمالٌ روحية عظيمة للغاية على مستوى الأرض والسماء، ليشهدوا بحكمة الله المتنوعة، التي عرفوها وذاقوها، التي صنعها الله في المسيح حسب قصد الله منذ الدهور وأكملها في ملء الزمن.

فالكنيسة، أي هم كشعب الله الخاص، مطلوب أن يكونوا «**مظهراً لحكمة الله المتنوعة على الأرض**»، لشهادة دائمة على الأرض كلها، وعلى مدى جميع الأجيال. وبآن واحد يصيرون أداة

(*) راجع المقدمة: «خامساً: مفتاح الرسالة»، ص٥٩.

تعريف وتقارب للسمائيين على أساس الاتحاد العتيد أن يكمّله الله في المسيح ليجمع السمائيين والأرضيين في نفسه باتحاد وألفة ومصالحة لحساب الله الآب.

فمطلوب من الكنيسة، أي منا نحن كشعب الله الخاص الشاهد الوحيد له في العالم بالروح القدس، أن نتأيد بالقوة بالروح القدس في إنساننا الباطن لنحصل على التأهيل الذي يؤهلنا لحلول المسيح بالإيمان في قلوبنا.

وإذ نمتلىء من الروح ومن المسيح نؤهَّل لمعرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة التي هي محبة الآب له التي فيها سر امتلاء المسيح بالله فنمتلىء إلى كل ملء الله، بحسب القوة الدائمة الفعّالة فينا.

وإذ نبلغ إلى هذا الملء يكون ذلك توطئة لأن يجمع المسيح في نفسه وبالتالي في كنيسته، أي نحن، وبواسطتها، كل ما في السموات وما على الأرض، ويقدّمه إلى الآب في صورة المصالحة النهائية. وبهذا يتم منتهى قصد الله من نحونا والخليقة كلها منذ الأزل!

«بسبب هذا»:

هنا يعود ق. بولس على ذي بدء لتكملة ما أراد أصلاً أن يشرحه، إذ قال في الآية الأُولى: «بسبب هذا أنا بولس أسير يسوع المسيح من أجلكم أيها الأمم»، ولكنه انشغل في أهمية الموهبة التي منحها له الله بالإنجيل خاصة، ولما أكمل ما في صدره عاد هنا يقول: «بسبب هذا»، وذلك إعادة للآية الأُولى، ثم كمّل بتقديم الصلاة:

«أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح»:

إحناء الرُّكب الآن هو الوضع المناسب للصلاة والعبادة في المسيحية وخاصة في كنيسة الله. وهو علامة الرهبة أمام وجه الله والتوقير الفائق لمجد جلاله المالىء السموات والأرض. وأخيراً هو علامة الخضوع الكلي والطاعة حتى التراب، كابن الله الذي أطاع حتى الموت ــ **تحت التراب** ــ لاسترضاء وجه الآب من نحونا. أمّا في العهد القديم فكان إحناء الركب نادراً جداً وكان محفوظاً للمواقف الكبيرة والخطيرة للدخول إلى الله والوقوف أمامه:

+ «وكان لـمّا انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب بكل هذه الصلاة والتضرُّع أنه نهض من أمام مذبح الرب **من الجثو على ركبتيه، ويداه مبسوطتان نحو السماء.**» (١مل٨: ٥٤)

أمّا استفانوس فمن هيبة السماء وهي مفتوحة أمامه والمسيح قائم عن يمين الله، وقبل أن يُسلِّم روحه، جثا على ركبتيه هكذا:

+ «فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل روحي، **ثم جثا على**

ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تُقِمْ لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقد.» (أع٧: ٥٩و٦٠)

أمّا بطرس الرسول فجثا على ركبتيه أمام هيبة الموت وأمام الذي يُقيم من الأموات:

+ «فأخرج بطرس الجميع خارجاً **وجثا على ركبتيه وصلّى،** ثم التفت إلى الجسد وقال يا طابيثا قومي. ففتحت عينيها، ولمّا أبصرت بطرس جلست.» (أع٩: ٤٠)

وبولس الرسول جثا على ركبتيه وهو في أشد لحظات تأثره أثناء توديعه الخدمة والمخدومين على أساس أنه لن يراهم بعد:

+ «ولمّا قال هذا **جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.** وكان بكاء عظيم من الجميع ...» (أع٢٠: ٣٦و٣٧)

وكذلك وهو أيضاً في مدينة صور، حينما كان يودِّع أهلها الذين خرجوا إليه يترجونه أن لا يذهب إلى أورشليم ليموت:

+ «ولكن لمّا استكملنا الأيام خرجنا ذاهبين وهم جميعاً يشيعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة. **فجثونا على ركبنا على الشاطىء وصلينا.**» (أع٢١: ٥)

وفوق هذا كله أمامنا المثال الأعظم من الرب يسوع وهو يصلّي ويجثو على ركبتيه ثلاث مرات ليبثَّ الآب طاعته الحزينة ويستلم من يده كأس الموت:

+ «ولمّا صار إلى المكان قال لهم صلُّوا لكي لا تدخلوا في تجربة، وانفصل عنهم نحو رمية حجر **وجثا على ركبتيه وصلّى** ...» (لو٢٢: ٤٠و٤١)

والجثو في الصلاة يشكِّل نوعاً من الإخلاص الشديد ويزيد الصلاة حرارة وصدقاً وتشبُّثاً بالله، كما يفيد الإلحاح في الرجاء بسماع الصلاة وقبولها، أو كما يقول ذهبي الفم: «إنها من القلب»(١٠).

«لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمَّى كل عشيرة " πατριά = أبوّة"(١١) في السموات وعلى الأرض»:

عوض أن يتجه مباشرة إلى الله كإله الكل، **التجأ التجاءً خاصاً ومدهشاً إلى «أبي ربنا**

10. Chrysostom, *op. cit.,* p. 81.
11. Sublinear Greek-English N.T.

يسوع المسيح»، مشيراً إلى أن ذلك هو على أساس الصلة السرِّية بين الآب والابن التي عادت على كل المؤمنين بالخلاص والحياة.

ثم توقَّف بعد ذلك عند **هذه الصلة** السرية الكائنة بين الآب والابن، ليضع فيها كل **الكائنات** بالنسبة للآب على مستوى ما هو بين الآب والابن!! أي لتصبح الكائنات **ذات علاقة مباشرة بالآب!!** وهنا محور سرِّ هذه الصلاة ومحور سرِّ غايتها الذي سينتهي إليه، ولذلك وجب أن ينتبه القارىء هنا أقصى الانتباه!! ولذلك سمَّى هذه الكائنات تسمية جديدة تصف علاقتها الجديدة هذه بالآب فسمَّاها عشيرة أو أسرة أو أُبوَّة حيث كل أسرة أو أُبوَّة مما في السماء والأرض أصبحت منتمية إلى الله كآب. وذلك كنتيجة مباشرة لكون الله صار أبا ربنا يسوع المسيح!! والذي يلزم هنا توضيحه في الترجمة هي كلمة "**تُسمَّى**".

«تُسمَّى»: ὀνομάζεται

أي تستمد اسمها أو كيانها على وجه الأصح[١٢]، فالمعنى هنا أن **كل أُبوَّة** في السماء وعلى الأرض تستمد كيانها الجديد من الله الآب **كأبوَّة** أو كأسرة في ذاتها.

والقصد واضح أن علاقتها الجديدة التي نالتها هذه الكائنات في السماء والأرض من الله ربطتها بالآب ربطاً كيانياً أي وجودياً، أي صارت موجودة وجوداً جديداً متصلاً بالآب، وفي ذات الوقت متحدة معاً اتحاد الأسرة الواحدة بالآب الواحد! فهنا تلميح واضح للوحدة النهائية.

لأن المعروف في التقليد اليهودي القديم أن إسرائيل كانت «عشيرة الله»، أسرة الله على الأرض، «بيت الله» حيث البيت يُكنى به عن العشيرة كلها، كما أن الملائكة في السماء كانت تُسمى أسرة الله التي فوق. فهنا ق. بولس يُدخل في العلاقة الأبوية الجديدة لله ــ كونه صار أبا ربنا يسوع المسيح ــ إسرائيل الجديد بكل ما يحوي من أمم العالم وعلى كل الأرض المحسوبة الأسرة الجديدة من الخراف الأُخَر.

ويقول العلاَّمة العتيق بلومفيلد (١٨٤١م)[١٣]، إن النسخة السريانية ــ البشيتو ــ توضِّح تماماً «المثنَّى» أي يقصد أسرة السماء وأسرة الأرض.

12. Westcott, *op. cit.*, p. 51.
13. Rev. S.T. Bloomfield, *op. cit.*, p. 310.

وفوق أن الآية تهدف إلى الوحدة المنتهية بالسمائيين والأرضيين في الآب، فإنها تُضفي على الآية السابقة (أف١ : ١٠) التي تقول إن قصد الله الأزلي أن يجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض، تضفي عليها المعنى الجديد، أنه إذ يجمعها الابن في نفسه مصالحة لحساب الآب يعود ويقدّمها للآب لتستمد منه كيانها ووجودها النهائي.

وهنا يهمنا للغاية هذا «التسليم النهائي» الذي يسلّم فيه الابن أسرة السمائيين وأسرة الأرضيين المتحدة بالمسيح والمصالَحين فيه إلى الآب، لأن ق. بولس سوف يستخدم هذا التسليم من الابن إلى الآب من نحونا في نهاية المطاف كغاية نهائية من صلاته هذه.

«لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن»:

ندخل هنا في قلب الصلاة والغاية منها، وهي أهم وأخطر من الصلاة السابقة التي قدّمها في الأصحاح الأول من أجل إعطاء روح الحكمة والإعلان في معرفة الله، واستنارة عيون أذهانهم لاكتشاف أسرار الميراث وأسرار عظمة قدرة الله الفائقة نحونا، وعمل شدة قوته الذي عمله في المسيح للقيامة من الأموات، وكيف أقامنا معه وأجلسنا معه في السموات.

ففي هذه الصلاة يرتفع ق. بولس فوق معرفة واستعلان الميراث ومعرفة قوى الفداء وعظمة الخلاص الذي تم وكمل بأن أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.

هنا يتحتم عليَّ كشارح أن أُظهر مباشرة ما يقصده ق. بولس من هذه الصلاة كغاية نهائية لها. وبعد ذلك أعود إلى الشرح بالتدريج للخطوات التي سار فيها ق. بولس لينتهي إلى هذه النهاية الخطيرة.

فغاية ما يتمناه ق. بولس فيما بعد الفداء والخلاص هو **«لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله»**.

«لكي يعطيكم بحسب غنى مجده»: κατὰ τὸ πλοῦτος τῆς δόξης

هنا نرى ق. بولس يتخطّى كل ما يخص اصطلاحات الفداء والخلاص والتبني والمصالحة، وينحّي جانباً التوسُّل من أجل أية موهبة أو نعمة أو عطية، بل يتجه مباشرة وبكل جرأة منقطعة النظير ليطلب من **«غِنَى مجد الله»**.

ومعروف أن **«مجد الله»** هو طبيعته!!

والقديس بولس يلتجىء إلى الفائض منه: **«غِنَى»** مجد الله، أي سخاؤه الفائض دائماً!!

والسؤال لماذا؟ لماذا يلتجىء بولس إلى غِنَى مجد الله؟ أي غِنَى طبيعته!!

والجواب: لأنه يطلب أن نمتلىء من غِنَى مجده «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله».
أمَّا الخطوة الأولى في سلّم المجد المطلوب فهي:

«أن تتأيَّدوا بالقوة بروحه»: δυνάμει κραταιωθῆναι

فمن أجل الصعود إلى هذه الدرجة التي يطلبها لنا ق. بولس، أي «نمتلىء إلى كل ملء الله»، يلزمنا في البداية أن نتشدد بصورة فائقة حيث تأتينا قوة التأييد من غِنَى مجد الله مباشرة! كالقول: «يعطيكم بحسب — κατά — غِنَى مجده أن تتأيَّدوا». فهنا الشدة والقوة والتأييد تأتينا بحسب، أو من واقع، غِنَى مجد الله، عن طريق روحه. لماذا؟ لأن المطلوب هو «أن نمتلىء إلى كل ملء الله» — طبيعةً وروحاً ومجداً — فالقوة المطلوبة هي من طبيعة النتيجة المطلوبة.

إذاً، فلينتبه القارىء، فبولس الرسول لا يطلب لنا مجرد قوة، ولا حتى قوة عظيمة، بل قوة بتأييد روحي عالٍ من غنى مجد الله. والسبب أنه لا يريد لنا مزيد معرفة بما نلناه ولا نعمة من نِعَم الفداء والخلاص، بل يريد لنا هنا — بعد أن نلنا كل نِعَم الخلاص — أن **نمتلىء إلى كل ملء الله** الذي هو مصدر كل النِعَم!! لقد أكملنا نعمة الله بالخلاص والآن ندخل لنمتلىء من صاحب النِعَم.

ويقول العالِم بروس عفوياً (لأنه فات عليه معرفة معنى ملء الله):

[إذاً، نحن قادمون إلى **إدراك طبيعة الله!!** وهذا يحتاج إلى أن **يمتد الذهن الروحي.** فالحاجة هنا إلى **قوة روحية فائقة إضافية،** هذا هو «أن تتأيَّدوا بالقوة بالروح».](١٤)

«في الإنسان الباطن»:

ويقول العالِم بروس أيضاً:

[إنه هو **الخليقة الجديدة المخلوقة بالروح القدس في الداخل للذين اتحدوا مع المسيح بالإيمان.** فهذا وحده هو الذي يستطيع أن يرتقع إلى مستوى فكر الله ويُسَرَّ بناموسه (رو٧: ٢٨) وهو الذي يتجدد كل يوم.](١٤)

والآن تصبح القضية أمامنا واضحة أكثر. فبولس الرسول يطلب لنا تأييداً وقوة من غِنَى مجد الله بالروح في الإنسان الجديد. والمعروف أن الإنسان الجديد هو أصلاً من عمل الروح القدس، وهو خليقته الجديدة، وهو بطبيعته في شركة مع الروح القدس، والروح القدس ساكن فيه، وهو حائز

14. Bruce, *op. cit.*, p. 326.

على قوة الروح القدس! **إذاً، فما هو سبب التأييد الجديد الإضافي؟؟** الآتي من غِنَى مجد الله نفسه ؟؟ حيث قوله «بروحه» يعني هنا روح الآب!! إذاً، فالقوة والتأييد الجديد الآتي من غِنَى مجد الله وبروح أُبوَّة الله هما **لعمل جديد لا يختص بنوال شيء من الروح القدس ذاته**، هذا منطقي. وهذا من شأنه أن يمهِّد بوضوح للطلب الخطير وهو **«لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله»!!**

كذلك يهمنا جداً أن ينتبه القارىء لماذا يضيف الله لنا تأييداً وقوة روحية أبوية من غِنَى مجده وبروحه الأبوي في إنساننا الجديد الذي نلناه بعد النتيجة النهائية للفداء والخلاص والمُصالحة والتبنِّي؟؟؟

الله هنا يطلب امتداداً وقوة وارتقاءً للإنسان الجديد نفسه ليرتقي بالخلاص الذي أخذه وكل النعم التي نالها، إلى المستوى الجديد الأعلى الذي يليق به لكي يدخل إلى الله الآب **ليمتلىء منه إلى كل ملئه!! لكي يبلغ منتهى قصده الأزلي بالحب لنا**، كما قال: «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة ... لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١ : ٤-٦)

ويقول العالِم وستكوت(*):

[حينئذ تكون الصلاة التي صلاَّها ق. بولس هي أن نحصل على هذا **التأثير الإلهي** لنبلغ به إلى قمة ينبوع الحياة وليس إلى مجرد أن نزداد أو ننمو في شيء من أمور هذه الحياة.](١٥)

١٧:٣ «ليحلَّ المسيحُ بالإيمانِ في قلوبِكُم».

هنا نرجو أن ينتبه القارىء. فقد سبق القول بوجود الإنسان الجديد في الداخل، وكما عرفنا هو الخليقة الجديدة، والخليقة الجديدة هي من لحم المسيح وعظامه، هي من جسده، هي قائمة في حالة شركة في المسيح! إذاً، فما معنى أن يطلب ق. بولس تأييداً بالقوة من لدن غِنى مجد الله الآب، لكي، لكي ماذا؟ لكي يحلَّ المسيح بالإيمان في القلب؟ فإن كان الإنسان الجديد هو جسد المسيح والحي بدم المسيح وروحه، فما معنى هنا أن **يحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم؟** أليس هذا هو حلول «شخصي» ذاتي أي حلول الأقنوم الثاني؟

وهكذا تحتَّم من جهة اللياقة اللاهوتية أن يكون هذا الحلول للمسيح هو لحساب الآب للامتلاء إلى كل ملئه!!

(*) وأيضاً إلى هنا ولم يبلغ هذا العالم الكبير إلى قلب الرسالة ومفهوم «الملء إلى كل ملء الله» التي حيَّرت كل من تقدم لشرحها.

15. Westcott, *op. cit.*, p. 51.

أمَّا قوله «بالإيمان» فهذا هو الطلب الوحيد المطلوب منَّا لكي يتم لنا وفينا كل هذا، ليكمِّل فينا الله الآب مسرته الأزلية حتى نبلغ إلى منتهى قصده!!

١٨:٣ **«وأنتم متأصِّلُونَ ومتأسِّسُونَ في المحبةِ، حتى تستطِيعُوا أن تُدرِكوا مع جميع القدِّيسينَ ما هو العرضُ والطولُ والعمقُ والعُلُوُّ».**

هنا إضافة جديدة لازمة وحتمية تكون من عملنا نحن، حتى على أساسها تتم نقلة جديدة ضرورية لكي نبلغ بعدها إلى الدخول في إمكانية أن **نمتلىء إلى كل ملء الآب**.

كلمة «**متأصلون**»: ἐρριζωμένοι

تأتي من الجذر ῥίζα. فهي، كفعل، تكون «متجذِّرون» أي ضاربون جذوركم إلى العمق، وذلك في معنى المحبة.

كذلك كلمة «**متأسسون**»: τεθεμελιωμένοι

تأتي من كلمة θεμέλιον التي معناها الآن «الأساس الخرساني» «البيمِلّ»، بمعنى صلابة القاعدة التي نبني عليها حياتنا بالمحبة.

كل هذا يقوله ق. بولس بنوع من التشديد لينطلق بمثل هذه المحبة التي عليها نعيش وبها ننمو إلى حالة «**قوة**» التي جعلها بمفهوم «تستطيعوا» = وهي حرفياً «حتى تكون لديكم القوة الكافية»[١٦] ἐξισχύσητε حيث ἰσχύς تعني «قوة مطلقة»[١٦].

«أن تُدركوا»: καταλαβέσθαι

وواضح هنا أن اقتران المحبة بالقوة الكافية مطلوبة لحساب الذهن الروحي لينفتح بالوعي المناسب لإدراك نوع من المحبة فائق جداً على المستوى العادي الذي تعوَّدنا أن نُدركه ونتأمل فيه. مثلاً، كمحبة المسيح لنا في بذله وموته على الصليب من أجلنا؛ لأننا نحن داخلون الآن على محبة المسيح الفائقة المعرفة في ذاتها وليس من أجل أحد!!

«مع جميع القديسين»:

نحن قادمون على استعلان «**جماعي**». لذلك فهو يحتاج إلى اتحاد جماعي في الحب وهو في شدة قوته، وإلى المعرفة معاً وهي في شدة انفتاحها، لأنه سيضفي على الجماعة أي الكنيسة نقلتها الأخيرة

16. Westcott, *op. cit.*, p. 52.

لتدخل إلى **ملء الله الآب**. لهذا لزم الحب كأساس راسخ متجذِّر ومن الجميع حتى يتحمل هذا الوزن العالي جداً من الإجراء الذي به يمتلىء إلى « **كل ملء الآب** » !!

«ما هو العرض والطول والعمق والعلو»:

هنا القصور في التعبير الذي يبلغ إلى أقصى حالات التعبير. فالقديس بولس أراد أن يتجاوز ـــ في الإدراك ـــ كل ما هو أرضي وكل ما هو سماوي وكل ما هو موجود كائناً ما كان!! فبعد ما أعطى ثلاثة أبعاد تضم كل ما هو كائن وموجود، أعطى بُعداً رابعاً ليتجاوز كل ما هو كائن وموجود! لأن بثلاثة أبعاد يُقاس كل شيء، فإذا دخل البُعد الرابع خرجنا عن كل ما هو كائن ودخلنا إلى ما هو فوق الطبيعة.

فالأربعة الأبعاد أراد بها ق. بولس كل ما هو فائق على المعرفة والقياس. وذلك ليدخل بهذا الإدراك المتسامي، إلى معرفة المسيح الفائقة المعرفة! فالطول والعرض والعمق هو ما يختص بالمادة والأرض أمَّا العلو فهو ما يختص بأمور السماء.

١٩:٣ «وتَعرِفُوا محبةَ المسيح الفائقةَ المعرفةِ لكي تَمْتَلِئوا إلى كلِّ ملءِ الله».

لاحظ أيها القارىء السعيد، أنه لكي يبلغ ق. بولس بنا إلى هذه المعرفة الفائقة المعرفة، مهَّد لنا بطلبة تأييد القوة من غِنَى مجد الله وروحه في الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله، وبحلول المسيح في القلب الذي فيه ملء اللاهوت جسدياً، والحائز على كل كنوز الحكمة والعِلم، ونحن مملوؤون فيه أصلاً. ثم على أساس راسخ ومتجذِّر من المحبة وفي شركة مع القديسين وبلوغ إدراك ما فوق المعرفة القائمة على القياس.

إذاً، فالمعرفة التي لنا هنا حاصلة على إدراك «المحبة» الإلهية **"في ذاتها"**، دون أي قياس أو نسبة. فلا هي محبة المسيح لنا ولا هي محبتنا للمسيح ولا هي محبة الله للعالم، ولكنها المحبة الإلهية **في ذاتها**(١٧) التي في المسيح. وهي السر القائم بين الآب والابن. وهي المجد الواحد المتصل.

(١٧) لاحظ أن هذه المعرفة التي هي بالفعل فائقة المعرفة، والقادرة أن تعرف المحبة الإلهية في ذاتها، هي ليست غريبة عن طبيعة الإنسان الجديد فينا الذي سيحيا، فوق، في مواجهة الله والمسيح. إذ يقول القديس يوحنا: «ولكننا نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (أي سنراه في ذاته) (١ يو٣: ٢). هذه هي المعرفة الفائقة المعرفة. فإذا تركَّزت في محبة المسيح ارتفعت في إدراكها إلى مستوى طبيعتها الإلهية في ذاتها. وهذا يستحيل الوصول إليه إلا بذات المحبة الإلهية. إذ يستحيل إدراك الحق إلا بالحق، ولا إدراك النور الإلهي إلا بالنور الإلهي: «بنورك (يا رب) نرى النور» (مز٣٦: ٩). إذاً، هنا إدراك الله في ذاته، وهذا هو عين «ملء الله». فبمعرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة نكون قد أدركنا ملء الله أو «امتلأنا إلى كل ملء الله».

وهي الطبيعة الواحدة ملء الآب والابن. وهي التي خُزناها بحلول المسيح وتأييد الروح فينا.

«**لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**»: ἵνα πληρωθῆτε εἰς πᾶν τὸ πλήρωμα τοῦ θεοῦ

ويهمنا للغاية كلمة «**لكي**» ἵνα

فكل ما تقدَّم من عناصر ينتهي عند «**لكي**»:

(أ) **أحني ركبتيَّ** لدى أبي ربنا يسوع المسيح،

(ب) الذي منه تُسمَّى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض،

١ - **لكي يعطيكم** بحسب غِنَى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن،

٢ - **ليحلَّ** المسيح بالإيمان في قلوبكم،

(ج) **وأنتم متأصلون** ومتأسسون في المحبة.

١ - **حتى تستطيعوا** أن تُدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو،

٢ - **وتعرفوا** محبة المسيح الفائقة المعرفة،

(د) «**لكي**» تمتلئوا إلى كل ملء الله!

وأعتقد أن القارىء لاحَظ أننا، ونحن عند أول هذا المسلسل الصاعد، قد نبَّهنا إلى هذه الغاية والنهاية التي نحن صاعدون إليها بكل تأنٍّ وثقة وتأكيد.

وواضح إذاً أن الصلاة: مقدَّمة إلى أُبوَّة الله، لأننا بالنهاية نقف عند ملئها الأبوي،
ومقدَّمة إلى غِنَى مجد الله، لأننا بالنهاية ننتهي إلى ملء هذه الأُبوَّة!!

كذلك فالصلاة جمعت **الروح القدس** بالقوة والتأييد، **والمسيح** بالحلول في القلب بالإيمان، لأنها هادفة إلى التكميل **بالآب** ليكمِّل عمل الثالوث فينا.

وعمل الثالوث فينا: **الروح في الإنسان الجديد، والمسيح في القلب، والله الآب لملء الكيان.**

وواضح أن المسيح (وهو فيه ملء اللاهوت جسدياً)، ونحن مملوؤون فيه، إذا حلَّ في القلب، فإنه يهيئنا بالدرجة الأُولى لملء الآب. لذلك يلزم أن ينتبه القارىء إلى كلمة «**كل**» = πᾶς : «لكي تمتلئوا **إلى كل** ملء الله». فهي توحي وتُشير بتلميح واضح إلى أنه سبقها ملء جزئي، الذي هو ملء **الروح**، وملء **المسيح**، وهكذا ومن هذين الملئيْن امتد الملء ليصير «**إلى كل ملء الله**».

فإذا أضفنا «كل» إلى حرف «**إلى**» = εἰς الذي جاء قبلها فصارت «**إلى كل**»،

وَضَحَت منها عملية التدرُّج التي سبقت «... ملء الله»؛ **من ملء الروح، إلى ملء** المسيح، **إلى كل ملء** الله.

وما معنى هذا؟ هل صرنا آلهة؟ حاشا، أو هل صرنا بمساواة الله؟ وأيضاً حاشا، لكن هذا وبالحرف الواحد الذي طلبه لنا المسيح نفسه: «ليكون **الجميع** واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك **ليكونوا هم أيضاً واحداً "فينا."**» (يو١٧: ٢١)

والمعنى واضح، فالمسيح احتوانا فصرنا فيه، وهو، في نفس الوقت، في الآب ــ وذلك تأميناً كليًّا أبديًّا لكياننا. فلم نَعُد قادرين أن نسقط منه كآدم. إذ صرنا بكل ملئنا في كل ملء الله.

فالمعنى ولو أنه لاهوتي، إذ يعني أننا صرنا مشمولين بكل ملء قوة اللاهوت، إلاَّ أنه أخلاقي بالدرجة الأُولى. بمعنى أن ذلك صار لنا ضماناً أكيداً كليًّا ومطلقاً أننا لن ننحرف أو نسقط أو نخالف أو نسلِّم لهوى مشيئتنا أبداً. وتعليل ذلك قائم من الوجهة اللاهوتية، إذ أن كياننا البشري قد انتقل فعلاً ليكون شريكاً في غِنَى مجد الله: والآيات في ذلك كثيرة وبلا حصر.

ولو أننا أجرينا مقارنة بين آخر ما تمَّ لنا من أعمال الفداء والخلاص، فإننا نجد أن ذلك العمل تكريمي بالدرجة القصوى وهو: «أجلسنا معه في السماويات» (أف٢: ٦)، أو «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب» (أف٢: ١٨)؛ أو «الذي به (أي بالمسيح) لنا جراءة وقدوم (إلى الآب) بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

وبهذا **تنتهي أعمال الخلاص بالتكريم**: الجلوس عن يمين الله **في المسيح**، أو الدخول إلى الآب **به**. ويكاد الوضع هنا ينطق أن المطلوب ليس فقط أن نجلس (**في المسيح**) عن يمين الآب، بل وأن نقف أمامه مباشرة كوظيفة وعمل دائمين. وليس فقط أن ندخل إليه بالمسيح بجراءة، بل وأن نبقى وندوم عنده ككيان قائم وثابت.

وهذا هو ما أراد بولس الرسول بهذه الصلاة أن يفتح وعينا ليخبرنا أن هذا هو بالفعل نصيبنا في قصد الله الأزلي من نحونا، وقد بدأ الأصحاح بكشف هذا القصد، بل والرسالة كلها كُتبت من أجل هذا القصد:

+ «**كما اختارنا فيه** قبل تأسيس العالم **لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.**» (أف١: ٤)
+ «**إذ سبق فعيَّننا للتبني** بيسوع المسيح **لنفسه** حسب مسرة مشيئته.» (أف١: ٥)

واضح جداً أن الله قصد منذ الأزل أن يرفع جُبلتنا لتأخذ شرف الوقوف أمامه كعمل ووظيفة أبدية، وصمَّم أن نكون أمامه على مستوى البنين أي كأبناء «لنفسه حسب مسرة مشيئته».

وها هو في هذه الآيات التي شرحناها قد بلغ بنا إلى حالة «ملء الله». وهذا يوضح أنه أراد أيضاً، في وقوفنا أمامه **كأبناء** وقديسين وبلا لوم في المحبة، أن يكون لنا **ملء أبوَّته** حتى لا نخجل منه ونحن وقوف أمامه نمدح مجد نعمته، فنهتف له من كل قلوبنا بالحق **يا أبَا الآب!!**

إذاً، فالآيات السالفة والنهاية التي انتهت إليها: **«لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله»، هي تكملة نصيبنا وحقنا في الله بعد مكاسب الفداء والخلاص.**

معنى هذا أن هذه النقلة هي متلازمة مع بلوغنا نهاية أعمال الفداء والخلاص، وكل ما ترتَّب عليهما. وبمعنى آخر، فإن المسيح بعد أن يكمِّل فينا ولنا كل أعماله وحتى امتلاءَنا منه شخصياً، ونحن في حالة صُلح وتَبَنٍّ وتقديس، **يسلِّمنا** للآب ليملأنا ملئاً من أبوّته لنصير مملوئين فيه إلى كل الملء، الذي هو **«ملء الله»**، الآب والابن والروح القدس.

ونحن نسمع صدى هذا التسليم ومعناه في قول المسيح في إنجيل يوحنا: «ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، **لأن الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني** ...» (يو١٦: ٢٦و٢٧)

هذه صورة واضحة لكيف يسلِّمنا المسيح للآب. هذا نفهمه من واقع الآية ٣:١٩ التي نحن بصددها حين يقول: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، "**لكي**" تمتلئوا إلى كل ملء الله».

فالذي يؤهِّلنا بالنهاية «إلى كل ملء الله»، هو تمام معرفتنا لمحبة المسيح الفائقة المعرفة، التي تُعتبر الخطوة الأخيرة لقبول **«كل ملء الله»**. وبذلك نفهم أنها تساويها، وذلك لأن محبة المسيح الفائقة المعرفة هي **محبة الآب للابن**(١٨)، وهي كلية ومطلقة، وتعادل طبيعة الآب أي طبيعة أبوّته، وهي فائقة المعرفة حقاً.

وهذا ما طلبه المسيح من الله الآب بالحرف الواحد: «وعرَّفتُهم اسمك، وسأعرِّفهم، ليكون فيهم **"الحب الذي أحببتني به" + "وأكون أنا فيهم"**.» (يو١٧: ٢٦)

---

(١٨) و «محبة الآب للابن» عبَّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى كولوسي بقوله: «لكي تتعزى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم لمعرفة سر الله الآب والمسيح.» (كو٢: ٢)

وهـذا مـا قـاله ق. بولس باختصار: «**ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم**، لتعرفوا محبة المسيح **الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**».

فقول إنجيل يوحنا بلسان المسيح نفسه: «ليكون فيهم **الحب الذي أحببتني به**»، **فهذه هي معرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة**، ولكن أن **يكون فيهم حب الآب**، نفس الحب الذي أحب به المسيح **فهذا هو الامتلاء إلى كل ملء الله** الذي كان في المسيح.

أي أننا إذا بلغنا معرفة محبة المسيح الفائقة المعرفة، نكون في الواقع قد بلغنا إلى معرفة طبيعة الآب أو طبيعة أبوّة الله، وبالتالي نمتلىء إلى كل ملئها. لأنه كما سبق وقلنا دائماً فإن معرفة الحق بالوعي المفتوح هي نفسها قبول أو اشتراك في الحق، كما نفهمها تماماً من قول المسيح: «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو٨: ٣٢)، بمعنى أننا إذا عرفنا الحق نكون قد قبلنا قوته وفعله ليمارس عمله فينا. كذلك هنا، **إذا عرفنا محبة المسيح الفائقة المعرفة، نكون في واقعنا قد امتلأنا أو بلغنا إلى الملء من هذه المحبة التي هي بعينها طبيعة الآب**، أي نكون قد بلغنا إلى كل ملء الآب. كما قال المسيح في إنجيل يوحنا تماماً: «**عرّفتُهم اسمك** وسأُعرّفهم = **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به.**» (يو١٧: ٢٦)

وعندما قال ق. بولس أن نمتلىء «**إلى كل ملء الله**»، فإن هذا يأتي بعد بلوغنا لتمام أعمال الفداء والخلاص. هذا يؤكده تسلسل التعليم الذي قدّمه بولس الرسول في هذه الرسالة: ففي الأصحاح الثاني يستوفي أعمال الفداء والخلاص أولاً: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلّصون. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ... لأنكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله.» (أف٢: ٥-٨)

ثم ننتقل إلى الأصحاح الثالث حيث يُكمّل ما بعد الفداء والخلاص، وهو إلى أن يبلغ «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله». وهذا بعينه الشرط الذي وضعه المسيح خفيًّا في قوله: «قدّسهم في حقك ... ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به **وأكون أنا فيهم.**» (يو١٧: ١٧و٢٦)

كذلك نود في نهاية شرح هذه الفقرة من الأصحاح الثالث (١٤-١٩) أن نوعّي القارىء ليأخذ حذره من الانحراف الذي انحرف إليه المفسّرون في تفسيرهم للآية: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله»، إذ تهرّبوا من مواجهة شرح «الامتلاء من **ملء الله**» الواضحة الصريحة بقولهم إنه امتلاء بالفضائل أو امتلاء بالمعرفة أو امتلاء بالمحبة، مع أن هذه المخارج لا تُعوِز القديس بولس. فإن كان يقصدها، فلماذا لم يقُلْها صراحةً؟ ولماذا يضعها واضحة قوية: «لكي تمتلئوا إلى كل

ملء الله»؟ كما سبق وقال إن المسيح يحلُّ فيه كل ملء اللاهوت جسديًّا، و «**أنتم مملوؤون فيه**» (كو٢: ٩و١٠)، قالها بكل جراءة.

ويقول أيضاً كما سيجيء في الأصحاح الرابع: «إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة **ابن الله**، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة **ملء المسيح**.» (أف٤: ١٣)

وأيضاً قالها في الأصحاح الأول فيما يخص الكنيسة كيف أنها هي «**ملء المسيح**»: «... للكنيسة التي **هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل**.» (أف١: ٢٢و٢٣)

ونحن نأسف ونتحسَّر لأن تهرُّب المفسرين من إظهار حقيقة أننا مدعوون من الله لكي نمتلىء «**إلى كل ملء الله**»، ضيَّع على كل الأجيال معرفة منتهى قصد الله الذي قصده من نحونا ــ قبل تأسيس العالم ــ في إعطائنا هذا الحق الذي به سنقف أمامه **قديسين، وبلا لوم، في المحبة، في حالة تَبَنٍّ لله خاصة** «لنفسه حسب مسرة مشيئته». «**مملوئين إلى كل ملء الله**»: أي حائزين على كيان ثابت في الله كخليقة جديدة غير قابلة للخروج من أمامه قط وإلى الأبد، لها وظيفة التسبيح لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، هاتفين بالمجد على الدوام يا أبَّا الآب!!

القديس بولس يعقِّب على ما انتهى إليه في هذه الآية (١٩)، مؤكداً ما يقوله وموثِّقاً القول بتأكيد يستمده من قدرة الله، ومن القوة التي أيَّدنا بها لتكميل قصد الله فينا:

حينما انتهى ق. بولس من طلبته التي طلب، جاثياً على ركبتيه، متوسِّلاً أن نبلغ هذه النهاية التي هي منتهى قصد الله من نحونا، بل والتي من أجلها تمَّ كتمهيد لها كلُّ ما عُمل من فداء وخلاص ومُصالحة، استراحت نفسه فيه، فبدأ يُعطي تمجيداً لله. ولكن شحنه بما يفيد القارىء والسامع أن لا يستكثر على نفسه ولا على الله أن يطلب أو يفتكر في أن **يمتلىء إلى كل ملء الله**، لأن هذا واقع في مرمى قدرة الله أن يفعل كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، لأنه سبق وأيَّدنا بقوة تعمل فينا لتكميل قصد الله فينا الذي قصده من نحونا قبل تأسيس العالم، هكذا:

٣: ٢٠ **«والقادِرُ أن يفعلَ فوقَ كلِّ شيءٍ أكثرَ جداً مِمَّا نطلُبُ أو نفتَكِرُ بحَسَبِ القوةِ التي تَعمَلُ فينا».**

ق. بولس أحسَّ فعلاً أن القارىء سيستكثر ما انتهى إليه في الآية السالفة وسيَدهَش له ويحاول أن يستعفي من أن يطلبه. فعاد في هذه الآية يؤكد للقارىء والسامع أن الله أراد ذلك وهو

فاعله، لأنه لا يعمل بحسب منطقنا أو بحسب ما يناسب عقولنا، بل هو يعمل بحسب قدرته أن يفعل كل شيء أكثر جداً مما يناسبنا فنطلبه؛ وأن فكره يفوق جداً أقصى ما يصل إليه تفكيرنا فنرتاح إليه.

فأعمال الله كلها من نحو الإنسان ــ منذ بدأ التجسُّد ومعه تنفيذ خطة الله لفداء الإنسان وخلاصه ــ ظهرت كلها على مستوى المعجزات، أو بتعبير أوضح، ظهرت على مستوى يعجز العقل عن أن يلاحقه ولا أقصى الخيال والتمنِّي أن يبلغه. **فالله الذي لم يستكثر أن يحل كل ملء اللاهوت في جسد الإنسان (المسيح يسوع)، كيف يستكثر أن يمتلىء الإنسان بكل ملء الله؟** بل إن الأول إنما تمَّ وحدث لكي يتمَّ الثاني ويكون.

فمنذ أن استودع الله قوته الخاصة بحلول الروح القدس في كيان الإنسان، والإنسان أصبح مستهدفاً لكل أعمال الله الفائقة انطلاقاً من هذه القوة التي استوطنته!

ولا يستغربنَّ الإنسان أن يعطي الله كل شيء حتى نفسه للإنسان، فقد سبق وقال مراراً إنه إنما يفعل ذلك حسب مسرة مشيئته، الأمر الذي يعني أنه إنما يفعل هذا لنا ليُسرَّ نفسه بنا ويُفرِّحها بفرحنا، فقد اختارنا لنفسه وصالحنا لنفسه وتبنَّانا لنفسه. ودبَّر لكي نقف **أمامه** ــ أي نكون أقرب وأميَز من كل درجات ملائكته القديسين وما هو أعلى منها. وأعطى لنا وظيفة التسبيح لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب جهاراً أمام كل خلائق السماء طُرًّا لكي يُخبَّر لدى كل السمائيين بحكمة الله المتنوِّعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا من جهة خلاصنا وما انتهى إليه هذا الخلاص العجيب.

ق. بولس عَرَف هذا وتيقَّن مما عرف، فانطلق يخبرنا بالخبر اليقين، لا كأنه يحكي لنا عن آخر بل يحكي عمَّا ناله هو وامتلأ به ملئاً. ولا ننسى أن ق. بولس يكتب الآن ولم يبقَ على انطلاقه إلاَّ أيام وربما ساعات. والشهيد دائماً يشهد بما يرى، ورؤيته هي لسماء مفتوحة، فهو الآن يُعلن عن آخر سر للإنجيل، أبقاه ليستودعه فينا كأثمن وديعةِ وَدَاعٍ!!

٣: ٢١ «لهُ المجدُ في الكنيسةِ في المسيحِ يسوعَ إلى جميعِ أجيالِ دَهْرِ الدُّهورِ. آمينَ».

لو يدقِّق القارىء يرى أن هذا التمجيد ــ الذُكصا ــ الختامي يحمل صدى الآية السابقة، فالله استودع مجده للإنسان حينما سمح للإنسان أن يمتلىء إلى كل ملء الله. هكذا يرى ق. بولس كيف صار الله ممجَّداً في الكنيسة في المسيح، لأن مجرد وجودها في الزمن وهي في ملء الله هو هو

التمجيد الأعلى لله على مدى كل الزمان وإلى نهاية الدهور.

وعلى القارىء الآن أن يراجع نفسه فيما فكَّر وقرَّر من جهة الآية (١٩): أي من جهة «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله». لأننا نراها هنا وقد ارتدَّت لتعمل لحساب الله مجداً مخلَّداً على الأرض في كنيسته عَبْر كل الأزمنة. لذلك إن تخاذل الإنسان وتنازل عن هذا الحق العالي والنصيب الإلهي، يكون كمن رفض أن يُعطي لله مجداً، أو بالحري يُعطي المجد لصاحبه.

بل وتبدو لنا الآية: «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» وكأنها تكليف، علينا أن نخضع له ونكمِّله لحساب الله، شهادةً له في العالم وفي عمق الزمن. لأنه حينما نمتلىء إلى كل ملء الله، فمن ملء الله الذي فينا نتكلَّم ونشهد ونعمل ونمجِّد الله في كل شيء، حيث تصبح الآية: «الله هو العامل فيكم أن تُريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في٢: ١٣)، تحصيل حاصل، بمعنى أن الله الذي فينا، يعمل ويشهد لنفسه، فمن ذا الذي يتمنَّع أن يكون الله فيه؟ أو يستكثر الإيمان الذي يقول: «المسيح فيكم رجاء المجد.» (كو١: ٢٧)

«في الكنيسة في المسيح يسوع»: ἐν τῇ ἐκκλησίᾳ καὶ ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ

الترجمة العربية أسقطت «و» καί بين الكنيسة والمسيح، لتجعلها «للكنيسة التي في المسيح». هذا صحيح، وقد أخذ به المفسرون مثل العالِم الألماني ماير؛ ولكن بعض المفسرين — ومنهم وستكوت — أخذ بالنص اليوناني. كذلك ذهبي الفم قال «في الكنيسة وفي المسيح». لأن مجد الله مُعلن في الكنيسة حقاً. ولكن يظل المسيح كابن الله مصدراً كاملاً بمفرده لتمجيد الله: «أنا مجَّدتُك على الأرض.» (يو١٧: ٤)

«إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين»:

εἰς πάσας τὰς γενεὰς τοῦ αἰῶνος τῶν αἰώνων· ἀμήν.

أي سيظل مجد الله يمتد ويزداد بامتداد الزمن — أي أفقياً، وبنمو الإنسان ونضوجه أي رأسياً.

فالأجيال: γενεάς تمثِّل الامتداد الرأسي.

والدهور: وصحتها «دهر الدهور» ومعناها الزمن المتكرر في أحقابه، يمثِّل الامتداد الأفقي.

وهذا يكشف مسئولية الإنسان عن الزمان، فكون الإنسان يمجِّد الله؛ هذا يغطِّي العلَّة من خلقته، ولكنه مكلَّف أن يورِّث التمجيد إلى جيل وراء جيل. وهكذا يغطِّي علة وجوده وبقائه ودوامه، وبالتالي يغطِّي علة بقاء الزمان. وهذا لأن من صميم خِلقة الإنسان أنه مخلوق للخلود،

كمطلع القداس الباسيلي باليونانية ما ترجمته: [يا الله العظيم الأبدي الذي خلق الإنسان على الخلود] (صلاة الصلح).

لذلك فتمجيد الله في كنيسته وفي المسيح إلى جميع أجيال دهر الدهور هو من صميم قصد الله في خلقة الإنسان وعلة طَرْحه في وسط عمق الزمن.

غير أن العالِم الألماني ماير يعتقد أن المعنى المقصود من «دهر الدهور» يتجاوز الزمن ليشمل أزمنة المسيَّا فيما بعد الزمن الحالي، على اعتبار أن الكنيسة ستبقى عاملة بتمجيد الله بعد الزمن. ولكن في رأينا أن هذا يُضعف من سمو العمل السمائي حينما يُستعلن المسيح، حيث سيصير تمجيد الله على مستويات أعلى مما هو معروف الآن.

الآن وقد قدَّم ق. بولس في الثلاثة الأصحاحات السالفة كل مقاصد الله من نحو الإنسان التي قصدها في نفسه قبل تأسيس العالم.

يبدأ هنا ليعطي صورة لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليكون حسب قصد الله.

الأصحاح الرابع

القاعدة ، النمو ، السلوك

(٤ : ١-٣٢)

١ - ٤ : ١-٦ القاعدة التي ترسو عليها الحياة المسيحية ، وسِمَتها الوحدة.

٢ - ٤ : ٧-١٦ نمو الإنسان المسيحي على معرفة استعلانية لغاية واحدة ثابتة ينتهي إليها.

٣ - ٤ : ١٧-٢٤ السلوك بحسب الإيمان المسيحي الذي يميِّز الإنسان المسيحي.

٤ - ٤ : ٢٥-٣٢ أساسيات السلوك المسيحي بحد ذاته.

مقدمة:

بعد أن قدَّم ق. بولس في الأصحاحات الثلاثة كل مقاصد الله من نحونا التي كانت منذ الأزل في فكر الله وقلبه:

أولاً: بحسب الأصحاح الأول: وهي:

(أ) اختيارنا في المسيح قبل تأسيس العالم **لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة**، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب كعمل خاص أو وظيفة دائمة.

(ب) ثم دعانا **للتبنِّي في المسيح لنفسه** حسب مسرةً مشيئته.

(ج) ثم خطة الفداء لغفران خطايانا بدمه حسب غِنَى نعمته.

(د) وكشف لنا سر مشيئته الخاصة، أن يجمع في نهاية الأزمنة كل شيء في المسيح، سواء ما في السموات أو ما على الأرض في المسيح.

(هـ) تعيين شعب إسرائيل لينال نصيبه في معرفة المسيَّا كأول شعب بعلامة الختان.

(و) طرح الإنجيل للأمم لكي ينالوا بالإيمان نصيبهم أيضاً بختم المعمودية.

(ز) إعلان الميراث العام للذين اقتنوا الإيمان لمدح مجد نعمته.

ثانياً: بحسب الأصحاح الثاني:

كيف نفَّذ الله مقاصده الأزلية بواسطة المسيح:

(أ) بسبب غِنَى الله في الرحمة، ومن أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن كنَّا أمواتاً بالخطية وبدون طلب منا، أحيانا مع المسيح ـــ وكنعمة نلنا الخلاص.

(ب) أقامنا من موتنا، بقيامة المسيح من الأموات،
وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع.

(ج) هذا سيُظهره الله في الدهور الآتية بطرق عديدة ليعلن عن غِنَى نعمته الفائق واللطف الذي عاملنا به في المسيح يسوع. لأنه مجاناً صنع هذا لنا، ولم يطلب منا إلاَّ الإيمان. وهذا الإيمان أيضاً هو عطية خالصة منه دون تدخُّل أي أعمال من جهتنا حتى يبطل أي افتخار. هذا الافتخار الذي تسبَّب في بطلان إيمان اليهود.

(د) أمَّا الأمم ـــ نحن ـــ فبعد أن كنا بلا إله في العالم، صرنا بدم المسيح أبناء الله.

(هـ) وبذلك صالح اليهود مع الأمم، وأبطل العداوة التي أنشأها الناموس، بأن أبطل الناموس وذلك على الصليب الذي صالح به اليهود والأمم.

(و) فصرنا، يهوداً وأمماً، إنساناً واحداً جديداً في المسيح، عاملاً صلاحاً، ورعية واحدة وأهل بيت الله.

(ز) وصار إيماننا المؤسَّس على الرسل والأنبياء والمسيح رأس الزاوية هيكلاً جديداً عِوَض هيكل أورشليم، ولكنه هيكل روحي مقدَّس في المسيح وصرنا بيتاً روحياً لله.

ثالثاً: بحسب الأصحاح الثالث:

بعد أن شرح ق. بولس كيف استأمنه الله على أسرار المسيح، كشف آخر سر من أسرار الإيمان بالمسيح فيما بعد أسرار الفداء والخلاص هكذا:

(أ) بحسب غِنَى مجد الله: نتأيَّد بالقوة بروحه في الإنسان الباطن،

(ب) ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا،

(ج) ونحن متأصلون ومتأسسون في المحبة ندرك مع جميع القديسين الأمور الفائقة للعقل،

(د) فنعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة. لكي:

(هـ) لكي نمتلىء إلى كل ملء الله.

لأن الله قادر أن يفعل كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر في هذا الأمر.

(و) وبحسب القوة التي تعمل فينا.

(ز) هكذا سيظل مجد الله قائماً بالكنيسة وبالمسيح في جميع الأجيال وإلى دهر الدهور.

الأصحاح الرابع:

هكذا يلتفت ق. بولس نحونا ويقول: فبماذا يا إخوة نكافىء الرب عن كل مقاصده نحونا وكل ما صنعه فينا وكل ما أعدَّه لنا؟

ثم ما هو السلوك الأمثل الذي يتناسب مع حياة الإيمان بالمسيح؟

[٤ : ١-٦]

١ - القاعدة التي ترسو عليها الحياة المسيحية، وسِمَتُها الوحدة

أ ــ الحياة المسيحية يلزم أن تتناسب مع الإيمان المسيحي (٤ : ١-٣)

٤ : ١ **«فأطلبُ إليكُم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تَسلُكوا كما يَحِقُّ للدَّعوةِ التي دُعيتُمْ بها».**

نلاحظ في رسائل بولس الرسول أنه إذا أعطى المجد لله = الذُكصا المنتهية بآمين، فإن هذا يعني أنه انتهى من الجزء الهام الذي يتكلَّم عنه ليبدأ جزءاً آخر.

وعلى وجه العموم فإن الجزء الذي ينتهي بالذُكصا، أي تمجيد الله، غالباً ما يكون عقائدياً على أعلى درجة من الأهمية، لذلك فإنه يعطي المجد لله حباً وكرامة وسروراً.

إذاً، فما تبقَّى من الرسالة بعد الأصحاح الثالث، فمن المنتظر بطبيعة الحال أن يكون تعقيباً على العقائد السالفة، وعن كيف نعطي المجد لله حقاً في حياتنا، ككنيسة وكأفراد (٣ : ٢١).

ويبتدىء هذا الجزء بعرض ق. بولس حاله كأسير في سلاسل، ولكنه في الرب حرٌّ لا يُقيَّد. وهو يعرض هذا المنظر على سامعيه، لا لكي يستعطفهم، بل ليعطي لهم عيِّنة من الإيمان المسيحي لرسول، كيف يدفع بسرور وبسهولة ثمن مناداته بالإيمان، ثم كيف لا تثنيه السلسلة التي رَبطت يديه من أن يكتب عن الحرية التي لنا في المسيح، مع افتخاره بأن يكون مسيحياً في قيود من أن يكون ملكاً بلا مسيح. ولكن، وفوق هذا، فإنه يعتقد أن ذكر قيوده لأحبائه كفيل بأن يُلهب قلوبهم ويرفع طاقة إذعانهم لمناداته ورجائه من نحوهم لحياة أفضل، وهذا حقٌّ نستشعره نحن أيضاً.

فإذا أضفنا ذكر قيوده، إلى صلواته التي يرفعها من أجلنا ــ [وبالأكثر وهو الآن في السماء في زمرة سحابة الشهود] ــ لأجل أن يعطينا الله الحكمة والإعلان وينير عيون أذهاننا، ويؤيدنا بقوة بروح الله الآب، متوسلاً إلى غِنَى مجد الله حتى نعرف أسرار ما تمَّ لنا ونعرف محبة المسيح الفائقة المعرفة ونمتلىء إلى كل ملء الله، نعم إذا ما جمعنا ذلك كله فإننا نعلم ونتيقن أننا بصدد رسالة

صادرة من الله حقاً، فيها سر حياتنا كله. والمطلوب أذنٌ تسمع، وقلب يتحرك، لنكون على مستوى هذا الصوت.

«فأطلب إليكم»: παρακαλῶ οὖν ὑμᾶς

كلمة «أطلب» لا تفي بالمعنى الذي تأتي به الكلمة اليونانية (باراكالو)، والتي تفيد «أرجوكم رجاءً حاراً»: (beg, beseech). ولكي نُدرك مدى جديَّة هذه الكلمة نقرأها في رسالة رومية في مطلع الأصحاح (١٢) إذ يضم إليها صوت الله مع صوته هكذا: «فأطلب (باراكالو) إليكم أيها الإخوة برأفة (الصحيح "برحمة الله" كما جاءت في العبرية "رحيم") الله ...»[1] (رو١٢: ١). ولماذا هكذا يترجَّى ويتوسَّل؟ لأن المسألة تخص منهج الحياة المسيحية برمَّته، وهو يعرِّفهم بأخص خصائص واجباتهم المفروضة عن التزام أدبي يعادل الحياة برمَّتها!!

«أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها»:

هنا المطلوب أن يرتفع السلوك ليطابق الدعوة، فالعقيدة المسيحية لها خصائص ينطق بها السلوك. فإن رأيت إنساناً يحب أعداءه ويتواضع لهم ويبذل نفسه من أجلهم، فاعلم أنه مسيحي. هذا هو سرُّ توسُّل بولس الرسول، لأنه سيسرد لهم أصول السلوك في الحياة المسيحية، فإذا قبلوا المنهج السلوكي صاروا بالفعل مستحقين لعظم الدعوة التي دُعُوا إليها.

« كما يحق للدعوة»: ἀξίως τῆς κλήσεως

فالدعوة لها منطق وواجب وأصول غاية في الكرامة والهيبة، لأن المدعو في المسيح يُستأمن في الحال على حَمل اسم المسيح والتكلُّم باسمه وعن شخصه، فأي سلوك هذا الذي يتناسب مع هيبة اسم المسيح وكرامة المناداة باسمه؟ هنا السلوك يتحتَّم أن يظهر وينطق أنه حقاً مستحق الاسم ἀξίως في كل تصرُّف، في كل كلام، في كل انفعال وفي كل فكر.

والقديس بولس يهتم جداً أن يكون السلوك على مستوى الوقوف أمام الله: «**ونُشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده**» (١تس٢: ١٢). فالسلوك يلزم أن يكون على مستوى الداعي وهو الله نفسه، ومستوى الدعوة وهي «**ملكوته ومجده**».

والقديس بولس سبق في الأصحاح الأول من هذه الرسالة وترجَّى الله وترجَّانا أننا بروح الحكمة والإعلان وباستنارة عيون أذهاننا نراجع أنفسنا في الدعوة التي إليها دعينا، وما هو الرجاء

(١) انظر كتاب: «شرح الرسالة إلى أهل رومية»، ص٥١٨.

العظيم الذي ينتظرها: «**مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ...**» (أف١:١٨)

نعم، فبسلوكنا نجاوب على حق الله علينا، لأن الله أفاض من مراحمه وعطاياه، ولا يطالبنا إلاَّ بسلوك يتناسب مع مراحمه وعطاياه. وق. بولس، دائماً أبداً، يرى أن واجبه هو أن يذكِّرنا بذلك بكافة الطرق:

+ «**لم نَزَلْ مُصلِّين وطالبين لأجلكم لكي تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كما يحق للرب** في كل رضى، مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله ...» (كو١: ٩و١٠)
+ «فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح.» (في١:٢٧)
+ «كما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه.» (كو٢:٦)

وإن كان ق. بولس لا يملُّ من وضع السلوك المسيحي في قائمة صلواته ودموعه، وفي كل رسالة له، بل في كل مرة يتكلَّم عن الإيمان المسيحي ومفاخره وعن مجد نعمة الله الفائقة التي صارت تلازم حياتنا، فهذا بسبب أن السلوك المسيحي هو كما هو ظاهر لنا الآن عالمياً أنه سر سقوط وقيام الدول والأفراد بل والعصور والعالم بالنهاية.

لذلك نرجو القارىء أن لا يمل من تكرار هذا التوسُّل والتركيز على خطورة الدعوة التي دُعينا إليها، لأنها وإن كانت مجاناً مائة بالمائة فسرُّ بقائها ودوامها هو السلوك. فبالسلوك ينكشف استحقاق الدعوة المجانية هذه من عدمه، ويتضح لكل عين إن كانت هذه الدعوة ستدوم لصاحبها وتثبُت أو أن ليس لها ما يسندها من أعمال وتصرُّف.

وهذه الآية الأُولى من هذا الأصحاح معروف تماماً أنها هي الرائد والدليل في حياة الإنسان المسيحي: السلوك يساوي الدعوة!!

٤:٢ «بكلِّ تواضُعٍ ووَداعَةٍ وبطُولِ أناةٍ مُحتَمِلينَ بعضُكم بَعضاً في المحبةِ».

[ما معنى أن يُسلك بكل تواضع؟ إن هذه الفضيلة هي الأساس لكل الفضائل الأخرى، كيف أسلك بكل تواضع؟ كُن متواضعاً أولاً ثم فكِّر بعد ذلك فيما صار لك من خلاص، ... فإذا تذكرت ذلك دائماً فهذا سيحرِّك فيك كل فضيلة، فإذا عرفت أن كل ما صار لك هو من عمل النعمة، حينئذ تزداد اتضاعاً وتفكِّر في قول ق. بولس: «أنا تعبت أكثر

منهم جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (١ كو١٥: ١٠)، «بكل تواضع» ليس **بالكلام** ولا **بالعمل** فقط ولكن في كل **علاقة** بل وفي نبرة صوتك أيضاً.

ليس متواضعاً تجاه واحد وجافياً مع آخر، ولكن كن متواضعاً مع الجميع، صديقاً كان أو عدواً، كبيراً كان أو صغيراً. هذا هو التواضع.

حتى وفي أوج نجاحك كن متواضعاً واسمع لقول المسيح: «طوبى للمساكين بالروح» (مت٥: ٣)، جاعلاً هذه الفضيلة أعلى قائمة الفضائل جميعاً! ...].

ق. يوحنا ذهبي الفم
في شرح الرسالة في نفس الموضع صفحة ٩٦

«بكل تواضع»: μετὰ πάσης ταπεινοφροσύνης

هذه الكلمة باللغة اليونانية لم تُعرف قط كفضيلة قبل المسيح[٢]!! المسيح هو أول من أدخلها كعنصر فضيلة أساسي في حياة الإنسان الذي أضناه كبرياؤه وأشقاه، وأحطَّ من خلقته وأخلاقه. وحينما أدخل المسيح التواضع كفضيلة كلَّفته هو أولاً حياته ووضعها تحت التراب!!

+ «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان **وضع نفسه** وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في٢: ٦-٨)

والتواضع في الحياة المسيحية فضيلة لا يمكن أن يحل بدلاً منها فضيلة أخرى حتى ولا عشرة فضائل معاً توازنها، وهي وحدها شهادة عبور على مستوى الصليب: «كيف كنت معكم **كل الزمان،** أخدم الرب **بكل تواضع** ودموع كثيرة وبتجارب أصابتني بمكايد اليهود» (أع٢٠: ١٩). هكذا سلك ق. بولس وسار على آثار خُطَى معلمه مُترسِّماً مَنْ جعل التواضع يحل محل اللاهوتية: «أخلى نفسه ... ووضع نفسه وأطاع حتى الموت.» (في٢: ٧و٨)

ولكن هنا مشكلة نفسانية خطيرة يلزم أن نوضِّحها ونشرحها. فالمسيح بالرغم من أنه باليقين الفكري والروحي أعظم مَثَل للتواضع ظهر على وجه الأرض، لأنه كما قلنا لم يتنازل عن مركز مرموق أو لقب سيادة أو كرامة ولكنه أخلى نفسه من **صورة الله ومجد لاهوته** ليستبدل بها **صورة**

2. T.K. Abbott, *op. cit.*, p. 105.

عبد وطاعة حتى الموت؛ ولكن لم نَرَهُ قط يتواضع أمام مُناظريه من كتبة وفريسيين، ولا حَسِبَ نفسه أصغر من أحد قط. فالتواضع لا يكون بالنسبة للآخرين ولكن التواضع هو شعور يقيني داخلي بما هو للإنسان. فالمتواضع يشعر بتواضعه الشخصي الذاتي بكل اقتناع ورضى. لذلك إن وضعته في وسط العظماء يبقى متواضعاً كما هو، وإذا دعوته ليجلس مع الصعاليك فهو هو المتواضع الصادق في ذاته، إن رَفَعته بالأوسمة والرتب والألقاب والدرجات فهو المتواضع نفسه، لا يُزيد عليه كل ما أُضيف إليه عظمة أو كبرياءً أو اعتداداً ولا قيد أنملة. وإن جرَّدته من كل ما له، ألقاباً واسماً ومركزاً ودرجة، وسوَّيت به التراب، فهو هو المتواضع في ذاته وعلى مستوى التراب. لا يشتكي كأنه قد أُخذ منه شيء ولا يحقد كأن أحداً جرَّده من شيء. فهو هو كما كان، باقٍ على اتضاعه لأن اتضاعه هو حقيقة ذاته.

ولكن أعظم صفة في اتضاع المتواضع، أنه لا يرضى أبداً عن اتضاعه بل دائماً يطلب المزيد، واتضاعه لا يبقى مترسباً كظبقة ميتة في قاع شخصيته، بل اتضاعه فائر ثائر يزداد بازدياد نمو صاحبه في الفهم والمعرفة والعلم والإدراك. فكلما ارتقى درجة، ارتقى اتضاعه معه ربما درجتين، لماذا؟ لأن المتواضع دائماً يقيس نفسه على الأمثلة التي يتعلَّم عليها ويتشبَّه بها ويرنو إلى سُمُّوها. فكلما ثبَّت نظره على قديس أو رسول أو نبي أو أب من الآباء حاز تكريم الله أو نال رضاه، ارتدَّ نظره إلى نفسه ليقيس نفسه على مثله الأعلى وعلى مستوى قياس الله لمستويات أولاده، والنتيجة دائماً أن يقلل من نظرته لذاته فتأخذ مستوى أكثر في الاتضاع. وذلك يكون لحساب النمو في المعرفة والازدياد في الصلاح الذي يعود بالتالي إلى ازدياد في الاتضاع.

وهكذا، فقانون الاتضاع الحقيقي أنه يزداد بازدياد المعرفة الصحيحة وإدراك الحق والتشبُّه بالقديسين والمُثُل العليا التي أرضت الله بحياتها.

وعلى هذا القياس فإن القول بأن التواضع هو أن يشعر الإنسان بأنه أصغر وأحقر من الآخرين، ففي هذه مغالطة صريحة وخطيرة، لأن هذا الاتضاع لن يكون صادقاً أبداً. فيستحيل على إنسان أن يشعر بتفوقه في المعرفة الروحية وإدراكه لحق المسيح والإنجيل ثم يشعر بأنه أقل من الجهلة والخطاة، وإن قال ذلك فهو يغش نفسه قبل أن يغش الآخرين. فالقديس بولس بالرغم من قوله بخصوص معرفة الإنجيل والمسيح إنه «لستُ أقل من فائقي الرسل» (٢كو١١: ٥)، غير أنه كان أكثرهم اتضاعاً بلا شك. فليس من **الحق** أن نقول إننا أقل علماً أو معرفة بالحق من الذين لا علم لهم ولا حق!! ولكن يبقى أن الذي يكون متفوقاً في معرفته وعلمه وروحياته ثم يُعامَل بأقل مما يُعامَل به

الأقل منه في المعرفة والعلم فيرضى شاكراً، فهذا متضع الفكر والقلب بالحق. لماذا؟ لأنه قانع باتضاعه في قلبه ولا يطمح في مزيد يضاف إليه.

ولكن الاتضاع ليس للمتفوقين وحسب، بل هذا يعطي مثلاً متفوقاً يكون سرُّه الحقيقي هو الإيمان الصحيح وتعظيم الدعوة التي دُعي إليها وهو في غير استحقاق لها.

أما الاتضاع للفقراء والمساكين والضعاف والمنسحقين فهو تاج يشتهيه الملوك ولكن لا يقوون على لبسه لأنه منسوج بالحرمان والشكر، ذهب حقيقي مع فضة خالصة، سداته مع لُحمته!! ويبقى المسيح مثلنا الأعلى لمعرفة الاتضاع الحقيقي والوداعة أيضاً ومن كل القلب، فهو يقول صراحة: «تعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت١١: ٢٩)، وهو هو «المُذَّخَر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم.» (كو٢: ٣)

وعكس التواضع هو الكبرياء ويكشفه الاعتداد بالذات. فبينما المتواضع إنسان يتَّكل على الله بكل إيمانه وثقته ورجائه ويرجع إليه دائماً أبداً طالباً العون وشاكراً على كل حال، نجد المعتدّ بذاته يتكل على ذراع نفسه ويستند على ما له وشهرته والآخرين.

«ووداعة»: πραΰτητος

تأتي الوداعة كفضيلة تابعة دائماً للتواضع، والسبب أنها تنبع منه فعلاً فكل متواضع وديع.

فإن كان التواضع هو فضيلة الداخل في العمق التي يقيِّمها صاحبها عن صحة وعن دقة، فليس المتواضع مَنْ يقول الناس عنه أنه متواضع، ولكن المتواضع هو الذي تشهد له حياته كلها عملاً وقولاً وسلوكاً. وهذا إنما يشهد للمسيح بتواضعه. أمَّا الوداعة فهي فضيلة تنكشف بالتعامل مع الناس والله. وتتثبَّت ويُشهد لها حينما تستظهر على الظلم بالرضى، وعلى الذم بالشكر، وعلى التهديد بالمسالمة، لا تستثقل السخرة فهي صاحبة الميل الثاني والخد الآخر، تذعن للطرد بلا تردد أو مقاومة، والحرمان بالحمد والشكر معاً. إن أعطيت القيادة فهي أقدر ما تكون على تحمُّل المخالفة والتغاضي عن العصيان والتمرُّد والصفح عن المسيء مرة ومرات ومرات بلا عدد، تعالج المقاومة بالتوسُّل وتحتمل ثقل المعوقين، وتتأنى على المتعوقين، تسترضي قلب الغضوب وتتودَّد لمن يُهدِّد، تفتح ذراعيها لمن يعطيها ظهره وتسعى خلف الهارب من وجهها، تطيل أناتها على اليائس ولا تيأس أبداً.

وإذا جدَّ الجد فهي ترفع العصا ولكنها تستحسن المحبة دائماً: «ماذا تريدون أبعصا آتي إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة» (١كو٤: ٢١). وقد تخلط العصا بالوداعة: «مؤدباً بالوداعة المقاومين

عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته» (٢تي٢: ٢٥و٢٦). وحينما أراد الله أن يقود أعتى شعوب الأرض وأكثرهم غلظة رقبة وقلب وكانت شهرته الغباء والعناد معاً، اختار لهم موسى: «وأمَّا الرجل موسى فكان حليماً — (وديعاً) — جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد١٢: ٣)، فقادهم أربعين سنة حتى أوصلهم أرض الميعاد. وليس جزافاً أن يُقال إن موسى كان **وديعاً** وأن يقول المسيح تعلموا مني لأني **وديع**.

«وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة»:

«طول أناة»: μακροθυμίας

والكلمة اليونانية من مقطعين: -μακρο وهي تفيد «الكبر» أو «الطول»، θυμός وتعني «النَفْس» أو «النَفَسْ» Soul, Breath. فهي مترجمة حرفياً إلى «طويل الروح» أو «طويل النَفَسْ» كناية عن الصبر والاحتمال معاً، وهي الفضيلة الثالثة بعد الاتضاع والوداعة، فهي ثالوث الفضائل المسيحية ذات الاهتمام الكبير في تقنين السلوك المسيحي. وتُعتبر فضيلة طول الأناة أهم صفة يتصف بها المدبِّر أو المعلِّم أو المربي أو الرئيس المسئول عن آخرين، والصفة العظمى في توثيق العلاقات مع المشاغبين أو الضعفاء أو المعوَّقين وكَسْبهم للخلاص.

فإذا تُوِّجت فضيلة طول الأناة بالمحبة تضاعفت قدرتها عدة مرات للتعامل مع المشاكس والمشاغب والشرير وتجد مدخلاً سهلاً للمعاند والخبيث والعدواني. وهي ذات صلة وثيقة بالوداعة والاتضاع، فغالباً ما يكون المتواضع والوديع طويل الأناة، لأن كلاً من التواضع والوداعة ينبع من نفس طيِّبة مُهَيَّئة لطول الأناة ولو بالمران.

والقديس يعقوب يعطي الأنبياء الذين تألموا وتعذبوا واحتملوا الضيقات بالصبر مثالاً يُحتذى به في المسيحية: «خذوا يا إخوتي مثالاً لاحتمال المشقات κακοπαθείας **والأناة** (طول الأناة) μακροθυμίας الأنبياء الذين تكلَّموا باسم الرب. ها نحن نطوِّب الصابرين ὑπομείναντας ...» (يع٥: ١٠و١١)

وطويل الأناة غالباً ما يكون بطيء الغضب وهي صفة نادرة من صفات الله:

+ «أم تستهين بغِنَى لطفه وإمهاله (احتماله) ἀνοχῆς **وطول أناته** ...» (رو٢: ٤)

ويُعتبر طول الأناة أنه ثمرة من ثمار الروح القدس:

+ «أمَّا ثمر الروح فهو محبة فرح سلام **طول أناة** لطف صلاح إيمان.» (غل٥: ٢٢)

«محتملين بعضكم بعضاً في المحبة»: ἀνεχόμενοι ἀλλήλων

+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً **وتواضعاً ووداعة وطول أناة محتملين بعضكم بعضاً** ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى **كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً.**» (كو3: 12و13)

هذه الآية تجمع كل الصفات ذات الاهتمام البالغ في السلوك بالنسبة لحياة المسيحي. وهنا ق. بولس يضع السلوك في مطابقة مع الدعوة التي دُعينا إليها، التي فيها التسامح والغفران من جهة خطايانا كلَّف المسيح سَفْك دمه، فماذا يمكن أن يكون سلوكنا في التسامح والمغفرة من جهة خطايا وأخطاء الآخرين؟

«"محتملين" بعضكم بعضاً في المحبة»:

الاحتمال هو الفضيلة الرابعة في الآية (2). وهو من الصفات الراقية والخطيرة التي يتصف بها الله والتي عن طريقها صرنا إلى ما نحن فيه، لأنه لولا احتمال الله لخطايانا وعقوقنا لَفَنَيْنا: «أم تستهين بغِنَى لطفه **وإمهاله (احتماله)** وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة.» (رو2: 4)

وفي الحقيقة إن الاحتمال هو فعل مباشر من أفعال طول الأناة. والذي يحتمل لا يجازي عن الخطأ أو الإهانة أو أكل الحقوق أو الذم أو سلب الكرامة أو المال. وبدون الاحتمال في المعاملات لا يكون وفاق ولا سلام ولا هدوء ولا رضى ولا شكر ولا محبة.

وكما تقول الآية، فإن احتمال الإنسان للآخرين يستحيل أن يكمَّل بدون المحبة، لأن المحبة تجعل الاحتمال وكأنه ربح بالرغم من كل خسارة، فلا تحسب للآخرين عيوبهم ولا تعدُّ عليهم تعدياتهم وتزيد من قدرة الاحتمال، حتى يبلغ المستحيل الذي يأتي بالنتيجة الإيجابية قسراً. فالعدو لا يقوى على مجابهة ذوي الاحتمال حتى النهاية.

4: 3 «مُجتهِدينَ أن تحفَظوا وَحدَانيَّةَ الرُّوحِ بِرِباطِ السَّلامِ».

«مجتهدين»: σπουδάζοντες

الترجمة العربية معبِّرة تعبيراً صحيحاً، فهي بالإنجليزية: giving all diligence، أي «اجتهاد ومثابرة»، ولكن الكلمة تعني أيضاً «همَّة وغيرة»: earnest وهي واردة حتماً في اعتبار ق. بولس.

يُلاحِظ القارىء أن القديس بولس بعد أن أعطى منهج السلوك الذي نلمح منه أنه يهدف نحو شيء معيَّن: تواضع، وداعة، طول أناة، احتمال! فإن الهدف المباشر الذي يركِّز عليه هو **«الوحدة»**. ونحن لو راجعنا الأهداف العريضة التي جاءت في الأصحاح الأول، نجد أن من أهم العناصر التي ركَّز عليها ق. بولس في مقاصد الله الأزلية قبل تأسيس العالم هي الوحدة. فبعد أن أفصح عن المقصد الأول وهو الاختيار في المسيح، والمقصد الثاني وهو التبنِّي لله، والمقصد الثالث وهو الفداء وغفران الخطايا، نجده يدخل مباشرة إلى الوحدة كأهم مقاصد الله والتي تُعتبر النتيجة أو الهدف من الاختيار والتبنِّي والفداء ومغفرة الخطايا، وقد اعتبرها أحد الأسرار المكتومة والتي أعلنها للرسل ـــ و بولس ـــ بنوع من الخصوصية:

+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء** في المسيح، ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف ١: ٩و١٠)

ثم كرَّس ق. بولس معظم الأصحاح الثاني ليوضح تدبير الله الخاص والهام في جمع شمل الأمم على اليهود، والذي مهَّد له بالفداء والغفران والقيامة من الأموات لكل من اليهود والأمم. ثم أوضح أن وظيفة الصليب حملت ضمن ما حملت تحطيم الحاجز المتوسط (في الهيكل) الذي كان يمثل العداوة بين اليهود والأمم: «ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به» (أف ٢: ١٦). فكان تصالح اليهود بالأمم بواسطة الصليب، وهو ما كلَّف الآب بذل ابنه وكلَّف الابن تسليم جسده للذبح وحياته للموت. و بذلك فقد صارت الوحدة محور الدعوة التي إليها دُعينا، لأنها في مقاصد الله موضوعة في الدرجة الأولى، حتى إنه لا يمكننا أن نُدعى مسيحيين أو من خاصة الله إلاَّ إذا عبرنا جميعاً في مأزق الموت الواحد لا محالة وهي المعمودية، ومنها نخرج متحدين معاً كإنسان واحد جديد إلزاماً والتزاماً. فنحن نتحد راضين ومُجبَرين في جسد واحد بإيمان واحد ومعمودية واحدة وروح واحد!!

إذاً، فتوسُّل ق. بولس لكي نحفظ الوحدانية الواحدة للروح التي إليها دُعينا، هو تحصيل حاصل، فالوحدة قائمة ومغروسة في دمنا ولحمنا وفكرنا وروحنا في الموت وفي الحياة لا مناص!!

والآن هو يستحثنا أن تكون الوحدة مذكورة في فكرنا وقلبنا، وداخلة ضمن منهجنا وسلوكنا بكل اجتهاد، بل بكل غيرة وهمة ونشاط، لا كأننا أحرار في ذلك بل عن التزام وضغط من الروح الذي يُقلقنا والمسيح الذي يمد يديه المثقوبتين ويقول: انظروا كم كلفتني وحدتكم؟ والآن ربما يكون القارىء قد فهم قول ق. بولس: «أطلب إليكم ... **أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها**».

ويقيناً لو كانت الكنيسة ــ منذ البدء ــ مأسورة في الرب الروح وواعية لطلب ق. بولس، بل طلب الله حسب مقاصده الأزلية، بل المسيح والصليب والدم، أن تعيش من أجل وحدانية الروح محتفظة برباط السلام وواضعة عنقها ثمناً لهذه الوحدة، ما صرنا إلى ما صرنا إليه. فكاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس وعقائد بلا عدد وشِيَع وأسماء، صرنا نخزى أن نتكلَّم عنها، وصارت ثقلاً على إيماننا وجرحاً عميقاً نازفاً في محبتنا!!

«أن تحفظوا وحدانية الروح»: τηρεῖν τὴν ἑνότητα τοῦ πνεύματος

«تحفظوا»: τηρεῖν

يُلاحِظ القارىء أنه لم يقل أن تقيموا، بل أن تحفظوا، لأنها قائمة فعلاً، قائمة كما قلنا شئنا أو لم نشأ، قائمة في الإيمان الذي نؤمن، والمعمودية التي اعتمدنا، والروح الذي نُفخ في أنوفنا، والجسد السري الذي نأكله، وكأس الخلاص الذي نشرب، والصليب الذي نُقبِّل، قائمة رغماً عن إرادتنا، بيننا وبين كل من يدعوه الرب ويرسم الصليب ويقول الذُكصا وينادي الثالوث ويأكل الجسد. وطالما اعتمدنا، فهي وحدانية الروح وحاملةٌ خِتْمَه، وباقية إلى يوم الدين. وأن نحفظها يعني أن ننفذ شروطها. وشروطها التواضع بعضنا لبعض والوداعة في القول والعمل وطول الأناة في احتمال الأخطاء والهفوات واختلاف الفكر وتباين الأخلاق والطباع والعادات، وأن نحفظها طاهرة من التعالي والتمسُّك بالرأي وحفظ الكرامة.

«برباط السلام»: ἐν τῷ συνδέσμῳ τῆς εἰρήνης

تعوَّدنا أن نعرِّف المحبة أنها «رباط السلام»، «وعلى جميع هذه البسوا **المحبة التي هي رباط الكمال** وليملك في قلوبكم **سلام الله الذي إليه دُعيتم** في جسد واحد» (كو٣: ١٤و١٥).

ولكن المعنى هنا متركز على «**السلام**»، ومعروف أن السلام هو هو المسيح:

+ «سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم.» (يو١٤: ٢٧)
+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه **إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً.**» (أف٢: ١٤و١٥)
+ «**فجاء وبشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين.**» (أف٢: ١٧)

لا يوجد سلام حقيقي خارج المسيح، الإنسان بطبيعته منقسم، منقسم على نفسه وعلى غيره، والمسيح هو الذي غيَّر الطبع القديم المنقسم، وأعطى الإنسان الجديد واحداً صانعاً سلاماً!! إذ ليس مع المسيح أو فيه انقسام بل وحدة وسلام. والسلام هو الذي صنع الوحدة. إذاً، فرباط السلام هو

هو رباط المسيح، رباط الطبع الجديد للإنسان الجديد الصانع سلاماً.

وواضح من قول ق. بولس: «فجاء وبشَّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين» أن سلام المسيح اكتسبه لنا بدم صليبه وهو الذي بشَّرنا به، فجعل البعيدين والقريبين واحداً. هذا ما تستبطنه الآية بقولها: «أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام»، بمعنى أن الوحدة التي صنعها المسيح فينا لن يشد أزرها فينا إلاَّ سلام المسيح الذي يحيط بنا كرباط.

ب ـ عناصر الوحدة
التي دخلت في قانون الاعتراف
(٤:٤-٦)

٤:٤-٦ «جَسدٌ واحِدٌ، ورُوحٌ واحِدٌ، كما دُعيتُم أيضاً في رجاءِ دعوَتِكُم الواحِدِ،
ربٌّ واحِدٌ، إيمَانٌ واحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ واحِدَةٌ،
إلهٌ وآبٌ واحِدٌ للكلِّ الذي على الكلِّ وبالكلِّ في كلّكُم».

٤:٤ «جسدٌ واحِدٌ، وروحٌ واحِدٌ، كما دُعيتُم أيضاً في رجاءِ دعوَتِكُم الواحِدِ».

«جسد واحد»: تعبير عن الكنيسة،

«روح واحد»: وهو الروح القدس الذي جمعهم معاً في جسد واحد.

«كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد»: أي برجاء الحياة الأبدية وهو رجاء واحد وحياة أبدية واحدة للكل.

والمعنى الكلي: أنه كما أنكم الآن كنيسة واحدة، جسد واحد يجمعكم جميعاً، وأنكم صرتم في الجسد الواحد، أي الكنيسة، بالروح القدس الواحد الذي جمعكم ووحَّدكم معاً، كذلك فإنكم دُعيتم إلى رجاء واحد وهو الحياة الأبدية.

٤:٥ «ربٌّ واحِدٌ، إيمانٌ واحِدٌ، مَعمُوديَّةٌ واحِدَةٌ».

«ربٌّ واحد»: وهو الرب يسوع المسيح الذي هو رأس العبادة للكنيسة، وهو واحد.

«وإيمان واحد»: وهو إيمان يسوع المسيح ابن الله الذي بالإيمان به صرنا أبناءً للآب كأسرة أو أهل بيت الله.

«ومعمودية واحدة»: وهي المعمودية التي جمعتنا معاً يهوداً وأمماً، عبيداً وأحراراً، رجالاً ونساءً كإنسان واحد (غل٣: ٢٧و٢٨).

والمعنى الكلي أن العناصر التي جعلتنا مؤمنين مسيحيين واحدة في ذاتها، وبالتالي فحتماً تُنشىء لكل الذين يتبعونها من قلوبهم وحدة تجمعهم.

٤: ٦ **«إلهٌ وآبٌ واحِدٌ للكلّ الذي على الكلّ وبالكلّ وفي كلّكم»**.

هنا الله واحد لأنه آب واحد للجميع، فالجميع حتماً متحدون في بنُوّتهم تحت الآب الواحد.

«الذي على الكل»: أي يشرف على الكل والكل تحت مرمى نظره وعنايته، فهم متحدون تحت طاعته.

«وبالكل»:

أي أنه ليس منفصلاً عن الكل ولا الكل منفصل عنه، فهم داخلون ومشتركون في أبوته، فهو أب بهم، وبدونهم يبقى هو الله، ولكن بهم يُدعى إلهاً وأباً معاً.

«وفي الكل»:

أي أن الكل يتخذ كيانه منه، فهم كائنون به لأنه هو كائن فيهم.

والمعنى الكلي أن الله بصفته الآب يجمع شملهم كواحد، لأنه أب واحد للجميع يشرف عليهم وهو يجمعهم تحت عينيه. وهو كائن فيهم وهم كائنون به، لذلك فلأنهم يتخذون كيانهم من واحد فهم يكونون واحداً بالضرورة.

ويلاحظ القارىء من مطالع الآيات (٤و٥و٦) أن الثالوث مذكور بمفرداته ليكمّل في النهاية: روح واحد، ربٌّ واحد، إله وآب واحد.

أمّا تأكيده على الواحدية بهذا الإلحاح، فهو ليخطّ في ذهن القارىء أن الإيمان المسيحي قائم على أنه كما أن الله واحد متحد في ذاته، هكذا فالإنسان مدعو ليصير في النهاية واحداً متحداً يستمد وحدته من الله الواحد، ويستمد اتحاده من الثالوث الأقدس المتحد:

+ «ليكون الجميع واحداً، كما أنكَ أنتَ أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ... وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد.» (يو١٧: ٢١و٢٢)

[٤:٧-١٦]

٢ - نمو الإنسان المسيحي على معرفة استعلانية لغاية واحدة ثابتة ينتهي إليها

الله قصد من تعدُّد وتنوُّع المواهب في المؤمنين في الكنيسة أن تخدم في النهاية وحدة جسم الكنيسة

٤:٧ «ولكن لكلِّ واحِدٍ منَّا أُعطِيَتِ النِّعمَةُ حَسَبَ قِياسِ هِبَةِ المَسيحِ».

الإيمان المسيحي العظيم في تكوينه وتأسيسه وعمله، قد رأيناه في الآيات السابقة منبثقاً من عناصر أبرز سماتها هي الوحدة، وينتهي في تكوينه إلى اتحاد منسجم أشد الانسجام، اتحاد فعَّال قادر أن يُنشىء لكل مَنْ يعيشه ويخضع له وحدة فائقة ومتسامية عن العددية. فقد رأينا أن الإيمان المسيحي يقوم على إيمان واحد دقيق ثابت العناصر. فهو إيمان بروح واحد، وربٍّ واحد وإله وآب واحد، يتأسَّس في كنيسة هي جسد واحد وفي معمودية واحدة، وينتهي إلى رجاء واحد.

ولكن لكي يضمن الله لهذا الإيمان أن يكون ديناميكياً أي متحركاً من ذاته بذاته، ينمو نمواً مطرداً عضوياً كنمو الجسد والأعضاء، وزَّع على المؤمنين الأعضاء المحسوبين أنهم جسد واحد أنواعاً متعددة من المواهب موزعة توزيعاً يقوم على حكمة كلية المعرفة، بالغة الدقة، لها سبق المعرفة. فالله يعلم مُسبقاً، وقبل أن يولد الإنسان، ما إذا كان هذا المؤمن العضو سيكون نشيطاً عاملاً أميناً، أم أنه سيكون متواكلاً متوانياً كسولاً. وعلى هذا العلم السابق يسبق أيضاً ويعيِّن نوع الموهبة وقياسها، أو أن يعطي هذا ولا يعطي ذاك، أو يعطي بسخاء أو بتقتير. فسيرة الإنسان التي سيستسيرها، الله يسبق ويعرفها بل يراها ويقيسها وعلى مستواها تُوزَّع النِعَم والمواهب والعطايا. والقصد من هذا وذاك هو الهدف الذي وضعه أمامه وهو الوحدة، الوحدة في كل شيء، وتجميع كل شيء في المسيح، ذلك في ملء الدهور.

ولو أمعن القارىء في النظر، يجد أنه لم يوجد ولن يوجد إنسان واحد له من المواهب ما يكفيه دون أخيه، فكل مؤمن وُضع له من المواهب ما يُمكِّنه أن يصنع مع مواهب الآخرين عملاً كاملاً. وهكذا نجد الكل يعمل، كلٌّ بموهبته. والمواهب ترتفق على بعضها لنجد كنيسة في النهاية لها كل ما يكفيها لخدمة الإيمان والمؤمنين. وهكذا باتحاد مؤمنيها بالمحبة وتعدد مواهبهم تصير كنيسة واحدة جامعة رسولية، المسيح فيها حجر الزاوية.

إذاً، فتعدد المواهب نوعاً وقياساً حسب هبة المسيح لمن يَهَبُ، هو بالنهاية لوحدة الكنيسة واتحاد مؤمنيها ونمو الجميع في الروح وللشهادة للمسيح.

+ «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد، وأنواع خِدَمٍ موجودة ولكن الرب واحد، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل.» (١ كو١٢: ٤-٦)
+ «ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات ... هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء ...» (١ كو١٢: ٧-١١)

واضح هنا التشديد على كون الروح واحداً والمواهب متعددة، ولكنها كلها تعمل معاً بانسجام لهدف واحد. ولأن الروح مُعطيها واحد، فهي حتماً تعمل ضمن ما تعمل لجعل المخدومين واحداً، لأن الله واحد مطلق، والواحد المطلق لا يفرِّق بل يوحِّد بالضرورة.

٤ :٨-١٠ «لذلك يقولُ إذْ صَعِدَ إلى العلاءِ سَبَى سَبْياً وأعطَى الناسَ عَطايا.
وأمَّا أنه صَعِدَ فما هو إلاَّ إنه نَزَلَ أيضاً أولاً إلى أقسامِ الأرضِ السُّفلى،
الذي نَزَلَ هو الذي صَعِدَ أيضاً فوقَ جميعِ السَّمواتِ لكي يملأَ الكلَّ».

بولس الرسول هنا يقتبس من المزمور (٦٨ :١٨): «صَعِدْتَ إلى العلاء سبيت سبياً، قَبِلْتَ عطايا بين الناس ...». ولو أن المزمور هنا يقول: «قَبِلْتَ عطايا»، ولكن في الترجمة السبعينية في المفهوم الإنجيلي والكنسي بحسب التقليد يقول: أعطيت عطايا أو كرامات.

وق. بولس بدأ بالمزمور قائلاً: «إذ صعد إلى العلاء»، وأكمل من عنده: «وأمَّا أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى»، أي الهاوية مكان الأرواح المقيَّدة في أسْر العدو. والموضوع لا يكشفه إلاَّ ما حدث بعد نزول المسيح من فوق الصليب. فحسب تقليد الكنيسة والإنجيل، معروف أن المسيح نزل إلى الهاوية حيث الأرواح كانت في انتظار ذلك اليوم منذ موت آدم حتى يوم الصليبوت، فذهب المسيح وبشَّرهم كما جاء في رسالة بطرس الرسول (١بط٣: ١٩و٢٠)، ثم صعد من الهاوية حاملاً أرواح هؤلاء القديسين الذين كانوا مسبيين تحت سبي العدو، فاعتُبر المسيح أنه سبى مرة أخرى هؤلاء المسبيين ولكن سباهم لحساب النعمة والملكوت. وهكذا خرج من الهاوية منتصراً وقام من بين الأموات وصعد إلى أعلى السموات، وأعطى الناس

مواهب ــ أي عطايا ــ أو كرامات حسب لغة الكنيسة.

«فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك، وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع٢: ٣٢و٣٣)، أي الروح القدس بكل مواهبه التي ملأت الكنيسة.

وحينما يقول «صعد فوق جميع السموات»، فهذا التعبير نفسه يقوله في سفر العبرانيين:

+ «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله فلنتمسَّك بالإقرار.» (عب٤: ١٤)

ثمَّ عبَّر مرة أخرى عن صعوده فوق جميع السموات بقوله:

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة **وصار أعلى من السموات.**» (عب٧: ٢٦)

+ «لأجل هذا بُشِّر الموتى أيضاً لكي يدانوا حسب الناس بالجسد، ولكن ليحيوا حسب الله بالروح.» (١بط٤: ٦)

+ «الذي فيه (في الروح) أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن، إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح إذ كان الفلك يُبنى.» (١بط٣: ١٩و٢٠)

«صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل»:

إن أعظم مكسب كسبته الكنيسة بعد أن أعطاها جسده، هو أنه صعد أيضاً فوق جميع السموات خاصة لها!! من أجل الكنيسة **«لكي يملأ الكل»**. والمعنى مختبىء نوعاً ما، فهو لا يملأها كأنه مجرد امتلاء، لأن المسيح الآن قد عبر من الحالة الأرضية إلى الحالة السماوية، فلما كان في العالم بالجسد قال: «ما دمت في العالم فأنا نور العالم» (يو٩: ٥)؛ والآن وهو في انتصاره على العالم وقد استرد مجده وسلطانه فوق كل شيء، فهو حينما يملأ الكل فهو يملأه بحضوره الإلهي الفائق استعداداً لتغيير كل شيء إلى حالة «جسد مجده» (في٣: ٢١). **فهو يملأها لتبلغ تمام كمالها، أو** بمعنى أعمق **لكي تبلغ كمال حقيقتها أو لتستعلن الحق الذي فيها استعلاناً كاملاً.**

ويؤكد هذا العالِم وستكوت قائلاً:

[إن المسيح بواسطة حضوره أو وجوده فوق جميع السموات، فإنه يأتي بكل الأشياء إلى كمالها، معطياً للأشياء التي في العالم ــ المخلوقة والمنظورة باعتبارها الآن مجرد رمز ــ يعطيها حقيقتها. لأن المسيح إنما يكمِّل الأشياء أولاً، بمعنى يحقق وجودها، ثم بعد ذلك

يقبلها في نفسه حينما تبلغ نهايتها الحقيقية. والزمن هنا ـ أي في هذا العمل ـ لا وجود له، أي غير محسوب كأنه عنصر يُعتَدُّ به ـ (في اكتمالها) ـ والزمن في ذاته كالخليقة نفسها فعل تم مرة واحدة وانتهى ولو أنه يتحقق ببطء بسبب الكيان الأرضي.](3)

وهذا الشرح العميق جداً يُحسب قطعة رائعة من أعمال وستكوت، وهو يريد أن يقول: إن المسيح لمَّا صعد وارتفع إلى أعلى السموات تاركاً مظهره الأرضي ليظهر في حقيقته الإلهية، إنما كان ذلك لكي يُحضر الخليقة وكل الأشياء التي في العالم إلى نفس الأمر، أي يُنهي على مظهرها المادي الأرضي لتأخذ حقيقتها الجوهرية النهائية، تمهيداً لأن يجمع كل شيء في نفسه. وهنا تحقيق للآية: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف1: 22و23)

وهذا يعني بحسب العلاَّمة بروس(4) أنه الآن هو الذي يملأ الخليقة في كل أجزائها، حيث هنا تتضح علاقته بالكنيسة «التي هي جسده» في حالة «الملء»، ملء العالم، متحققاً في صعوده، وقد ابتدأ بالفعل بدايته حينما أمدَّ الكنيسة بالقوة والحكمة التي ستدوم وتبقى بالرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلمين حتى تبلغ «قامة ملء المسيح»، وحينئذ يتم القول القديم لإرميا النبي: «أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب.» (إر23: 24)

4: 11 «وهو أعطى البعضَ أن يكونُوا رُسُلاً والبَعضَ أنبياءَ والبعضَ مُبشِّرينَ والبعضَ رُعاةً ومُعلِّمينَ».

الآن والمسيح صعد إلى أعلى السموات والكل صار مُخضَعاً له، فقد جاء ميعاد إعطاء العطايا، وأول وأعظم عطية هي الروح القدس: «إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم» (يو16: 7)، «الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي. ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجَّد الآب بالابن. إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو14: 12-14)

وجميع العطايا وأولها وأعظمها الروح القدس إنما يعطيها الآب باسم الابن لتعمل كلها وتخدم

3. Westcott, *op. cit.*, p. 62.
4. Bruce, *op. cit.*, p. 344.

لأجل الوحدة. الله يعطيها للمؤمنين، ليس بصورة عامة بل للذين تعيَّنت وظائفهم وأعمالهم وأسماؤهم كل واحد على قدر قامته وعلى قياس عمله (مت٢٥ : ١٥). والمؤمنون يخدمون ويعملون في الكنيسة للكنيسة، فيستودعون عطاياهم ومواهبهم لحسابها: "لتنمو هي في كل شيء واحدة متحدة إلى ذاك الذي هو الرأس" وبالنهاية تبلغ «إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح».

«وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسُلاً والبعض أنبياءَ والبعض مبشِّرين»:

الآن بدأ اختيار المسيح ـــ وهو في مركزه الأعلى من جميع السموات ـــ للأشخاص المكرمين الذين استأمنهم على المواهب. فأول هيئة بشرية تقوم بتكميل قصد الله الأزلي هيئة مكوَّنة من ثلاث فئات، للخدمة: رسل وأنبياء وإنجيليون أي مبشرون. وهم هيئة خدَّام الله للروح القدس، لهم تكليف سماوي، وطبيعته أنه غير منحصر نحو أية جماعة أو مكان، أي هو لكل البشرية ولكل الأرض. وفي مقابلهم هيئة أخرى منحصرة في جماعة معيَّنة، وكل جماعة في مكان معيَّن، وهؤلاء هم الرعاة والمعلمون! أي الكنائس المحلية، وهم معتبرون في درجة معينة واحدة بسبب العلاقة الخاصة التي تربطهم حتماً بالجماعة المعيَّنة التي يخدمونها. وهو نفس التقسيم الذي ورد في (١كو١٢ : ٢٨): «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رُسُلاً ثانياً أنبياءَ ثالثاً معلِّمين ...». ولكن هنا في هذه الآية (أف٤ : ١١) يضع المبشرين بين الأنبياء والمعلمين، ويجعل المعلمين والرعاة كُلًّا على حدة. وطبعاً هذا التفصيص والامتداد كان بسبب نمو الكنيسة وتعدُّد حاجاتها.

«البعض أن يكونوا رُسُلاً»: ἀποστόλους

الرسُل هم أول من حطَّ عليهم العطاء من السماء بعد أن صعد، لذلك يُعتبر الرسُل الملء الأول للكنيسة: «ولكن لكل واحد منَّا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح». فهنا القياس الأعظم، وعليهم ترسو المسئولية الأُولى في حفظ وحدانية الروح برباط السلام، وبالتالي أول أعضاء الجسد الواحد وأصحاب باكورة الروح الواحد: «نحن الذين لنا باكورة الروح» (رو٨ : ٢٣) لرسم خُطى الرجاء للدعوة الواحدة.

وعلينا أن نلمح من على بعد كيف أن المسيح وهو في مركزه كرأس فوق كل شيء والكل خاضع له، يبدأ يرسم خطوط حكومته المستقلة على الأرض ذات الحكم الذاتي والسيادة المطلقة، إذ لا ينازعها أحد ولا أي شيء في الوجود، فالمسيح صار «رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف١ : ٢١و٢٢)

ثم على القارىء اللمَّاح أن ينظر كيف يوزع المسيح العطايا والمواهب: كلٌّ حسب قياس قامته

ورسالته، ولكن الكل تحت الرأس الواحد يعمل باتحاد، وباجتهاد وتسليم للامتداد عبر نموَّات متوالية ليزداد الإيمان وتزداد المعرفة لتبلغ الكنيسة قمة وحدة الإيمان الذي يعادل قامة ملء المسيح.

فالآن نرى أن الرسُل هم أول حجارة حية رست في الأساس الذي عليه قامت الكنيسة هيكل الله. ويلزم أن نلاحظ الامتداد الرسولي من جهة الاختيار والزمن، فالرب اختار بنفسه رسُله القديسين. ولكن أعطى الرسُل أنفسهم أن يختاروا بمشورة الروح القدس وتدخُّله رسولاً — وهو الثاني عشر — للكنيسة (أع١: ٢٦). كذلك فزمن اختيار الرسُل امتد لما بعد حياة المسيح على الأرض، فقد اختار الرب بعد ثلاث سنوات من صعوده، بولس رسولاً.

وعلينا أن ننتبه أن اختيار الرسل جاء وحده منفرداً وفي حقبة زمنية محددة ولعمل تأسيسي في غاية الأهمية، إذ استلموا الكنيسة بعد المسيح مباشرة، وهذا واضح من الآية إذ تقول: «وأعطى البعض أن يكونوا رسُلاً»، ثم جاء التكميل بعد ذلك متأخراً، بالأنبياء وغيرهم. كذلك فإن الرسل كانت رسالتهم مفتوحة على كل الأمم والقارات بلا تفريق ولا تحديد أسماء، غير أن الشرط الوحيد هو أن يبتدئوا بأورشليم واليهودية ثم السامرة، وبعد ذلك إلى أقصى الأرض (أع١: ٨) وكل الخليقة (مر١٦: ١٥).

وقد انتهى عصر الرسُل باستشهاد القديسين بطرس وبولس هامتي الرسُل بحسب تقليد الكنيسة، ولو أن القديس يوحنا حَفِظَ في محيط خدمته وإلهامه ومحبته المتأججة عصر الرسُل حاراً وملتهباً بالروح والنعمة حتى نهاية القرن الأول المسيحي، مكلِّلاً الرسولية بإنجيل المحبة الذي ظل يُدفىء الكنيسة ويعطِّرها برائحة المسيح الذكية إلى ما يشاء الله.

ويقيناً إن الرسُل والرسولية وعصرهم المضيء لم يتوقف قط، لأن الأناجيل التي وضعوها بإرشاد الروح القدس وهم مسوقون منه، تنطق بما نطقوا. والروح نفسه يعمل بالكلمة، يلد أجيالاً للكنيسة وأبناءً لله، إلى أن يأتي المسيح ورُسُله القديسون معه ليستلموا حصيد السنين والدهور. نعم، فالرسولية لم تنطفىء في الكنيسة.

«والبعض أنبياء»: προφήτας

وهم الذين يُذكرون دائماً بعد الرسُل: «وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً. فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسُلاً ثانياً أنبياءَ ثالثاً معلِّمين ...» (١ كو١٢: ٢٧و٢٨). هؤلاء هم المتكلِّمون بالروح بالإعلان — ولكن دون غيبوبة — أي بمنتهى الصحو، وكانوا في أيامهم على

أقصى ما يمكن من الأهمية بالنسبة للكنائس الجديدة، وقد بدأ عملهم أثناء وجود الرسُل ومعهم:

+ «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يُدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين ...» (أع١٣:١)

والذي يفرّق بوضوح بين الأنبياء والرسُل أن الإلهام الرسولي كان فائقاً جداً، فكان تعليم الرسُل امتداداً لتعليم المسيح ومُستقى بالإلهام منه شخصياً: «الذي يسمع منكم يسمع مني» (لو١٠:١٦). لذلك اعتُبرت كتبهم جميعاً «إنجيلاً واحداً» هو إنجيل المسيح. أمّا الأنبياء فكانت تعاليمهم «للتعزية». وهذه الكلمة هي من صميم ترجمة اسم «نبي»، وكان تبشيرهم بالكلمة على مستوى «الوعظ». والوعظ أيضاً مستمد من مفهوم التعزية بالروح (٥) وكان الأنبياء ينتقلون في خدمتهم من كنيسة لكنيسة ومن مدينة لمدينة.

ولكن بانتهاء عصر الرسُل القديسين، انتهى أيضاً عصر الأنبياء الأقوياء الموهوبين، لأننا لا نسمع عن أنبياء بمعنى الكلمة بعد العصر الرسولي.

لذلك فالرسُل والأنبياء معاً أعطوا كرامة وتقديراً من الكنيسة تكاد تكون متكافئة، فبولس الرسول يؤكد ذلك بقوله إننا «مبنيين على أساس **الرسُل والأنبياء ويسوع المسيح** نفسه حجر الزاوية» (أف٢:٢٠). وبولس الرسول هو أكثر مَنْ تعامل مع الأنبياء عن قرب بل وتقبَّل وضع اليد الأولى للتعميد ومنح الروح القدس من حنانيا وهو أحد تلاميذ الرب السبعين، ثم تقبَّل يد الإرسالية من أربعة أنبياء: «برنابا وسمعان الذي يُدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين ... وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما.» (أع١٣: ١-٣)

«والبعض مبشِّرين»: εὐαγγελιστάς

وهم الوعّاظ المتجولون، وكان يُعتقد حسب قول ثيئودوريت أنهم كانوا إرساليات تساعد الرسل في خدمتهم ورعايتهم، ولكن كان عملهم خارج الكنائس، لأن الذين في الكنيسة هم المؤمنون الذين سمعوا الوعظ وآمنوا ولم يعودوا محتاجين للتبشير، أمّا التبشير فهو لازم لغير المؤمنين. وأوضح اسم معروف عندنا من جماعة المبشرين الرسميين هو فيلبس المبشِّر ولم يكن يتبع كنيسة معيَّنة:

+ «فدخلنا بيت **فيلبس المبشِّر** (الإنجيلي εὐαγγελιστοῦ) إذ كان واحداً من السبعة

(٥) نرجو الرجوع إلى شرح معنى النبوة وعمل الأنبياء في شرح الرسالة إلى العبرانيين ص٧٥-١٠٨.

(الشمامسة الذين اختارهم الرسل للمساعدة في الخدمة) ... وكان لهذا أربع بنات عذارى كُنَّ يتنبأن.» (أع ٢١: ٨و٩)

فواضح أن فيلبس كان إنجيلياً موهوباً وقد أثَّرت خدمته في بناته كلهن، حتى أنهن تَبتَّلن كمكرَّسات للوعظ أيضاً. لأن كلمة «يتنبأن» معروف أنها للوعظ والتعزية أيضاً.

والمعروف أن تيموثاوس بعد أن نال الموهبة بوضع اليد، عمل عمل المبشِّر: «وأمَّا أنت فاصْحُ في كل شيء، احتمل المشقات، اعمل عمل المبشِّر، تمم خدمتك» (٢تي٤: ٥). وقد كان المبشرون يعملون تحت قيادة وتدبير الرسل، وفي الحقيقة هم يُحسبون إلى الآن أنهم ذخيرة الكنيسة وصفوفها العاملة.

«والبعض رعاة ومعلِّمين»: ποιμένας καὶ διδασκάλους

هؤلاء وقفٌ على الكنائس المحلية، وهؤلاء خدمتهم معروفة ومحصورة وعلى مستوى **الموهبة الواضحة**، فوظيفتهم قائمة على الموهبة وليست مجرد وظيفة أو درجة. وواضح من الآية أنهم على مستوى الموهبة في خدمتهم مثلهم مثل الرسل والأنبياء والمبشرين، وعملهم هو داخل الكنائس، لأن المؤمنين أصبحوا في أمَسِّ الحاجة إلى الرعاية والتعليم بصفة يومية.

فإن كان الرسل والمبشرون (الإنجيليون) عملهم هو زرع الكنائس أينما خَطَتْ أقدامهم وفي كل موضع على وجه الأرض، فالأنبياء حالاً يستلمون الرعية ويعظون ويعزون ويشدِّدون: «ويهوذا وسيلا إذ كانا هما أيضاً نبيَّين وعظا الإخوة بكلام كثير وشدَّداهم. ثم بعد ما صرفا زماناً أُطلقا بسلام من الإخوة إلى الرُّسل» (أع ١٥: ٣٢). ثم يأتي دور موهبة الرعاة والمعلمين ليأخذوا جدول أعمالهم يوماً بعد يوم لتُبنى الكنيسة وتنمو وتبقى وتدوم وتُسلَّم من جيل إلى جيل. وعمل الرعاة والمعلمين يختلف باختلاف العصر وبمدى نشاط الدرجات الأعلى أو تراخيها. فربما كانوا على مستوى الرسل أنفسهم، والرب يسوع كان يُدعى المعلِّم ويعمل عمله، وهو الذي يُدعى «راعي الخراف العظيم» (عب١٣: ٢٠) و «رئيس الرعاة» (١بط٥: ٤). وحتى الأساقفة العظام كانوا رعاة ومعلمين. ووظيفة الراعي والمعلِّم لا تتوقَّف على الشخص ولكن على الموهبة، فالموهبة هي التي تعيِّن الوظيفة وليس العكس. أمَّا الوظيفة بدون موهبتها فإنها ترتد على الكنيسة ضُعفاً وهواناً، ولا يمكن أن يُستبعد التعليم عن الراعي. فكل راعٍ معلِّم، وإلا فالرعاية لا تُدعى رعاية، أمَّا المعلِّم فموهبته له خاصة ومحددة عليه: «أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلِّم ففي التعليم أم الواعظ ففي الوعظ» (رو١٢: ٧و٨). وهنا يتضح أنه إذا وُجدت المواهب متفرقة على أشخاص، وجب أن يقوم كل

شخص بموهبته في الكنيسة، ولكن إن عزّ وجود الأشخاص وانسكبت المواهب على واحد فهو يقوم بعمل الكل.

١٢:٤ «لأجلِ تكميلِ القدّيسينَ لعَمَلِ الخدمةِ لبُنيَانِ جَسَدِ المسيح». πρός — εἰς — εἰς

هنا ثلاثة أعمال متوالية كثمرات لعمل المواهب المختلفة مجتمعة ومنفردة بآن واحد. والواضح من الأصل اليوناني أن العمل الأول هو الأساس وهو تكميل القديسين، والثاني منبثق منه، والثالث نتيجة حتمية للأول والثاني، وهذا واضح من حروف الوصل بين شبه الجمل: فالأول **لأجل** = πρός تكميل القديسين، والثاني **لعمل** εἰς الخدمة، والثالث **لبنيان** εἰς الكنيسة.

«لأجل تكميل القديسين»: πρὸς τὸν καταρτισμὸν τῶν ἁγίων

وكلمة «تكميل» = كاتاأرتزموس من أصل كلمة ἄρτιος (٦) أي «صحيح» أو «مضبوط» just, exactly fitted. لذلك تُستخدم بكثرة في مفهوم تصحيح أو إتقان: «بالإيمان نفهم أن العالمين **أُتقنت** κατηρτίσθαι بكلمة الله ...» (عب١١: ٣)، أو إعادة الصحة: «أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة ما **فأصلحوا** καταρτίζετε أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة» (غل٦: ١). لذلك فكلمة «التكميل» هنا تفيد أن المؤمنين يحتاجون باستمرار إلى عملية الإصلاح والتصليح والتصحيح **والتكميل** لِمَا هو ناقص: «طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمّل نقائص إيمانكم» καταρτίσαι (١تس٣: ١٠). والتكميل في كل عمل صالح: «وإله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع بدم العهد الأبدي **ليكمّلكم** καταρτίσαι في كل عمل صالح ...» (عب١٣: ٢٠و٢١). وذلك بتضافر خدّام المواهب المتعددة من كل نوع، وذلك لكي يَصِلوا بالمؤمنين إلى حالة من الصلاحية والإتقان ليقوموا بواجبهم في العمل كأعضاء أصحاء في «الجسد». لذلك يأتي بعد «تكميل القديسين»:

«لعمل الخدمة»: εἰς ἔργον διακονίας

ومن عمل خدمة المواهب الأعلى نأتي إلى عمل الخدمة الأقل، وهي المعروفة بالدياكونية أي خدمة الشموسية: «أن أراملهم كُنّ يُغفل عنهن في الخدمة ἐν τῇ διακονίᾳ اليومية» (أع٦: ١). ولكن كلمة «الخدمة» و «الخدّام» قد تمتد لتشمل حتى الرسل أنفسهم.

(٦) المأخوذ منها كلمة آرت art أي فن ــ راجع شرح الرسالة إلى العبرانيين ص٧٩٣ و٧٩٤ (شرح عب١٣: ٢١).

«لبنيان جسد المسيح»: εἰς οἰκοδομὴν τοῦ σώματος τοῦ Χριστοῦ

والآن فثمرة عمل موهبة تكميل المؤمنين (القديسين) التي أُكملت بعمل موهبة الخدمة أصبحت الآن فعَّالة بالنهاية لبنيان الكنيسة جسد المسيح. وكلمة «بنيان» = «ايكوذومين» وردت سابقاً في الأصحاح الثاني: «الذي فيه كل البناء οἰκοδομή مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب» (أف٢: ٢١). وقوله هنا «لبناء جسد المسيح» يقصد البنيان المنسجم الذي يهدف إلى الوحدة، وحدة إيمان ومعرفة كاملة.

٤: ١٣ «إلى أنْ ننتهي جميعُنا إلى وحدانيَّةِ الإيمانِ ومعرفَةِ ابنِ الله، إلى إنسانٍ كاملٍ، إلى قياسِ قامةِ ملءِ المسيح».

«إلى أن ننتهي جميعنا»: μέχρι καταντήσωμεν οἱ πάντες

الآية هنا ختام للآيتين السالفتين، فالمسيح أعطى مواهب في الكنيسة متدرجة، وهي في مجموعها تكون كافية جداً لينمو المؤمنون تحت الرعاية والتعليم المتواصِلَيْن لتكميل المؤمنين وبنيانهم باعتبارهم جسداً واحداً هو جسد المسيح. والقصد المباشر أو ختام عمل المواهب في الكنيسة أو قصد المسيح هو أن ينتهي الجميع معاً كجسد واحد إلى إيمان واحد، و «الجميع» هنا هم «القديسون» أي المؤمنون باسم المسيح والمعتمدون.

والفعل «ننتهي» = «كاتنتيسومين» ورد تسع مرات في سفر الأعمال ليفيد وصول المسافرين إلى مقصدهم:

+ «الذي أسباطنا الاثنا عشر يرجون نواله καταντῆσαι عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً ...» (أع٢٦: ٧)
+ «لعلي أبلغ καταντήσω إلى قيامة الأموات.» (في٣: ١١)

فهي النهاية التي تفيد كمال الوصول إلى الهدف الذي نسعى إليه منذ بدأنا حركة الإيمان في القلب بالنسبة للفرد أو الكنيسة، والمعنى الوصفي يكون «حتى في النهاية نبلغ». وكلمة «جميعنا» هنا تفيد ليس الكل فقط بل الكل المتَّحد، لأنه يستحيل بلوغ وحدانية الإيمان إلاَّ باتفاق الجماعة اتفاقاً فكرياً وذهنياً وروحياً بآن واحد!! جسداً واحداً:

+ «فإننا نحن الكثيرين خبزٌ واحد، جسدٌ واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (١كو١٠: ١٧)

هنا نتوسل لدى الله أن يدرك القائمون على الإيمان من بابوات و بطاركة وأساقفة أنهم عبثاً يحاولون بلوغ الوحدة في الإيمان وهم منقسمون فكرياً وذهنياً وروحياً. فالوحدة في الإيمان يسبقها حتماً وحدة في الجسد.

والسؤال الخطير الذي نوجّهه للمسئولين عن الوحدة: هل أنتم جسد واحد؟

والفكرة التي طوّحت بإمكانية حصول جسد واحد للكنيسة لتكون كنيسة واحدة ذات إيمان واحد، أن الأطراف المتنازعة يظن كل طرف منهم أنه «رأس» مستقل، وعلى أسوأ التفكير يظن البعض أنه يلزم أن يكون للكنيسة رأس واحد يخضع له الكل أو حتى يتبعه الكل، ولو حتى بالمحبة، ناسين أن المسيح وحده هو الرأس الواحد الوحيد للكنيسة كلها. وهنا ولكي تكون الكنيسة جسده الواحد لا يمكن أن تحتمل: لا فُرقة ولا استقلالية ولا ذاتية ولا أي اختلاف في فكر أو رأي أو فهم أو تفسير. ولكن أهم من كل شيء أن تتوفر الوحدة القلبية والروحية في المحبة، لأن الإيمان الواحد لا ينبع من فكر واحد فقط بل أولاً، وقبل الفكر، القلب، وهو الروح، لأن القلب الواحد والروح الواحد والحب الواحد هو الذي يطوّع الفكر — مهما كان — للروح القدس. والروح القدس هو وحده، نعم هو وحده، الذي يملي الإيمان الواحد لذوي القلب الواحد والروح الواحد. لذلك ربط الرسول بولس وحدانية الإيمان بوحدانية الروح، هذا أمر حتمي لا مفر منه: «مجتهدين أن تحفظوا **وحدانية الروح** برباط السلام — (وهكذا يتحتم أيضاً) — جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد.» (أف ٤: ٣و٤)

هل ينسى المتنازعون على الإيمان أن رجاءنا واحد، وهو الوقوف أمام الله الآب لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. فإن كان ممكناً أن نتنازع في هذا الرجاء الواحد لاق بنا أن نتنازع في الإيمان الواحد. وهكذا فالسؤال المر الحزين: إلى أين سنذهب ونحن هنا منقسمون؟ كيف نقف أمام الله الآب ونحن هنا منقسمون؟ فإن تصورنا أننا سنقف هناك معاً واحداً منسجماً، نكون كاذبين.

الذي يخطىء فيه الأطراف التي تجتمع للوحدة الإيمانية، هو أنها تخشى التنازل، فالطرف يخشى التنازل للطرف الآخر لئلا يفقد الحق في الإيمان، مع أنه من صميم الإيمان المسيحي وصميم الحق في المسيح هو التنازل. **المسيح تنازل عن مجد لاهوته،** بمعنى أخلى نفسه منه، ليستطيع أن يتقابل مع الإنسان الخاطىء الميت في خطيته كإنسان مثله، ولم يَخَفْ المسيح على لاهوته من أن يضعف أو يتغيَّر أو يتنجَّس. و بعد أن أكمل التقابل مع المنجَّسين قال لأبيه أعطني المجد الذي لي فأعطاه (يو١٧: ٥) فاستعاد مجده، واستعاد معه الإنسان الميت المنجَّس، حيًّا مقدساً.

تنسى الأطراف المجتمعة للوحدة أنه إذا تنازل كل واحد للآخر، فالمسيح بسبب هذا التنازل سيأتي بنفسه ويلقّنهم الإيمان الصحيح، لأنهم في **تنازلهم** سيتقابلون حتماً مع المسيح، مع **الحق!!** ولا يدري كل طرف متنازع أن الجزء أو الكلمة أو الفكر الذي يخشى التنازل عنه هو الذي يمنع حضور المسيح ويُعطّل التئام جرح الجسد الدامي، بل ويُعطّل وصول الإيمان إلى الحق، **لأن الحق النهائي في الإيمان المسيحي هو أن يكون الكل واحداً متحداً بالمسيح والآب** بالروح والقلب والمحبة: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (يو١٧: ٢١). وهكذا تصبح الوحدة المسيحية بين المسيحيين إلهاماً للعالم كله!! وشهادة للآب والابن.

«إلى وحدانية الإيمان»: εἰς τῆν ἑνότητα τῆς πίστεως

ما هي وحدة الإيمان إلاَّ **الاتفاق الكلي** ــ بالقول والنظر والفكر ــ في الخلاص الذي أكمله ربنا يسوع المسيح والذي فيه نعيش!! والذي به نترجّى الحياة الأبدية التي إليها دُعينا!!

وحدانية الإيمان مطلوبة بإلحاح من واقع الإنسان الجديد الذي انبثق من المعمودية نظير الإيمان الواحد، فإن كان الإنسان الجديد واحداً ــ لأن المعمودية واحدة وهي ميلاد جديد من واحد هو المسيح، فالإيمان أولاً وأخيراً يتحتم أن يكون واحداً. فإن قلنا بأن وحدانية الإيمان تتطلب الفكر الإلهي الواحد، فنحن في الإنسان الجديد يتحتم أن يكون لنا «فكر المسيح» الذي مُتنا معه عن ذواتنا وفكرنا لنقبله ونقبل فكره، وقمنا معه ليكون لنا فكر القيامة أي الحياة الأبدية ورجاؤها، بل وصعدنا معه إلى أعلى السموات لنمتلىء به في كل شيء له أو ليكون لنا ملؤه.

إذاً، وحدانية الإيمان تحاصرنا محاصرة شديدة وتضيّق علينا جداً لأننا كلنا وُلدنا ميلاداً واحداً منه وكلنا متنا معه، وكلنا قمنا معه وكلنا جلسنا معه عن يمين الله في السموات، فكيف وبأي فكر وحساب مَنْ لا يكون لنا إيمان واحد متحد في كل هذا؟

والقديس بولس سبق ووضع أساس الإيمان الذي عليه يقوم: «رب واحد، إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم». فإن كان المسيح ربّاً واحداً، والله الآب واحداً، بل والابن والآب واحداً، فقد التزم أن يكون الإيمان واحداً، وإلاَّ ينقسم اللاهوت. لأنه تجديف أن يكون لنا إيمانان بالله الواحد!! وتجديف متضاعف أن يكون لنا ثلاثة إيمانات!!! الواحد منهم يختلف عن الآخر، لأن الخُلْف سيقع على الله، وهذا تجديف.

الله يطلب ويطالب بالإيمان الواحد، لأن الأمر يخصُّه، لأنه يودُّنا أولاداً له متحدين في وحدانية الإيمان حتى لا يطمع فينا الشيطان ويستغل الخلاف لاسمه. لأن كل خلاف في الإيمان يحتسبه

الشيطان مكسباً له لا محالة!

إن وحدانية الإيمان هي رباط من نار يمنع العدو من الاقتراب، وهي تجمع المؤمنين في المسيح بقوة، وهي العنصر السـرِّي الذي يدفع بالمؤمنين ــ الكنيسة ــ للنمو بلا توقف ولا تعثُّر. إذاً، فتوقُّف الإيمان عن الوحدانية هو توقف حتمي عن النمو نحو الحقيقة العليا التي نتجه نحوها بدفع الروح، ونقف بالتالي عن اضطرار عن أن نبلغ إلى معرفة المسيح الحقَّة.

«ومعرفة ابن الله»: τῆς ἐπιγνώσεως

يلزم تصحيح الترجمة لتكون ملء المعرفة أو المعرفة الكاملة **full knowledge**: **«إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة كاملة لابن الله»**. إذاً، فمعرفة ابن الله المعرفة الكاملة هي الغاية والنهاية. وحدانية الإيمان تخدم البلوغ إلى كمال معرفة ابن الله التي هي الشركة مع المسيح. نقول ليس مجرد «الإيمان»، بل **«وحدانية الإيمان»، هي التي تُبلغنا إلى كمال معرفة ابن الله**.

لذلك فوحدانية الإيمان هي الهدف الذي ينشأ من تكميل القديسين بالخدمة والرعاية والتعليم، فإذا بلغنا وحدانية الإيمان، صرنا في مواجهة مكشوفة كاملة مع شخص المسيح، كحالة شركة بالروح. لأن وحدانية الإيمان هي الوقوف في حضرة المسيح والله بوجه مكشوف، وهذا هو منتهى الرجاء المسيحي. فأن نعرف ابن الله معرفة كاملة كشركة بالروح، فإننا نعرف الله: «أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم قد عرفتم الذي **من البدء** ــ (الكلمة / المسيح) ... أكتب إليكم أيها الأولاد لأنكم قد عرفتم الآب» (١يو٢: ١٣)، أي نعرف سرَّ الله والمسيح!! «... تعرفوا "**محبة المسيح**" الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل "**ملء الله**"» (أف٣: ١٩). لأن **الإيمان** بالمسيح ــ بحد ذاته ــ هو رباط أبدي بالمسيح، ولكن المسيح مرتبط فقط بجسده الذي هو الكنيسة. إذاً، **فوحدانية الإيمان** بالمسيح هي الرباط الذي يربطنا جميعاً، وبالمسيح والله، ليُحضرنا عنده قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.

ووحدانية الإيمان حينما تبلغ كمال معرفة ابن الله كشركة، يصبح الرباط الذي يربطنا بالمسيح والآب رباطاً وجودياً وكيانياً منظوراً، رباط حق ومعرفة ومحبة. وإدراك الحق والمعرفة والمحبة لا يتوقَّف قط عن النمو حتى الملء، «ملء الله».

«إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح»:

«إلى إنسان كامل»: εἰς ἄνδρα τέλειον

هنا «الإنسان» جاء **بالمفرد**. لأن القصد والمقصود هو الكنيسة ككلٍّ، جسد المسيح. فوحدانية

الإيمان هي التي تصنع وحدانية للإنسان. الإنسان في المسيح الآن، لا يُعرف خارج الكنيسة، فالكنيسة هي وحدها «الجسد» = الإنسان الجديد، هي الجسد ــ وفيه ملء اللاهوت: «إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً» (أف٢: ١٥). «**الإنسان ــ الكامل ــ الجديد**» الآن لا يقوم ولا يُحسب **بمفرده** خارج الكنيسة لأنه كائن في المسيح. الإنسان الجديد يُحسب فقط أنه إنسان جديد **كعضو في الكنيسة**، عضو في جسد الكلي القداسة. فخارج جسد المسيح لا يوجد الإنسان المؤمن. هذه هي عقيدة الكنيسة من حكم واقع التجسُّد والفداء والخلاص. من هنا يتحتم أن تكون الكنيسة ــ وهي جسد المسيح ــ واحدة وحيدة وإيمانها واحداً ووحيداً. ومن هنا تحتَّمت وحدانية الإيمان وتحتَّمت معها وحدانية معرفة ابن الله، لأن الإيمان رؤية وشهادة. الإيمان هو الذي يفتح العينين وينير القلب والذهن لمعرفة صحيحة صحة الحق. إذاً، فاتحاد الإيمان هو اتحاد رؤية ومعرفة صحيحة بالحق(٧). والحق واحد: «أنا هو الطريق **والحق** والحياة» (يو١٤: ٦)، إذاً، فاتحاد الإيمان يؤدي إلى اتحاد المعرفة الكاملة، إلى معرفة المسيح باعتباره الحق في ملء مجده: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤: ٩)

«إلى قياس قامة»: εἰς μέτρον ἡλικίας

عجيب أن يختلف العلماء والمفسرون، هل هي قامة جسدية أي تخص عمر الإنسان age، أو قامة بمعنى قدر أو مستوى أو حال. وفي الحقيقة الأمر لا يحتمل قولين، بل هي قامة روح ومجد ومستوى، لأنه سبق وقيل أنه قام وصعد وجلس، «وفيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً»، ونحن مملوؤون فيه. أما القامة الجسدية، فكانت في «صورة عبد»، وقد حوَّلها بالقيامة والمجد إلى صورتها الأُولى: «صورة الله»!! فنحن نحاكي مسيح القيامة: «وأنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢) فهي القيامة.

ولكن الذي يقطع بأنها قامة الروح والمجد قوله: «قامة **ملء** المسيح»، والمسيح بالله مملوء، ونحن ينبغي أن نكون مملوئين فيه: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبِّهاً بموته **لعلي أبلغ إلى** قيامة الأموات.» (في٣: ١٠)

«ملء المسيح»: πληρώματος τοῦ Χριστοῦ

وترجمتها الصحيحة التي تفسِّر المعنى هي «الملء الذي للمسيح»، لأن τοῦ حرف يفيد الملكية، وهنا يتعذر ترجمة «ملء» πλήρωμα بمعنى «الكامل»، كما حاول بعض المفسرين أن

(٧) وبالتالي فالمعرفة لا تؤدي إلى الإيمان بل العكس!!!

يفسروها، لأن ترجمتها تكون «إلى المسيح الكامل»، وهنا نفقد المعنى الصحيح من الترجمة الصحيحة، لأن الملء هنا ليس صفة بل اسماً، وبالتالي نفقد مفهوم الملء الإلهي ومسيح المجد والقيامة حيث يكون مجرد المسيح في صفته أو قامته البشرية «الكاملة» وهذا عين الخطأ. فالقصد من بلوغ قامة الملء الذي للمسيح هو بلوغنا إلى حالة الارتفاع الذي بلغه المسيح، لأن المسيح لمَّا صعد فوق جميع السموات أخذ كامل الملء الذي له في المجد وجلس عن يمين الله ليملأ الكل من ملئه. ولكن قيل، وهذا حق، أنه «أجلسنا معه» بمقتضى أننا جسده من لحمه ومن عظامه، فجلوسه جلوسنا. ولكن السؤال: هل حققنا هذا الجلوس معه في السماويات؟ هذا ما يقصده ق. بولس أن نبلغ في القامة أي الارتفاع، قامة أي ارتفاع ملء المسيح، والملء هنا هو المجد الذي سبق وقال: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني.» (يو١٧: ٢٢)

فالذي يقصده ق. بولس من نمو وبنيان الكنيسة هو أن تبلغ القامة أي الارتفاع النهائي الذي له، الذي أعطاه المسيح لها وسجَّله لحسابها، لتبلغه هنا بالإيمان الحي الكامل في ملء الوحدانية، وهناك تحققه: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة **جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)

إذاً، فمطلوب الاجتهاد ليزداد **إيمان** الكنيسة — مع حتمية بلوغ الوحدانية — إلى أن يصل إلى الثقة والتأكيد والرسوخ **القلبي** أننا — وبالرغم من قصورنا ومرارة الضيق الذي نعانيه — إلاَّ أننا بإيماننا بالمسيح أعظم من منتصرين وقد غلبنا العالم: «لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو١٧: ١٤). هذا هو المحسوب أنه قامة ملء المسيح. ومعروف أن المسيح بالجسد كان حاصلاً على ملء اللاهوت، ولكن بصورة غير علنية، لأنه تخلَّى بإرادته عن مجد لاهوته ليستطيع أن يأخذ جسداً ويصير بصورة عبد ويطيع حتى الموت موت الصليب. أمَّا المسيح القائم من الأموات والذي صعد وجلس عن يمين الله، فقد استرد الملء الذي له، فقد قيل — وهذا ينبغي أن يكون من صميم إيماننا كحق موهوب لنا — **أننا «مملوؤون فيه»** (كو٢: ١٠). بولس الرسول هنا يجعل لنا استعلان هذا الحق، وهو أننا **نبلغ إلى قامة ملء المسيح**، هذا منطق روحي مقطوع به لا يُناقَش، إلاَّ في حالة واحدة وهي إذا بلغ إيمان الكنيسة **حالة** الوحدانية. لماذا؟ لأننا بذلك نُثبت بالحق أننا **«جسده» الواحد** المتحد. وجسدُه، موضعه — بحسب التدبير الإلهي — هو الجلوس عن يمين الآب. وهذه هي «قامة ملء المسيح» التي فيها ومنها ملأ الكل. من هذا نفهم أن حالة قامة ملء المسيح تتحقق في حالة واحدة فقط وهي عندما تبلغ الكنيسة إلى حالة اتحاد، ووحدانية الإيمان، أي جسد واحد وإيمان واحد.

فإذا لم تكن هذه هي حقيقتنا ـ للأسف المحزن ـ فلنجتهد أن نبلغها باجتهاد صادق كما قال بولس الرسول: «**مجتهدين** أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.» (أف٤: ٣)

٤: ١٤ «كي لا نكونَ في ما بَعْدُ أطفالاً مُضطَرِبينَ مَحمُولينَ بكلِّ ريحِ تعليمٍ بحيلَةِ الناسِ بمَكرٍ إلى مَكيدةِ الضلالِ».

وهذا هو بولس الرسول، وهذا هو أسلوبه العجيب، فبعد أن ارتفع بنا وارتفع وحلّق بأفكارنا إلى ما هو أعلى من السموات والملء الذي يملأ الكل، والنمو والبنيان للجسد ووحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله وقياس قامة ملء المسيح، ينحدر بنا فجأة ليطوف بنا بين الأطفال والمضطربين والمحمولين بمكر تعليم الناس ومكيدة الضلال.

لقد توقف القلم مني وانصدّ الذهن وانطفأت الشعلة التي أضاءت أمامي للتأمل فيما هو في السموات. لأن هذا هو واقع حالنا تماماً تماماً. وكأن ق. بولس أصدق في شعوره مني، فمَنْ هم الأطفال إلاَّ نحن الذين قصَّرنا وقصَّرنا في إدراك قيمة الإيمان وقامة ملء المسيح!! وما هو الاضطراب إلاَّ نصيب الذين فقدوا الهدف والرؤيا وجرفتهم الرياح الغريبة بما حملت من تعليم الناس عِوَض تعليم الله والروح، وهبَّت عليهم أعاصير الجهل فتركوا الإنجيل وانكفأوا يجرون وراء تخريجات العقل وانساقوا وراء اختلاق المعجزات وامتلأت حياتهم وبيوتهم بحكاوي التفاهات وأدوات الضلال.

والقديس بولس يقول، وهو صادق فيما قال: إما الانشغال بهذا الذي نقوله لكم عن المسيح والنصيب المعدّ، وإما السقوط في مخالب الشيطان وضلال الناس وسحر العالم الكذّاب. ثم يعود ويقول إن «الحياة في المسيح» هي حصن الإنسان الحصين الذي يضمن له أقدس حياة وأطهر سيرة وأقدس إيمان وأعظم معرفة وأمجد آخرة. فاخْتَرْ ما شئت، ولكن ليتك تختار الذي فداك بدمه ومات من أجلك لتحيا معه في سعادة الأبد.

٤: ١٥ «بل صادِقينَ في المحبةِ نَنمُو في كلِّ شيءٍ إلى ذاكَ الذي هو الرأسُ: المسيحُ.»

«صادقين في المحبة»: ἀληθεύοντες δὲ ἐν ἀγάπῃ

يلاحظ القارىء أن كلمة «أطفال» مُضمرة هنا أيضاً: «بل كأطفال صادقين ...»، لأن العيب ليس في الطفولة إلاَّ إذا كانت طفولة عقل وخبرة. ولكن هنا يقدِّم طفولة قلب وحب وهي

وحدها المؤهّلة للدخول إلى ملكوت السموات.

ثم يقدّم ق. بولس عنصراً من أمجد عناصر السلوك الروحي للأتقياء الذين فعلاً يطلبون وجه الله والمسيح وهو **«التكلّم بالحق» مع الآخرين** ἀληθεύειν (كما جاءت في سفر الأمثال ٢١:٣)، والذي ترجمه المترجم العربي إلى **«صادقين»**. فالإنسان **الصادق هو مَنْ يتكلّم بالحق مع الناس**، فإذا أُضيفت إليه «في المحبة»، أي في محبة المسيح، صار المعنى أن نتكلّم معاً بالحق في محبة المسيح. والقديس بولس يضعها في الجمع لأنه يهدف إلى الكنيسة، لذلك تأتي في المقابل المضاد: «كأطفال مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم ــ معلمين كذبة ــ بحيلة الناس بمكر» لتكون: «متكلمين بالحق في المحبة».

«ننمو في كل شيء إلى ذاك»: αὐξήσωμεν εἰς αὐτὸν τὰ πάντα

يقول العالِم ماير(٨)، وهو متمكن من اللغة اليونانية، أن εἰς αὐτόν تفيد **«فيما له»** أي فيما للمسيح، أي «ننمو فيما للمسيح» فيكون المعنى: «ننمو في ما له في كل شيء»، والمقصود في كل أمور الحياة، وذلك في مقابل ما جاء في الآية (١٤): «مضطربين ومحمولين **بكل** ريح تعليم». وهنا «ننمو فيما له في **كل** أمور الحياة»، يكون الكلام بالنسبة للكنيسة كأعضاء تتعامل معاً بالحق والمحبة فتنمو معاً.

«الذي هو الرأس المسيح»: ὅς ἐστιν ἡ κεφαλή, Χριστός

لاحظ هنا أن المسيح والكنيسة لهما علاقة بديعة حقاً.

فالكنيسة بالنسبة للمسيح هي جسده، من واقع تجسُّد المسيح. فالمسيح اتحد بالبشرية، والبشرية أي الكنيسة هي جسده، هي جسده على الأرض. فأصبح عليها أن تعبر الصليب والموت والقيامة لتكون مؤهّلة للصعود والجلوس معه، أي تنمو من الجسد على الأرض نحو الرأس الذي في السماء.

أمّا المسيح بالنسبة للكنيسة فهو رأسها، من واقع ارتفاع المسيح فوق أعلى السموات وصار الكل مُخضَعاً له، فصار رأساً لكل شيء، وبالتالي أو بالأولى رأس الكنيسة التي على الأرض. فهي وإن كانت جسده، فهو يسوسها من السماء باعتباره رأساً فوق كل شيء وبالتالي للكنيسة. وباعتباره رأسها الذي في السماء وقد استرد الملء الكلي الذي له، أصبح عليه أن يسكب على

8. Meyer, *op. cit.*, p. 464.

جسده المتغرِّب على الأرض من ملئه كلَّ ما يلزمها ويؤهلها للنمو في طريقها المؤلم الصاعد من الصليب للقيامة. وهكذا وهبها مواهب ـــ الروح القدس ـــ الرسولية (الإنجيل) والنبوَّة (التعزية) والبشارة (الشرح والتفسير) والرعاية والتعليم، وظلَّ هو يسكب من محبته عليها كرباط الرأس بالجسد.

فالكنيسة على الأرض عليها أن تنمو وتُبْنَى بالروح والحق والمحبة لتليق **أولاً** أن تكون جسده الشاهد له، **وثانياً** لكي ترتفع وتعلو لتصير على مستواه وهو في السماء، لأنه أعطى لها أن تجلس بجلوسه عن يمين الله لأنها جسده.

هنا نمو الكنيسة هو لتبلغ إلى الرأس، أي إلى مستواه، وهذا هو نفس المعنى في قوله «لبنيان جسد المسيح ... إلى قياس قامة ملء المسيح».

٤:١٦ «الذي مِنْهُ كلُّ الجسدِ مُركَّباً معاً، ومقترناً بمؤازرةِ كلِّ مَفْصِلٍ حَسَبَ عَمَلٍ: على قياسِ كلِّ جزءٍ يُحَصِّلُ نموَّ الجسدِ لبُنيانِهِ في المحبةِ».

حينما يقول ق. بولس إن النمو يحدث «إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح»، فهو يعني أن النمو للكنيسة يحدث أولاً حتى تبلغ الكنيسة إلى مستوى الرأس. ولكن النمو هو من عمل المسيح الرأس، لأن المسيح هو الذي يربي الكنيسة ويقيتها حتى تصير لائقة به. لذلك فكل نشاط وعمل ونمو كل عضو في الكنيسة هو من المسيح، وذلك لا يتم إلاَّ بالاتصال بالمسيح كما تتصل الرأس بالأعضاء وتحركها وتعتني بها. لأن عضو الجسد ورأس الجسد وحدة واحدة غير منفصلة، والرأس بالنسبة للعضو في الجسد هو مصدر حياته وصحته ونموه وعمله. فكلما اعتمدت الأعضاء في الجسد على الرأس وكانت صلتها بالرأس سليمة وصحيحة، كلما كان نموها صحيحاً وسليماً. وكذلك فإن الأعضاء معاً في الجسم الواحد تأخذ علاقتها ببعضها من الرأس. فالرأس تحدد عمل كل عضو بالنسبة للعضو الآخر، ولبقية الأعضاء، وهي في الجسد الواحد مربوطة معاً بمفاصلَ ورُبُطٍ ligaments، وهي المسئولة عن سلامة انسجام حركتها معاً بالقدر الصحيح في الوقت الصحيح، وهي طائعة لعمل الرأس الذي يحركها معاً: العين للرؤيا واليد للامتداد والفم للانفتاح فيحدث الأكل الذي يغذِّي الجسد وينمِّيه.

ولو عرفنا حقيقة تشريح الجسد وعمل أعضائه فسيولوجياً، لتعجَّبنا ألف عجب، لأنها مئات المفاصل ومئات الرُّبُط وآلاف العمليات الحيوية الفسيولوجية ـــ حيث أن الفسيولوجيا هو علم

وظائف الأعضاء خارجية وداخلية ــ تعمل معاً لغرض واحد نهائي هو نمو الجسد. فبولس الرسول أبدع إبداعاً علمياً وروحياً في رفع العلائق التي تربط الأعضاء بالمسيح وببعضها معاً على مستوى علائق الأعضاء بالرأس وببعضها، فهو انسجام فائق الدقة، وتشبيه لا يعلو عليه ولا يدانيه تشبيه آخر ليُظهِرَ سر صلة المسيح بالكنيسة والمؤمنين معاً. هذا التشبيه إذا تأملناه مليًّا يعطينا عظة عملية غاية في الوضوح والقوة، ليراجعنا في أفكارنا وسلوكنا من نحو إعطاء المسيح والكنيسة رئاستها الروحية علينا، وسلطان المسيح وإنجيله الذي ينبغي أن يكون دستور حياتنا بكل احترام واهتمام وتدقيق.

كذلك في علاقتنا مع بعضنا يوضح كيف تُشلُّ حركة الكنيسة، إذا تعارك عضو مع عضو أو احتقره أو رذله وأهانه أو قطع علاقته به! انظر ماذا يحدث للجسد إذا غضبت العين على اليد أو الرجل وقطعت صلتها بهذا العضو أو ذاك، كيف يُشلُّ الجسد بالفعل ويتوقَّف نموه ويتعرَّض للمرض والموت. هذا التشبيه الذي وضعه ق. بولس لنا ينبغي جداً أن يكون موضوع تأملنا وتوبيخنا لأنفسنا ولكل مَنْ اجترأ وتعدَّى!!

ثم انظر إلى جسد الرجل السليم أو الرياضي كيف يتحرك جسده بخفة وقوة وانسجام رائع لأن الأعضاء ملتزمة بالارتفاق والتعاون، وكلها تأخذ تحركها وعملها من الرأس بسرعة فائقة وطاعة مذهلة، لذلك يبدو الجسد كله وكأنه وحدة متآلفة منقطعة النظير.

«مقترناً» : συμβιβαζόμενον

ولعلها أقوى وأدقُّ كلمة في الآية كلها، وهي تفيد ارتفاق الشيء مع الشيء بدقة وحكمة ليخرج من الاثنين عمل واحد وحركة واحدة منسجمة كما جاءت في رسالة كولوسي: «لكي تتعزى قلوبهم **مقترنة** في المحبة ...» (كو٢: ٢)؛ حيث **المحبة** في عملية اقتران العضو بالعضو في غاية الأهمية، وبدونها يستحيل أن يقترن أو يرتفق عضو على عضو، أي مؤمن بمؤمن، حيث المحبة تقع أهميتها المطلقة في عملية الاقتران في رفع عوائق الاقتران من اختلاف في المبادىء أو الفهم أو التقليد الاجتماعي أو البيئة أو التربية أو مستوى التعليم والتهذيب. فأي اختلاف من هذا النوع ــ وهو حتمي مائة بالمائة بالنسبة لأي مؤمن مع مؤمن آخر ــ قادر أن يوقف عملية الاقتران، أي ائتلاف المؤمن بالمؤمن الآخر للقيام بعمل واحد لحساب الإيمان والكنيسة. فإذا دخل عنصر المحبة، فهو قادر بقوة وسلطان مذهل للعقل على إلغاء أي اختلاف لحساب عمل الكنيسة أو الإيمان. لذلك فالكنيسة أو جماعة المؤمنين الناضجة نجدها مكوَّنة من عناصر شديدة الاختلاف في كل فرع من فروع الحياة، ولكنها حيَّة نشطة منسجمة حارة بالروح، سريعة الاستجابة لنداء الواجب والبذل،

قادرة أن تتحرك وتعمل وتنفذ كل مطالب الله والإيمان، وكأنها شخص واحد. وذلك بسبب روح الارتفاق أو روح الاقتران القائم على المحبة، والذي سببه المباشر هو صحة اتصال كل عضو بالمسيح الرأس الذي يستطيع أن يحرك كل واحد بالقدر الذي يجعله مُهيَّئاً للاتحاد والانسجام مع الآخرين، كما يغذيه بطاقة الحب القادرة أن تجعله على أتم استعداد أن يبذل وينسى ما هو لنفسه ويطلب منفعة الآخرين، ولسان حاله: الله أولاً، والآخرون ثانياً، وآخر الكل أنا.

ولا يغيب عن بالنا أن قصد هذه الآية هو جزء من قصد كل الرسالة، وهو وحدة المؤمنين في المسيح التي هي نهاية كل قصد الله من الفداء والخلاص والمصالحة والتبني، كقول المسيح قبل الصليب: «ليكونوا واحداً كما نحن» (يو١٧ : ١١). ولكن تتميز هذه الآية بالتركيز على قوة الاقتران أو الارتفاق اللازمة جداً بالنسبة للمؤمنين معاً، فهي أساس الوحدة أو البنيان من القاع، كيف يقترن المؤمن بالمؤمن، الذي يعتمد بالضرورة على عنصرين:

الأول: صلة العضو بالمسيح صلة قوية سليمة قادرة أن تدبِّر حركته وتشكِّله بسرعة لحساب الآخرين.

الثاني: مدى إمكانية تجرُّده من مزاجه الخاص وصفاته التي لصقت به وعاداته وميوله ومشيئته، حتى إلى الدرجة التي يستطيع أن يقف فيها ضد نفسه لينفذ مطالب الوحدة التي يريدها الله.

والحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن بالنا، والتي نستقيها من روح هذه الرسالة، هي أننا إن كنّا حقاً قد بلغنا إلى ما تعنيه الآية: «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف٢ : ١٠)، نقول هذه الحقيقة وهي أننا مخلوقون في المسيح من أجل هذه الوحدة، وحاملون بالتالي كل مؤهلاتها في صميم خلقتنا الروحية، وبذلك يصبح لا عذر لنا إن أخفقنا في تكميل ما تطلبه.

[٤:١٧-٢٤]

٣ ـ السلوك بحسب الإيمان المسيحي الذي يميِّز الإنسان المسيحي

٤ : ١٧ «فأقولُ هذا وأشهَدُ في الربِّ أن لا تَسْلُكوا في ما بعدُ كما يَسْلُكُ سائرُ الأممِ أيضاً ببُطْلِ ذِهنِهم».

هنا استمرار للحديث الوعظي الذي بدأ به الأصحاح حتى عدد (٣) ـ وانقطع بسبب استطراده في كيف يجب أن يحفظوا وحدانية الإيمان، وأن المسيح أعطاهم لهذا السبب مواهب سماوية حينما صعد فوق أعلى السموات وأفاض عليهم مواهب الرسولية والنبوَّة والبشارة والرعاية والتعليم حتى يتم نمو الجسد ليناسب الرأس الذي له، أي المسيح ـ ثم عاد يستطرد ويقول: «أقول هذا وأشهد في الرب ...» ثم يبدأ بقية وعظه في كيفية السلوك كما يحق للمسيحي العضو في جسد المسيح، بعدما وُلِدَ بالروح جديداً وأخذ مواهب الإنسان الجديد.

«فأقول هذا وأشهد في الرب»: τοῦτο οὖν λέγω καὶ μαρτύρομαι ἐν κυρίῳ

بقية العدد الأول وما يليه: «فأطلب إليكم أنا الأسير **في الرب** أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة ...»، «فأقول هذا وأشهد **في الرب**». هنا القديس بولس يؤكِّد قوله ويشدِّد عليه بيقين، كمن يتلو شهادة صحيحة أمام المحكمة: «أشهد». (أقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق). وهذه الشهادة يقولها ليس أمام قاضي محكمة بل أمام قضاء ضمائرهم حتى ينبِّه قلوبهم إلى خطورة موقفهم أمام القاضي السماوي. وهو يشهد في الرب وهو أسير في الرب، فالشهادة هنا جاءت مناسبة للغاية وبلغة قضائية تحكي عمَّا ناله بسبب أنه يقول الحق دائماً، فالسلسلة تشهد أيضاً في الرب أنه يقول الحق في الرب. ثم: بسبب مَنْ هو مقيَّد بسلسلة؟ بسبب اليهود الذين لا يريدون للأمم أن يدخلوا معهم في الميراث والجسد، إذاً، فهو يدفع ثمن «**قولة الحق**» دفاعاً عن «**قضية الأمم**»، لينالوا الميراث والجسد إنْ هم اتحدوا في الإيمان الواحد وصاروا على مستوى جسد المسيح في السلوك.

«أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً»:

هم كانوا من الأمم سلوكاً وسيرة ورداءة، ولكن مات المسيح من أجلهم لينتشلهم من موت الخطية وفساد السلوك وحياة الإثم والرذيلة، فغسلهم بدمه وقدَّسهم بروحه القدوس وبرَّرهم ببرِّه

الشخصي، فصاروا بالحق على مستوى الجسد، وأعضاء فيه، وأهل بيت الله، ولهم جراءة وقدوم إلى الآب بإيمانه عن ثقة. فالآن قد صارت هناك هوة أخلاقية وسلوكية وحياتية بينهم وبين سائر الأمم. وقد سبق أن خاطبهم في هذا الموضوع تماماً في الرسالة إلى أهل غلاطية: «فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون (هذه القاعدة أو العقيدة) عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله (أي إسرائيل الجديد الذي للمسيح وليس لموسى)» (غل٦:١٦). «أنتم تعلمون أنكم كنتم أمماً منقادين إلى الأوثان البُكْم كما كنتم تُساقون» (١كو١٢:٢)، ولكن الآن ليس كذلك: «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء.» (١بط١:١٨)

«كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببُطْل ذهنهم»:

«بُطْل الذهن»: ματαιότητι

هنا كلمة **«بُطْل ذهنهم»** جاءت لغوياً من صفة أوثان الأمم على المستوى النقدي، إذ كان العهد القديم يسميهم الأباطيل «أباطيل الأمم»، فجاءت صفة ذهنهم، بمعنى «ذهنهم الأوثاني» بما له من فساد مريع: «أيها الرجال لماذا تفعلون هذا (حينما همُّوا بذبح الذبائح أمام بولس الرسول وبرنابا إذ ظنوا أنهم آلهة). نحن بشرٌ تحت آلام مثلكم، نبشِّركم أن ترجعوا من هذه **الأباطيل** ματαίων ...» (أع١٤:١٥). والكلمة تعني فساد الذهن وتفاهته في الانسياق وراء الأصنام البُكْم. أو بالمعنى الكلي الحالة الأخلاقية العامة لدى الوثنيين بما تحمل من الناحية العقلية والناحية العملية في الفساد الخُلقي معاً.

٤:١٨ **«إذْ هُم مُظلِمُو الفِكرِ ومتجنِّبُون عن حياةِ الله لسببِ الجهلِ الذي فيهِم بسببِ غِلاظَةِ قلوبِهم».**

ثم هنا يبدأ ق. بولس يصف حال «سائر الأمم» وهي نفسها حالتهم قبل أن يقبلوا الإيمان.

«إذ هم مُظلِمُو الفكر»: ἐσκοτωμένοι τῇ διανοίᾳ

وتأتي في مقابل: «استنارة عيون أذهانكم (قلوبكم)» التي دعا بها بولس لهم (١:١٨)، وهي تأتي أيضاً موافقة لما وصفهم به في رسالة رومية: «لأنهم لمَّا عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم **وأظلم قلبهم** ἐσκοτίσθη ἡ καρδία الغبي» (رو١:٢١). وواضح أن الظلمة هي ظلمة الخطية، لأن الخطية تُظلم الفكر، لماذا؟

لأن هبة العقل والفكر والتأمل هي هبة إلهية اختُصَّ بها الإنسان المخلوق على صورة الله. فالإنسان مخلوق عاقل فهيم مُسبِّح. وهذه الموهبة ليست من التراب الذي خُلق منه، بل عطية من الله لتربطه بالله، فبالفكر وعن طريق الفكر يتكلَّم الله مع الإنسان والإنسان مع الله، والفكر أو العقل مرتبط بالقلب، ليس القلب العضوي بل القلب في الإنسان الباطني الذي هو مركز الشعور والإحساس والعطف والحب والمعبِّر عن الشخصية. والعقل والقلب معاً صِنْوان عزيزان لا يفترقان، لا يمكن أن يعمل الواحد منهما بدون الآخر، لذلك فلأن العقل (والقلب) هبة إلهية متصلة بالله، لذلك فكل ما يأتي من الله ينير الفكر والقلب، وكل بُعد عن الله يطمس معالم العقل ويضعف من عمله لإدراك ما هو لله. والله نور ولا يُعرف النور إلاَّ بالنور، وعقل الإنسان هو مصباحه، هو نوره، وهو من الله كما قلنا. لذلك يقول: «بنورك يا رب نرى نوراً» (مز٣٦: ٩). فإذا زادت الخطية اظلمَّ الفكر، وبالتالي يعجز عن أن يقترب من الله، لذلك يتجنَّب الله بإرادته ورغماً عنه. وطالما تستبد به الخطية فهو يرتاح في الظلام: «وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور» (يو٣: ١٩)، لهم عيون لا تبصر: «قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم (فكرهم)، لئلاَّ يبصروا بعيونهم (عيونهم العقلية) ويشعروا بقلوبهم (يفهموا) ويرجعوا فأشفيهم» (يو١٢: ٤٠). لماذا؟ لأنهم أحبُّوا الظلمة = الخطية، أكثر من النور = الله.

«مُتجنِّبون عن حياة الله»: ἀπηλλοτριωμένοι τῆς ζωῆς τοῦ θεοῦ

تعبير بديع من ق. بولس أن يضيف الحياة لله، فهي له ومنه، وبدونه لا تُعتبر الحياة حياة الله بل حياة الخطية، حياة الظلمة: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف٢: ٥). بل هي اسماً وفعلاً «حياة الموت»: «الجالسون في أرض **ظلال الموت** أشرق عليهم نور.» (إش٩: ٢)

كل إنسان، كان مَنْ كان، حتى وأعظم قديس، إن هو أخطأ أحسَّ في الحال أن سحابة ظلمة خيَّمت على عقله. لذلك فأولاد الله أسرع ما يكونون للاعتراف بالخطية وطلب التوبة، لأن التوبة عطية أيضاً من الله. كل مَنْ كان يحيا حياة الله لا يطيق الإثم، وكل مَنْ أحب العالم دخل مع الله في عداوة وابتعاد. ولسان حال الله دائماً ما قاله: «قد جعلتُ قدامَكَ الحياة والموت ... فاخترْ الحياة لكي تحيا» (تث٣٠: ١٩). هنا الحياة وُضعت في مقابل الموت أي ظلمة الخطية.

كل إنسان تتمثَّل الخطية أمامه، فإن صوت الله في القلب يرن حالاً كناقوس: لا تخطئْ لئلا تَموتَ!! نعم، فكل ابتعاد عن الله هو موت!

والخاطىء يتجنَّب الله ما أمكن، ولكن هيهات! فعيناه «تخترقان الظلام».

«لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم»:

هنا يوضح ق. بولس أن تجنُّبهم عن حياة الله هو لسبب الجهل الذي فيهم. ويقول المفسرون إن الجهل الذي فيهم هو الذي تسبَّب في الابتعاد عن حياة الله، ولكن التحليل الروحي الدقيق يُرجع الابتعاد عن الله والجهل الذي فيهم وغَلْظَة قلوبهم إلى علة واحدة أولى هي الخطية، فلا يقف قُبالة الله كعدو إلاَّ الخطية. فالله نور والخطية ظلمة، الله حياة والخطية موت: «آخر عدو يبطل هو الموت!!» (١ كو١٥: ٢٦)

وفي الحقيقة إن الجهل الذي فيهم هو بعينه غَلْظة قلوبهم، لأن القلبَ الغليظ عديمُ الفهم، والاثنان على مستوى متكاتف للابتعاد عن الله وتجنُّب حياة الله.

الخاطىء في البداية يلومه قلبه بشدة مريعة، يُفقده الراحة والهدوء والسلام والمحبة وحتى النوم، ولا يرتاح أبداً أبداً إلاَّ إذا اعترف وتاب بالحق! ولكن إن هو داس على صوت القلب ومشاعره وتغاضى عن صراخه في الداخل فيُخطىء أيضاً، يبدأ القلب يتقسَّى ويضعف صوته وتخمد ثورته، وبعد مزيد من الخطية يجف جفافاً، وهذه هي غلظة القلب. القلب الغليظ هو قلب فَقَد الإحساس والشعور واللطف والحب والرقة والعواطف.

المجرم الذي اعتاد التعدِّي، يذبح مَنْ يقف أمامه كما يذبح الجزار البهيمة، ولا يهتم إلاَّ بتغطية جريمته. القلب مستعد للغلظة حتى استيعاب سبعة شياطين!! والجريمة بدأت عند المجرم بخطية صغيرة اهتاج عليها القلب رافضاً. فالله لا يُلام أبداً بينما صوته يتابع القلب، ولكن الازدراء بنعمة الله وبصوته الحلو — الذي يشابه صوت الأم حينما ترى صغيرها يلعب بالنار فتهتف بحنان: احذر يا ولدي اللعب بالنار! — كفيل بأن تقيِّده الخطية بالحديد وتسلِّمه ليد الشيطان ليلعب به ويلقيه في النار.

٤ : ١٩ «الذين إذْ هُم قد فَقَدُوا الحِسَّ، أسلَمُوا نُفوسَهمُ للدَّعارَةِ ليعمَلُوا كلَّ نجاسَةٍ في الطَّمَعِ».

يتكلَّم عن الذين تجنَّبوا بالفعل حياة الله بعد أن اظلمَّت أفكارهم وعشعش الجهل فيهم بسبب غَلْظة قلوبهم، يقول إنهم هكذا فقدوا الحس.

«فقدوا الحسَّ»: ἀπηλγηκότες

ومعناها الحرفي اليوناني: «توقفوا عن الإحساس». ولها في اللغات الأجنبية كلمة علمية ذائعة

هي «كالوس» callos أي «تكلّسوا». وأصلها العلمي أنك إذا قطعت عُقْلَة عنب مثلاً، فإنها في البدء تنزف الماء الذي في أوعيتها مكان القطع، ولكن إذا تركتها فإنها تربّي طبقة مانعة من تسرُّب العصارة وتُسمّى الكالّوس.

فالقلب إذا تكلّس، فقَدَ القدرة على إفراز مشاعره، وهذا هو ما عبّر عنه ق. بولس بأنهم فقدوا الحِسّ.

وبالتالي فإنْ فقدوا الحس، فقدوا أي تأثر من جهة كل ما يُسيء إلى سُمعتهم أو شرفهم أو حتى حياتهم، وهكذا يصبحون مهيئين لأن تسوقهم أهواء قلوبهم وشهوات نفوسهم بلا أي اعتبار، فإن كانوا قد تجنّبوا حياة الله واستقروا على البُعاد، فمرحباً بالشيطان وكل تصوراته ومشوراته وأعماله! وأعمال الشيطان تتركز بشدة في الزنا والنجاسة بكل صنوفها، لماذا؟ **لأن الله قدوس هو!!** فكيف يقاوم الشيطان الله علناً ويهين قداسته إلاّ في صورته، أي في الإنسان!! إن آخر ما يطمع فيه الشيطان هو أن ينكّل بالإنسان بكل أنواع النجاسات، لأنه بهذا يهين الله!!! لأن الإنسان مخلوق على صورة الله!! ولكي تدرك مدى الإيذاء والتهجُّم على مشاعر الله حينما ينغمس الإنسان في أشر القباحات، تصوَّر ملكاً رُفعت صورته على منصّة، فجاء عدوٌّ ولطّخها بالقاذورات. فماذا يكون شعور الملك وأعوان الملك وأولاد الملك وأحباء الملك إلاّ الإحساس بالسخط والمهانة. هذا ما يريده الشيطان دائماً ... مع الفارق وهو أن هذه صورة من ورق، وهذه صورة حية ناطقة على شبه الله ومثاله.

بولس الرسول حينما كان يضطهد المسيحيين وينكّل بهم، تأوّه المسيح ابن الله من السماء وقطع عليه رحلته الطامعة في مزيد من الإيذاء، واستعطفه: شاول شاول لماذا تضطهدني!!! والله من السماء ينادي الذين أسلموا ذواتهم للدعارة وكل نجاسة: ابني يا ابني لماذا تهينني؟!!!

«كل نجاسة في الطمع»: ἀκαθαρσίας πάσης ἐν πλεονεξίᾳ

ارتباط النجاسة بالطمع حيَّرت المفسرين جميعاً وحاولوا بلا طائل فصلها عن النجاسة، لأن الطمع خطية راقية والنجاسة خطية منحطّة. الأُولى على مستوى الإنسان والثانية حيوانية محضة، ولكن السر سبق أن قلناه أعلاه. فالطمع طمع الشيطان في الله! فإن تمادي الإنسان في النجاسة بكل غيرة واهتمام ودفع أموال وتضييع صحة وشباب ومسخ صورة الإنسان، هو منتهى ما يطمع فيه الشيطان لإهانة صورة الله والتنكيل بها إلى ما دون الحيوانية.

فالإنسان المشتغل بالنجاسة تجده طامعاً في مزيد من إيذاء النفوس الأخرى والتنكيل بها، لا

يشبع ولا يكف. فالنجاسة قوتها المخرِّبة في الطمع لمزيد من تحطيم صاحبها، والآخرين معه. وقد قيلت في الإنسان الذي يطمع في امرأة غيره (١تس٤ :٦)، هذا هو طمع النجاسة. ولكن الطمع كرذيلة يقوم بنفسه أيضاً سواء في مال أو غِنَى أو ربح أو فيما للغير. وخِصْلة الشيطان المشهورة هي الطمع: «لئلا يطمع فينا الشيطان.» (٢كو٢ :١١)

ولكن إذا أُضيف الطمع للنجاسة، كان هو طمع الشيطان في الله لمزيد من الإهانة. فعلامة استيلاء الشيطان على عقل الإنسان وقلبه هي أن يجعله لا يكف عن الزنا، ويلذذه بالمزيد لمزيد من إهانة صورة الله. لذلك **كل نجس طمَّاع**، وكذلك كل عبادة أوثان تُسمَّى طمعاً أيضاً، وهو بالتالي أيضاً طمع في إهانة الله بعبادة آلهة كاذبة ميتة تحت نظر الله الإله الوحيد الذي له المجد والعزة والسلطان والسجود الدائم!!

خلع أعمال الظلمة بإنسانها العتيق
ولبس المسيح والنور في الإنسان الجديد
(٤ :٢٠-٢٤)

٤ :٢٠ **«وأمَّا أنتُمْ فلم تَتعلَّموا المسيحَ هٰكذا.»**

أمَّا أنتم أيها الأمم، الذين قبلتم المسيح وآمنتم واعتمدتم فاستنرتم، فقلِمْتُم عِلْم النور والحياة مع الله، فشتان بين ما تعلمتموه من سيرة آبائكم الباطلة (١بط١ :١٨) وما تعلمتموه في المسيح:

+ «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأمَّا الآن فنور في الرب.» (أف٥ :٨)
+ «قد اشتُريتُم بثمن، **فمجِّدوا الله في أجسادكم** (عكس ما صنع الشيطان بأجسادهم لإهانة الله) وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦ :٢٠)
+ «لا زناة ولا عبدة أوثان ... وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦ : ٩-١١)

٤ :٢١ **«إن كنتم قد سَمِعتُمُوه وعُلِّمْتُم فيهِ كما هو حَقٌّ في يَسُوعَ».**

هنا «**إنْ**» εἴ التي حيَّرت المفسرين، وبعضهم أسقطها، هي في الحقيقة للتوكيد وليس للشك ــ خصوصاً وأن حرف γε الذي يفيد التوكيد يأتي بعدها. فبولس الرسول هو الذي قدَّم لهم يسوع ليسمعوه وهو الذي علَّمهم في المسيح. فمعنى القول هو أن مجرد سماعهم المسيح يعطيهم

معرفة الحق، كقولك إن كنتم قد اعتمدتم فأنتم في المسيح تعيشون، هنا «إنْ» شرطية وجوابها واجب النفاذ.

والمسيح أعطى حق الحياة الأبدية لمجرد سماعه، هذا إن آمن السامع بالآب: «إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو٥: ٢٤). وهذا يُظهر معنى آية ق. بولس بوضوح، فبناءً على ما قاله المسيح يكون: «إن كنتم قد سمعتموه وعلِّمتم فيه ــ (وأدركتم الحق) ــ كما هو حق في يسوع».

فإن كان سماع المسيح والإيمان بالله الذي أرسله، يورِّث الحياة الأبدية، فكم يكون بالحري مَنْ سمعه وتعلَّم فيه، فإنه يكون قد بلغ الحق الذي فيه. لأن ق. بولس هنا يضع سماع المسيح والتعلُّم منه في مقابل الابتعاد عن الله ورفضه. وهذا التضاد ناتج من إيمان هؤلاء الإخوة الأمميين ورفض الإيمان عند سائر الأمم. فالنتيجة الحتمية أن سلوك الذين آمنوا يغاير تماماً سلوك الرافضين، هؤلاء أصبحوا أبناء العهد الجديد وأولئك بلا عهد ولا وعد.

٤: ٢٢ «أنْ تَخلَعُوا من جهة التصرُّفِ السَّابِقِ الإنسانَ العَتِيقَ الفاسِدَ بحَسَبِ شَهَواتِ الغُرُورِ».

هذا هو جواب «إن كنتم قد سمعتموه»، فهو جواب واجب النفاذ لأنهم سمعوه. فالشرط الذي وضعه «**إن كنتم**» متوقف بالدرجة الأُولى على «**سمعتموه**»، لأن سماعه يؤدي إلى نفاذ محتم. والمعنى أنه طالما أنتم سمعتموه تحتَّم أن تخلعوا الإنسان العتيق.

وفي الحقيقة أكرر هنا ما قاله المسيح لأنه يخص صميم إيماننا وحياتنا وفرحنا:

+ **«إن مَنْ يسمع كلامي، ويؤمن بالذي أرسلني: ١ - فله حياة أبدية،**
٢ - ولا يأتي إلى دينونة،
٣ - بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو٥: ٢٤)

مَنْ منَّا لم يسمع المسيح؟ مَنْ منَّا لم يؤمن بالله الآب الذي أرسله؟

فهل يمكن أيها القارىء العزيز والسامع أيضاً أن تُدخِلَ كلمات المسيح حيز الضمير لتؤكد له:

١ - أن الحياة الأبدية صارت من نصيبنا المؤكَّد،

٢ - وأنه يستحيل أن نأتي إلى دينونة، نعم سنقف جميعنا أمام كرسي المسيح ولكن اسمنا

مسجَّل عنده على كفِّه، سيعرفنا في الحال، سينظر إلى الوجه وتتقابل العينان وتمتد يده لتمسح دموعنا، ويفرد يمينه ويقول ادخلوا يا مباركي أبي إلى الفرح والمكان المُعدّ، لقد كنتُ دائماً في انتظاركم.

٣ - وأننا الآن نقيم في نعمة المسيح، لأننا قد انتقلنا من الظلمة إلى ملكوت ابن محبته.

«تخلعوا من جهة التصرُّف السابق»:

هنا معرفة جديدة لنا. لأنه ليس أحد من الآباء قال بأن هذا يتم في المعمودية. والفعل اليوناني هنا «**تخلعوا**» ἀποθέσθαι يُترجم عن اليونانية في حالة المصدر «الخلع»، وفي زمن الـ aorist الذي لا يختلف معناه عن زمن الفعل المضارع إلاَّ في كونه حدثاً وقتياً حصل مرة واحدة وانتهى(٩).

هنا المعنى جميل وواقعي للغاية، فحالة الخلع تتم كفعل نية وإيمان وتصميم مرة واحدة، ولكننا نظل حاملين في الضمير هذا الخلع وكأنه دائم، مع أنه انتهى!! لأنه خلع إنسان عتيق، في حين يأتي التجديد كحالة مستمرة مدى الحياة، تنمو دائماً، لأننا إنما نتجدد لنلبس المسيح!!

وهكذا يصبح التعبير في اليونانية رابطاً بين الآيات (٢٢و٢٣و٢٤) كالآتي:
«الحق الذي في المسيح أن تخلعوا ... وإذ تتجدَّدوا ... تلبسوا ...».

هذا التعبير يتكرر كثيراً في رسائل بولس الرسول وبقية الرسل إذ أنه كان تعليماً رسولياً:

رو١٣: ١٢و١٣: «قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة».

كو٣: ٩و١٠: «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه».

عب١٢: ١: «لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا».

يع١: ٢١: «لذلك اطرحوا كل نجاسة وكثرة شر، فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلِّص نفوسكم».

9. T.K. Abbott, *op. cit.*, p. 136, citing Madvig.

١بط٢: ١-٣: «فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمّة. وكأطفال مولودين الآن، اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به إن كنتم قد ذُقْتم أن الرب صالح».

وهكذا نتحقق أنه تعليم رسولي سائد في معناه، أن نخلع القديم ونلبس الجديد من جهة الأعمال والسلوك. ولكن الخلع واللبس إنما يفيد الظاهر، ولكن المعروف والمقصود هو الطبيعة البشرية ذاتها قبل الإيمان والعماد وبعد الإيمان والعماد. فالخلع خلع طبيعة عنيدة راسخة في الأعماق، وهو ليس من السهولة كخلع الثوب، بل هو خلع بالدم يحتاج إلى زمن وجهد ويقظة وتدبير جيد، ويحتاج إلى تجديد فكر بالإنجيل وبالصلاة والصوم والسهر. لأن خلع القديم، ولو أنه يأتي في الأول بحسب المظنون والمتبع في خلع الملابس القديمة ولبس الملابس الجديدة، ولكن يستحيل على إنسان أن يقبل أو يقدر أن يخلع القديم وليس أمامه الجديد. فلا بد أولاً من كلمة الإنجيل التي هي سُداة الثوب الأبيض ولُحْمَته، ولا بد من الإيمان الحار والحب وشهوة القداسة وعهد مع النعمة وإرادة حاضرة وعهد مبارك. كل هذا يتحتم أن يكون موجوداً مع النعمة، حتى يستطيع الإنسان أن يكسح العادات والطبائع والسلوك والكلام القديم الذي لصق في لحمنا وعظامنا. فلا القديم يُخلع بين يوم وليلة — ولو أنه حدث فإنه يحدث بقوة إلهية فائقة — ولا الجديد يُلبس في ساعة. فالخلع خلع طبائع، واللبس لبس المسيح، والمسيح لا يُلبس في ساعة، فالعمر كله لا يكفيه، فنحن هنا نأخذ الشكل (البروفة) وهناك اللبس، لأنه ثوب من نور.

ولكن اللص استطاع أن يخلع ويلبس على مرأى من العالم كله في ساعة، ولكنه كان عرياناً جاهزاً وجسده مدقوق على الصليب، فالقديم انتُزع منه لحظة أن صرخ: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو٢٣: ٤٢)، فكان أول الداخلين، فيا ليتنا كلنا لصوص مصلوبون.

ولكن بالصبر يتم الخلع واللبس: «لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو٤: ١٦). إذاً، فالمسألة ليست «خلع» بمفهوم مجرد التغيير. بل هنا يقولها ق. بولس بصراحة بمعنى «يفنى»: διαφθείρεται (ومعناه «يتلاشى»). وهذه الآية تعطينا طول روح على الجهاد لنتخلّص من الإنسان العتيق مهما طال الزمن.

«الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور»:

«الفاسد»: φθειρόμενον

هذا التقرير بخصوص الإنسان العتيق هو تقرير عن كل إنسان استطاع أن يتغلّب عليه

الشيطان و يراه على حقيقته من فوق: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية (الشيطان) حواء بمكرها، هكذا تُفسد φθαρῇ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو١١: ٣). وكلمة «الفاسد» أتت هنا في الآية التي نحن بصددها في حال المضارع الدائم، لأنها عملية دائمة ومستمرة، فالإنسان العتيق لم يفسد فقط بل هو قابل للفساد كل يوم، لذلك حلّ خلعه ولو كلّف الإنسان عمره.

«**بحسب شهوات الغرور**»: κατὰ τὰς ἐπιθυμίας τῆς ἀπάτης

ترجمة «الغرور» هنا أخرجت الآية عن المعنى المطلوب، فالكلمة اليونانية ἀπάτης وتُترجم «المخادعة» وبالإنجليزية deceitful. هنا تظهر خطورة العلاقة بين الشهوات «**المخادعة**» والإنسان العتيق، فالشهوة تأتي لابسة حُلّة من السعادة والراحة والسرور والمتعة التي ما بعدها متعة، وبعد أن يقترفها الإنسان العتيق يتبيّن مدى غشّها وخداعها، إذ تنتهي بالتعب والضيق والمرارة وانهزام النفس وهلهلة الضمير وفضيحة الإنسان وضياع الصحة والمال وتجويع العيال، وحتى ربما الطرد من الوظيفة أو فقدان المركز والكرامة. أين ما آلت إليه الشهوة مما صوّرته قبل أن تملك وتتملّك وتسود وتستعبد؟

هذا هو الإنسان الفاسد بشهوات الخديعة: «**لئلا تخدعكم الحية بمكرها**». فلو رفعنا كلمة «الحية» ووضعنا كلمة «الشهوة» انطبق المعنى بقوة.

٤: ٢٣ «**وتَتجدَّدُوا برُوحِ ذِهْنِكم**».

«**تتجدَّدوا**»: ἀνανεοῦσθαι

أصل الفعل هنا νέος (new) أي جديد، والبادئة -ἀνα تفيد الاستعادة. والمعنى بديع حقاً فهو **استعادة الحداثة التي لا تموت** وذلك بالنسبة للذهن كحالة مستمرة لأنها في حالة المضارع الدائم. هذا يعني أن ذهن الإنسان ليس مخلوقاً كذهن إنسان عتيق بل العتيق أتاه من العصيان والتعدّي وممارسة الخطية وبالتالي الابتعاد عن الله، فَعَتِقَ ذهن الإنسان، أي فقد جدّته وحداثته ولبسته ظلمة الخطية فصار جاهلاً أحمق غبياً. لذلك فالقديس بولس الرسول هنا لا يعطي التجديد للذهن أفعالاً من خارجه، إذ جعله هو الذي يتجدّد مما يفيد أن له في أعماقه بذرة الاستعداد، التي فيها ينفخ الروح القدس فيدخله الوعي الإلهي.

«بروح ذهنكم»: τῷ πνεύματι τοῦ νοὸς ὑμῶν

ويشترك بعض اللاهوتيين القدامى في وضع شرح لهذه العبارة، لكنه شرح مأخوذ عليه، إذ يقولون: [إن الروح الإلهي يتحد بروح الإنسان الذي به يتقبَّل الذهن الموهبة كمُسْتَقبِل](١٠). هنا يتحتم أن يكون روح ذهنكم هو روحنا نحن.

ولشرح هذا التعبير نقول إن روح الإنسان إما أن تنحاز للجسد فتصير «روحاً جسدانية» بذهن مظلم وتتعاهد مع روح العالم، أو تنحاز للروح القدس فتصير في الإنسان «روحاً روحانية»، أي سماوية. هذه الحالة الثانية، أي انحياز الروح في الإنسان إلى الروح القدس، إذا انفتحت على الكلمة المقدَّسة انفتح الذهن بالروح القدس وصار روح ذهن الإنسان مُعاناً بالروح القدس أي بوعي مسيحي إلهي، وهذا هو عامل التجديد في الإنسان.

لذلك نرى في قول هؤلاء اللاهوتيين القدامى صحة وأصالة، وإن كانت مختصرة ومُدغمة، مع أن اللاهوتيين المحدثين رفضوا هذه المقولة واعتبروا الروح هنا هو روح الإنسان فقط دون تدخُّل الروح القدس. والرد عليهم هو، متى كان روح الإنسان عامل تجديد بدون الروح القدس؟

ولكن الصحيح هو أن يتحد الروح القدس بروح الإنسان لينفتح ذهن الإنسان الكائن فيه أصلاً على الكتب (أسفار الكتاب المقدس)، فيتقبَّل الكلمة كقوة مجددة قادرة أن تلد الإنسان من جديد حقاً:

+ «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.» (لو٢٤: ٤٥)
+ «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى **بكلمة الله الحية** الباقية إلى الأبد.» (١بط١: ٢٣)

٤: ٢٤ **«وتَلْبَسُوا الإنسانَ الجديدَ المخلوقَ بحسبِ الله في البرِّ وقداسةِ الحقِّ».**

«وتلبسوا الإنسان الجديد»: ἐνδύσασθαι τὸν καινὸν

هنا فعل واحد يتم مرة واحدة سواء في الخلع ἀποθέσθαι أو اللبس ἐνδύσασθαι وذلك في زمن الـ aorist الذي يفيد أن الفعل حدث مرة واحدة، «خالعين ولابسين» مرة واحدة. ولكن «تتجددوا» ἀνανεοῦσθαι جاءت في المضارع الدائم الذي يفيد الحالة المتكررة المستمرة، كما جاءت أيضاً: «تغيَّروا عن شكلكم μεταμορφοῦσθε (في المضارع الدائم) بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢). هنا تغيير قائم على أساس تجديد مستمر على مدى الزمن.

10. Oecumenius, Theophylact, etc. cited by Abbott, *op. cit.*, p. 137.

«ونحن جميعنا ناظرين مجد الرب (بالذهن) بوجه مكشوف (بدون ناموس ولكن بالنعمة)، كما في مرآة (استعلان الله للذهن)، نتغيَّر μεταμορφούμεθα (في المضارع الدائم) إلى تلك الصورة عينها (مجد الرب) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣:١٨). حيث التجديد هنا زمنيٌّ. كلما تعمقنا الكلمة والصلاة، يتجدد الذهن ونتغيَّر عن شكلنا. ولكن المهم للغاية هو أن الشكل هو الذي يتغيَّر، أمَّا الذهن فيتجدَّد فقط ولا يتغيَّر. لأن الذهن عضو سماوي أصلاً، يتعتم ولكن لا يموت؛ أمَّا الجسد (الشكل) فهو ترابيٌّ أصلاً وليس سماوياً، ويتغيَّر تغييراً كلياً إذ يموت ليحيا الجديد: «فإن كنا قد مُتْنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو٦:٨). أمَّا الإنسان الجديد فهو حي إلى الأبد ولكن يتغيَّر أي يتجدد إلى أفضل(١١).

هنا لا مفر من شرح كلمة «الجديد» «ويتجدد»، لأن المعنى باليونانية يأتي على أساس الاختلاف الحاصل في تركيب الكلمة اليونانية، إذ يوجد كلمتان ذات معنيين للتدليل على الجديد أو التجديد:

الكلمة الأولى: νέος = وتعني حدث أو أكثر حداثة أو الأصغر = New = young، فهي تختص **بالزمن فقط** وهي ضد القِدَم أو العِتْق أو الشيخوخة:

تفيد الزمن: وجاءت في معنى الخمر الجديدة ضد العتيقة (لو٥:٣٧)
تفيد الزمن: وفي معنى الأصغر في وصف الابن الأصغر (لو١٥:١٢)
تفيد الزمن: وفي معنى الأكثر حداثة والأحدث (يو٢١:١٨، أع٥:٦)
تفيد الزمن: والجديد في «ولبستم الجديد الذي يتجدد ...» (كو٣:١٠)

والكلمة الثانية: καινός وهي تختص بالزمن ولكن تفيد النوع = quality وتأتي بمعنى جديد مقابل عتيق بالنوع:

تفيد النوع: «يُخرِج من كنزه جُدَداً وعتقاء.» (مت١٣:٥٢)
تفيد النوع: «دمي الذي للعهد الجديد.» (مت٢٦:٢٨)
تفيد النوع: «أشربه معكم جديداً.» (مت٢٦:٢٩)
تفيد النوع: «ووضعه في قبره الجديد.» (مت٢٧:٦٠)
تفيد النوع: «ما هو هذا التعليم الجديد.» (مر١:٢٧)
تفيد النوع: «وتتكلَّمون بألسنة جديدة.» (مر١٦:١٧)

---

(١١) تفسير أزمنة الأفعال هو للعالم أبوت (Abbott, p. 138)، أما شرح المعنى وتوضيح الاختلاف فهو للكاتب.

تفيد النوع: «... في المسيح فهو خليقة جديدة.» (٢ كو٥ : ١٧)
تفيد النوع: «هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢ كو٥ : ١٧)
تفيد النوع: «إنساناً واحداً جديداً.» (أف٢ : ١٥)
تفيد النوع: «فإذ قال جديداً عتّق الأول.» (عب٨ : ١٣)
تفيد النوع: «سموات جديدة ...» (٢بط٣ : ١٣)

وبالرغم من أن كلمة «جديد» νέος تختص بالزمن **فقط**، والكلمة καινός تفيد الجديد أيضاً وتفيد الزمن والنوع، إلاّ أن كاتب العهد الجديد لا يلتزم باستخدام νέος فقط في الزمن ولكن أيضاً يستخدم καινός في الزمن، فتتزاحم كلمة νέος مع كلمة καινός ، لأن καινός تصلح للزمن والنوع.

والأمر الهام الذي نريد توضيحه هنا هو أن كلمة «جديد» في اللغة العربية حينما تُستخدم في «تجديد الذهن»، فهي لا تعني التجديد كما تعنيه في «الإنسان الجديد». لأن الإنسان الجديد هو إنسان آخر تماماً. وهنا καινός التي تفيد النوع تصلح تماماً، لأن الإنسان القديم من تراب الأرض، أمّا الإنسان الجديد فهو سماويٌّ مولود بالروح.

أمّا في حالة الذهن فالأمر يختلف لأنه لا يوجد ذهن قديم أو عتيق وذهن جديد، لأن الذهن الروحي في الإنسان مخلوق سماوي، وليس من التراب، فهو لا يموت بموت الجسد. فالذهن هو هو، ولكن بحلول الروح القدس ينفتح ويحصل على الوعي الروحي العالي للنفس، الوعي المسيحي الذي يعي ويدرك أمور الله، فبعد أن كان مُظلماً بالخطية صار منيراً بالروح والمسيح. هنا الذهن هو هو ولكنه **تجدَّد**، بمعنى أنه قَبِلَ انفتاحاً جديداً بالروح، فانقشعت الظلمة المخيِّمة عليه قسراً وقَبِلَ نور الله والمسيح.

لذلك لا نقول إن الإنسان الجديد حصل على ذهن جديد، بل على ذهن متجدِّد، أي قَبِلَ الروح القدس.

«الإنسان الجديد»:

الإنسان الجديد بمفهومه العام بالنسبة للعهد الجديد يكون هو المسيح[12].

+ «هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً، الإنسان

12. Westcott, *op. cit.,* p. 68.

الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني (الجديد) الرب من السماء، وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح).» (١ كو١٥: ٤٥و٤٧و٤٩)

إذاً، لِبْسُ الإنسان الجديد هو لِبْسُ المسيح بالمفهوم الروحي للعهد الجديد:

+ «لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح **قد لبستم المسيح** Χριστὸν ἐνεδύσασθε .» (غل٣: ٢٧)
+ لذلك «إنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل٣: ٢٦)
+ «**البسوا الرب** ἐνδύσασθε τὸν κύριον **يسوع المسيح** ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.» (رو١٣: ١٤)

والقديس إغناطيوس في رسالته إلى كنيسة أفسس (٢٠) يقولها صراحة:
[الإنسان الجديد يسوع المسيح][13].

+ «**ولبستم الجديد** الذي يتجدد للمعرفة حسب **صورة خالقه**.» (كو٣: ١٠)

والسؤال: ما هو «الإنسان الجديد»؟ وكيف ومتى نحصل عليه؟ كيف نلبسه وكيف نخلع القديم؟

الهيكل العام للإيمان المسيحي

الإنسان الجديد:

يقول بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٤٥و٤٧و٤٩):

+ «هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً،
الإنسان الأول من الأرض ترابي الإنسان الثاني الرب من السماء،
وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح).»

نقول:

الإنسان الأول آدم هو الذي ورَّثنا الإنسان العتيق وهذا من الأرض.
وواضح أن الإنسان الثاني المسيح هو الذي ورَّثنا الإنسان الجديد وهذا من السماء.

13. Lightfoot on Colossians, p. 215.

الخطوات:

ابن الله لمَّا أراد خلاص البشرية بحسب التدبير الإلهي، أخذ جسداً من البشرية العتيقة ولبسه بكل ما له وما عليه ــ ما خلا الخطية وحدها.

وكانت عملية الآلام والصليب والموت واقعة، برضا لاهوته، على بشرية المسيح. وبشرية المسيح هي بشريتنا العتيقة. وبهذا كانت عملية الفداء التي أكملها المسيح في جسده هي في بشريتنا العتيقة. ولأنه كان بلا خطية واحدة ولم يوجد في فمه غش، إذاً، فهذه العمليات كلها هي من أجل **البشرية العتيقة** التي لبسها ووقعت عليها والتي اشتركت معه بالجسد في الآلام والصلب والموت.

ومن أجل هذا أصبحت آلامه والصلب والموت التي أكملها واحتملها كلها في جسده ونفسه عمليات بذل وتضحية، وكانت لنا فداءً وخلاصاً بقدر ما صارت له مجداً.

ولـمَّا قام المسيح من الأموات قام حيًّا بجسده، أي بالبشرية التي خلع عنها الإنسان العتيق وألبسها الإنسان الجديد استعداداً لتصعد معه وتجلس معه في السماويات.

نقول:

إن المسيح مات وهو حامل البشرية بكل خطاياها في جسده على الصليب: «وضع عليه إثم جميعنا» (إش٥٣: ٦). مات بها ومن أجلها بجسده الذي ذُبح على الصليب، ففداها بدمه، غافراً لها خطاياها. وقام المسيح من الأموات حاملاً البشرية الجديدة خالعاً عنها الإنسان العتيق إذ مات معه على الصليب.

إذاً: فالمسيح هو الذي أمات فينا الإنسان العتيق وذلك بموته على الصليب،
وهكذا نقول إننا خلعنا الإنسان العتيق وذلك بموته على الصليب:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية.» (رو٦: ٦)

وهو الذي **أحيانا بحياته بعد أن كنا أمواتاً** بالذنوب والخطايا، فصرنا أحياءً جُدداً. **بمعنى أننا خُلقنا خلقة جديدة** في جسده ومن روحه. وهكذا صار الإنسان خليقة جديدة في المسيح، بمعنى أنه هو الذي ألبسنا الجديد المخلوق على صورته لنحيا حياة جديدة في المسيح الحي. وكما أن المسيح بعدما قام لا يسود عليه الموت بعد (رو٦: ٩)، هكذا صار الإنسان الجديد = جسد المسيح لا يسود عليه الموت: «مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو١١: ٢٦)

إذاً: فالمسيح هو الذي أمات فينا الإنسان العتيق أي خلعه من حياتنا بموته،
والمسيح هو الذي ألبسنا الإنسان الجديد كخليقة جديدة بقيامته من الأموات.

وبذلك صار الإنسان في المسيح يسوع إنساناً جديداً كخليقة جديدة روحية، ولأن الإنسان قد صار فيه خليقة روحية، استطاع المسيح أن يصعد بنا إلى أعلى السموات ويُجلسنا معه عن يمين الآب.

هذا هو هيكل إيماننا،
وهذا هو خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه.

فالإنسان الجديد هو المسيح بالدرجة الأُولى ونحن فيه نحيا حياة جديدة روحية كخليقة جديدة روحية.

ونقول نحن **خلعنا الإنسان العتيق** بشركتنا **في موت المسيح** بالإيمان وبالمعمودية معاً.
ونقول إننا **لبسنا الإنسان الجديد** في المسيح **بشركتنا في قيامة المسيح** من الأموات بالإيمان وبالمعمودية.

فحينما يقول القديس بولس إننا خليقة جديدة في المسيح وقد خلعنا الإنسان العتيق، فهذا حق. ولكن هذا أكمله المسيح لنا بموته. **وحينما يقول بولس الرسول اخلعوا الإنسان العتيق الفاسد، فهذا تحصيل حاصل لأن ذلك تمَّ بموت المسيح، ونحن كنا شركاء في هذا الموت عينه، تألَّمنا معه وصُلبنا معه ومتنا معه ودفنَّا معه!!**

وحين يحثنا بولس الرسول أن نخلع الإنسان العتيق مع شهواته، فهذا معناه أن نكفَّ عن أي عمل من أعمال الجسد العتيق الذي مات المسيح من أجله وما يُحزن قلب المسيح ويُجدِّد عليه آلامه.

وحين يحثنا بولس الرسول أن نلبس الإنسان الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه، فهذا أيضاً تحصيل حاصل لأننا لبسنا الإنسان الجديد كخليقة جديدة بقيامتنا مع المسيح، ولكن يتبقى علينا أن نثبِّت ذلك بالإيمان والعمل، أي نعمل الأعمال الروحية كخليقة روحية لها صورة المسيح خالقها وأعماله، والمسيح خالِقها بارٌّ وقدوسٌ، لذلك تكون أعمالنا هي في البر وقداسة الحق.

كما أصبح علينا أن نسلك بالروح كروحيين لأن الإنسان الجديد روح هو وسماوي، وهو مولود

من الروح وأعمال الروحيين يعمل. فالإنسان الجديد هو فينا بالمعمودية، ولكن علينا أن نُحيْيه ونُظهره ونُجلِّيه كل يوم، وأصبح في مقدور إيماننا ــ ونحن لنا روح القيامة ــ أننا بهذا الروح نُميت أعمال الجسد العتيق ونجدِّد صلبه، **لأن فينا قوة موت المسيح بالمعمودية وبالتالي قوة صليب المسيح على قهر أعمال الموت أو الأعمال الميتة.** كما أن إنساننا الجديد يحتاج كخليقة حية تنمو أن ينمو ويتغيَّر ويتجدَّد وذلك بتجديد الذهن ــ إنجيلياً بالروح ــ الذي فتحه المسيح بنفخة الروح القدس، روح الحق، لمعرفة كل الحق أي كل ما للآب والابن، وذلك لننمو في كل شيء لنبلغ قامة المسيح الذي فينا بحسب قوة روح التجديد الذي يعمل فينا بقوة.

هذا الهيكل الإيماني كله يقوم على أساس:

أننا نؤمن بأن المسيح تألم بالجسد وصُلب ومات بالجسد، وجسده نحن!!

وأنه قام من الأموات بمجد عظيم بالجسد وارتفع إلى أعلى السموات بالجسد، وجسده نحن!!

وجلس عن يمين الآب، ونحن جسده!!

كذلك نؤمن أن كل ما عمله المسيح فقد عمله لأجلنا، ونحن فيه شركاءُ معه في كل ما عمل.

وهكذا وبهذا الإيمان أصبح لنا كل ما وعد به المسيح، إذا تمسَّكنا بهذا الإيمان وعشناه بكل قوة. كما أصبح علينا أن نحقق موتنا مع المسيح بموتنا عن العالم ليصحَّ فينا قول المسيح: «لأنهم ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو١٧: ١٤)، وأن نُحقِّق أيضاً قيامتنا مع المسيح وحياتنا معه بأعمال روحية كروحيين وبتجديد ذهننا بكل قدرة نملكها وكل وقت نحصل عليه، وذلك بالتتلمذ لكلمة الحياة والصلاة.

(٢٥:٤ - ٩:٦)

مظاهر المسيحية من الخارج: شخصياً واجتماعياً

أولاً: تحذيرات من نشاط الإنسان العتيق
والنهي عن التورُّط في أعمال الظلمة

تكلَّم القديس بولس في الأعداد السابقة عن خلع الإنسان العتيق الفاسد مع أعماله. والحقيقة التي يلزم أن نُدركها جيداً وهي عماد الحياة المسيحية برمتها، أننا بحسب إيماننا بالمسيح وما عمله وحققه لنا بالفداء وغفران الخطايا وتكميل أعمال الخلاص والمصالحة مع الله، فإنه يتحتَّم علينا أن ندرك ونتيقن أن كل ما عمله المسيح لأجلنا وكل المكاسب الروحية الفائقة قد صارت بالفعل من نصيبنا، وبالتالي حقاً لنا محفوظاً لدى الله. ولكن أمامنا عملية اختبار خطيرة، هل نحن أهل لهذه الأعمال العظيمة التي أكملها الآب والمسيح لأجلنا؟ وهل نحن بالفعل مستحقون للخليقة الجديدة الروحانية التي أكملها لنا المسيح في جسده لتكون وقفاً لنا ومِلْكاً وحيازة؟ هنا الأعمال المطلوبة منّا مُلحَّة للغاية، لا لأنها ستورثنا ميراثنا السماوي المعدّ والمحفوظ لنا في السموات، بل **لنثبت بها حقَّنا**، فحقُّنا في المسيح والآب محفوظ، ولكن إن لم نُثبِت أننا فعلاً أهلٌ له يُنزع منَّا. الخوف كل الخوف أن حقَّنا يأخذه آخرون:

+ «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى **لأمة تعمل أثماره.**» (مت٢١: ٤٣)
+ «أمَّا بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية.» (مت٨: ١٢)!!

ألم نقل إننا خَلُصنا؟ أي نعم خَلُصنا. ولكن إن لم نعمل أعمالاً تُثبت أننا مخلَّصون حقاً نفقد الخلاص وهو في حضننا.

ألم نقل إننا متنا مع المسيح؟ ومع المسيح صُلبنا وهكذا مات الإنسان العتيق؟ أي نعم مات الإنسان العتيق الذي فيك الذي ورثته من آدم، ولكن ما رأيك لو أنت أيقظت هذا الميت بأعمال الخطية والإثم والفجور واستهانتك بدم المسيح؟ «إذاً، لا تَمْلِكَنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو٦: ١٢)

ألم نقل إننا خليقة جديدة روحانية وقد صرنا مُعدِّين للملكوت وروح الله يعمل فينا ويؤازرنا؟

أي نعم خليقة جديدة وروح الله ساكن فيكم، ولكن ما رأيك لو أنك تهاونت؟ فإنك تُطفىء الروح وتُحزنه في داخلك فيكفّ عن النصيحة والمؤازرة، وتقف وحدك تصارع ما ليس لك قِبَلٌ بمصارعته فتخدعك الحية بمكرها فتُسقِطك كما سقط أبوك؟

[٤:٢٥-٥:١٤]

خصائص شخصية للمسيحيين

أساسيات السلوك المسيحي بحد ذاته: (٤:٢٥-٣٢).

حقائق خاصة بالمسيحيين (٤:٢٥).

ضبط النفس (٢٦و٢٧).

العمل (٢٨).

أدب اللغة والكلام (٢٩و٣٠).

المشاركة الوجدانية (٣١و٣٢).

قد يبدو أن ق. بولس في الثلاث الآيات الأُولى من هذا الأصحاح قد انحدر من المرتفعات التي كان يعيشها معنا، ولكن الحقيقة هي أن تعليمه لا يمكن أن يقف عند المدركات الإيمانية وحسب، ولكن لا بد أن يعود سريعاً ويكرِّس هذه المبادىء العليا لتتوقَّع على حياة عملية. لأن الحياة ونشاطها لا يحكمها ناموس أو قانون ولكن تحكمها المحبة. وما يدين به المسيحي لأخيه لا يخرج عن تقديرات شخصية أو تعاليم مكتوبة، إنما يتوقَّف بالأساس على علاقة كل منهما بالمسيح علاقة شخصية، التي بدورها تكشف عن مخزون المسيحية في القلب وما فعله الروح القدس فيهم، وتبقى وصية محبة الإخوة ذات سيادة مطلقة في كل المعاملات عملاً وقولاً.

٤:٢٥ «لذلك اطرَحُوا عنكُم الكذِبَ وتكلَّمُوا بالصِّدقِ كلٌّ واحدٍ مع قريبِهِ لأننا بعضَنا أعضاءُ البعضِ».

«لذلك»: διό

أي لأن المسيح هو حياتنا، وحياتنا امتداد منه، إذاً، لزم بالضرورة الحتمية أن يخرج من كل معاملاتنا هذا الداء الوبيل الذي هو الكذب.

«اطرحوا عنكم الكذب»: ἀποθέμενοι

«اطرحوا» تجيء في اليوناني في المضارع الدائم ـ «طارحين» كحال دائم. ولكن يصح أن تأتي كأمر(١٤) لأنها في الحقيقة تتبع فعلاً واحداً تم مرة واحدة وهو خلع الإنسان العتيق. ولكن إذ يلزم الاستمرار في الخلع، يلزم الاستمرار في طرح كل أعمال الإنسان العتيق وأخطرها الكذب، لأنه العمل الأول للشيطان وصفته الأولى الكذّاب وأبو كل كذاب. لذلك فإن طرح الكذب هو من صميم خلع الإنسان العتيق وجحد الشيطان.

«الكذب»: ψεῦδος

الكلمة اليونانية تعطي معنًى أشدّ وهو الغش falsehood، والغش أشد من الكذب لأنه إمعان في مقاومة الحق، وامتداده يشمل العمل والتعامل: «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله.» (كو٣:٩)

والكذب في الحقيقة داء وبيل وخطير للغاية، لأن الكذب هو تعدٍّ على الحق: «الذين استبدلوا حق الله بالكذب» (رو١:٢٥)، والحق في المسيحية هو المسيح: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤:٦). لا كأنه تعبير جزافي، ولكن يلزم أن نفهم أن المسيحية كلها هي دخول في عالم الحق والحقائق، فالعالم وكل معاملاته كله مظاهر متغيّرة تنتهي بالفساد والموت أو اللاشيء، ولكن الحياة في المسيح والله هي الدخول في جوهر الحياة القائم على الحقائق الثابتة والدائمة التي لا تتغيّر ولا تفنى والمسمّاة بالحياة الأبدية: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤:٣٥)، ونحن مدعوون لميراث هذه الحياة الأبدية القائمة على الحق وهو الله نفسه وكل ما له ومنه من الحقائق. إذاً، فكل كذب الذي هو تعدٍّ وافتراء على الحق والحقيقة، هو بمثابة جحد لحق المسيح وحقائقه وللحياة الأبدية التي نحن مدعوون للحياة فيها منذ الآن كعربون وتذوُّق. والكذّاب، أي الذي صارت صفته الباطنية هي الكذب، إنما بكذبه يعاقب نفسه بنفسه عقاباً قاسياً للغاية، لأنه إنما يسجّل على نفسه ويعترف علناً وأمام شهود، وأخطرهم ضميره، أنه ليس أهلاً للمسيح وللحياة معه ولا يصلح للحياة الأبدية التي يحكمها الحق والتي هي كلها حق وحقائق:

+ «لأن خارجاً الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الأوثان **وكل مَنْ يحب ويصنع كذباً.**» (رؤ٢٢:١٥)

---

14. Ibid., p. 214f.

+ «ولن يدخلها (أورشليم السمائية) شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلاَّ المكتوبين في سفر حياة الخروف.» (رؤ٢١:٢٧)

ولنفهم لماذا قال المسيح: «إن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه ... الكلام الذي تكلَّمت به ــ أي وصاياي ــ هو يدينه» (يو١٢: ٤٧و٤٨). بمعنى أنه أعطى وصايا لنقول الحق، فبمجرَّد أن نخالف الوصية فنحن نعاقب أنفسنا بأنفسنا، لأن الذي يكذب سيحرم نفسه من ميراث الحق والحياة!! دون أن توقَّع عليه عقوبة لأنه هو الذي يوقِّعها على نفسه من الآن!!

«وتكلَّموا بالصدق كل واحد مع قريبه»:

هذه الوصية مأخوذة من سفر زكريا النبي:

+ «هذه هي الأمور التي تفعلونها. ليُكلِّم كل إنسان قريبه بالحق، اقضوا بالحق وقضاء السلام في أبوابكم، ولا يفكِّرنَّ أحد في السوء على قريبه في قلوبكم ولا تحبوا يمين الزور لأن هذه جميعها أكرهها يقول الرب.» (زك٨: ١٦و١٧)

«تكلَّموا بالصدق»: ἀλήθειαν

كلمة الإنسان المسيحي، رجلاً كان أو امرأة، هي الحق وهي الصدق وهي شهادة للمسيح، وتُحسب رباطاً يربط الإنسان بما قال ويقول كوثيقة وشهادة أمام محكمة: "أقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق"، تُبرِّيء الآخرين وتدين ويبقى الإنسان المسيحي أميناً على عهد الحق الذي اؤتمن عليه.

هنا يلزم أن يُلقَّن الحق لكل طفل بعد الرضاعة ليرضعه كلبن عقلي عديم الغش لينمو به في الحياة، يُعتَدُّ بشهادته، وكلمته تكون القول الفصل. فالمسيحي بحياته شاهد حق وفي بيته قدوة ومثال للإنجيل بالكلام والعمل، بالصدق والحق.

«لأننا بعضنا أعضاء البعض»:

بمعنى أننا نكوِّن جسداً واحداً للمسيح. فلكي يقف الجسد في موقف الشهادة للعالم بحق المسيح والإنجيل، يلزم البدء بالعضو مع العضو لكي يُبنى الجسد على الصدق. فكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: [ما العمل إذا كانت العين تغش القدم؟ فالجسد كله يقع]. في الحقيقة هذا ينبهنا أشد الانتباه إلى أن نبدأ أولاً بالطفل، نلقِّنه بكلام الحق وبالصدق، ثم بالأسرة حتى يتعامل الأعضاء معاً على هذا المستوى، ثم كل أسرة مع غيرها، وهكذا يُبنى الجسد أي الكنيسة على كلمة الحق.

وفي ختام هذه الآية نؤكِّد على ضرورة بناء الإنسان المسيحي منذ الطفولة المبكِّرة على أن يقول الحق ولو كان السيف على الرقبة، لأن أعظم صفة للمسيحي هي قول الحق، وعليه تؤسَّس كل الفضائل وكل السلوك. لذلك ذكره ق. بولس كأول وصية.

وليس من الصعب أن نلمح من قصد ق. بولس في تقديم هذه الوصية أو بالحري التحذير فهو يرمي إلى ثلاثة أهداف:

أولاً: ما يختص بالشخص نفسه، لأن الكذَّاب يخسر قضية الفداء والخلاص والتجديد، بل ويخسر الحياة الأبدية، لأنه يُعتبر خليقة فقدت الجوهر الأساسي من خلقتها. فالخليقة كلها خُلقت بالحق وهي قائمة فيه. ما رأيك إذا كَذِبَت التينة ولم تعد تُخرج ثمارها؟ يلعنها المسيح، لماذا؟ لأنها تُعطِّل الأرض ولأنها فقدت السبب الذي من أجله خُلقتْ ومن أجله تعيش. ما رأيك إذا غشَّت العين أعضاء الجسد؟ فالرجل تمتد في طريق خاطىء وتسقط وتنكسر ومعها الجسد، واليد تمتد إلى جمرة النار، وكأنها بلحة حمراء فتنكوي و يبيت معها الجسد كله متألِّماً. إذاً، فماذا يكون نفع العين إذاً؟ إنها تصبح مضرة لنفسها وللجسد.

ثانياً: بالنسبة إلى الكنيسة، فالكنيسة أعضاء متماسكة مربوطة بمفاصل مُحكَمة لتعمل منسجمة، والأعضاء تتحرك مرتفقة على بعضها تتحرك والجسد ينمو، والكنيسة تمتد نحو هدفها النهائي وهو أن تبلغ إلى قامة ملء المسيح وجوداً وإيماناً لتتأهَّل أن تحيا معه في ملكوته وتكون مسرةً أمام الله الآب لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.

ولكن ما رأيك في إنسان كذَّاب يحيا وسط الجماعة يغشُّها ويضلِّلها بالقول والعمل، فتختل وحدتها وتنحرف عن مسارها ويتعطَّل نموُّها إلى أن يُنزع العضو المخالف: «فاعزلوا الخبيث من بينكم.» (١كو٥: ١٣)

ثالثاً: الكذَّاب يغش الحق، فهو يخلخل مفهوم الحق ويُسيء إليه، والحق هو جوهر الحياة وقوة دوامها ونموها، وهو الذي يعكس لنا صورة الله والمسيح، فالله والمسيح حق مطلق نراه في كل ما هو حق وكل مَنْ ينطق بالحق. فالكذاب يخلخل صورة الله والمسيح بوجه عام، وهو كونه يخفي الحق ويعمل ضده فهو غريب عن الحق والحياة: «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله (على صورة الله) في البر وقداسة الحق!» (أف٤: ٢٤). هنا أعطى ق. بولس للحق قدسية الله.

٢٦:٤ «اِغضَبُوا ولا تُخطِئوا. لا تَغْرُبِ الشمسُ على غيظِكم».

«اغضبوا ولا تخطئوا»: ὀργίζεσθε καὶ μὴ ἁμαρτάνετε

هذه الكلمات مقتبسة من المزمور الرابع الآية الخامسة حسب الترجمة السبعينية: «اغضبوا ولا تخطئوا» (مز٤: ٥)، والتي جاءت في طبعة بيروت: «ارتعدوا ولا تخطئوا». وقد أخذتها عن الأصل العبري ولكن بانحراف، لأن في العبرية يقول: «قفوا برعدة ولا تخطئوا».

واضح أن القوة الغضبية التي في طبيعة الإنسان قد خُلقت لتعمل عملها بالحق. فالإنسان يغضب بالحق إذا غضب على ابن عاق، أو غضب في وجه إنسان عابث، أو غضب على حق مسلوب أو عن إنسان مظلوم أو بسبب جور فادح أو معاملة قاسية لإنسان ضعيف أو حيوان مستضعف. ويغضب بالحق إذا عُيِّر بإلهه أو نُسبت إليه جريمة أو افتُري عليه في عفته. كل هذه تستحق الغضب ولو أنه يمكن تلافي الغضب بصعوبة شديدة، وربما يُؤذي الضمير، ضمير الإنسان أو ضمير غيره. فالغضب ممكن ولكن دون أن يرافقه خطأ، كأن يتعدّى الإنسان على غيره أو يشتم أو يحقد. لذلك أرفقها ق. بولس أو الوحي في الأصل بأن لا تغرب الشمس على غيظكم حتى لا يولِّد الغيظ حقداً أو يمسك في الإنسان ويصير طبعاً أو عادة.

وهنا نلمح أن ق. بولس أعطى هذا الاقتباس من العهد القديم ليخدم قضية المعاملات في أعضاء الجسد، فصرَّح أن يكون بين الإخوة غضبٌ لحساب الحق والعفة والشرف لكي يُطرد الخبيث من الوسط ويُصحِّح التواء العضو النشاز، ويُهذِّب الطفل المغرور، ويُردِع العضو المتوقِّح المكابر، ويصير خوف بين الجماعة لحساب الاستقامة وصحة الحياة المشتركة وسلامة الإيمان الواحد. ولكنه وضع للغضب شروطاً حتى لا يتحوَّل إلى خطأ أو خطية لدى الغاضب أو لدى المغضوب عليه سيان!

+ «ولكن إن فعلتَ الشرَّ فَخَفْ، لأنه لا يَحمِلُ السيفَ عبثاً إذ هو خادم الله منتقمٌ للغضب من الذي يفعل الشر.» (رو١٣: ٤)

ويقول شارح ظريف، وما العمل في بلاد جرينلاند التي تغرب الشمس فيها بعد ثلاثة أشهر؟ لذلك يلزم أن نأخذ كلام الرسول ليس بالحرف بل بالمعنى، أي لا يزيد عن نهار واحد، بأي حال من الأحوال.

٤ :٢٧ «ولا تُعطُوا إبليسَ مَكاناً».

لقد شعر ق. بولس بخطر إعطاء التصريح بالغضب، فوضع له شرطاً تحديدياً أن لا يُخطىء الإنسان أي أن لا يحوِّل الغضب إلى مُغاضبة ثم إلى عداوة، ثم وضع له الحد الثاني أن لا تغرب الشمس على غيظكم حتى لا يبيت الغضب في القلوب فيترسَّخ ويتحوَّل إلى عادة أو طبع. ثم وجد أن كل هذا لا يكفي فوضع له تأميناً مُحكماً وهو أن لا يتسرَّب الشيطان من خلال هذا الغضب فيجد له مكاناً وسط الجماعة، بمعنى أن لا يُسمح قط بأن الغضب يُحزن قلب الإنسان لئلا يستغله الشيطان فيُسيء (الإنسان) إلى نفسه أو الجماعة، أو أن يتحوَّل الغضب إلى خصومة وهي المرتع الممتاز للشيطان ليقلب النفوس على النفوس، أو يتمادى الغاضب فوق الحد فيُنشىء عداوة وهي سلاح الشيطان الذي يقطع به ولا يرحم.

وهكذا يصبح الغضب مؤمَّناً عليه، ولكن هيهات، فعسير على الإنسان أن يغضب ولا يُخطىء، فلا بد من نعمة الله لتعمل في الغضب وتسنده بالمحبة عند الغاضب وعند المغضوب عليه. فبدون المحبة يصبح الغضب باباً لفساد كثير. وإن لم يتدخل الله بعنايته عند الآباء وعند الرؤساء وغيرهم بقوة محبة سرِّية تنضح على وجههم الغاضب فيُقابَل عند المغضوب عليه بالابتسامة ويستعذبه فيصير له جرحاً شافياً ودواءً نافعاً، كما يمدُّ المغضوب عليهم بالحكمة الصابرة والطاعة الخاضعة لتدبير الله على فم الرئيس أو الأب المسئول، فيعتبرون الغضب لفتة محبة حانية من الله للتوجيه والتعديل والتصحيح والإصلاح، ولولا ذلك لقلنا ما أخطر الغضب!!

٤ :٢٨ «لا يسرِقِ السارِقُ في ما بعدُ بل بالحريِّ يتعَبُ عامِلاً الصَّالِحَ بيدَيهِ ليكُونَ له أن يُعطِيَ مَنْ له احتياجٌ».

هنا يطل علينا الإنسان العتيق بقرنيه، فهي الخصال المشتركة والسائدة على كل إنسان بعيد عن الله والنعمة. فالسرقة سمة متغلغلة في الطبيعة، فما من حيوان إلاَّ ويسرق طعام غيره، والسرقة تحمل في بطنها ثلاثة أفعال سيئة: الأول غريزة التعدِّي، والثاني غريزة الملكية، والثالث مَرَضيٌّ وهو الخوف من المستقبل. فيوجد إنسان غني وغير محتاج إلى أي شيء ولكن يحب السرقة، فلو فحصنا حالته النفسية نجده مُصاباً بعقدة التعدِّي. ويوجد إنسان آخر غني أيضاً وغير محتاج إلى شيء ولكنه نهم في السرقة بغير حد وهذا مصاب بعقدة التملُّك. أمَّا الثالث المَرَضِيُّ فهو أيضاً غني وغير محتاج إلى شيء ولكنه يُمارس السرقة، وقد تكون زوجة تسرق من زوجها أو حتى من مقتنيات بيتها فضة أو ذهباً وتخبئه عن عيون الآخرين وربما تحت الأرض، والتشخيص هو الخوف النفسي

المرضي من المستقبل لئلا يَخْتَنِي عليها الدهر، ولا يبقى لها إلاَّ هذا الذي خبأته بهمة وحذر.

هذا هو الإنسان العتيق في أفضل حالاته، وهي حالة الغِنَى، الغِنَى عن الحاجة والسرقة. ولكن للسرقة أيضاً ممارسين مختصين. فإمَّا حباً للسرقة ذاتها بنوع من غواية الشيء حتى الاستهواء، كمن ينظر إلى معروضات في واجهة محل أو على رفوفه المعروضة عليها كل المشتهيات فلا يطيق أن يخرج بدونها ويصنع المستحيل من الحيل والمكر والدهاء حتى يسرقها، ولكن قد يعود ضميره فيوجعه فيعود ويضعها في محلها!! هذه هي غواية وشهوة يُسرِّبُها الشيطان للإنسان وهو لاهٍ عن الفخ الذي سيقع فيه.

ولكن أقلها كلها في نظر الله والمجتمع هو الإنسان الجائع الذي لا يملك ما يسدُّ به رمقه. يمد يده للناس فلا يجد مَنْ يمد له الرحمة، فيمدّها للمال الحرام وهو موجوع الضمير حزين النفس مكسور الفؤاد.

ولكن أردأها جميعاً بغير نزاع هو الموظف أو العامل الذي يأخذ أجره بالكامل والذي يكفيه لحياة التوسُّط، فإذا هو يمد يده للسرقة عن طريق الاختلاس والتزوير والكذب وتلفيق الأرقام والحسابات، ويخرج وجيبه منفوخ بأمل حياة أكثر بذخاً وترفاً.

هذا هو الإنسان العتيق في أبأس حالاته.

«لا يسرق السارق في ما بعد بل يتعب عاملاً الصالح بيديه ليعطي مَنْ له احتياج»:

هنا التوبة والعودة إلى الله، وحياة الندم عن حياة الخطية، مع افتقاد النعمة والتوعية الحسنة في وقتها الحسن التي تمدُّه بها الكنيسة رعاة ومعلمين وآباءً وإخوة، فيعود الإنسان إلى أصالة خلقته الروحية الجديدة ويسترد عافيته الروحية، ويقطع عهداً أن لا تمتد يده أو تمتد عينه ولا يشتهي ولا يسمح لهاتف الغواية والشر أن يجد له مكاناً في الفكر أو في القلب، ثم عهداً أن يعمل الصالح والصالحات ويتعب ويصنع كل الجهد ليكون له ما يعطيه للمحتاجين حتى لا يمد أحد يده كما مدَّ هو ويكسب نفسه ويربح آخرين للمسيح:

+ «**لا سارقون** ولا طمَّاعون ولا سكِّيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أُناس منكم، لكنِ اغتسلتم بل تقدَّستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو٦: ١٠و١١)

وقد وعت الكنيسة الأُولى وهي في ملء حرارة الروح وإرشاد النعمة خطر أن يكون لأحد أعضائها احتياج:

+ «والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج.» (أع٢: ٤٥)
+ «إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزَّع على كل أحد كما يكون له احتياج.» (أع٤: ٣٤و٣٥)

كانت كنيسة واعية لواجباتها.

٤: ٢٩ «لا تخرُج كلمةٌ رديةٌ من أفواهِكم بل كلُّ ما كان صالِحاً للبنيانِ حَسَبَ الحاجةِ كي يُعطِيَ نِعمَةً للسَّامِعِينَ».

الكذب يتعلّق بالكلام في أكثر نشاطه ولو أنه يتسرَّب إلى العمل أيضاً، ولكن ق. بولس يمتد من الكذب إلى كل كلمة بطالة أو ردية تخرج من الفم.

وفي الأدب المسيحي الشفاه التي تنطق باسم الرب وتسبِّحه قبيح بها أن تتلفَّظ بكلام قبيح. وق. بولس يكررها في رسالة كولوسي: «وأمَّا الآن (بعد أن آمنتم باسم الرب) فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل الغضب السخط الخبث التجديف **الكلام القبيح من أفواهكم** ... إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله.» (كو٣: ٨و٩)

«كلمة رديَّة»: σαπρός

وتفيد العطن والعفن والنتن، كالفاكهة المعطوبة تعدي غيرها ولا تصلح لأي شيء، وتُترجم بالإنجليزية: rotten، وترجمها المترجم إلى رديَّة، ولكن المقصود بها ليس الرداءة في ذاتها بل تأثيرها الخطر، فهي كلمة معطوبة تنشر العطب، ومريضة خارجة من فكر مريض ولسان مريض مرضاً له تأثيره السيء على الفكر والنفس والروح. وقد عبَّر عنها ق. بولس مرة أخرى بقوله: «ولا **القباحة** ولا كلام **السفاهة والهزل** التي لا تليق.» (أف٥: ٤)

أمَّا ما يعبَّر عنه باللغة العربية فهو: الكلام **البذيء والقذر والفاحش السافل والدنيء والمتبذِّل والسوقي، والنم والوشاية والافتراء والازدراء والزريّ والخسيس.** كل هذه المعاني تحملها كلمة σαπρός . والواقع الملموس أن الإنسان الذي اعتاد واحدة من هذه الأوصاف المنحطة من الأحاديث والكلام فلا بد أن يعبر على الكل، لأن اللسان إذا سلَّمه الإنسان للشيطان فإنه يتكلَّم بكل ما يشتهيه الشيطان ليلوِّث لا الإنسان المتكلِّم فقط بل والسامعين له، لأنهم يُحسبون

شركاء في هذه المحنة الإنسانية التي ينحدر إليها الإنسان والمجتمع مسحوراً من قدرة الإنسان ــ وهي في الحقيقة للشيطان ــ على تصوير هذه الألفاظ والمعاني والتسالي. وقد انتشرت الجماعات التي تشتغل بهذه الأمور لأنها تلْقَى لهفة واستعداداً من الذين ينقادون إليها بسبب الفراغ المميت الذي يعيشون فيه، لأنه إمَّا أن يشتغل الفكر بالله أو يستلمه الشيطان ليملأه بسحره، وسحره في النهاية حسرة وندم وضياع ثم موت.

«صالحاً للبنيان»:

[للإنسان فرح بجواب فمه،
والكلمة في وقتها ما أحسنها.] (أم١٥: ٢٣)

ما فات من صنوف الكلام كان للهدم المحتَّم. فلا يمكن أن نعالج الهدم إلاَّ بالبناء. والإنسان ينحصر نشاطه إمَّا في الهدم بكل أصنافه وإمَّا بناءً بصلاحه، ولكن وراء الهدم حساب فالرب يرصد الكلام: «ولكن أقول لكم إن كل كلمة بطَّالة يتكلَّم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تُدان.» (مت١٢: ٣٦و٣٧)

ومعروف لدينا جميعاً مستوى الكلام الذي يخرج من أفواه الذين لبسوا المسيح حقاً وامتلأوا بالروح، كيف يبني، كيف يعزِّي، كيف يفرِّح ويُشيع في النفس نشوة للتمسُّك بالفضيلة والحق. لقد سمعنا عظات في شبابنا فكانت هي التي جذبتنا للمسيح وجعلت منَّا ما جعلت، فتركنا العالم ونسينا كل ما لنا وكل مَنْ لنا حبّاً وكرامة لوجه المحبوب.

٤: ٣٠ **«ولا تُحزِنُوا رُوحَ اللهِ القدُّوسَ الذي به خُتِمتُمْ ليومِ الفِداءِ».**

كل واحد منَّا استلم مصباحه، يوم خرج من المعمودية، لينير له الطريق أمامه. الطريق الطويل جداً، طريق الحياة والخلود، الروح القدس المعزي والمفرِّح للقلب، الذي يوحي بالقول ويلقِّن الكلمة الحلوة في وقتها الحسن، فإنْ أحسَنَ الإنسان نُطْقَها، تهلل فينا وأنار الطريق أمام المتكلِّم وأمام السامع وأعطى المزيد. ولكن إن تصامنا عن هاتفه في القلب، صَمَتَ هو، وإن صَمَتَ الروح يتكلَّم الشيطان، فإنْ نَطَقنا للشيطان بما أوحَى، حزن الروح القدس وتأذَّى. فإما الروح القدس وإما الشيطان ولك أن تختار أيهما تسمع ولأيهما تنطق.

النطق للروح يبني المتكلِّم ويبني السامع، واللسان الذي ينطق للروح يتقدَّس، والأذُن التي تسمع تُبارك، والكنيسة هي ناطق بالروح وهي سامع للروح، وبالاثنين تشهد للحق في ظلمة

العالم لتنير أمام طالبي التوبة وراغبي الخلاص.

أمّا الكلام الرديء فهو أوتار الشيطان التي يلعب عليها أبناء الظلمة ليسدُّوا طريق التوبة ويمنعوا الخلاص عن مريديه. لهؤلاء يفرح الشيطان ويحزن الروح القدس. وحزن الروح نكبة على البيت وعلى المدينة وعلى العالم، لأنه إن انسحب الروح القدس قاد الشيطان مركب الإنسان وقَرَد قلوعها صوب الهاوية.

فيوم أن اعتمدنا خَتَم الروح القدس على قلوبنا، وعلى الختم اسم الخلاص (يسوع) واليوطا (الحرف الأول من اسم يسوع) كضمان وعربون نستلم مؤخَّره يوم الفداء بطاقة هوية للدخول بالاسم، لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل محفوظ لنا في السموات.

وكل يوم يحفِّر الروح القدس الختم ويعمِّق كلّما سبَّحنا اسم الخلاص، كلّما باركنا الله، كلّما خرجنا نطلب محبة الناس، ونعطي ونبذل، ونسامح ونغفر، ونعلِّم ونبني، ونعزِّي القلوب الحزينة.

ولكن إن جلسنا نتحدَّث ونتسامر، وندين ونتذمَّر، ونتحدَّث بلغة الشيطان، حزن الروح فينا وقام وحمل خِشمه وعَبَر، وبقي القلب ينعي زمانه ويلعن أيامه ويطلب راحة فلا يجد. سامحوني يا إخوة لولا أني رأيت هذا رؤيا العين، ما تجرأت وكتبت، فاقبلوا الكلمة من شاهد صدق.

٤ : ٣١ «لِيُرفَعْ من بينكم كلُّ مَرَارَةٍ وسَخَطٍ وغَضَبٍ وصياحٍ وتجديفٍ مع كل خُبثٍ».

قائمة حزينة تحمل عينة من مخازي الإنسان العتيق وتعرِّي الجرح وتستصرخ الطبيب.

«كل مرارة»: πᾶσα πικρία

يقصد كل نوع من أنواع المرارة ويعرِّف بالطباع التي تُثير كل استياء وحزن وغضب. ويقول الفيلسوف أرسطو إن مَنْ له هذه الروح πικρία فهو عسير المصالحة أو الإصلاح لأنه يحتفظ بمرارتها طويلاً.

وللأسف والحزن المرير نراها كثيراً في معاملة الأزواج لزوجاتهم، والآباء لأولادهم، والمعلِّمين لطالبي العِلم على أيديهم. فكم مِنْ زواج صار جحيماً: «أيها الرجال (الأزواج) أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن» (كو٣: ١٩)، وكم من أسرة باتت في نكد مقيم: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا» (كو٣: ٢١)، وكم من طَلَبَة خسروا العِلم وخسروا الحياة، هذا كله بسبب

الطِباع التي يصفها بولس الرسول أنها تُثير المرارة في الحلوق وفي القلوب. وهذه أيضاً خِلّة من خِلال الشيطان يلقّنها للاهين عن خلاصهم وعن إلهم، الذين أحزنوا الروح القدس وفقدوا العزاء فأفقدوا الناس كل عزاء. لهؤلاء يصرخ بولس الرسول: ارجعوا عن شروركم وارفعوا أيديكم عن فرائسكم واخلعوا هذه الأثواب المزيّفة التي ألبسكم العدو لينكّد عليكم وينكّد على بيوتكم. المرارة ليست من طبع الإنسان، البسوا الرب يسوع وليُهدِكُم الروح القدس بكل هدوء ومحبة، واصنعوا سلاماً وطيِّبوا النفوس التي آذيتموها ظُلماً ليرضى الله عليكم ويصنع رحمة لكنيسته.

«وسخط»: θυμός ، **«وغضب»**: ὀργή

يقول القديس ذهبي الفم إنهما ينبعان من نبع المرارة أو جذر المرارة. فالسّخط يمثّل الهياج في الطبع وعدم الاحتمال وقلّة الصبر، فتجد الساخط ساخطاً على نفسه وعلى كل الناس من حوله، يهتاج لأقل إثارة أو حتى بدون إثارة، فطبعه انفعالي غير متزن لا يقيس الأمور بقياس التعقُّل ولا يُعطي أعذاراً لأحد. وإنسان مثل هذا يثير ضجة من حوله أينما حل وأينما سار، فيسيء إلى نفوس كثيرة بلا سبب. وهذا في كنيسة الله مضرةٌ، وفي بيته يُرْفع الهناء ويبيت الكل في حسرة، مثل هذا السلوك يحتاج إلى عودة للطبيب الوحيد الشافي، وتسليم الحياة في خضوع، لأن شفاءه رهن اتضاعه وخضوعه تحت يد الروح القدس: «أنا الرب شافيك.» (خر١٥: ٢٦)

أمّا **«الغضب»**، فهو داء يمسك الإنسان منذ الطفولة ويكبر معه ويتفرّخ، فعلاجه يبدأ من الصغر، والطفل الغضوب طفل غير راضٍ عن نفسه وغير راضٍ عن غيره، علاجه الوحيد هو في التعرُّف على الله وفي تعلُّم الصلاة ليستردَّ من روح الله ما ينقصه وما يُرضيه ويُسعده. فالروح القدس صديق الأطفال ومصدر سعادتهم القصوى، فحينما يتعلّم الطفل أو الشاب أو حتى الرجل كيف يقف أمام الله بخشوع ويطلب بحرية ما ينقصه، تنتهي المشكلة. إذ بمجرد أن يعبّر عن نفسه وعمّا ينقصه ويعوزه، ينسكب فيه روح الاكتفاء ويشعر بالرضى، لأن الله سامعُ الصلاة، يُطلب منه في الخفاء أمّا هو فيُعطي علانية.

وبولس الرسول يطلب أن يُرفع الغضب من بين المؤمنين لأنه علامة نقص مهينة لا تتناسب وغِنَى الآب وعطية الروح القدس. والذي صالح السمائيين مع الأرضيين والنفس مع الجسد ليس عسيراً عليه أن يُصالح النفس الغاضبة، ولكن لتخضع تحت الصليب لتأخذ منه قوة المصالحة التي صالحنا بها المسيح مع الله.

«وصياح وتجديف»: κραυγή, βλασφημία

الصيَّاح هو الذي نسمِّيه المُشاغَبة أو الشجار بلا سبب مع تعلية الصوت بلا اكتراث وهو نوع من الإعلان عن الذات بعد شعور بالنقص وعدم التوقير أو التكريم. هذه الصفات أيضاً تظهر في الصبوة المبكرة، وهي واضحة الأسباب جداً، والعلاج أيضاً ليس بالاسترضاء ولا التهديد ولا الضرب فهذا كله يزيدها، ولكن العلاج كله في المخدع، يتعلَّم الصبي كيف يقفل على نفسه غرفته ويصلِّي لله ويعبِّر عن نفسه، ثم يُشجَّع لمزيد من الصلاة ويُمتدح عمله. وقليلاً قليلاً تُشفى النفس من نقيصتها. وهي تكبر مع الذات المنحصرة في نفسها. والرجل الصيَّاح دائماً والميَّال للخناق والمشاجرة كالطفل لا فرق، هو يعبِّر عن نقصه بصياحه، وعلاجه عند الله وحده، وهو الذي أهمل الله واهتم بنفسه يسترضيها بإزعاج الآخرين كنوع من الانتقام لنفسه. فعودة الرجل المثير للمشاجرات للوجود في حضرة الله، كفيل بأن يجعله يحس بكرامة لا يحلم بها ويشعر أنه نال من الله ما يكمِّل نقصه ويزيد من رضاه عن نفسه.

ومَنْ ذا يعالج الذي يصيح ويُخاصم إلاَّ الذي لم يَصِحْ قط ولم يُخاصِم أبداً؟
+ «هوذا فتاي الذي اخترته. حبيبي الذي سُرَّت به نفسي ...،
لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته.» (مت١٢: ١٨و١٩)

«تجديف»:

فإذا وصلت النفس إلى حالة التجديف، وهو إعلان العداوة لله علناً، فهنا تكون النفس قد أسلمت نفسها للعدو ليتكلَّم فيها بلا مانع. ولست أفهم معنى أن يرفع التجديف من أفواه المؤمنين لأن مَنْ يُجدِّف يكون قد أعلن الخصومة مع الله. فمَنْ يُصالح؟ ولكن لنا في المسيح ملجأ وعونٌ، فهو الذي قال: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس» (مت١٢: ٣١) طالما لم يفرِّط في الروح القدس الذي هو عامل الصُلح والمُصالحة الوحيد.

«مع كل خبث»: σύν πάσῃ κακίᾳ

الخبيث ألعن من الماكر، فالمكر صفة قد تكون طبيعية إذ توجد حيوانات ماكرة، فهو استخدام الحيلة واللف والدوران ليوفي الإنسان مأربه ويُرضي ذاته. أمَّا الخبث فهو المكر المُسيء، فالخبيث إنسان ماكر يحاول الإساءة أو سلب الناس ما يريده خلسة. ولكن الكلمة اليونانية تفيد أكثر من الخبث، فهي قد تستوعب كل أنواع المساوىء النفسية التي سبقت(١٥).

15. F. Foulkes, *op. cit.*, p. 145.

صورة لأعضاء كنيسة يعمل فيها الروح القدس

٤ : ٣٢ «وكُونوا لُطَفاءَ بعضُكُم نحوَ بعضٍ شَفُوقينَ مُتسامِحينَ كما سامَحَكُم الله أيضاً في المسيح».

رأينا وسمعنا صنوف رزايا الإنسان العتيق التي قد تطل بقرنيها من فوق الإنسان الجديد فتلوثه وقد تمزقه، وقد تؤذي النفوس الأخرى كخميرة فاسدة تفسد كل ما حواليها.

والآن يعطينا ق. بولس صورة حية لكنيسة يعمل فيها الروح القدس وتستجيب الأعضاء فتنضح عليهم مسحة الروح القدس الوديع الهادىء الكثير الثمن.

« كونوا»: γίνεσθε

تجيء رداً على ما جاء في الآية السابقة: «ليُرفع من بينكم ...» فالرد: « كونوا ...»، أي عوض المرارة والسّخط كونوا لُطفاء.

«لُطَفاءَ»: χρηστοί

وتجيء الكلمة اليونانية بمعنى اللُّطف أو الصلاح: «فهوذا لُطف الله χρηστότητα ...» (رو١١: ٢٢). وهي صفة تليق بالله كثيراً في معاملاته لنا بواسطة يسوع المسيح: «غِنَى نعمته الفائق باللُّطف علينا في المسيح يسوع» (أف٢: ٧). ولهذا أصبحت من أعمال الإنسان الجديد في المسيح. فكأن ق. بولس يضع الاثنين أمامنا، المرارة والسَّخط إزاء اللُّطف، ويقول اختاروا: هذه للإنسان العتيق وهذه للإنسان الجديد، الأُولى بحسب تزكية الشيطان لتمزيق الإنسان، والثانية بحسب المسيح والروح القدس لعمل الوحدة والمحبة. وليس عسيراً علينا حينما نقابل إنساناً ينضح منه اللُّطف والإيناس والصلاح، أن نُدرك في الحال وجود الروح القدس العامل فيه لمجد الله والمسيح. فاللُّطف شهادة أننا في الله نعيش وبالروح نعمل.

«شفوقين»: εὔσπλαγχνοι

وتُترجم عن اليونانية عند كل الكُتَّاب الكنسيين بالقلب الرقيق، ولكن وردت أيضاً بمعنى أحشاء رحمة أو رأفة: «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات σπλάγχνα οἰκτιρμοῦ » (كو٣: ١٢). والشفقة تأتي دائماً ومعها التسامح واللُّطف فهؤلاء الثلاثة الإخوة متعاهدون على إضفاء روح الله على الإنسان ليحاكي سيده الذي أشفق علينا وسامحنا باللُّطف الذي سكبه علينا في المسيح.

«متسامحين»: χαριζόμενοι ἑαυτοῖς

لقد جنح المترجم العربي بحذفه لكلمة «بعضكم بعضاً» لأنها أساسية في ترجمة كلمة سامح. لأنه بحسب الأصول في اليونانية لا يأتي الفعل متسامحين وحده أبداً بل لا بد من المفعول به أو المنسوب له التسامح كما جاء في رسالة كولوسي: «مسامحين بعضكم بعضاً χαριζόμενοι ἑαυτοῖς » (كو٣:١٣). وكلمة «بعضكم بعضاً» تُعتبر أساسية وهامة جداً في التعبير عن التسامح في اللغة. ويعتقد أوريجانوس[١٦]، عن صحة، أن التسامح إنما يقع على المتسامح والمسامَح معاً، لذلك تأتي «بَعْضُكم» دائماً فاعل، و «بَعْضاً» مفعولاً به.

ويقول العلاَّمة ماير[١٧] الألماني أن «بعضكم بعضاً» هامة للغاية، لأن التسامح فعل يأخذ أصوله من عمل المسيح معهم كجسد متحد «بعضهم بعضاً».

ويقول العلاَّمة لايتفوت، كما سامحهم المسيح معاً، يتحتَّم أن يسامحوا هم «بعضُهم بَعضاً». فهنا «بعضُهم بَعضاً» لازمة لأداء المعنى. لأن وهم أسرى ومربوطون بالخطية تحت سلطان العدو، فكَّهم المسيح مجاناً مُسامحاً لهم معاً. فهنا لا يأتي التسامح في المسيحية من عندنا، ولكن نحن نسامح الآخرين كما سامحنا المسيح، أو على الأصح من نفس أحشاء رحمة المسيح في التسامح نأخذ ونسامح الآخرين. فلا يصح أن يُقال عن التسامح أنه صفة ندّعيها لأنفسنا أننا متسامحون، لأنه ليس من عندنا ينبع التسامح، ولكنه ينبع من قلب المسيح ونحن نأخذ ونمارس. وهذا الكلام جيد للغاية.

«كما سامحكم الله أيضاً في المسيح»:

تأتي أساسية في موضوع التسامح كما سبق وقلنا، لأن موضوع التسامح الذي أجراه الله للبشرية بالعفو عن ديونها وفك رُبُطها وإحيائها من موت الخطية، هو في الحقيقة أمر يفوق تصورنا، أولاً من جهة ما صنعه الله في نفسه وفي ابنه. فالآب تحمَّل البذل لابنه المحبوب الوحيد، والابن تحمَّل الذبح على الصليب. هذا كله وغيره مما لم يُكشَف لنا عنه، جعل تسامح الله فعلاً يتغنَّى به الرؤساء والسلاطين في السموات، ويندهش له الملائكة ويشتهون أن يطَّلعوا على سِرِّه، وهو الآن وسوف يكون ــ بحسب شرحنا للأصحاحات السالفة لرسالة أفسس ــ موضوع تسبيح ومجد وتهليل عند السمائيين، بل وسيكون مصدر وأساس قوتنا في مدح غِنَى مجد نعمة الله التي أنعم بها علينا في المحبوب عندما نقف أمامه كقديسين وبلا لوم في المحبة إلى أبد الآبدين. لذلك يتحتَّم أن يصير تسامح الله لنا هو مصدر تسامحنا لبعضنا البعض تلقائياً، لا كصفة بل كجزء حي من طبيعتنا

16. Abbott, *op. cit.*, p. 145.
17. Meyer on Colossians, *op. cit.*, p. 186, 221.

الجديدة في الإنسان الجديد. لأنه لو بحثنا ودققنا، نجد أن طبيعة الإنسان الجديد مخلوقة ومصنوعة بعنصر تسامح الله له المجد. فنحن ينبغي أن نُدعى أولاد تسامح الله وخليقة تسامح الله وإنسان تسامح الله. لأنه عندما أخطأ ملائكة، لم يُشفق الله عليهم ولكن نحن أخطأنا وتعدَّينا ولكنه أشفق علينا وسامحنا لأننا حاملون صورته:

+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين (الإنسان الجديد) أحشاء رأفات ولُطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة (كلها نحو الآخرين) محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً. إن كان على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً.» (كو٣: ١٢و١٣)

فلو انتبه الإنسان المسيحي العارف كيف فداه الله بالمسيح وخلَّصه وسامحه، لتمادى في التسامح جداً حتى يصل إلى بذخ النعمة في التعامل، فلا يسامح فقط، بل ويتودَّد ويعطي، غير عابىء بخسارة، لأن الله فَعَل هذا معه، فكيف لا يفعله هو مع أخيه، وإن فعله مع أخيه فهو ليس من عنده بل من عند الله يأخذ ويُعطي، وهو لا يفعله في الحقيقة مع الناس بل مع نفسه ليرد ديون نعمة الله عليه:

+ «ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة. أي إن الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة.» (٢كو٥: ١٨و١٩)

أمَّا الذي لا يسامح فقد حكم على نفسه أن يسحب الله منه تسامحه ويا للويل:

+ «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا،
فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي،
وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم.» (مت٦: ١٢و١٤و١٥)

+ «يا رب كم مرة يُخطىء إليَّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات؟
قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات.» (مت١٨: ٢١و٢٢)

+ «فدعاه حينئذ سيده (الله) وقال له: أيها العبد الشرير كل ذلك الدَّيْن تركتُهُ لكَ لأنك طلبت إليَّ. أفما كان ينبغي أنكَ أنتَ أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتُك أنا؟ وغضب سيده وسلَّمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.» (مت١٨: ٣٢-٣٥)

يُلاحَظ هنا أن الله سامح وغفر ومزَّق صك خطايانا مجاناً، ثم أغدق علينا من غِنَى مجد نعمته بما يفوق العقل والحصر، وبدل أن يطلب منَّا أن نوفيه حقه أعطانا كل ما عنده حتى نفسه!!

الأصحاح الخامس

١ - ٥:١-٢ «تمثلوا بالله» وبالمسيح.
٢ - ٥:٣-١٤ النور يطرد الظلمة.
٣ - ٥:١٥-٢٠ مسيرة الحكماء وسط الجهلاء. «امتلئوا بالروح».
٤ - ٥:٢١ مبدأ الخضوع في المسيحية.
٥ - ٥:٢٢-٣٣ زوجات وأزواج وسر الكنيسة والمسيح.

[٥: ١و٢]

«تمثّلوا بالله»
وبالمسيح !!

١:٥ «فكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بالله كأولادٍ أحبَّاءَ».

الآية تأتي متممة للآية السابقة في نهاية الأصحاح الرابع: «متسامحين (بعضكم بعضاً) كما سامحكم الله أيضاً في المسيح: فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء.» (أف ٤: ٣٢، ٥: ١)

«فكونوا متمثلين بالله»: γίνεσθε οὖν μιμηταί

«فكونوا»: هنا امتداد لـ «كونوا» في الآية (٤: ٣٢) «كونوا لطفاء ...»، أمَّا تكملة «كونوا» الأُولى فهي «متسامحين كما سامحكم الله».

ولكن للأسف سقطت من المترجم العربي كلمة οὖν التي هي **«إذاً»** لتكون صحة الترجمة للآية: «فكونوا **إذاً** متمثلين بالله كأولاد أحباء». وهكذا تظهر الصلة الشديدة بين الآية (٥: ١) و (٤: ٣٢) وذلك من حيث التسامح فقط!

وهذه دعوة كبيرة بل ونبيلة للغاية، ولإدراك ذلك جيداً نضع هذه الآية في الوسط: «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت٥: ٤٨). كيف؟ هنا التسامح هو وسيلتنا السهلة الصعبة، فما أسهل أن نتساهل بالدافع الروحي القوي الذي يعمل فينا بقوة حينما نستدعيه أو نناديه أو حتى نتذكره، ولكن ما أصعب أن نسامح إذا غاب عنا الله أو ما صنعه فينا!! لأنه أن نتسامح كعنصر إلهي حي فينا، تصبح «أحبوا أعداءكم» تحصيل حاصل. لأن الذي يملك التسامح **كدافع إلهي**: «كونوا متمثلين بالله»، يكون قد ملك زمام القوة الغضبية في نفسه وألغاها، وحينئذ يتساوى المُسيء مع المُحسن. إذاً، يتضح أن التسامح الذي سامحنا به الله كجماعة أو كأفراد أعطى النموذج المُلزم لتسامح بعضنا مع البعض بحسب قصة المسيح المثيرة: «أفما كان ينبغي أنكَ أنتَ أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتُك أنا. وغضب سيده وسلَّمه إلى المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان له عليه (وهيهات أن نوفِّي بعد أن نتوفى!). فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.» (مت١٨: ٣٣-٣٥)

ولكي يؤكد لنا المسيح أن الأمر حقيقي جداً وإلزامي للغاية، حينما طلب منه تلاميذه أن

يعلِّمهم الصلاة كل حينٍ قال لهم: إن أردتم أن تصلوا فقولوا هكذا: «... واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا» (مت٦: ١٢). انظر كيف جعلها المسيح صلاة كل حين أو كلما أردنا أن نصلِّي، أي نرفع وجوهنا إلى الله لنحدِّثه! أن تكون مغفرتنا للناس هي أساس علاقتنا بالله؟ بل وأساس كل صلاة! وقبل كل طلبة أخرى نطلبها! فإذا لم نغفر للناس توقفت طلباتنا وبطلت صلاتنا!! انظر كيف جعل التسامح صلة أساسية تربطنا به كأولاد محبة له في مقابل محبته كأب لنا!!!

بهذا تظهر الآية أعلاه أنها حتمية: «فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء»؟!!! لأننا في سذاجة تفكيرنا المقطوع الصلة بما صنعه الله لنا نقول: ياه!! أنا أكون متمثِّلاً بالله، هذا تهويل وأمر مستحيل! ولكن الآن هل رأيت عزيزي القارىء أنكَ إذا لم تتمثَّل بالله كابن محبة الله فأنت لن تكون ابناً قط؟؟

وللقديس ذهبي الفم تكميل طريف للغاية إذ يقول لكَ:

[إنكَ إذا غفرتَ، فالناس بالتالي سيغفرون لكَ، ولكن الله لمَّا غفر لكَ فلم تغفر له (الأفضل يُقال إنك لم تردَّ له فَضْله عليكَ) كما أنكَ تغفر لأخيكَ وهو عبد معكَ، أمَّا الله فغفر لكَ وهو الرب والسيد وأنتَ العبد، بل وكنا أعداء له!! والذين يبغضونه أيضاً! كما أنه لم يغفر بدون تضحية عظمى، لأنه لكي يغفر لكَ ذَبح ابنه. وأنتَ بالرغم من أن المغفرة قد لا تُكلِّفك شيئاً فأنتَ لا تصنعها].

٥: ٢ «وآسلُكوا في المحبَّة كما أحبَّنا المسيحُ أيضاً وأسلَمَ نفسَه لأجلِنا قُرْبَاناً وذَبيحَةً لله رائحةً طيِّبةً».

«واسلكوا في المحبة»: καὶ περιπατεῖτε ἐν ἀγάπῃ

وهنا أيضاً يعطي نوعية أخرى للتمثُّل بالله حيث يطلب أن تكون المحبة دستور حياتنا أو القاعدة التي نقيس عليها كل قول وكل تصرُّف. بمعنى أنه قبل أن ترد على مَنْ أساءَ إليكَ أو مَنْ أبغضك، أو مَنْ اختلس منك مالك، أو مَنْ انتقص من كرامتك ومحبتك ولطفك وإحسانك أو أهانك، ففكِّر مرة ومرتين قبل أن ترد كلاماً أو فعلاً: ما مقياس قولي هذا أو عملي على مقياس محبة المسيح ووصية الآب؟ هذا معنى «اسلكوا في المحبة». وهو لا يقول «اسلكوا بالمحبة» كأن المحبة من عندك أنت، بل «اسلكوا في المحبة»، أي أن تكون المحبة هي الجو والإطار والرباط الذي نتحرك من داخله؛ ومن خارجه غير مصرَّح أن نقول أو نعمل وإلاَّ نكون قد كسرنا رباط المسيح الذي يربطنا

به: «لأن محبة المسيح تحصرنا.» (٢كو٥: ١٤)

«كما أحبنا المسيح أيضاً»: καθὼς καὶ ὁ Χριστὸς ἠγάπησεν ἡμᾶς

«كما ... أيضاً» καθὼς καὶ هنا تجعل المثل أو النموذج بالتالي (أيضاً) إجبارياً. والمسيح نفسه قالها صراحة: «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً. **كما أحببتكم أنا** تحبون أنتم أيضاً **بعضكم بعضاً**» (يو١٣: ٣٤). إذاً، فالآية التي نحن بصددها **وصية**، فرض مسيحي وناموس جديد. لأن «وصية جديدة» تعني أنها ليست كوصية الناموس: «تحب قريبك كنفسك» (لا١٩: ١٨)، ولكنها هنا وصية جماعية: «تحبوا بعضكم بعضاً»، لأن المسيح أحب الكل بمعنى أنه لم يُعْطِ لواحد ويمنع عن الآخر، بل «كما أحببتكم أنا» **كلكم معاً ولم أفرِّق** بين صديق وعدو، أو مستحق وغير مستحق، بل أحببتكم وكلكم أعداء بالفكر والقول والعمل، هكذا أصبح عليكم حسب وصية العهد الجديد «وصية جديدة» أي نابعة من دم المسيح، دم العهد، أن تحبوا بعضكم بعضاً بدون تفريق.

«وأسلم نفسه لأجلنا»:

أحبنا وأسلم نفسه، أو لمَّا أحبَّنا أسلم نفسه لأجلنا، أو أسلم نفسه لكي يوضح أنه أحبَّنا أصلاً. فهنا المحبة تساوت في قيمتها وثمنها مع ذبح المسيح على الصليب: «أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها» (أف٥: ٢٥). أي أن محبته للكنيسة هوَّنت عليه أن يموت من أجلها. والكنيسة هي «كلنا». كذلك: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). لاحظ هنا قوة الربط العجيب بين **«أسلم نفسه»** و **«لأجلي»**، فلم يقل أسلم نفسه لله، ولم يقل أسلم نفسه للموت، ولكن «أسلم نفسه "لأجلي"». فهنا بكل بساطة يضع المسيح موته في مساواة كل واحد فواحد. فأسلم نفسه لأجل بولس أو ثمناً لحياته، أو أن خلاص بولس كان يساوي عند المسيح ما يساوي ثمن حياته، فلمَّا دعا داعي تخليص نفس بولس من الموت مات المسيح من أجل بولس. والتوازي يصح وقائم مع كل نفس بل كل النفوس معاً.

هذا يعطينا مقياس المحبة التي نقيس بها علاقاتنا بجميع الناس. فعند المسيح كانت المحبة تساوي أن يموت من أجل كل نفس لتحيا ولا تموت. فالعجيب حقاً أن يقول المسيح: «كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً». فهنا **كما** καθὼς وهي مقياس، بمعنى أن قيسوا محبتكم لجميع الناس على قياس محبتي لكم. إذاً، فالموضوع حَرِج للغاية، لأننا كنا نظن أننا من أفضالنا نحب الناس، أي أن المحبة فضيلة تغنَّى بها الأولون والآخرون، ولكن هنا وعلى هذا القياس تبدو المحبة أنها ليست من أفضالنا، بل هي من حتميات الإيمان المسيحي **لأنها أعظم من**

الإيمان: «الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن **أعظمهن المحبة**» (١كو١٣:١٣). وهذا ليس تهويلاً ولا ادعاءً، لأن غياب المحبة معناه غياب الإيمان المسيحي برمّته! «إن كان لي **كل الإيمان** حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً.» (١كو١٣:٢)

وفي الحقيقة والواقع، فإن محبتنا للناس **على هذا القياس** تكشف إيماننا كشفاً لا التواء فيه: هل إذا استدعت محبتنا للناس أن نخسر ونخسر ونخسر حتى أنفسنا وإلى الموت؟ هل نقبل؟ بمعنى هل محبتنا للناس تقف على قدم المساواة مع حياتنا برمتها؟؟ إنه قياس صعب!!! ولكن فلنتدرَّج في هذا القياس حتى نستطيع أن نفهمه:

١ - هل حقاً نحن نُريد أن نخلُص؟ ونرث الحياة الأبدية؟
٢ - أو بمعنى آخر: هل خلاصنا وضعناه فوق كل اعتبار آخر في الحياة بحيث لو خُيِّرنا بين الموت والخلاص نختار الخلاص؟
٣ - أو بمعنى أوضح: هل إذا خُيِّرنا بين أن نجحد الإيمان بالمسيح وإلاَّ نموت، فنجحده أو نموت؟
٤ - إذا كان الجواب نموت ولا نجحد الإيمان قط، إن صحَّ هذا نكون نحن على نفس قياس المحبة الذي وضعه المسيح تماماً.
٥ - ولأن **المحبة المسيحية، أعظم من الإيمان المسيحي**، فالإيمان بالمسيح مع عدم قبولنا محبة إنسان ما يضيِّع منَّا الإيمان نفسه.
٦ - وهنا ينكشف القياس أخيراً أنه ليس فيه إجحاف أو تهويل!
٧ - هل تحب كل الناس حتى عدوك؟ أو تُحرَمَ من الإيمان بالمسيح وبالتالي الحياة الأبدية؟
٨ - الجواب الحتمي بكل رضا الضمير وبكل شجاعة الإيمان: أُحبُّ كل الناس حتى عدوي!! وذلك مهما كلَّفني حتى وإلى الموت الجسدي. لأن الموت الجسدي لا يمكن أن يُقاس بالحرمان من المسيح والحياة الأبدية.

إذاً، فلنبدأ برقم (٨) في فهمنا لمحبة المسيح وفي تلقيننا للآخرين عن معنى محبة المسيح:

+ «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة.» (١يو٣:١٦)

أمَّا وضع النفس من أجل مَنْ نحبه فيقول المسيح:

+ «هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم، ليس لأحد حب أعظم من هذا

أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به» (يو١٥: ١٢-١٤)

وبالنهاية نجد أن هذه الوصية، المحبة بقياسها المسيحي الذي وضعه المسيح نفسه «كما أحببتكم»، استطاعت أن تلغي بإيجابياتها الشاملة كل سلبيات الصفات التي سبقت بكل تفرعاتها، حتى إنه بلغ الفهم لها عند القديس أغسطينوس أن يقول: [حِبْ واصنع ما شئت] ضامناً بذلك أنه من المستحيل أن تأتي أمراً إدًّا(١).

«قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة»:

قرباناً أو تقدمة = προσφορά ، ذبيحة = θυσία

«قرباناً وذبيحة» هنا تفسير لفعل «أسلم نفسه لأجلنا»، فهو أسلم نفسه للموت على الصليب لأجلنا، لذلك فـ «قرباناً وذبيحة» هي تعبير أو تفسير لحالة الموت على الصليب.

والتعبيران «القربان والذبيحة» هما لأجلنا ويحملان ضمناً تنزيهاً كاملاً عن معنى الموت في ذاته، فهو موت له هدف فائق، وهو التضحية بالحياة لرفع، أو للدفاع والمحاماة عن، خطية الإنسان وعن عقوبة الموت كلتيهما، عن خطية الإنسان قرباناً، وعن الموت ذبيحة. فإن كانت الخطية تتركز في صورة واحدة وهي العصيان لله بنوع التمرُّد والتحدي على الوصية، فهنا القربان استيفاء للطاعة في أقوى وأعمق وأخطر صفاتها، **طاعة حتى الموت موت الصليب**. ولكن الخطية أنشأت حالة عقوبة بالموت وتحتاج إلى مغفرة: «وبدون سفكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ مغفرة» (عب٩: ٢٢). فهنا تبرز **الذبيحة بمفهومها الدموي لإنقاذ حياة بحياة، والحياة في الدم**. والطاعة مقدَّمة لله والذبيحة مقدَّمة للآب أيضاً.

«رائحة طيبة»:

هنا لا داعي للذهاب إلى أصل القربان أو ذبيحة السرور في العهد القديم، لأن المشابهة لا تتفق، فهما قربانٌ وذبيحة بشرية عن بشرية خاطئة وعن موت، ولكن «رائحة» طيبة هنا تفيد أنهما قُبلتا بسرور، سواء القربان أي الطاعة أو الذبيحة أي الكفَّارة، فهما صعدا أمام الله كرائحة طيبة:

[هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا،
فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة] (تقليد كنسي ليتورجي).

---

(١) أي معيباً أو سلبياً أو منتقداً.

والقصد من وصف تسليم المسيح لنفسه للموت قرباناً وذبيحة لله هو تصوير فداحة ثمن المحبة التي قدّمها لنا بثمن على مستوى الطاعة للموت والفداء بالدم.

ولكن لأن الدافع لهما هو المحبة لنا وللآب، قُبلت الطاعة بسرور، فانمحى العصيان ومعه اسم الخطية الكئيب من أمام الله، فتقدّسنا:

+ «حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان προσφορά الأمم **مقبولاً مقدّساً** بالروح القدس» (رو١٥:١٦). وهذا القربان هو تقديم الأمم أنفسهم لله في محبتهم بعضهم لبعض في طاعة الله والوصية.

+ «**نحن مقدّسون بتقديم** προσφορᾶς جسد يسوع المسيح مرّة واحدة» (عب١٠:١٠).

وقُبلت الذبيحة، فبطل الموت ورُفِعَت كل آثاره التي حجبت وجه الله عنّا والتي حرمتنا من الحياة الأبدية، فتقدّسنا ونلنا المصالحة وقبول الحياة الأبدية.

ويُلاحَظ أن كلاً من الطاعة التي قدمها عن الخطية التي بصورة العصيان والتمرُّد، والذبيحة التي قُدّمت لرفع عقوبة الموت، **بلغ حد الموت**. فالطاعة حتى الموت، والكفّارة على الصليب حتى مات الابن الحبيب!! فالموت هنا تمَّ على شقين: شق الطاعة ــ القربان، وشق الكفّارة ــ الذبيحة.

فهنا لو شئنا أن نفحص ما الذي نتمثّله بالمسيح في ثمن المحبة التي قدّمها، نجد أن التمثُّل يقف عند حد الطاعة حتى الموت فقط (القربان)، لأن أخي أخطأ إليَّ وعليَّ أنا أن أسامحه على أساس المحبة كوصية للجميع حتى الأعداء، فهنا المحبة تفرض عليَّ مغفرة خطيته لي التي ثمَّنها المسيح بالطاعة حتى الموت وليس بالذبيحة على الصليب.

ولكن يمكن أن نقدّم أجسادنا **ذبائح لله**، ليس من أجل الناس، ولكن من أجل حصولنا على شركة في ذبيحة المسيح:

+ «أطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أجسادكم ذبيحة حية مقدَّسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية.» (رو١٢:١)
+ «لكنني وإن كنت أنسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أُسرُّ وأفرح معكم أجمعين.» (في٢:١٧)

ولكن ليس المفروض توصيف **الموت كحد نهائي ثمناً للمحبة** بالنسبة **لمغفرة خطية أخي**

بـأنـه موت الطاعة، لأن الطاعة كثمن للخطية هي لله وحده. ولكن يكفي أن تكون المغفرة للخطية المفروضة عليَّ في الوصية لأخي هي إلى بلوغ حد الموت لو لزم، لماذا؟ لأن المحبة التي هي مفروضٌ عـليَّ أن أقدّمها لأخي على مستوى مغفرة خطيته التي أخطأ بها إليَّ هي ليست محبة بشرية ولا هي محبـتـي أنـا ولا هي محبة عاطفية لأخي، لأنه قد يكون عدواً لي. فهنا العاطفة تمتنع وإلاّ تكون غِشاً لنفسي وله، بل هي من أجل محبة المسيح التي دفع ثمنها موته.

إذاً، المحبة المفروض عليَّ أن أمارسها مع صديقي وعدوي هي محبة المسيح نفسها التي ثـمـنـها الموت. إذاً، فالموت وارد عندي لكي أوفي **محبة المسيح التي أُحِبُّ بها صديقي وعدوي!!** وهكذا أكون قد تمثّلت بالمسيح حقاً.

ولكن لماذا أتمثّل بالمسيح أصلاً وفعلاً، ألا يكفي فقط أن أشابهه؟

لـقـد سبـق وقُلنا أن المسيح هو الإنسان الجديد (ارجع إلى صفحة ٣١٨)، وهو الإنسان الجديد لـيـس لـنـفـسـه بل لي ولكَ، فيتحتّم لكي نكون إنساناً جديداً ونُدعى أبناء الله ونرث الحياة الأبدية ونـكـون شـركـاء لـلـمسيح، نقول يتحتّم أن نتمثّل بالمسيح لأنه تجسّد وصار الإنسان الجديد ليعطيني هـذه الـخـلـيـقـة الجـديـدة التي هي على مستواه تماماً. فكما عاش المسيح نعيش، وكما عمل المسيح نعمل، فهذه وصية الإنسان الجديد أو هو القانون الذي يحكمه.

[٥:٣-١٤]
النور يطرد الظلمة

٥:٣ «وأمّا الزِّنا وكلُّ نَجاسَةٍ أو طَمَعٍ فلا يُسَمَّ بينَكُم كما يليقُ بقدِّيسينَ».

«وأمّا الزنا وكل نجاسة»: πορνεία, ἀκαθαρσία

هـذه هـي مجـمـوعـة المـمـارسـات الجـنـسـيـة الـشـاذة التي تُسمى بالإنجليزية **immorality** أي اللاأخـلاقـيات، وهي الانحرافات التي لوَّثت الجنس البشري، وكانت بين الأمم فيما قبل المسيح أموراً عـاديـة تُـمـارس علناً في هياكل الأوثان ويشترك فيها كُهّانها وكاهناتها بكل قباحة وفجور، الأمر الذي جلب على الأمم غضب الله أجيالاً.

ويـكـفـي لإعطاء نظرة سريعة أن نرجع إلى الوراء لنأخذ سدوم وعمورة عِبْرة لِمَا تؤدي إليه هذه الموبقات، فهي إلى الهلاك بلا رحمة. فعند الله لم يكن علاج لها إلاّ بالنار والكبريت.

ولكن الذي يدهشنا كثيراً هو ورود صفة الطمع دائماً مُرادفاً ومُلاصقاً للزنا والنجاسة، ويبدو كما يقول العالِم فولكس(٢) أن الطمع لم يكن مقصوداً به أيام بولس الرسول حاسة الجشع المادي. وفي اعتقادنا أن **الطمع** كان يُقصد به عبادة الأوثان **من جهة كل ما يُمارس فيها من أعمال الفجور والزنا**: «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض، **الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية "الطمع" الذي هو عبادة الأوثان**» (كو٣: ٥). وهنا يقع الطمع على مستوى الزنا والنجاسة والهوى والشهوة الردية، وكلها ممارسات جنسية محظورة، حين يطمع الشيطان في اقتناص فرائسه لتلويث صورة الله في الإنسان.

ومن جهة أخرى جاء معنى الطمع في أن يطمع الإنسان في زوجة أخيه: «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم، أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه (زوجته) بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أن لا يتطاول أحد **ويطمع على أخيه** في هذا الأمر لأن الرب منتقم لهذه كلها كما قلنا لكم قبلاً وشهدنا. لأن الله لم يَدْعُنا **للنجاسة** بل في القداسة.» (١تس٤: ٣-٧)

«لا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين»:

اختلف الآباء والمفسرون في معنى «لا يُسمَّ بينكم»، ولكن نرى أنها لا تحتمل الخلاف لأن كلمة «بينكم» تكشف، ليس عن مجرد تسمية، بل عن الحديث والكلام وذِكْر هذه الأمور كثيراً على الألسنة، لأنه لا يليق بالقديسين. لأنه في موضع آخر قال: «لأن **ذِكْرَها أيضاً قبيح**» حتى ولو كانت «حادثة منهم سرًّا.» (أف٥: ١٢)

والقصد الواضح أن الكلام في هذا المجال القذر والتندر بأعمال النجاسة والتلذُّذ بحكاويها واضح أنه يثير الشهوة حتى عند القديسين، وأن ذكر هذه الخطايا على المكشوف يسيء جداً للصغار ويفتح أذهانهم ويُثير حب استطلاعهم. وكم من نفوس ضاعت من مجرد سماعها عن هذه الأمور، فحاولت بعدها معرفة معناها أولاً ثم فعلها، فانغمست فيها ظُلماً، وخطيتها واقعة على الذين يتهاترون بالحكاوي والقصص الخارجة عن حدود اللياقة بقديسين، أي بمؤمنين مسيحيين، علناً أو في وسط عائلاتهم أو أمام الشباب المتفتح لمعرفة الله.

لذلك فكل مَنْ يكسر هذا القانون في كنيسة الله عليه دينونة مريعة، وسوف يُعطي حساباً مرًّا عن النفوس التي تَسبَّب في إفسادها وضياعها.

أيها الرجال، أيها الشباب، اتقوا الله في أنفسكم وفي وسط عائلاتكم وأصدقائكم، واحذروا

2. F. Foulkes, *loc. cit.*

من الاشتغال بهذه الأحاديث المؤدية إلى الهلاك. اذكروا سدوم وعمورة.

+ «لا تضلوا **لا زناة ... ولا فاسقون، ولا مأبونون، ولا مضاجعو ذكور** ... يرثون ملكوت الله.» (١كو٦: ٩و١٠)
+ «ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس، وأمّا العاهرون والزناة فسيدينهم الله.» (عب١٣: ٤)
+ «أيها الزناة والزواني، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله، فمَنْ أراد أن يكون مُحباً للعالم فقد صار عدواً لله.» (يع٤: ٤)
+ «اهربوا من الزنا، كل خطية يفعلها الإنسان هي خارجة عن الجسد، **لكن الذي يزني يُخطيء إلى جسده** أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتُريتم بثمن **فمجّدوا الله في أجسادكم** وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦: ١٨-٢٠)

وفي النهاية نلاحظ بعد أن ضغط ق. بولس على المحبة، عاد ووضع التحذير، لئلا تتمادى المحبة لتمسك في الجسد وتتحوَّل إلى خطية. فهذه الآية تُعتبر ضابطاً حارساً لقداسة المحبة.

٥: ٤ «ولا القباحةُ ولا كلامُ السَّفاهةِ والهَزْلُ التي لا تليقُ بل بالحَرِيِّ الشُّكرُ».

«القباحة»: αἰσχρότης

وتُترجم، عن صحة، بالسلوك المشين. ولكن نحن نقول إنها القباحة، وهي أقوالٌ وأعمالٌ ذِكْرُها أقبح منها وهي تجلب العار والفضيحة لمن يتعامل معها قولاً أو فعلاً: «فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً ... الكلام القبيح αἰσχρολογίαν من أفواهكم» (كو٣: ٨). وهو ما يتندَّر به أهل الخطية والانحلال الخُلقي ومُحبو إثارة الشهوات والتلذُّذ بالخيالات النجسة التي يندى لها الجبين ويخزى منها أولاد النعمة ويتضرَّر من سماعها حتى القديسون.

«كلام السفاهة»: μωρολογία = silly:

السَّفه هو الكلام الخارج عن حدود اللياقة والتعقُّل أيًّا كان، فهو الكلام الأحمق، والكلام الذي ينطقه السكّيرون بلا خشية ولا إحساس بالعيب. وهو كلام غبي يدل على فكر محصور في التوافه والنوادر الصبيانية، يحاول أن يثير الضحك ولو أنه يثير الغثيان والقيء، يظن صاحبه أنه عن خفة دم ولو أنه ثقل وغم.

«الهزل»: εὐτραπελία

كلام منحل يثير الضحك، مزاح قائم على كلمات غير عادية تُثير الانتباه والضحك، تلاوة كلمات مترادفة تخرج سهلة سريعة تهدف إلى إضحاك الناس ولكنها في مجملها فارغة أو قبيحة أو للنَّيْل من سمعة بعض الناس.

وبولس الرسول لا يقصد الضحك البريء لحديث مُضحِك متزن شريف، بل ما يُسيء إلى الروح والناس والقداسة.

«التي لا تليق»:

هذه هي الصفة العامة التي تحكم كل أنواع النشاطات السابقة، أنها لا تليق بقديسين ولا تليق برجال محترمين، ولا تليق بنفوس تسعى للتوبة أو الخلاص. مضرَّتها أكيدة وربحها منعدم.

> وللأسف فهذه الأنواع كلها غير المقبولة لا شكلاً ولا موضوعاً، هي المناهج الأساسية في أحاديث الراديو والتليفزيون في السهرات القذرة التي تُفسد الأولاد والزوجات، وتُنشيء أجيالاً بذيئة منحلَّة مسرَّتها في النجاسة والقذارة والنكت المنحرفة والضحك الذي يُحزن الروح ويُطفيء النور من النفس.

ولا أنسى أبداً قصة حكاها أحد الشبان الفرنسيين أثناء زيارته للدير وهو متزوج، إذ في يوم بعد أن صلَّيا بالليل هو وزوجته، انفعلت روحهما بالنعمة واتفقا معاً أن يتخلَّصا من جهاز التليفزيون ليتفرغا كل مساء للصلاة، فحمل الشاب التليفزيون ونزل إلى الشارع — في باريس — ووضعه على الرصيف وأسرع بالدخول إلى بيته، ولمَّا شاهدوا أحد المارة يلتقطه فرحوا فرحاً مبهجاً وصفقوا بأيديهم وتعاهدوا معاً على الصلاة كل مساء!!

> إن الكنيسة سوف تعطي حساباً عسيراً على تصريحها للمؤمنين القديسين أن يقتنوا التليفزيون، وهي تعلم أنه يبث روح الانحلال في النفوس ويعلِّم الجيل كل اللاأخلاقيات بلا حياء، ويقتطع من وقت الأسر الضيِّق أكبر نصيب ليضيع هباءً ولا يتبقى وقت، ولا حتى روحٌ للصلاة أو حتى ذكر اسم الله. وهذا منتهى ما يشتهيه الشيطان.

«بل بالحري الشكر»: ἀλλὰ μᾶλλον εὐχαριστία

يقول العلاَّمة كليمندس الإسكندري إن الإفخارستيا هنا تعني «كلام النعمة» عوض كلام

الهزل والسفه، كذلك يقول القديس جيروم إنها تعني أيضاً نفس كلام النعمة. وغيرهما كثير من المفسرين والعلماء انحصروا في معنى كلام مفيد وكلام نعمة.

ولكن يقول العلاّمة Meyer (٣) إن كلام النعمة ليس هو الذي تعنيه كلمة «الإفخارستيا» بأي حال من الأحوال، لأن كلام النعمة هو εὔχαρις، ولكن εὐχαριστία هي إعطاء الشكر أو رفع صلوات الشكر، وهذا هو الذي يتناسب مع المسيحيين، بل يجب عليهم ألاّ يتكلّموا بالهزل ولا أن يسمعوه؛ بل يعطون لله صلوات الشكر على ما أعطاهم من نِعَمٍ. ويربطها العالم ماير بما جاء في الرسالة إلى كولوسي إذ يقول ق. بولس:

+ «وأمّا الآن فاطرحوا عنكم ... **الكلام القبيح** من أفواهكم ... فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ... وكونوا **شاكرين.**» (كو٣: ٨و١٢و١٥)

حيث «كونوا شاكرين» تعني أعطوا الشكر بصورة دائمة، أو كونوا دائماً في حالة إعطاء الشكر لله كذلك:

+ «متأصلين ومبنيين فيه وموطّدين في الإيمان كما عُلِّمتم **متفاضلين فيه بالشكر.**» (كو٢:٧)

+ «**شاكرين كل حين** على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب.» (أف٥ : ٢٠)

هنا عبادة كاملة بالشكر **كل حين** وعلى كل شيء، سواء كان جيداً أو غير جيد، ويقدّم الشكر باسم المسيح ليُقبل لدى الله الآب، لأن شكرنا سيُرفع إلى الله الآب في ذبيحته الحيّة الدائمة.

ويقول عن هذه الآية (أف٥ : ٤) العالِم لايتفوت: [إن الشكر هنا يأتي في النهاية كما جاء في نهاية (كو٢:٧) لأن الشكر هو نهاية سلوك المؤمنين سواء بالكلام أو بالعمل](٤). كذلك يقول العالِم لايتفوت في الرسالة إلى فيلبي (٤ : ٦): [لأن الشكر على كل البركات التي نلناها سابقاً هو شرط ضروري للغاية كأساس لكي يقبل الله منّا مزيداً من التوسُّل]. وإليك أيضاً بقية مواضع الشكر التي ذكرها ق. بولس وأهميتها في كل موضع تقدّم فيه ليدرك القارىء أن دوام تقديم الشكر لله هو واجب للرد على نِعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى:

+ «لأنهم لمّا **عرفوا الله** لم **يمجّدوه أو يشكروه** ...» (رو١ : ٢١). معرفة الله يعبَّر عنها بالشكر.

3. H.A.W. Meyer, *op. cit.*, p. 492.
4. Lightfoot on Colossians, p. 177.

+ «الذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله» (رو١٤: ٦). هنا الأكل إذا قيل عليه الشكر صار الأكل لحساب الله!!
+ «والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله» (رو١٤: ٦). هنا عدم الأكل أي الصوم يلزم أن يرافقه الشكر.
+ «وأنتم أيضاً مساعدون بالصلاة لأجلنا لكي يُؤدَّى شكر لأجلنا من أشخاص كثيرين ...» (٢كو١: ١١). هنا ق. بولس يطلب أن يُؤدَّى شكر لأجله لأن هذا يجعله أكثر كفاءة في الخدمة.
+ «لأن جميع الأشياء هي من أجلكم لكي تكون النعمة، وهي قد كثرت بالأكثرين، تزيد الشكر لمجد الله» (٢كو٤: ١٥). هنا ق. بولس يربط زيادة النعمة بزيادة الشكر، والكل لمجد الله!
+ «مستغنين في كل شيء لكل سخاء يُنشىء بنا شكراً لله» (٢كو٩: ١١). هنا ق. بولس يقول إن عطيتهم المالية تحوَّلت فيه إلى تقديم الشكر لله الذي سيعود عليهم وعليه بمزيد من النعمة والعمل.
+ «لأن افتعال (ممارسة) هذه الخدمة لا يسد أعواز القديسين فقط بل يزيد بشكر كثير لله» (٢كو٩: ١٢). ويكمِّل الآية السابقة بأن أموالكم وعطاياكم ليس فقط تسد أعواز القديسين بل تجعلهم يشكرون الله من أجلكم وهذا ينفعكم كثيراً.
+ «اشكروا في كل شيء لأن هذه مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم» (١تس٥: ١٨). بمعنى أن شكركم على كل شيء وفي كل شيء هو مشيئة الله وهو يرتد عليكم بالنعمة بلا شك.
+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طِلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس» (١تي٢: ١). عجيب هنا أن يطلب ق. بولس أن تُقام تشكرات لله من أجل جميع الناس حتى توفي الكنيسة واجبات جميع الناس، واللازم أن يقدِّموها لله إذ هم لم يوفوها كما يجب!

هذا عدا افتتاح جميع الرسائل عند ق. بولس بالشكر الحار لله أول كل شيء وفي بداية كل شيء، لأنه بالشكر الذي يقدِّمه لله عن كل كنيسة يفتح الله قلبه وذهنه ليكتب ما هو نافع لهم.

هذا هو ق. بولس وهذا هو تقديم الشكر لله عند ق. بولس.

ليت الكنيسة كلها تقيم صلوات وتسبيحات خاصة بالليل والنهار **لتقديم الشكر كذبيحة لله** لا على هيئة ليتورجية فقط، بل على هيئة كنيسة تقدم واجب الحب

والعبادة ردًّا على نِعَم الله علينا لكي تزيد ولكي يسمع الله دعاء الداعين ويرفع عنّا ضيق الأيام.

٥:٥ «فإنكم تَعْلَمُونَ هذا أنَّ كلَّ زانٍ أو نَجِسٍ أو طمّاعٍ الذي هو عابِدٌ للأوثانِ ليسَ لهُ ميراثٌ في ملكوتِ المسيحِ والله».

«فإنكم تعلمون هذا»: τοῦτο γὰρ ἴστε γινώσκοντες

والترجمة الصحيحة عن ماير «لأنكم» وليس «فإنكم» لأن الكاتب يهدف إلى النتيجة التي يستقيها من معرفتهم. وباليونانية تعني «إنكم تعلمون تماماً وجيداً من تلقاء ذاتكم»(٥). ويقول العالِم ماير إن ق. بولس هنا يخاطب ضمائرهم ويقول إن كلمة «تعلمون» تأتي في صيغة اسم الفاعل «لأنكم أنتم عالمون» أو «لأنه معلوم عندكم». ويترجمها إنجيل مارشال اليوناني إنجليزي (طبعة نستله) ذو الترجمة تحت الخطّية Interlinear هكذا: «وكونوا متأكدين بهذا أن كل زانٍ ... إلخ».

وهذا التأكيد — على أنهم يعرفون كل هذا جيداً وهو معلوم لديهم تماماً — يلمّح لنا أنه يقصد بعض الأشخاص الذين في وسط الجماعة ولهم هذه النقائص المعيبة، ويقطع على مسامعهم بالحرمان الأبدي الذي ينتظرهم أنه ليس لهم ميراث في ملكوت الله والمسيح.

وفي هذه الآية يعود على الطمّاع ببعض الإيضاح، مما يفيد أن مقصده هنا بالنسبة للرجل الطمّاع أنه إنما يكنز المال فضة وذهباً بشهوة الطمع، لتصبح بالنسبة له أوثاناً ويصبح هو عابد وَثَن.

وقد ورد في مواضع عديدة (١كو٦: ٩) و(غل٥: ١٩-٢١) هذا القطع المحتّم، من جهة أن الأشخاص الذين بعد أن خلعوا العتيق ولبسوا الجديد، أي صاروا مؤمنين وأعضاء في الكنيسة أي جسد المسيح، ويعودون إلى خطايا الزنا والنجاسة وما يتفرع منها، فإنهم محرومون حتماً من ملكوت الله.

ولكن ق. بولس نفسه يرد على أي فكر يظن أن مجرد الوقوع في هذه الخطايا يحرم من الخلاص وملكوت الله، إذ يقول:

+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض (طالما أنتم أحياء الآن) الزنا النجاسة الهوى الشهوة

5. Abbott, *op. cit.*, p. 151.

الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية، الذين بينهم **أنتم أيضاً سلكتم قبلاً حين كنتم تعيشون فيها**، وأمّا الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل ... إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه ...» (كو٣: ٥-١٠)

إذاً، فلكل هذه الخطايا علاج بالتوبة.

«ملكوت المسيح والله»:

يقول وستكوت(٦)، إنه ملكوت واحد، ولكن ذُكِر هنا «الله والمسيح» لا لكي يقول إن المسيح هو الله بل ليقطع خط الرجعة على الذين يقولون إن المسيح مجرد إنسان. فهنا ذِكْر الله والمسيح مجتمعَيْن يوضح أنه ملكوت الله، والمسيح هو الذي أهَّلنا له، والله والمسيح هما واحد والملكوت ملكوتهما وقد جاء بألْ التعريف للاثنين معاً.

وفي نفس الموضوع يقول العالِم بروس(٧): إن للقديس بولس في رسائله ميلاً أن يجعل «ملكوت الله» وقفاً على المستقبل وفي الدهر الآتي والأبدي، وفي نفس الوقت يعتبر «ملكوت المسيح» هو «ملكوت ابن محبته» (كو١: ١٣)، هو الحياة الحاضرة في الإيمان بالمسيح و «النعمة التي نحن فيها مقيمون» (رو٥: ٢)، المعيَّن لها أن تكون أكثر استعلاناً في المستقبل بوضعها المستقبلي:

+ «وبعد ذلك النهاية متى سلَّم المُلْكَ لله الآب، متى أبطَلَ كل رياسة وكل سلطان وكل قوة، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه ... فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في الكل.» (١كو١٥: ٢٤-٢٨)
+ «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو١: ١٣)

وفي اعتقادنا نحن أن ملكوت المسيح في الحاضر هو الكنيسة في استعلان مجدها الأول على الأرض: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يو١٧: ٢٢)، باستعلان بشارة الملائكة: «وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة» (لو٢: ١٤). هذه هي الكنيسة، ملكوت المسيح حيث يملك الآن على الأرض، لتمارس شهادتها ولكن بانتظار الاستعلان الأخير والأعظم، حينما ستكون في أقصى مجدها باستعلان المسيح عريسها في ملء مجده وقوته لتُزَفَّ إلى الآب لتدخل في المُلك الأبدي، حيث يصير الله الكل في الكل.

6. Westcott, *op. cit.*, p. 77.
7. Bruce, *op. cit.*, p. 372.

٥ : ٦ «لا يَغُرَّكم أحدٌ بكلامٍ باطلٍ، لأنه بسببِ هذه الأمورِ يأتي غضبُ الله على أبناءِ المعصيةِ».

«لا يَغُرَّكم أحد بكلام باطل»: ἀπατάτω κενοῖς λόγοις

«يَغُرَّكم»: تأتي باليونانية بمعنى يغش أكثر مما يغرّ.

«كلام باطل»:

أي شرح وتوجيه مزيَّف مخادع، كونه يستخف بخطايا الزنا والنجاسة، وهؤلاء أشخاص موجودون في كل جيل وكل شعب بل وفي كل كنيسة.

ثم يدور بولس الرسول على هؤلاء المستبيحين المستهترين بقداسة السيرة ونقاوة السريرة التي يتحتم أن يتحلَّى بها أبناء الله، وهم أبناء الملكوت المزمعون أن يقفوا أمام الله الآب قديسين وبلا لوم في المحبة لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. فيحكم على هؤلاء الأشخاص أنهم مُستَهدَفُون لغضب الله إذ عادوا لسيرتهم الأُولى في المعصية كأبناء عصيان الله وغضبه، الذين كسروا قانون الله والضمير.

٥ : ٧ «فلا تكُونُوا شُركاءَهُم».

واضح هنا أن هؤلاء القوم المستبيحين هم في نفس الكنيسة، ولكنهم كوَّنوا لأنفسهم وجوداً منفصلاً لحياة غير مرتبطة بالإنجيل وتعليم الكنيسة، أي جماعة أحرار جعلوا الحرية ستاراً للجسد، أمَّا شركتهم فهي في الحياة المنحلَّة بكل صورها وبالأكثر في أعمال الخطية التي ستجلب عليهم في النهاية غضب الله وحرمانهم من ملكوت الله.

القديس بولس يحذِّر، والكنيسة أيضاً تحذِّر من الجماعات المنحلة والسير في طريقهم والجلوس معهم والاستماع إلى أحاديثهم ومرحهم ولهوهم وهزلهم، لأن منظرهم وسلوكهم قادران أن يجذبا كثيرين، لأن مظهرهم الفَرِح والمَرِح وأقوالهم كفيلان بأن يضلَّلا الإنسان الساذج الذي لا يعرف نهاية هذا الطريق المنحدر إلى الهاوية، وشركتهم شركة في الظلمة.

٥ : ٨ «لأنكُمْ كنتُم قَبْلاً ظُلمَةً وأمَّا الآنَ فنُورٌ في الرَّبِّ، اسلُكوا كأولادِ نورٍ».

ق. بولس لا يقول «في الظلام»، ولكن لأن الظلام كان فيهم، فقد أصبحوا مصدراً للإظلام

بحياتهم في الخطية التي طغت عليهم واستعبدتهم. لم يكن الوسط هو المُظلم بل هم الذين كان الظلام قد غشى قلوبهم وعقولهم. والتعريف بالحياة الوثنية السابقة أنها ظُلمة تعريف مختصر، ولكن الذي يقرأ رسالة ق. بولس إلى أهل رومية يدرك من أصحاحاتها الأُولى عمق هذا الظلام الذي استبدَّ بالإنسان وبعقله وروحه حتى صيَّره على مستوى الجهالة المطلقة.

«وأمَّا الآن فنورٌ في الرب»:

وبولس الرسول مغرم بعمل المفارقة العظمى ووصف النقلة المذهلة من الظلمة إلى النور:

+ «الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظُلماتٍ إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين.» (أع٢٦: ١٧و١٨)
+ «قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال **الظلمة** ونلبس أسلحة **النور**، لنسلك بلياقة كما في النهار...» (رو١٣: ١٢)
+ «لأن الله الذي قال أن يُشرق **نور من ظلمة** هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٦)
+ «شاكرين الآب الذي أهَّلنا لشركة ميراث القديسين **في النور**، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو١: ١٢و١٣)

وهكذا أيضاً القديس بطرس الرسول:

+ «وأمَّا أنتم (الأمم) فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدَّسة (الأمم) شعب اقتناء (الأمم)، لكي تخبروا بفضل الذي دعاكم **من الظلمة إلى نوره العجيب.**» (١بط٢: ٩)

النور هنا فيهم هو نور الحياة في المسيح أو نور المسيح فيهم، في الفكر والقلب والضمير، في الإيمان في الرجاء في المحبة في سلام الله الذي يفوق العقل، في المودَّة الأخوية عديمة الغش، في الفكر الواحد والقلب الواحد، في التسبيح وفي الصلاة وفي الشكر؛ كخليقة جديدة سماوية أُعطيت — وهي في صميم العالم — أن تحيا السماء والخلود والمجد، وإن كان كَسبْقِ تذوُّق وكعربون إلى أن يظهر المسيح، فنظهر معه في المجد ونراه كما هو لأننا سنصير مثله حينما سيغيِّر جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، حينما يقدِّمنا إلى أبيه قديسين وبلا لوم أمامه في المحبة لنستلم وظيفة التسبيح كخورس سماوي ممتاز وفائق، لأن تسبيحنا سيكون بأسرار الله وأعماق حبه وأبوته، حينما يستعلن لنا كل مجد الله والابن لنأخذ شركتنا المتواضعة فيه كأولاد محبوبين وأعزاء على قلب الآب وإخوة أماجد للبكر صاحب المجد الأسنى — ابن محبة الآب!!

ثـم أعـظـم وصف لهم الآن وهم في المسيح في النور الأبدي الذي لا يُطفأ، أنهم صاروا «أبناء النـور». نعـم لقـد وُلِـدُوا حـقـاً مـن النور ميلاداً جديداً غير منظور جعلهم على مستوى طبيعة النور السـمـاوي، ليكونوا في حضرة النور الأزلي: «ساكناً في نور لا يُدنى منه» (١تي٦:١٦). وها هم أعـطـوا أن يـقتربوا بل يعيشوا في نور الله ونور قديسيه لأنه لا يوجد فيهم ظلمة البتة. لذلك يشجّعهم بـولس الرسول: «اسلكوا كأولاد نور»: والرب بنوره سبق وأضاء لهم طريق الخلود، وهناك يضيئون كالجَلَدِ (السماء).

+ «والـفـاهـمـون يـضـيـئـون كـضـيـاء الـجَـلَـدِ والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا١٢:٣)

٥ : ٩ «لأن ثَمَرَ الرُّوحِ هو في كلِّ صَلاحٍ وبِرٍّ وحَقٍّ».

الـتـرجمة أخـطـأت ووضـعـت «الـروح» عـوض «الـنـور»، الذي وجدناه في جميع المراجع وقد تـصـحـحـت في الـتـرجمـة الجـديـدة. لـذلـك لـزم الـتصحيح: «لأن ثمر النور هو في كل صلاح وبر وحق»(٨). وهـذا مـطـابـق لتسلسل الكلام. فالحديث عن النور وأبناء النور وأعمال النور وبالتالي ثـمـر الـنـور، كـذلـك يأتي «الروح» بلا سابق إعداد ولا امتداد لأي معنى، لأن الحديث عن النور وليس عن الروح.

والسؤال: كيف يكون للنور بذور؟ ومَنْ غرسها؟ ومَنْ سقاها؟

نعم للنور بذور، وبذرة النور هي الإنسان الجديد الذي طُرِح في العالم ليكون نور العالم: «أنتم نـور العالم» (مت٥:١٤). وأبناء لمَنْ قال: «أنا هو نور العالم» (يو٨:١٢)، «ما دام لكم النور آمـنـوا بـالـنـور لـتـصـيـروا أبـنـاء النور» (يو١٢:٣٦). لقد ولدهم النور الأعظم وطرحهم على أرض «الـشـوك» والحـسـك، فـاجتذّوا بذار العدو وأحرقوا زرعه وحصاده، والناس يقظى في ملء النشوة، حينما انكسرت «شوكة» الخطية واقتُلعت شجرة اللعنة وغرس الرب الإله على الأرض شجرة الحياة (المسيح) من جديد وأعطي لكل بني النور أن يأكلوا منها ليحيوا إلى الأبد ويكونوا مثل الله ولا يموتوا أبداً.

(٨) وهذا مطابق لما جاء في النسخة السينائية والإسكندرانية والفاتيكانية والترجمة القبطية البحيرية والأرمنية ونسخة أوريجانوس وجيروم وهم أقدم نسخ موجودة في العالم.

وعوض أنواع وصنوف الخطايا نَبَتَ الصلاح بأعمال لا يحصرها العدُّ. وعوض اللعنة المرة ازدهر البر، بر الله على أرض الإنسان، وصنع منه الإنسان ثوباً عوض العُرْي الذي عاناهُ وأخجله حتى توارى عن وجه الله، ثوبُ برٍّ يؤهله لرؤية الله ودخول السماء. وعوض الباطل وكل الأباطيل التي سوَّدت وجه الأرض ووجه الإنسان معاً، أشرق الحق من بيت لحم واستوى فوق جميع السموات ليملأ كل قلب وكل ذهن، ليعرف الإنسان طريق الحق والحياة والخلود ويعرف النور معرفة النور للنور: «بنورك نرى نوراً» (مز36: 9)، «الرحمة والحق التقيا، البر والسلام تلاثما. الحق من الأرض يَنْبُتُ والبرُّ من السماء يَطَّلعُ.» (مز85: 10و11)

وهكذا أصبح للإنسان أن يعمل في أرض الله بلا شوك ولا حسك، وبلا دموع ولا وجع، واختفى الأنين وهرب التنهُّد(9)، وصار على الإنسان أن يُثمر ثمر البر ويحصُد حصيد الحق ويخدم البر وصلاح الله. أين أرض الشقاء؟ أين اللعنة والموت والفناء؟ هوذا الله حلَّ في أرضنا فغنَّت الملائكة، وأشرق بروحه فامتلأ عالمنا نوراً وبهاءً، فصار المسيح نور العالم. أين اللعنة وأين المشتكي وزارع الزوان؟ هوذا مقابل الذي أهان الإنسان الأول، هناك الذي مجَّد الثاني بالمجد الأسنى. وعوض مصباحنا الذي انطفأ يوماً بيد آدم، أشرق علينا شمس البر ليضيء قلوبنا وطريق الخلود والنور وحياة الأبد!

5: 10 «مُختَبِرينَ ما هو مَرْضِيٌّ عِندَ الرَّبِّ».

«مُختبرينَ ما هو مرضيٌّ»: δοκιμάζοντες, εὐάρεστον

أمَّا كلمة δοκιμάζοντες باليونانية فتفيد معنى التحقُّق بالمعرفة والامتحان. فالكلمة تنحصر في المعرفة أكثر من العمل. وهي من أصل δοκέω ومعناها ــ بحسب القاموس ــ يُفكِّر أو يظن أو يرى في المحيط العقلي. أمَّا δοκιμάζω فتفيد يميِّز، يمتحن، يستحسن. وجاءت في الآيات الآتية على سبيل المثال:

+ «تعرفونَ أن تُميِّزوا وجه الأرض والسماء ...» (لو12: 56)

---

(9) نحن لا زلنا نئن مثقلين بخيمتنا الأرضية (الجسد) نريد أن نخلعها ونريد أن نلبس فوقها الذي من السماء (2كو5: 42)، ونحن لا زلنا نتنهَّد لأن حبيبنا قد غاب، ذهب مع فجر الأحد وقال أنه سيأتي وما أتى، ولكنه آتٍ آتٍ آتٍ، والفرح ملء يديه. أما الدموع والوجع على العالم ومن في العالم وما في العالم فأصبح خطية: «فقال له يسوع اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم» (مت8: 22)، «ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو17: 16).

[قال الملاك اللامع عند القبر للنسوة حاملات الطيب: لماذا الطيب والنحيب تمزجنها معاً يا تلميذات الرب؟! إن زمن البكاء قد انقضى، فلا تبكين بل بشِّرن بالقيامة!] (الإبصلمودية المقدسة).

+ «وقال آخر إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماضٍ **لأمتحنها**.» (لو١٤: ١٩)
+ «لم **يستحسنوا** أن يُبقوا الله في معرفتهم ...» (رو١: ٢٨)
+ «**وستمتحن** النار عمل كل واحد ما هو.» (١كو٣: ١٣)
+ «**اختبروني** وأبصروا أعمالي أربعين سنة.» (عب٣: ٩)

«مَرْضيٌّ»: εὐάρεστον

جاءت في العهد الجديد في (رو١٢: ١): «ذبيحة حيَّة مقدَّسة **مَرْضية** عند الله»، وفي (رو١٤: ١٨، ٢كو٥: ٩، كو٣: ٢٠، تي٢: ٩، عب١٣: ٢١، عب١٢: ٢٨).

أمَّا «ما هو مَرْضيٌّ عند الرب» فعرفناه ووجدناه: كل تواضع ووداعة وطول أناة وحب وبذل وتسامح ومغفرة للجميع، ولكن بقيت الخبرة والممارسة الشخصية للمعرفة المؤكَّدة. وكأن ق. بولس بعد أن عرَّفنا بكل ما عند المسيح ــ كما عرَّف المسيح تلاميذه بكل ما عند الآب ــ عاد يُطالبنا أن نختبر بأنفسنا ما هو مَرْضيٌّ عند الرب ليكون لنا ما نعطيه أيضاً للآخرين. كما قال الرب: «إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه» (يو١٣: ١٧). وفرق شاسع بين المعرفة بالتلقين من الأفواه أو الكُتب، ومعرفة الاختبار والتمييز. فالأُولى تكون محصورة في الذهن الجسدي القياسي الذي يختزن المعرفة ليردِّدها، أمَّا معرفة الاختبار والتمييز فهنا تشتغل الملكات العليا وينطلق الذهن إلى ما وراء الحدود، وعلى مستوى الروح يرتفع ليُدرك الأمور التي يشاءها الله: «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ... ونحن لم نأخذ روح العالم (العقل الجسدي) بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله» (١كو٢: ١٠و١٢)، «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكُتب.» (لو٢٤: ٤٥)

فكوننا نختبر أمور الحياة، فهذا يكون بالفعل والفهم، بالتلقين والبحث؛ أمَّا أن نختبر ما هو مَرْضيٌّ عند الله، أي ما هو حسب مسرَّة مشيئته ورضاه، فهنا الذهن المفتوح بعمل الروح لإدراك ما يشاء الله. فالله إذ أراد أن نعرفه ونعرف ابنه الحبيب، أعطانا أدوات المعرفة العُليا التي ليست من هذا العالم ولا من علومه.

لذلك، لكي نختبر ما هو مَرْضيٌّ عند الله، يلزمنا أن نراجع أدوات الاختبار ــ التي نختبر بها الأمور الإلهية ــ التي وهبها الله لنا بروحه، وهذا يحتاج إلى تحكُّم في معرفة الكتب الإلهية وتعمُّق في الصلاة والتأمُّل والتشبُّث بمحبة الله والتلمذ للروح القدس ليتدرَّب الوعي المسيحي على معرفة أمور الله. هذه كانت صناعة آبائنا القديسين وقد أتقنوها واستؤمنوا على معرفة أمور الله وتركوا لنا

ذخائرهم تشهد على ما بلغوه وعلى رحمة الله على عبيده المخلصين.

٥: ١١-١٤ «ولا تَشْتَرِكُوا في أعمَالِ الظُّلمَةِ غيرِ المُثمِرَةِ بَلْ بالحَرِيِّ وبَّخُوها. لأن الأُمُورَ الحادِثَةَ مِنهُم سِرًّا ذِكرُها أيضاً قبيحٌ. ولكنَّ الكُلَّ إذا توبِّخَ يُظهَرُ بالنُّورِ، لأنَّ كلَّ ما أُظْهِرَ فهو نورٌ. لذلك يقولُ آستيقِظْ أيُّها النَّائِمُ وقُمْ من الأمواتِ فيُضيءَ لكَ المسيحُ».

هنا اضطرار لجمع الآيات (١١و١٢و١٣و١٤) معاً.

أبناء النور ما لهم وما لأعمال الظلمة؟

«... عالي ظنَّها سَكْرى، فقال لها عالي: حتى متى تسكرين؟ انزعي خمركِ عنكِ، فأجابت حَنَّة وقالت لا يا سيدي ... لا تحسب أَمَتَكَ ابنة بليعال(١٠)، لأني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلَّمت إلى الآن.» (١صم١: ١٣-١٦)

هذه حنة القديسة أم صموئيل النبي تفتخر بإباء وشمم: لا يا سيدي أَمَتُك ليست من أولاد الشيطان، عندما ظنَّها عالي الكاهن أنها سَكْرَى!!

«أعمال الظلمة غير المثمرة»:

لقد سرد علينا ق. بولس كل أعمال الظلمة وهي مليئة بالعار وليس بالثمار، وأعطانا تحذيراً من محبي الإثم ومُرَوِّجي الخطية الذين يحتالون بمكر على النفوس البسيطة ويغوونها بالكلام الباطل والهزل والضحك والمزاح ليكسبوها لمعسكر الشيطان ليكونوا أولاد وبنات «بليعال». هنا يعطي ق. بولس تحذيراً آخر أن نضع على أنفسنا عهداً أن لا نشترك قط في أعمال الظلمة أو أقوالها، لا من قريب ولا من بعيد، لأن لها شكلاً من الخارج يبدو حسناً وسعيداً، فالمرح يحوطها والضحك يزكِّيها لدى القلوب غير الواعية، ولكن لا نعمة فيها ولا رجاء ولا ثمر أيًّا كان، فكلها مظاهر كاذبة تَعِدُ بالراحة وهي أم التعب، وتُغري بالسعادة وهي تخبىء التعاسة تحت نقابها، شكلها مُسلِّي وباطنها غمٌّ. انظر مثلاً إلى الخمر وكل ما يتفرَّع منها والمخدرات بكل أصنافها، ومع الخمر الزنا ومع المخدرات الإدمان، ومع الإدمان الخراب سريعاً صحة ومالاً وكرامة ورزقاً وضيقاً ويأساً. فما لك يا ولدي وأعمال الظلمة غير المثمرة، إحذر الاقتراب إليها. وإن كان ق. بولس قد أعطى لنا أن نختبر إرادة الله المرضية فقد حذَّرنا تحذيراً من خبرة أعمال الظلمة وشركتها المدمرة.

(١٠) «بليعال» اسم الشيطان في القديم.

«بل بالحري وبِّخوها»:

قد جاهد المفسرون جهاداً مريراً للحصول على المعنى الصحيح لهذه الآيات (١١و١٢و١٣) لأن وضعها على هذا المفهوم خطر = «**بل بالحري وبِّخوها**»، لأنه مَنْ سينجو من توبيخ المستهترين وعُشَّاق الإثم والخطية والمُدمنين على الخمر والمخدرات والمُنغمسين في الزنا؟ فيقول العالِم أبوت[11] بعد دراسة أقوال وشروحات ما لا يقل عن عشرة علماء آخرين، إن المعنى الصحيح يكون كالآتي: لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري عرِّضوها للنور (راجع يو٣: ٢٠ حيث الفعل ἐλέγχω لا يعني التوبيخ بل التعريض للنور)، لأن الأعمال التي يعملونها سرًّا ذِكْرُها أيضاً هو عار، ولكن كل هذه إذا تعرَّضت للنور فإنها تنفضح وتظهر على حقيقتها.

ويبدو لنا أن المعنى كاد أن يكون الآن واضحاً وهو: أن لا نشترك في أعمال الظلمة، ولا نحاول أن نفضحها لأن مجرد ذِكْرها عار عليهم وعلينا، بل بالحري نعالجها على مستوى النور الذي أعطانا الله، في هدوء. وهكذا إذا تسلَّط عليها نور المسيح تنكشف خطورتها لأصحابها، وبهذا نجذبهم إلى النور. وهكذا وفي هدوء المحبة والنصح تتحوَّل أعمال الظلمة إلى نور.

ويكون لسان حالنا بالنسبة لهم: «استيقظ أيها النائم وقُم من الأموات فيضيء لك المسيح». وهي الآية التي يُظن أن خورس التسبيح في الكنيسة كان يقولها للمعمَّد بعد أن يقوم من الدفن في ماء المعمودية.

[٥:١٥-٢٠]

مسيرة الحكماء وسط الجهلاء

"امتلئوا بالروح"

٥:١٥ **«فانظُرُوا كيف تَسلُكونَ بالتَّدقيقِ لا كجهلاءَ بل كحكماءَ».**

توجيه أبوي حكيم، وكمربٍّ فاضل لأولاده، يعطي نصيحة الحياة، لبناء العمر، وإلهام المجد. فمَنْ ذا الذي لا يشارك في أعمال الظلمة ويعالج أمورها إلاَّ أبناء النور العائشون في النور؟ ثم مَنْ هو النور ومصدر النور وإشعاع الحياة إلاَّ المسيح المَكْنيُّ عنه في القديم بالحكمة التي بَنَتْ بيتها وأقامت أعمدتها. لقد انتقل ق. بولس من الرمز المُخفى إلى الحقيقة الساطعة.

11. Abbott, *op. cit.*, p. 154f.

يا أبناء النور، أنتم حكماء العالم لأنكم صرتم فيه كنور في ظلمة، والمطلوب منكم لا أن تتحاشوا الظلمة أي جهل الجهلاء فقط، بل أن تسيروا في النور، أي تسلكوا بالحكمة لأنكم صرتم بالمسيح والإنجيل ومعرفة الله وابنه يسوع المسيح حكماء العالم، وأدركتم مقاصد الله منذ الأزل وقصده المبارك الحكيم من جهة مستقبلنا الذي خلقه قبل أن يخلق العالم. قبل أن توجد الشمس خلق لنا أعمالاً نيرة صالحة ومجيدة لنسلك فيها، وقبل أن يعتمّ العالم ويظلمّ بجهل الجهلاء أنار لنا طريق الحياة والخلود.

والآن إن كان هناك ثمة نصيحة تجمع كل مفردات السلوك وتحصر الرِجْلَ في طريق الحق، واليد لتمتد إلى كل ما هو حق ومقدّس وطاهر، والفكر إلى الإنجيل، والإنجيل وحده، فتكون هذه النصيحة: اسلكوا بالتدقيق وامسكوا بالحكمة والتعقُّل، لأن سيرتكم منذ اليوم مكتوبة في السموات لحساب الميراث المُعدّ. واحذروا نصيحة الجاهل، لا تجرِّبوا الحماقة أو تذوقوا سُم الفساد أو تمتد أرجلكم في طريق الظلمة.

«جهلاء وحكماء»:

الجهل: هو مجموع الأوصاف والأعمال الشريرة والفاسدة التي ذكرها ق. بولس.

والحكمة: هي المسيح والإنجيل ووصاياه من تقوى وفضيلة وأعمال صالحة مرضية وكاملة. وقد كررها ق. بولس في رسالته إلى كولوسي بتطويل وتوضيح هكذا: «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج مفتدين الوقت. ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُصْلَحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد.» (كو٤: ٥و٦)

٥:١٦ 	**«مُفتَدِينَ الوقتَ لأن الأيامَ شريرَةٌ».**

[الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي أُعطي له أن يحوِّل الزمن إلى خلود][(١٢)].

لقد احتار جميع العلماء والمفسرين حتى والآباء في تفسير هذه الآية تفسيراً مطابقاً لألفاظها. ولكن لو نظرنا إليها من منظار مسيحي خالص نجدها محلولة وبسباطة متناهية.

السؤال الآن، ما هو الفداء في معناه المسيحي النهائي؟ هو تحويل الفاسد إلى عدم فساد، أو إنقاذ الشرير وتحويله إلى صالح، أو تحويل بني الظلمة أو أعمال الظلمة إلى أبناء وأعمال نور،

(١٢) راجع شرح الرسالة إلى أهل رومية ١٣: ١١-١٤ ص٦٠٨ وما يليها.

ولكن لابد من التضحية ودفع الثمن غالياً وغالياً جداً. هنا تكون الآية قد شرحت نفسها: فإنه يقول إن الأيام شريرة والآن نريد أن نحوِّلها إلى أيام صالحة ومباركة ومقدسة. كيف؟ لابد من دفع الثمن غالياً، نعم، وما هو الثمن ونحن مستعدون للدفع!؟ هو سهر الليالي والوقوف في الصلاة الليل مع النهار، وإفراز أوقات طويلة لقراءة الإنجيل، والإسراع إلى الكنيسة في كل مناسبة للتعلُّم والعبادة. تقول لي إن صنعت ذلك لا يتبقى لي وقت للمعيشة والأعمال الأخرى. أقول لك هذا هو الفداء. نعم لكي نفدي الوقت الشرير لابد أن ندفع الثمن، الثمن هو ضغط الوقت والأيام لكي يكون الضائع منها في أقل حيِّزٍ ممكن.

سمع أب فاضل أحد الآباء يقول إني أقضي خمس عشرة ساعة في القراءة والكتابة، فردَّ عليه أنت استطعت أن تفدي الوقت! فقال نعم والثمن؟ إرهاق، تعب، عدم فسحة، احتمال الجلسة لمدد طويلة، سهر طويل جداً، عينان مرهقتان من التدقيق في النظر في الكتب والمخطوطات ذات الكتابة الدقيقة والباهتة، عدا الأمراض المُقلقة. وقال له، وماذا خرجت من هذا كله؟ قال حوَّلت الأيام والليالي إلى ما هو نافع لي ولغيري، ولو حصرت الوقت لوجدت أن الضائع منه لا شيء.

هذا هو «**مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة**». فإذا لم تملأها بالصلاة وبالعمل الصالح كشَّرت الأيام عن أنيابها وأعطتكَ أياماً وليالِيَ سوداء، كلها أفكار ضائعة وتأملات فارغة ومشورات حمقاء ولف ودوران وانشغال بتوافه المعرفة وأسوأ المُسليات، وبالنهاية حُزن على الوقت الضائع والشر الذي اكتسبته. هل فهمت كيف تصير الأيام شريرة جداً؟ ثم هل يمكن أن تفتدي الوقت بالجهد والعمل والسهر في الإنجيل وفي الكتب الروحية، في الخدمة المباركة، في الصلاة الطويلة والطويلة جداً التي يمكن وحدها أن تبتلع شر الأيام لتحولها إلى سيرة سمائية ومعرفة روحية وحكمة ودراية وخلاص يتكمَّل كل يوم ويمتد.

١٧:٥ «من أجل ذلكَ لا تكُونُوا أغبياءَ بَلْ فاهِمِينَ ما هي مَشيئةُ الرَّبِّ».

«من أجل ذلك»:

يقصد بها ق. بولس، أنه بسبب أن الأيام شريرة وتهرب من تحت أرجلكم ومن فوق رؤوسكم أياماً وأسابيعَ وشهوراً وسنينَ فارغة كالسبع البقرات العِجَاف التي أكلت السِمَان، أي كل ما ادخره الإنسان سابقاً من عبادة وصلاة، هكذا يستطيع الفراغ والكسل والإهمال وعدم ملء الوقت باسم المسيح وإنجيله، يمكن أن يبتلع كل جهاد شبابك وصلاتك وصومك ودموعك، ويوقفك وسط

الأيام حائراً ضائعاً لا تعلم أين تسير.

يا أخي اجعل الجهاد الروحي والصلاة والعبادة والإنجيل أهم من أكلك وشُربك، أهم من جريك هنا وهناك وأهم من وهم الواجبات الجسدية الفارغة والكذَّابة(١٣). كل هذه لن يبقى منها شيء ينفعك. المسيح يقول اطلب ملكوت الله وبرَّه وكل شيء يزاد لكَ، واترك الموتى يدفنون موتاهم وتعالَ أنت اتبع المسيح وسِرْ خلفه، تربح الحياة وتربح الوقت وتربح كثيرين معك. وبعد هذا كله لا تكن غبياً وتقول أنا صاحب واجبات وأحب أن أرضي الناس. جيد، ولكن يوجد ما هو أهم من كل ذلك، حياتك وخلاصك. افهم وليت الله يعطيك فهماً لتعرف ما هي مشيئة الرب. الرب يقول لكَ بِعْ كل ما عندك وتعالَ اتبعني ...

+ «مَنْ لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.» (مز٧٣:٢٥)

الله أولاً ثم الآخرين وآخر الكل أنا!!

٥:١٨ «ولا تسكَرُوا بالخَمْرِ الذي فيهِ الخَلاعَةُ، بَلْ آمتلِئوا بالرُّوحِ».

ق. بولس يتتبع تداعي الفكر، والإلهام يقوده خطوة خطوة. لأن افتداء الأيام، لكونها شريرة، رأينا أنه يستدعي الجهاد الجاد والتعب والسهر وإشقاء الجسد. هنا يأتي العدو بفكرة يضيِّع بها كل ما جاهدناه، اشرب كأس خمر لتريح أعصابك وتشعر بالراحة، والخمر تعطيك نشاطاً لتستخدمه أكثر في أعمالك الروحية. فكرة هي في ظاهرها مناسبة ولكنها تحمل نواة تخريب الحياة، كأس ثم كأس ثم زجاجة، وشرب الراحة صار شرب السُكر، والسُكر له أحوال وأحوال، إذ يستحيل السُكر أن يكون بدون مجون، لأن العقل يغيب وتحضر الحواس والشهوات وتستظهر أفكار الشر وينحدر الإنسان إلى هوة الخطية. لا يا ابني:

+ «ليس للملوك يا لموئيل ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المُسكر، لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيِّروا حجَّة كل بني المذلَّة. اعطوا مُسكراً لهالك وخمراً لمرِّي النفس.» (أم٣١: ٤-٦)

+ «اسمع أنتَ يا آبني وكن حكيماً وأرشد قلبك في الطريق، لا تَكُنْ بين شرِّيبي الخمر بين المُتلفين أجسادهم، لأن السكِّير والمُسرف يفتقران ...» (أم٢٣: ١٩-٢١)

(١٣) الواجبات الجسدية بدون الجهاد الروحي وملء الوقت بالصلاة؛ ليست بذات قيمة، ولكن بعد الجهاد والصلاة وملء الوقت بعمل الروح تصبح الواجبات الجسدية نفسها محسوبة ضمن العمل الروحي.

«بل امتلئوا بالروح»: ἀλλὰ πληροῦσθε ἐν πνεύματι

نعم، أتريد أن تشعر بالراحة؟ أتريد أن تمتلىء سلاماً ويفيض قلبك فرحاً وسروراً؟ أتريد أن تجدّد قوة؟ أتريد أن ترتفع روحك وتحلّق في سماء الله وتتعزّى بالروح؟ أقول لك، لا تمتلئوا بالخمر بل **«امتلئوا بالروح»**.

كيف نمتلىء بالروح القدس؟

ينبغي أن نعي جيداً مضمون وسبب أمر الرسول: «امتلئوا بالروح» (أف٥:١٨)، كأمر نسكي قائم على أساس عقيدي. فهنا الوصية جاءت بصيغة الأمر بالرغم من أنها عمل يفوق الإرادة ويعلو فوق كل محاولة أو جهد بشري. هذا يكشف عن سر لاهوتي هو وجود الروح القدس في النفس البشرية سابقاً على الملء. فلأن الروح القدس حاضر وموجود بفعل العماد وسر المسحة (الميرون)، أصبح من اللازم وعلى مستوى الأمر أن يُعطى الروح الموجود فينا فرصة للملء، أو أن نُهيِّىء له الحرية للعمل بلا عائق حتى الملء!! علماً بأن الفعل «امتلئوا» كما جاء في اليونانية هو في صيغة الأمر المبني للمجهول، بمعنى أن الروح هو الذي سيملأنا إذا أعطيناه الفرصة.

هكذا ننتقل دائماً من المنطوق النظري في اللاهوت العقائدي إلى التطبيق العملي في اللاهوت النسكي من جهة التعامل مع الروح القدس.

فاللاهوت العقائدي يقرر نظرياً أن الروح القدس هو فينا حتماً بسرَّيْ العماد المقدّس والمسحة (الميرون)، ولكن تظل هذه الحقيقة كائنة بلا فعل ولا نحسُّها، وكأن الروح القدس بلا عمل ولا أثر، إلى أن يتدخَّل اللاهوت النسكي ويعطي الوصية «امتلئوا بالروح»، فنقع في الحال تحت التزام العمل بإضرام هذه الموهبة بالجهاد النسكي وإخلاء العوائق أمام نار الروح القدس للتأجُّج!! وحينئذ نبدأ نحس بالروح وهو يغلي في صدورنا غلياناً(١٤).

أمَّا الوسيلة فهي بالصلاة، لأن في الصلاة تتقابل أرواحنا بروح الله، لأن الصلاة عمل من أعمال الروح القدس، فإذا امتلأنا صلاة امتلأنا بروح الله. صلاة ليست إلى لحظات ولا كما لقوم عادة، ولكن بتكريس أوقات متسعة للصلاة، ليالي بجملتها، أيام نخصصها للصلاة، صلاة فردية وصلاة مع آخرين لأن الوعد لا يزال قائماً: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت١٨: ٢٠)، أمَّا لماذا حدَّد المسيح اثنين أو ثلاثة؟ لأن هذا هو رقم الشهود

---

(١٤) انظر كتاب: «الروح القدس الرب المحيي»، (الجزء الأول)، للمؤلف، ص٦٤-٦٥.

الرسمي، لأن شهادة اثنين أو ثلاثة حقٌ هي ويؤخذ بها، فالمسيح يريد شهادة، والروح لا ينسكب ولا يملأ لمجرد الملء أو السرور، ولكن يلزم أن يكون الملء للشهادة والخدمة والكرازة. حضور المسيح يعني حضور الروح القدس، يعني الملء على المدى.

تقول، كيف أقضي الليل كله في الصلاة؟ اسأل المسيح: «وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلّي **وقضى الليل كله في الصلاة لله**.» (لو٦: ١٢)

ليس عجيباً أن يصلّي المسيح لله ويقضي الليل كله في الصلاة، فهو يعطي نموذج الحياة المسيحية. لم يكن محتاجاً للصلاة، اسمع بقية الآية: «ولمّا كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سمّاهم أيضاً رُسُلاً!» (لو٦: ١٣). ثم اسمع أيضاً بقية حصاد ليلة صلاة كاملة: «ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله» (لو٦: ٢٠)، وأكمل عظة الجبل المشهورة التي تُحسب في العهد الجديد أنها بمثابة الناموس الجديد.

لقد أعطانا المسيح المثل الكامل للإنسان الكامل ولحياة مسيحية مملوءة من الروح القدس. وواضح أنه ليس ملئاً إلاّ لعمل وخدمة. ولكنه قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦)، وقال: «تعلّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت١١: ٢٩). إذاً، هو الطريق الذي به نبلغ إلى الملء: الصلاة والصلاة طول الليل، ولا ملء بدون الصلاة. أعرف شباناً سمعوا هذا وانطلقوا وصلّوا بجهاد وحرارة لا إلى يوم بل إلى أيام بلياليها الطوال فسمع الله لهم الصلاة وأخذوا ملئاً من الله وانطلقوا يكرزون. الله صادق في كل ما عمل وكل ما وعد: «الحق الحق أقول لكم إن كل **ما طلبتم** من الآب باسمي يعطيكم. **إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي**، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو١٦: ٢٣و٢٤). انظر يا حبيب المسيح، المسيح يلح عليك، أنت إلى الآن لم تطلب شيئاً باسم المسيح، تشجَّع، اطلب ليكون فرحك كاملاً. وما هو الفرح الكامل؟ هو الملء الكامل من الروح الكامل: «لأن فرح الرب هو قوتكم.» (نح٨: ١٠)

٥: ١٩ «مُكلِّمينَ بعضُكم بَعضاً بمزاميرَ وتسابيحَ وأغانيَّ روحيَّةٍ مُتَرنِّمينَ ومُرتِّلينَ في قلوبِكُم للرَّبِّ».

«مكلّمين بعضكم بعضاً»: λαλοῦντες ἑαυτοῖς

المعنى الصحيح الذي وصل إليه علماء اللغة هو ليس مجرد كلام أو تسبيح بل بالمزامير الموزونة المستخدمة في العبادة بنغماتها المعروفة جيداً لهم بحسب ممارسة العبادة في الهيكل. وقوله:

«**بعضكم بعضاً**» يفيد هنا المفهوم أنه خوارس، أي تسبيح صف إزاء صف (أنتيفونا) للمبادلة، وهي نفس ما تستخدمه الكنيسة القبطية الآن في التسبحة وتقسيمها المؤمنين المسبِّحين صفَّ (خورس) بحري وصفَّ (خورس) قبلي ويردون بعضهم على البعض. وهو نوع من العبادة المبهجة للغاية. وقد أدخلتها الكنيسة ليس في أوقات خدمة القداس فقط، بل جعلتها تقليداً دائماً لكل الاجتماعات التي كانت تقام خصيصاً للتواجد معاً للتسبيح كنوع من نشاط الجماعة وتدبير خاص لإدخال روح الفرح في الجماعة وملء أوقاتهم بالتسبيح لله.

والفرق بين المزامير والتسابيح هو أن الأُولى تأخذ صفة القدسية الخاصة لأن المزامير كتاب نبوي موضوع بإلهام الروح القدس، أمَّا التسابيح فهي مؤلفات كنسية من عصور مختلفة. والأغنية هي مؤلَّف خاص للمناسبات الخاصة في الكنيسة للأعياد والتذكارات، لأعمال تمت لها ذكرى مجيدة أو أعياد تذكار استشهاد القديسين. وكان الأساقفة في البدء يتبارون في تأليف هذه الأغنيات للمناسبات الكنسية، وهي ذات تأثير تربوي وتعليمي فائق القيمة وكان الشعب كله يتقنها ويشترك في التسبيح بها.

وعلى العموم فالمزامير والتسابيح والأغاني كانت كلها من إلهام الروح القدس. وكان التسبيح بها على مستوى العبادة مع الفرح والسرور وتعزية النفس بل وبنائها من الداخل. ويعترف الكاتب أن الترتيل الذي كان يشترك فيه الشباب معاً في أوقات الاجتماعات الأسبوعية هو الذي هزَّ روحي من الأعماق أكثر من أي نشاط آخر سواء وعظ أو تعليم، وهو الذي ألهب روحي وقادني للتكريس.

وبولس الرسول في وضعه التسبيح بالمزامير والترتيل والأغاني الروحية في مقابل السُكر من الخمر يقدِّم تقابلاً محكماً. لأن التسبيح قادر فعلاً أن يؤثر في الروح والقلب كما تؤثر الخمر في الجسد تماماً من جهة العزاء والسرور والملء الحقيقي بالرضا والراحة النفسية. وجيد أن يُقال أن التسبيح المسيحي هو الخمر الجديدة للعهد الجديد. غير أن المُسكِر يتلف الجسد، أمَّا التسبيح فيغذِّي الروح ويدسم النفس. وبينما المُسكِر يعقد اللسان ويوقف التفكير، نجد الروح يرفع من مستوى الفكر ويطلق اللسان ليتكلَّم بالحكمة وأعاجيب الله.

وقد أمدتنا المخطوطات ببيانات عن مؤرخين وثنيين مثل بليني الذي يذكر في خطابه للإمبراطور أن الكنيسة المسيحية تُعطي للتسبيح الأهمية الدائمة في العبادة، فحياة المسيحيين معظمها تسبيح وهم يقدمونه للمسيح كإله.

«مترنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب»:

لقد وقف المفسِّرون حيارى في معنى هذا القول، فهنا ليس اللسان هو المرتّل والمرنّم، بل القلب. وقول ق. بولس لا يسمح بأن يتهرَّب الإنسان من صدقه أي أنه يوجد تسبيح بالقلب، لأنه كما قال عن التسبيح والترتيل الجماعي، عاد وقال عن تسبيح آخر ليس للجماعة، لأنه تسبيح في القلب لا يمكن حدوثه على هيئة شركة جماعية، بل هو تسبيح فردي بالترنيم والترتيل داخل القلب. ولا ينسى القارىء أن ذلك الإنسان في حالة ملء بالروح، فهذا فيض من الروح القدس إنْ بالفم أو بالقلب. ويقول العالم الألماني ماير(١٥) إن هذا هو المقابل للتسبيح المسموع بالفم، فهو تسبيح صامت بالقلب في صمت. ولكن أي تسبيح هذا الذي يكون في القلب الصامت؟

ولكن يشهد الكاتب: أنني سمعت بأذنيَّ إنساناً مسيحياً جلس بجواري وبينما أنا مشغول بالكلام الروحي سمعت ترتيلاً خارجاً من داخله وفمه مغلق تماماً، ولكن الترتيل كان يرن في أعماقه بصوت خافت وكان هذا الإنسان المبارك في حالة شرود الذهن إذ لم يكن يتابع سماع الحديث أو الاشتراك فيه. وهكذا من العسير أن يُسْكِت الإنسان الروح القدس حينما يتكلّم أو يرنم داخلنا، فإن أغلق أمامه اللسان فهو ينطق من الداخل في القلب، فهذا الملء من الروح يلازمه فيض باللسان أو القلب. هذا النوع من الترتيل هو الذي ذكره ق. بولس في رسالته الأُولى إلى كورنثوس: «فما هو إذاً؟ **أُصلّي بالروح** وأُصلّي بالذهن أيضاً **أرتّل بالروح** وأرتّل بالذهن أيضاً» (١كو١٤: ١٥). فالترتيل بالروح لا يُفهم، لأنه بلغة الروح القدس المنسوبة لموهبة التكلُّم بالألسن. فترتيل الذهن مفهوم لأنه بالكلام العادي، أمّا ترتيل الروح فغير مفهوم ولا ينطقه اللسان والإنسان في حالة صحو ذهني.

وقد كانت الكنيسة الأُولى موهوبة بالتكلُّم بالألسن والترتيل بالروح وكل هذا كان فيضاً من الروح القدس المنسكب على الكنيسة للشهادة كمعجزة. ولكن ليس من الحق أن ننفي وجود ترتيل بالقلب أي بالروح في الداخل، لأن غياب الموهبة الآن لا يفيد إلغاء حدوثها أو وجودها. فبولس الرسول قال بالتكلُّم بالألسن وقال بالترتيل في القلب، هذا يُفرّحنا جداً بسبب غِنَى الكنيسة في عصورها الأُولى. ولكن لا يُيئّسنا أننا في هذا الزمان تنقصنا مثل هذه المواهب لأنها ليست من جوهر الإيمان الذي نحياه بل هي زينة للروح وعزاء وحسب.

15. Meyer, *op. cit.*, p. 506.

٥ : ٢٠ «شاكِرين كلَّ حينٍ على كلِّ شيءٍ في آسمِ ربِّنا يَسُوعَ المسيح لله والآبِ».

هنا عودة إلى الشكر الدائم، ثم الشكر على كل شيء أي على كل أمر يحدث لنا سواء كان نافعاً أو ضاراً، صحة أو مرضاً. فالشكر لله عملية تقابل كل ما يحدث، لماذا؟ لأننا كل حين في حالة فداء وفي حالة خلاص وفي حالة وجود في نعمة الروح القدس الليل والنهار، وهذه كلها يتحتم أن يقابلها الشكر لله من كل القلب ولهج بالروح للعرفان بالجميل الذي صنعه ويصنعه معنا الله على الدوام.

فالوضع الروحي عند الإنسان المسيحي قائم ودائم بكل أبعاده، والنعمة تحيطه به وتملأه. لذلك فإن كل ما يحدث لنا، خاصة إذا كان فيه خسائر أو أتعاب أو أمراض، لا يُنقص من نِعَم الله التي نحيا فيها ونصيبنا الأبدي المحفوظ لنا عنده.

وكل الحوادث التي يواجهها الإنسان إنما مآلها إلى زوال، أمَّا الأعمال التي عملها الله لنا ونحن فيها قائمون فهي ثابتة لا تتغيَّر. علماً بأن أية خسارة إذا قابلناها بالشكر إنما نحصل بسببها على الخير والبركة، فكأنما الإنسان الذي يشكر على الخسارة التي تأتيه يكسب منها إذا شكر ويحولها إلى رصيد بركة لحسابه.

وبالخبرة وجد ق. بولس أن شكر الله عملية مربحة جداً للمؤمنين، وإذ تأكد من ذلك طلب أن يستمر شكرنا كل حين ليزداد رصيد الإنسان، وهو بذلك يحوِّل «الأيام الشريرة» إلى أيام بركة، والوقت المقصَّر يحوِّله إلى خلود دائم.

ولكن إذا استمر الشكر كما هو وحدث للإنسان ألم أو ضيق أو خسارة، واستمر في شكره لله على نفس المستوى بالحب، فإنه يثبت حقاً وفعلاً أن شكرنا كان على حق وصدق وأمانة. ولا شيء بقادر أن يوقف شكرنا لله، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم خطر أم عري أم سيف؟ لا شيء، بل في هذه كلها يعظم انتصارنا وشكرنا للذي أحبنا وأحببناه.

«في اسم ربنا يسوع المسيح لله والآب»:

هذا بمثابة تسجيل الخطاب بعلم الوصول. فشُكْرنا نضعه في يد المسيح ليقدِّمه لنا من خلال صليبه ليُحتسب لنا ذبيحة شكر مسجَّلة باسمنا ومضمونة الوصول لأن عليها ختم الدم. والشكر لله والآب يكاد يكون هو العمل الوحيد الذي نستطيع أن نقدِّمه ونضمن قبوله، لذلك أصبح شكرنا هو عملنا الوحيد الذي يضعنا في حالة صلة مستمرة بالله.

والكنيسة المرتشدة بالروح القدس عَلِمَت هذا وعَلِمَت أهمية تقديم الشكر لله الآب، كما عَلِمَت أنها إذا قدَّمت الشكر كما ينبغي التقديم فإنها تضمن أن تطلب بعد ذلك ويُستجاب طلبها، لذلك فالكنيسة **تقدِّم صلاة الشكر قبل أية صلاة** وتفتتح بها الصلاة لتأخذ بها حق الوقوف أمام الله، وحق الدخول إلى حضرته وحق السؤال والطلبة. حتى في الصلاة على المنتقلين تبتدئها الكنيسة بصلاة الشكر وبعدها تطلب راحة لنفس الذي انتقل، وهي واثقة أن طلبتها قد قُبلت.

فإذا أردت، عزيزي القارىء، أن تكون حياتك مقبولة أمام الله الآب كذبيحة، ويكون لك وجود أمامه وفي حضرته، فتعلَّم أن تقدِّم صلوات وتسابيحَ الشكر دائماً دائماً في الوقت المناسب وغير المناسب، عن إلحاح وطلب وثقة لكي يدخل شكرك إلى حضرته كبخور تقدِّمه باسم ربنا يسوع المسيح لله والآب.

[٥ : ٢١]

مبدأ الخضوع في المسيحية

٥ : ٢١ «خاضِعِينَ بعضُكُم لبعضٍ في خوفِ الله».

بولس الرسول سيدخل هنا في وضع منهج مسيحي للبيت المسيحي: الزوج والزوجة والأب والأولاد، جاعلاً مبدأ خضوع الكل للكل هو الذي سيُقيم السلام ويضمن الوحدة. ولأنه خصَّص معظم الأصحاح السادس لهذا التدبير داخل البيت المسيحي، أراد أن يمهِّد له هنا بجعل مبدأ الخضوع قانوناً عاماً يشمل المسيحيين عموماً، وذلك قبل أن يدخل في الاختصاصات داخل الأسرة.

والخضوع في المسيحية ليس عملاً شخصياً، أي لا يستنزفه الإنسان المسيحي من بناء شخصيته أو نفسيته، لأن مثل ذلك يكون هو خضوع العبيد، وهو ضار جداً ومُهينٌ للشخصية، فلا سيادة لإنسان على إنسان، وأن يخضع الكل بعضهم لبعض على حسِّ الذات أو الشخصية مرفوض نفسياً واجتماعياً. وإنما نحن المسيحيين نستعير خضوع الابن المحبوب للآب المُحب خضوعاً أفضى إلى الموت، فكان أبدع وأروع خضوع نالت من ورائه البشرية حريتها وسيادتها وبراءتها وبرارتها ثم مجدها. فنِعْمَ الخضوع وما أقدسه:

+ «وحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله (الآب) الكل في الكل.» (١كو١٥: ٢٨)

إن خضوع ابن الله لأبيه الذي بدأ بالتجسُّد و ينتهي بانتهاء أزمنة الخلاص بتسليم العالم كله مُصالَحاً لله الآب في النهاية، هو خضوع بارع تمَّ به وعلى بركته كل أعمال الفداء والخلاص ومُصالحة الإنسان وتكميله في الملء.

إذاً، فالخضوع بحد ذاته كعملية روحية مارسها الابن، استُعلنت في التجسُّد والصليب بكل آلامه، وستستمر حتى آخر الدهر، هي عملية تختص بنا بالأساس، ولا يمكن أن يكون لنا كيان موحَّد بدونها. فأنا آمنت بالمسيح وهو في حالة خضوع للآب، فإيماني قائم على أساس خضوع الابن للآب، فإذا استثنيت عملية «الخضوع» من الإيمان المسيحي أكون قد خرجت عن جوهر الإيمان أو خرجت عليه، أي سلبت منه جوهر قيامه وكماله تماماً كأني استثنيت المحبة. لأن الخضوع الذي مارسه الابن تحت إرادة الآب كان دافعه الوحيد هو حب الابن للآب وحب الآب للابن. هكذا فإذا دخل عنصر المحبة للجميع، دخل معه عنصر الخضوع بالتالي و بالضرورة، ولكن ليس خضوعي أنا الذي أمارسه ولكن خضوع المسيح للآب لأنه صار إيماني وصار خضوعي الذي أحيا به.

فأن يقول ق. بولس: «اخضعوا بعضكم لبعض»، فهو يحرِّضنا على ممارسة حياة المسيح وصلته بالآب لنؤهَّل لبركات الخضوع التي نالها المسيح لحسابنا.

«في خوف الله»:

توجد مخطوطات قديمة يُعتدُّ بها تقول: «في خوف المسيح»، وهي أصح على أساس الشرح الذي قدمناه أعلاه. فصحيح نحن استعرنا خضوع المسيح الابن لله الآب، ولكن كان خضوع المسيح قائماً على الحب والدالة للآب. فإذا استعرنا هذا الخضوع كعنصر إيماني يُجلِّي كرامة الله الآب، فلا نستطيع أن نُمارسه على حب وعلى دالة بالنسبة لنا وإلاَّ يصير خضوعاً فيه سِمة الألوهة وعن مجد وسيادة. لذلك ميَّزه بولس الرسول أنه خضوع يتناسب مع الإنسان، فيتحتم أن يكون فيه مخافة وليس دالة. ولكَ أن تتصوَّر ابناً يمارس الخضوع لأبيه على قياس خضوع المسيح لله، هنا استحالة حيث لا يصير خضوعاً بالمرة. فإذا تصوَّرنا هذا الابن يُمارس خضوعه لأبيه في خوف المسيح، أي خوفه الذي يُقدِّمه في خضوعه لأبيه مثلاً هو للمسيح أو خوفه لله، هنا يصبح هذا الخضوع خضوعاً مدموغاً بعلاقة بشرية صحيحة، وفي آن واحد يكون مسنوداً بقوة خضوع المسيح الفائقة الأصل والجدِّية. وخضوع مثل هذا يقوِّي الشخصية ولا يُضعفها ويبنيها على إيمان وعلى علاقة بالمسيح غاية في الجدية والأصالة.

+ «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربًّا ولكن بأنفسنا **عبيداً لكم من أجل يسوع.**» (٢كو٤: ٥)

[٥:٢٢-٣٣]

زوجات وأزواج
وسر الكنيسة والمسيح

بعد أن استوفى ق. بولس توجيهاته للمؤمنين فرادَى وجماعات، والتي تضمن بالنهاية الوحدة المستهدفة، ابتدأ بالأسرة كوحدة اجتماعية قائمة بذاتها ليضع لها حدود واجباتها، لتنطلق من داخل الكنيسة تعمل لحساب الوحدة الكلية في الجسد الواحد، معتبراً أن الزيجة المسيحية وما يتبعها من قيام أسرة مسيحية هي في أصلها **«خليقة إنجيلية»**، كأول استجابة فعَّالة للتجسُّد كوحدة خلاصية متكاملة. لذلك لم يلتفت أبداً أن يعطي للأسرة المسيحية أي توجيه مدني عالمي، فهي وحدة مقدَّسة تنمو لحساب الحياة الأبدية لها شكل الكنيسة وخواصها.

لذلك نسمع في توجيه خضوع الزوجة «كما للرب»، وأن الرجل هو رأس المرأة كالمسيح رأس الكنيسة، وخضوع النساء للرجال على مستوى خضوع **«الكنيسة للمسيح في كل شيء»**، والرجال يحبُّون الزوجات **«كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة»**.

والزوج يُحضِر لنفسه زوجة طاهرة **«كما يُحضِر المسيح لنفسه كنيسة مجيدة مُغتسَلة ومُطهَّرة لا دنس فيها، مقدَّسة، وبلا عيب»**.

والرجال يحبون النساء كأجسادهم **«كما الرب أيضاً للكنيسة»**.

والمرأة تصير واحداً مع جسد الرجل **«كالكنيسة أعضاء جسم المسيح من لحمه ومن عظامه»**.

والرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً، وهذا هو سر المسيح مع الكنيسة وهو سر عظيم.

وهكذا نخرج بفكرة واحدة ساطعة وهي أن الزيجة سرٌّ مقدَّس.

وعلى العموم، سواء الأفراد في خضوعهم بعضهم لبعض، أو الزوجة في خضوعها لرجلها، فإن هذا الخضوع قائم على النظر الدائم لمن يُخضَع لهِ كما إلى المسيح، لذلك يصير خضوعاً في وقار دون النظر إلى الشخص نفسه ومؤهلاته.

وبولس الرسول يركِّز هنا في رسالته إلى أفسس على تعليمات وتوجيهات للبيت المسيحي أكثر مما جاء في جميع الرسائل معاً.

٥ : ٢٢ «أيُّها النِّساءُ اخضَعنَ لرجالِكُنَّ كما للرَّبِّ».

بولس الرسول يبدأ بالأسرة المسيحية، كوحدة أساسية سينشأ منها المجتمع كله، ويبدأ في الأسرة بالأم أو الزوجة التي هي عماد حياة العائلة، وعليها يقوم هناء الأسرة وسعادتها، فالنساء هم ملائكة الله على الأرض. ويا لسعادة الأسرة بالأم الحكيمة الوديعة الباذلة. والعجيب في ق. بولس أنه لا يذكر حقوقاً لأحد ولكن يبرز الواجبات. وفي الحقيقة كنت قد آمنت منذ فجر شبابي بمبدأ لم أتخلَّ عنه طول حياتي وهو أن الإنسان المسيحي ليست له حقوق ولكن عليه واجبات، فحقوقه عند الله فقط: «حقي عند الرب.» (إش٤٩ : ٤)

واجب الزوجة الأول هو أن تخضع لزوجها، هذا إذا قَبِلَتْهُ الزوجة عن طيب خاطر كوصية للمسيح، فيدخل البيت في حياة هادئة ليشعر كل فرد فيه بموقعه السعيد فيه، فالأولاد يحاكون أُمهم في كل شيء وخاصة في علاقتها بأبيهم. فإذا خضعت الزوجة لزوجها خضع الأولاد لأبيهم، وشبُّوا ولهم مخافة للأم والأب معاً.

الاعتراض الوحيد على هذه الوصية هو في حالة ضعف الرجل وعدم قدرته على تدبير الأسرة بسبب هبوط مستوى تفكيره وتصرفاته، في الوقت الذي تكون فيه الزوجة على درجة عالية من الذكاء والتدبير. ولكن هنا تُستحث الزوجة أن تقوم بدور الخضوع التقليدي الرسمي شكلاً لاسترضاء الرجل وإعطاء نموذج صحيح أمام الأولاد وتبقى هي المسئولة عن التدبير برضا الزوج دون تململ. فإذا استطاعت الزوجة أن تخضع لرجلها على هذه الصورة التي أساسها هو خضوعها للمسيح، كان هذا كفيلاً بإظهار مواهب الرجل على المدى واحتفاظه باختصاصه بهيبة الأب بالنسبة للأولاد.

«كما للرب»:

والمعنى المختبيء جميل حقاً، فهو يريد أن يقول إن خضوعها ليس معناه سحب شخصيتها وإلغاء ذاتها، ولكن من أجل الرب هي تخضع لرجلها، وحينئذ يدخل الخضوع في دائرة إيمانها المسيحي، وبذلك تُمارِس خضوعها كعقيدة وإيمان وليس عن سيادة من الرجل عليها أو تدنِّيها عنه في الحقوق، بل تخضع ولسان حالها يقول أنا أخضع لزوجي خضوعاً كاملاً وبمنتهى الرضا لأني مؤمنة بالمسيح وأتمِّم وصاياه وليس لأنه سيد أو أنا أَمَة.

أمّا لماذا وضع ق. بولس هذا المبدأ الإيماني باعتباره وصية من الرب يسوع؟

الجواب هو لتكريم الرجل في شخص المسيح. و بالعودة إلى الأصل أي إلى آدم وحواء يظهر هذا السبب أكثر. فالرب خلق المرأة لتكون مُعيناً للرجل، وهذا الوضع قائم حتى اليوم. فالمرأة مُعينة للرجل، والرجل دائماً مسئولٌ عن المرأة يدافع عنها وعن كرامتها. فإن نشزت المرأة واستغنت عن الرجل، فإنها تواجه صعوبات وأزمات وإهانات لا قِبَل لها بها، فهي الجزء الأضعف في الخليقة البشرية، فكلما أكرمت رجلها زاد قدرها وتأمنت حياتها. إذاً، فلصالحها ولصالح الأسرة والبشرية كلها أن تخضع المرأة للرجل وتبجّله، ليزيد قَدْرُها وتتأمّن وحدة البشرية وتحتفظ بتوازنها، وتتحد الأسرة وتتماسك باعتبارها البذرة الأُولى لقيام خليقة جديدة.

والقديس بولس نفسه يعطي للمرأة كرامتها الخاصة بالنسبة للرجل فهو القائل: «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطّي رأسهُ لكونهِ صورة الله ومجدَهُ، وأمّا المرأة فهي مجدُ الرجل، ... غير أن الرجل ليس من دون المرأة **ولا المرأة من دون الرجل** في الرب.» (١ كو١١: ٧و١١)

٥ :٢٣ «لأن الرجلَ هو رأسُ المرأةِ كما أن المسيحَ أيضاً رأسُ الكنيسةِ، وهو مخلِّصُ الجَسَدِ».

هنا يعطي ق. بولس أساس العلاقة التدبيرية وليس الطبيعية للمرأة، فيجعل الرجل رأسها أو المترئس عليها من حيث القيادة والتدبير، ولكن ق. بولس يضع على الرجل واجب المحبة ليجعل من ترؤسه مسئولية أكثر منها رئاسة. والقديس بولس يضع عينيه بصورة دائمة على علاقة الله بإسرائيل باعتبار أن الرب حَبيبَ الشعب كأُمَّة هو تزوجها لنفسه، فصار الشعب له كزوجة، وعلى هذا الأساس كان يتعامل مع إسرائيل حتى إنها لمّا ذهبت وراء الأصنام اعتبرها قد زنت من ورائه، وكتب لها كتاب طلاق: «أين كتاب طلاق أُمكم.» (إش٥٠ :١)

ثم عاد ق. بولس وأعطى مثلاً يُحتذى به بالنسبة للعلاقة بين الرجل والمرأة، إذ جعلها على مستوى المسيح والكنيسة، و بهذا رفع العلاقة الزوجية إلى مستوى القداسة، و بذلك تأخذ العلاقة الزوجية سمة جديدة في المسيحية إذ تجعلها غير مستمدّة من الجنس بل مستمدّة من الروح، إذ بعد أن قال إن المسيح رأس الكنيسة أضاف أنه صار بالإضافة إلى ذلك «هو مخلِّص الجسد». والقصد هنا هو أن جسد الرجل وجسد المرأة قد رفع عنهما العلاقة المظلمة للإنسان العتيق، إذ كان الجسد خاضعاً للشهوة مُستعبداً للنجاسة. ولكن بعد أن خلَّص الرب «الجسد» بمفهومه البشري الروحي العام، صار جسد الرجل والمرأة جسداً مقدّساً في الرب، بمعنى تحرُّره من العبودية للخطية ليأخذ

حريته الروحية وخلاصه ومجده السماوي في المسيح. وبهذا يصبح جسد الرجل والمرأة واحداً بإجراء سر الزيجة القائم على إدخال جسديهما تحت سلطان وقيادة وقداسة الروح القدس، ليفقدا ثنائيتهما بالانقسام والتفتُّت بسبب الخطية، ويأخذا الوحدانية في الرب، فيصير الرجل والمرأة **جسداً واحداً مقدَّساً في المسيح**. ولكن لا يقول «روحاً واحداً»، لأن الزيجة لا تتم بين الروح والروح، فالروح لا تتزوَّج؛ بل قال: «ويكون الاثنان جسداً واحداً (في الرب)» (أف٥: ٣١). ولكن وحدانية الروح هي عامة وقائمة بين كافة المؤمنين وليست عن طريق الزيجة.

٥: ٢٤ «ولكن كما تخضَعُ الكنيسةُ للمسيح كذلك النساءُ لرجالِهنَّ في كلِّ شيءٍ».

هنا لا ننسى أبداً أن خضوع الكنيسة للمسيح هو باعتبارها جسده الخاص، لذلك يدخل هذا في اعتبار خضوع الزوجة لرجلها، فقبل أن تخضع له، ولكي تخضع له، يلزم أن يحبها كما يحب جسده، وليس أحد يبغض جسده أو يحتقره أو يتغاضى عمَّا يرضيه. وهي تخضع لرجلها في كل شيء على أساس أن رجلها مسئول معها عن كل شيء. **فعلاقة الرأس مع الجسد** تصبح طبيعياً ودائماً أساس النظرة إلى معاملة الرجل للمرأة والمرأة للرجل. الرجل كرأس يعطي كل حبه وكل اهتمامه للمرأة كجسده الوحيد الحبيب، والمرأة كجسده تهاب رجلها كرأس لها وحدها. فهما معاً رأسٌ وحيدة لجسد وحيد، وإخلاصهما لبعض هو إخلاص متبادل متحد بصورة أساسية غير مصطَنعة لأن الرجل يستمد عمله كرأس من المسيح والمرأة تستمد خضوعها للرأس من الكنيسة.

٥: ٢٥ «أيُّها الرجالُ أحِبُّوا نِساءَكم كما أحبَّ المسيحُ أيضاً الكنيسةَ وأسلَمَ نفسَهُ لأجلِها».

[هل رأيت قياس خضوع مثل هذا؟
فاسمع أيضاً قياس المحبة (التي تضارعه)!
فإن أنت أردت أن تخضع امرأتك لكَ كما تخضع الكنيسة للمسيح؛
إذاً، فاعتنِ بها بنفسك كما يعتني المسيح بكنيسته!!
فإن جدَّ الجد وصارت الأمور إلى خطورة، واستدعى الأمر أن تضع حياتك عنها حتى وإن هدَّدوك بتقطيع جسدك ألف قطعة ألف مرة!
أو حتى ما هو أكثر!!
لا تجزع، لا ترفض.
فإن صنعت هذا وعانيت ما عانيت فأنت أيضاً لم تبلغ إلى ما بلغ

المسيح لأنكَ إنما صنعت هذا بمَنْ تحبه، بجسدك ولحمك وعظمك. ولكن هو صنع هذا لمَنْ رفضوه وعيَّروه وقاوموه وصلبوه].

القديس يوحنا ذهبي الفم
على شرح نفس الرسالة

إن كان واجب المرأة أن تخضع لرجلها، فواجب الرجل أن يحب امرأته، هنا محبة الرجل الصادقة ــ وكأنه يحب جسده ــ تلغي من شعور الزوجة أي إحساس بالأقلية، وإنما **تبادل الخضوع بالمحبة يُنشيء رابطة التعاون** لمواجهة أتعاب الحياة ومخاطر الجهاد من أجل الأولاد.

كما أن محبة الرجل لا يستمدها من عواطفه فقط، ولكن كمن يجاوب على محبة المسيح له التي كلَّفته حياته، فبكل رضى وسرور ارتفع على الصليب لكي يفدينا من خطايانا ونصير مثله!! فمحبة الرجل لزوجته يجب أن يدخلها عنصر الإحساس القوي بالتضحية من أجلها، التضحية بكل شيء. فحبٌّ مثل هذا يأسر فؤاد المرأة ويُنشيء فيها إحساس الخضوع بلا أي انفعال كاذب بل عن مسرَّة وتلقائية، لأنه من طبيعة المرأة الاعتماد على الرجل والاحتماء به، فإن هي وجدت المحبة، أبرزت عناصر طبيعتها بقوة وامتياز، وصارت في خضوعها أمثولة تزيد الرجل حباً فوق حب.

«وصية جديدة أنا أُعطيكم أن تحبُّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبُّون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يو١٣ : ٣٤). هذه الوصية قدَّمها المسيح لتلاميذه الذين هم ممثلون للكنيسة وحجر الأساس فيها. هنا هذه الوصية هي جديدة لأنها ليست "تحب أخاك كنفسك"، بل تحب أخاك حتى الموت: «ليس لأحد حبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥ :١٣). هذه هي صورة المحبة التي سلَّمها المسيح للرسل (الرجل) من نحو الجميع (الكنيسة)! والقديس بولس يُعيد صورتها ويسلِّمها للرجل لتكون وصية من المسيح رأساً أن يحب امرأته!

لاحظ أن المسيح أحبَّ الكنيسة وهي متسخة في خطاياها، وصمَّم أن يفديها بحياته وهي في وساختها ميتة بالذنوب والخطايا، فاختارها لنفسه قبل أن تختاره هو، وغسلها بدمه أولاً فأسر قلبها فأحبَّته حبّاً جمًّا. إذاً، فالرجل يحب امرأته، لا لأن فيها جميع الأوصاف التي تستدعي محبته، بل يحبها لكي تحبه، يحبها لكي تصير كما يشتهيها هي أن تكون جديرة بمحبته. محبة الرجل المحبة الصادقة الأمينة تأسر قلبها وتُخرج من أعماقها كل المشاعر الراقية والممتازة لتقدِّمها كالمثيل للمثيل، فيعيش الزوجان حياة كلها تفاضل في المحبة وكل أنواع المشاعر النبيلة.

«كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي» (يو١٥ :٩). هذا هو حب المثيل

للمثيل. ولكن كما أن الآب أسبق في محبته لنا، هكذا ينبغي أن يكون الرجل أسبق من امرأته في المحبة التي ستبادله فيها بل وتثبت!!

يستحيل أن يتصوَّر الإنسان أو يدرك مستوى زوجية مثل هذا عالي القدر والقيمة، وفي نفس الوقت منظَّم في حقوق وواجبات غاية في الرفق والترفُّق(١٦). وكلها تنبعث لا من أفكار عارضة بل تنساب من طبيعة حركة الضمير في الحياة المسيحية التي تستمد كل مؤهلاتها من علاقة المسيح بالكنيسة، هذه العلاقة المملوءة حبّاً وبذلاً وسرًّا.

٥:٢٦ «لكي يقدِّسها مُطهِّراً إياها بغَسْلِ الماءِ بالكلمةِ».

«لكي يقدِّسها»: ἵνα αὐτὴν ἁγιάσῃ

فعل تقديس الكنيسة ليس فعلاً ظاهراً منظوراً ولا هو عمل يختص بتكريسها، بل هو فعل تغلغلي يتغلغل كل كيانها البشري كمن ينقعها نقعاً في دمه، في قداسته، لتتقدَّس. هذا هو صميم العُرس السماوي لعروس الزمان بنت الإنسان حواء الجديدة، المقتطعة من جنب المصلوب اليمين، خرجت من صميم عظمه ولحمه، خرجت مغسولة بماء ودم، خرجت من جانبه اليمين لتجلس معه عن يمين أبيه.

«مُطهِّراً»: καθαρίσας

«مُطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة»: حكم اللغة أن يأتي فعلان لزمان واحد، ما كان بدٌّ من أن نقدِّم فيهما ونؤخِّر. فقدَّمنا التقديس قبل التطهير مع أنه أكملهما للكنيسة بآن واحد في زمن واحد بسرٍّ واحد. ولكن قدَّمنا الإيجابي وأخَّرنا السالبي، فالأول تقديس وهو الأهم والمطلوب بالدرجة الأُولى لتليق الكنيسة أن يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة، ولكن لزم التطهير إلزاماً: «وهكذا كان أُناس منكم لكن **اغتسلتم** بل **تقدَّستم** بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦:١١)

انظر، عزيزي القارىء، كيف قدَّم ق. بولس هذا الاغتسال ولكنه استدرك في الحال وقال «**"بل"** تقدَّستم»، لأن التقديس جاء في المشورة العلوية قبل الاغتسال بلا شك. ثم عاد واستطرد وقال «بل تبرَّرتم»، لأن التبرير كان في المشورة العلوية قبل التقديس، فأن يدبر الله العمل شيء

(١٦) الترفُّق هو ارتفاق العضو مع العضو ارتفاقاً سهلاً بواسطة المفصل، وهي هنا المحبة والخضوع المتبادل.

وأن ينفذه على صفحة الزمن شيء آخر، الكل في المشورة العلوية كائن، ولكن هذه محنة الزمن أنه دائماً يقدّم الأقل لنبلغ الأعلى. فمن واقع الحال هنا هو طهّرها ليقدّسها، ولكن من واقع الرؤيا الإلهية أراد أن يقدّسها فلزم أن يطهرها.

«بغسل الماء»: τῷ λουτρῷ τοῦ ὕδατος

وهو حميم المياه ويشير إشارة واضحة إلى الحمّام الذي تغتسل فيه العروس قبل تقديمها لعريسها؛ حسب الأصول في هذه الأمور. فهنا الإشارة واضحة أنه استعداد الزواج. والمعمودية هي المقصودة بطريق غير مباشر، حيث في المعمودية يتم تطهير جسد الكنيسة وتقديسها: «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا **بغسل الميلاد الثاني** وتجديد الروح القدس» (تي٣: ٥). أمّا تقديسها فيأتي بواسطة الكلمة.

«بالكلمة»:

«الكلمة» هنا جاءت بدون تعريف وصحة الترجمة تكون «بغسل الماء وكلمة».

هنا ربط غسل الماء بالكلمة صعب، ولكن إجراء هذا السر طقسياً يكشف العلاقة القائمة بين المعمودية والكلمة، فالكلمة هنا هي الوصية التي أعطاها المسيح كآخر وصية خرجت من فمه المقدّس: «وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩). هذه هي الكلمة، فالمعمودية قائمة ومتأسسة على الكلمة. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فطقس العماد يتم أثناء تلاوة الإنجيل أي بالكلمة. ثالثاً، وهذا أهمهم أن الميلاد الثاني من الماء والروح محسوب أنه ميلاد بالكلمة، أي أنه قال: كُنْ، فكان، هذا في القديم حيث الكلمة أخرجت الخليقة العتيقة للوجود، وهنا أيضاً بالكلمة: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى **بكلمة الله** الحية الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣). والكلمة هنا **«عمّدوهم»** التي خرجت من فم المسيح لتؤدي عملها لخلقة الإنسان الجديد أينما تُليت على المعمّدين.

ويقول العلاّمة ليتفوت إن الكلمة ــ وخاصة أنها تأتي بدون التعريف بأل ــ هي **نطق الإيمان** الذي يقوله المعمّد وهو على المعمودية. فبكلمة ينطقها المعمّد وبالماء يتم التطهير والتقديس: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصتَ» (رو١٠: ٩). والكلمة هي «يسوعُ ربٌّ»: «وليس أحد يقدر أن **يقول يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالروح القدس**» (١كو١٢: ٣). فالكلمة التي ينطقها المعمّد «يسوع رب» هو نطق الروح القدس الذي يقول الإيمان ويؤمّن عليه.

واهتمام القديس بولس الرسول في أن يذكر **الكلمة** بدون التعريف **بأل:** «بغسل الماء وكلمة»، هو للتأكيد والضغط على أن التطهير والتقديس إنما يتمان بكلمة يقولها المعمَّد أي الاعتراف، فهو يرفع الاهتمام من «الكلمة» وما هي بحد ذاتها إلى مجرد نُطقها، لأن مجرد نطقها يكون من الروح القدس مباشرة، وبذلك يكون المعنى «قدَّسها وطهَّرها بغسل الماء وكلمة» يفيد المعمودية والروح القدس بمنتهى الوضوح والاختصار العجيب الذي يتكلَّم به بولس الرسول؛ لأن التقليد الكنسي واللاهوتي للتعبير عن «مادة» المعمودية أو تركيبها الشكلي والجوهري معاً يقول إن المعمودية هي «الماء ونُطق الإيمان» = «الماء وكلمة»(١٧).

٥:٢٧ «لكي يُحضِرَها لنفسِهِ كنيسةً مجيدةً لا دَنَسَ فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مثل ذلك بل تكونُ مقدَّسةً وبلا عيبٍ».

بعد المعمودية والكلمة والتقديس والتطهير، يأتي دور العريس نفسه:

«**ليُحضرها هو نفسه لنفسه**» ἵνα παραστήσῃ αὐτὸς ἑαυτῷ . هنا عمل العريس كيف يُعدُّها ويحضرها لنفسه.

علماً بأن التقديس والتطهير كان كل غايته ونهايته أن يُحضرها لنفسه.
فالذي طهَّرها وقدَّسها الآن صارت مهيَّأة ليُحضرها لنفسه.
ولا يتم إحضارها أو إدخالها عليه إلاَّ بعد اكتمال الحياة الحاضرة.

+ «هلليلويا فإنه قد مَلَكَ الرب الإله القادر على كل شيء. لنفرح ونتهلل ونُعْطِه المجد لأن عُرس الخروف قد جاء وامرأته هيأت نفسها، وأُعطيت أن تلبس بزًّا نقياً بهياً لأن البزَّ هو تبررات القديسين.» (رؤ١٩: ٦-٨)
+ «فإني أغار عليكم **غيرة الله** لأني خطبتُكم لرجل واحد **لأُقدِّم** παραστῆσαι عذراء عفيفة للمسيح.» (٢كو١١: ٢)
+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت **ليُحضركم** παραστῆσαι قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو١: ٢١و٢٢)

17. Lightfoot, *op. cit.*, p. 84.

«كنيسة مجيدة»:

تأتي في اليونانية ليس بمعنى الصفة ἔνδοξον τὴν ἐκκλησίαν ولكن بمعنى الحال: كنيسة في حالة مجد(١٨).

هنا التقديم، أو إحضار الكنيسة يبدأ أولاً هنا ثم تنتقل من مجد إلى مجد كما من الرب الروح، إلى أن تنتهي وهي في حالة مجيدة أو حالة مجد. وهذا واضح أنه يتم بعد أن تكمّل الكنيسة وحدانية الإيمان وتبلغ إلى **قامة ملء المسيح** فتصبح لائقة لياقة المثيل للمثيل، والممجَّد يصير أهلاً لعناق المجد.

«لا دَنَس فيها ولا غَضْن أو شيء من مثل ذلك»:

[فمررتُ بكِ ورأيتكِ مدوسة ... فحممتكِ بالماء وغسلتُ عنكِ دماءَكِ ومسحتُكِ بالزيت. وألبستُكِ مطرزة ونَعَلتُك بالتُخس وأزرتك بالكتان وكسوتُكِ بزاً، وحلَّيتُكِ بالحُليّ فوضعتُ أسورَة في يديكِ وطوقاً (كردان رقبة) في عُنُقكِ. ووضعتُ خزامة في أنفكِ وأقراطاً في أُذُنيكِ وتاج جمالٍ على رأسكِ ... وخرج لكِ اسمٌ في الأمم لجمالكِ لأنه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليكِ يقول السيد الرب] (حز١٦: ٦-١٤).

[«ها أنتِ جميلة يا حبيبتي ها أنتِ جميلة»!!
«ها أنتَ جميلٌ يا حبيبي وحلو»!!] (نش١: ١٥و١٦).

واضح ماذا كانت عليه هذه العروس قبل أن يخطبها لنفسه. فالعروس التي تتزيَّن الآن هي نحن، أنا وأنت وكل مَنْ يؤمن بإيماننا رجالاً كنا أو نساءً أو أطفالاً أو شيوخاً، الكل دُعي للاختيار، والبشرية كانت على أسوأ حال. ولكن من إبداعات الله في القديم أنه لا ينظر إلى ما يستحقه البشر حسب أعمالهم بل إلى ما يستحقونه حسب قداسته وبرّه وحُبّه، فأحب شعب إسرائيل كما يحب عريسٌ عروسَه حتى وهي في أقصى الجهالة والقذارة، فما عليه إلاَّ أن يقوم بغسلها ويطهِّرها ويقدِّسها لتليق له مع أنه خطبها لنفسه وهي في حالة قذارتها.

الأمر يتكرر مع المسيح والكنيسة. فقد وُلِدَ ليكون رأساً لها وهي جسده، وصمم أن يأخذها لنفسه ويتحد بها كما يأخذ العريس عروساً له، وعلى نفس المنوال يغسلها ويطهرها ويقدسها

18. Abbott, *op. cit.*, p. 170.

ويُجلِّيها بالمجد، ويُحضرها لنفسه ويُزيِّنها بكل زينة، لا لأنها تستحق بل لأنه أحبها.

ويُلاحَظ أن كل زينة الكنيسة وخلوها تماماً من كل دَنَس وغَضْن ـــ والغضن هو كرمشة (تجعُّد) الوجه الناتجة عن العجز والفقر والحرمان (أنيميا بالروح حادة)، وهذا يُكنى به عن كل الآثار المترتبة على الخطية ـــ نعم كل هذه الزينات إنما أكملها لها بنفسه لمَّا أسلم نفسه من أجلها!!! فجمال الكنيسة كعروس للمسيح اشتراه لها بدمه: «وأُعطيت أن تلبس بَزًّا (حريراً) نقياً بهياً لأن البزَّ هو تبررات القديسين» (رؤ١٩: ٨). فزينة الكنيسة هي قديسوها الأبرار وشهداؤها الأطهار ونُسَّاك الجبال وعُبَّاد البراري ولُبَّاس الصليب والبتوليون والبتوليات والأمناء والأمينات على سر زواجهم، وكل مَنْ حفظ نفسه طاهراً للمسيح وكان ليس من هذا العالم!

٥: ٢٨ «كذلك يجبُ على الرجالِ أن يُحبُّوا نساءَهم كأجسادِهم. مَنْ يُحِبُّ امرأتَهُ يُحِبُّ نفسَهُ».

المسيح أحب الكنيسة ليس لأنها كانت مقدَّسة، ولكن ليجعلها مقدَّسة لنفسه!! ويتحد بها!! لذلك فالرجل مدعو لمحبة امرأته لا لجمالها ولا لحُسن فيها ولكن ليصيِّرها جميلة لنفسه حقاً وحسنة له. بهذا الفهم الواعي العالي والسري، يستطيع الزوج العالي الهمَّة والواعي بالروح والعائش بالإنجيل والمستدفىء بحب المسيح والمستنير بنوره أن يتغاضى عن كل ما يعترض الحب وعن كل إخفاقات امرأته وأي قصور فيها. فالسر الذي يفتح قلب الرجل نحو امرأته ليس جمالها بل هو أنها أصبحت جزءاً حيًّا فيه أو نصفه الآخر!

جسد الرجل وجسد المرأة صارا بسر الزيجة جسداً واحداً، فكيف لا يحب امرأته التي هي جسده؟ فكما أن الكنيسة جسد المسيح، كذلك الزوجة هي جسد الزوج.

فحب الزوجة ليس كأي حب أبداً، فهو أقدس من حب الأب والأم والأخ والأخت والابن، لأنه هو هو حب الرجل لنفسه أو هو الحب النابع من أعماقه والذي يصب في أعماقه. فكل حب يحبه الرجل هو خارج عن نفسه أمَّا حب الزوجة فهو حبه العائد إلى نفسه.

[يُخطىء مَنْ يقول أن الرجال يجب أن يحبوا نساءهم **كما** يحبون أجسادهم، بل أن يحبوا نساءهم **لأنَّهُنَّ** أجسادهم](١٩).

فالمرأة هي جسد الرجل الذي به يعيش ويسعد.

19. Lightfoot, *op. cit.,* p. 85.

٥ :٢٩ «فإنه لم يُبغِضْ أحدٌ جسدَهُ قطُّ بل يقوتُهُ ويُربِّيه كما الربُّ أيضاً للكنيسةِ».

هنا معادلة منطقية تقوم على أساس أن المصدر الذي يحيا به الإنسان ويرتاح ويسعد ويتحادث ويتعزَّى ويشاركه أفراحه ونجاحاته وأتعابه وأمراضه لا يمكن أن يبغضه!!

المرأة جسد جديد للرجل أعطاه الله وكأنه ملاك من الله وُهب للإنسان لخدمته وراحته وتسليته وتعزيته في أوقات الراحة، وفي أوقات التعب يجد معه الراحة، ويتقبَّل منه المعونة والعزاء؛ فإنه حقاً وبالحقيقة كما خلق الله ملائكته لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص، أعطى الله بسرِّ العماد وبسرِّ الزيجة ملائكة بشريين يعيشون مع الرجال وفي بيوتهم لخدمتهم وراحتهم ومعونتهم وعزائهم بل لفرحهم وسرورهم وإزالة الغمَّة عن نفوسهم.

وهذه هي المرأة التي يخطىء إليها الرجل كثيراً بغير سبب، أو لأقل سبب. فلو وُزنت أعمال الزوجة مع رجل عاش سبعين سنة مع زوجته، لساوت في كميتها ونوعها وكثافة عاطفتها ودفء محبتها ولا عشرة آلاف خادم وخادمة حتى ولو كانوا على مستوى من الإخلاص والأمانة.

لذلك نجد في قول ق. بولس «يقوته ويربِّيه» قولاً غير متجانس قط مع كرامة الزوجة. ولكن ق. بولس معذور، لأن بعض الأزواج تركوا زوجاتهم بلا قوت ولا كسوة ولا عناية ولا مال، هن وعيالهن. ولكن هذا القول متجانس تماماً مع حال الكنيسة، فالكنيسة بدون المسيح تتضوَّر جوعاً ولا تجد من يعتني بها: «مَنْ لي في السماء ومعكَ لا أريد شيئاً في الأرض.» (مز٧٣ :٢٥)

وكيف نحيا وكيف نعيش إذا تصوَّرنا أن المسيح ليس هو عريسنا، أو أننا نحن لسنا كنيسة. يا للمجد الذي نالته البشرية بالمسيح عريساً والكنيسة عروسه. لقد دخلنا عهد أمان أبدي: «لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر. لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماء حية ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.» (رؤ٧: ١٦و١٧)

فلينظر الرجال، إذاً، للمسيح وما عمل من نحو الكنيسة، إذ أشغل نفسه بها إشغالاً يتزعج له الفكر ويتحيَّر ويندهش وينقلب عليه حاله، رب السماء يتخلَّى عن مجده ويتجسَّد على الأرض ويأخذ شكل إنسان عبد ويُصلب لكي بدمه يغسل الكنيسة ويقدِّسها ويخطبها لنفسه ثم يعتني بها وينشغل بحبها إلى أبد الآبدين!! انظروا يا رجال وتعلَّموا.

٥ : ٣٠ «لأننا أعضاءُ جسمِهِ من لحمِهِ ومن عِظامِهِ».

صورة جديدة للكنيسة مُفرَّدة على أعضائها كأفراد، الكنيسة جسده إذاً فنحن أعضاء جسمه، والكنيسة أُخذت من جنب المسيح الأيمن كما أُخذت حواء من جنب آدم: «**وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي.**» (تك٢: ٢٢و٢٣)

هنا تصوير واقعي حي مثير لمفهوم «جسد المسيح»، فالمسيح أخذ حقاً وبالحقيقة جسداً لنفسه من البشرية من لحمها ومن عظامها.

ثم إذ مات بالبشرية العتيقة، الجسد الذي أخذه منَّا، فماتت البشرية العتيقة فيه ومعه، ثم قام المسيح من الأموات وقامت معه البشرية ــ ليست العتيقة بعد ــ بل الجديدة. وهكذا أعطانا من جسده الجديد بشريتنا الجديدة بلحمها وعظامها الجديدة أي السماوية إنساننا الجديد السماوي. وبهذا انعكس الوضع، فكما أخذ منَّا جسداً عتيقاً، عاد هو وأعطانا جسداً جديداً، خليقة جديدة مولودة ولادة جديدة روحياً منه. فتعبير القديس بولس أننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه هو تعبير أخروي على الواقع الحي، لأن جسمه غير معتم بل نوراني هو، وبالتالي فنحن الأعضاء المنيرة من لحمه ومن عظامه المتجلِّين الآن في السماء والتي أراها لتلاميذه بعد قيامته بجسده الحي وقال لهم: «جسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له **لحم وعظام كما ترون لي**» (لو٢٤: ٣٩). **فها لحمي** وعظامي إنسانكم الجديد، فالبسوه.

لقد اتحدنا بموته واتحدنا بقيامته وأخذنا شركتنا فيه، في كل شيء، فصار كل ما له لنا، وجسده الجديد جسدنا، ونحن أعضاء جسمه بالفعل جسماً روحياً وليس روحاً محضاً.

ومحاولة العالِم أبوت[20] لتسفيه النص القائل «من لحمه ومن عظامه» قائلاً لو كانت من «دمه ولحمه» لكانت معقولة ولكن أن يقول «من لحمه ومن عظامه» فهذا القول مميت ولا قيمة له. نقول ردًّا عليه أن النص سليم للغاية ومسألة أن نكون «من دمه ومن لحمه»، أي بالإفخارستيا، فهذا أمر واقعي وصحيح.

ولكن أن نكون أيضاً «من لحمه ومن عظامه» فهذه حقيقة يشهد بها أمران:

الأول: أنه أرى نفسه حيًّا لتلاميذه قائلاً: ها لحمي وعظامي جسُّوني ولا تظنوا أني مجرد روح

20. Abbott, *op. cit.*, p. 172.

بل أنا الإنسان الجديد القائم من الأموات بلحمه وعظامه، ولكنهما لحمٌ وعظمٌ متجليان وممَجَّدان، لهما خواص أخرى غير اللحم والعظام في جسدنا الترابي، لأن جسده الآن ممجَّد هو، روحاني وسماوي، وسيبقى هذا الجسد الممجَّد في مجده الأسنى شاهداً للقيامة من الأموات وللخليقة الجديدة التي خلقها في نفسه للبشرية المفتداة.

الثاني: قول ق. بولس إنه «سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في٣: ٢١)، الذي قام به من الأموات والذي رآه التلاميذ ولمسوه. فكما هو حي بجسده الجديد، هكذا سنلبس نحن بعد الانتقال هذا الجسد السماوي الجديد الذي على صورة جسد مجده لنعيش معه كخليقة جديدة لها كل خواص السمائيين والروحيين. ولكنها ليست خليقة أرواح بل خليقة بشرية انتقلت من الفساد إلى غير الفساد، ومن تحت الزمن إلى ما فوق الزمن، ومن التاريخ إلى الخلود والأبدية السعيدة، مع المسيح والله.

٥: ٣١ «من أجلِ هذا يتركُ الرجلُ أباهُ وأُمَّهُ ويلتَصِقُ بامرأتِهِ ويكونُ الاثنانِ جَسَداً وَاحِداً».

والآن وقد استطاع ق. بولس ببراعة مسنودة بالروح وبنعمة فائقة أن يصوِّر الكنيسة كخليقة جديدة مخلوقة من جنب آدم الجديد ومن لحمه وعظامه، وقد أحضرها لنفسه بعد أن غسلها بالماء والكلمة وطهرها وقدَّسها، **وصارت امرأة لها قامة تليق بالمجد والدخول مع ابن الله في حالة شركة واتحاد حقيقي، وتصبح بنعمة المسيح جسده الخاص** الذي قام به من الأموات والمهيَّأ أن يحل فيه كل الملء، عاد ق. بولس ليعقد المقارنة، التي سعى إليها من البدء، بالرجل الذي يتخذ لنفسه زوجة ويتحد بها لتصير معه ويصير معها جسداً واحداً، ليصبح من المحتَّم عليه آنئذ لكي يمارس حياة الاتحاد مع امرأته بالجسد الواحد أن يترك أباه وأمه أي حياته السالفة ويلتصق بامرأته ليكون الاثنان جسداً واحداً.

هنا الركيزة التي ارتكزت عليها الكنيسة في رفضها الطلاق رفضاً باتاً، مُعتبرة أنه كسرٌ لسرِّ الكنيسة نفسها مع المسيح. فكما أن الكنيسة متحدة بالمسيح كواحدة وحيدة هكذا المرأة مع الرجل. إذ يصبح الطلاق تخريباً للوحدة التي قامت عليها المسيحية كلها والتي تجسَّد المسيح من أجلها والتي اقتنى الكنيسة لبلوغها بواسطته.

واستندت الكنيسة في قطعها لمسألة الطلاق على قول المسيح أنه من البدء خلقهما ذكراً وأنثى

(واحد لواحدة)، أي على مفهوم الاتحاد غير المنفصم، معتبراً الطلاق بمثابة قسوة قلب تؤدي إلى الزنا. وإذ ينتهي ق. بولس عند هذا القطع بأن وحدة الرجل مع المرأة في الجسد الواحد تُحتِّم عليه أن يترك ماضيه مع أبيه وأمه وينطلق في حياته الجديدة، يعود ويطبق هذا على المسيح والكنيسة.

٥ : ٣٢ «هذا السِّرُّ عظيمٌ ولكنني أنا أقولُ من نَحْوِ المسيح والكنيسةِ».

يلزمنا أن نتذكر كيف بدأ ق. بولس بوصيته للمرأة كباقي الوصايا، ولكن لمَّا أتى إلى ضرورة خضوع المرأة للرجل، اتجه إلى المثال الأعلى يستند عليه ليُقنع المرأة بالخضوع ثم يُقنع الرجل بالمحبة. فاتجه إلى مَثَل المسيح والكنيسة، ولكنه دخل فيه إلى العمق، واضطر أن يسير في شرحه واستعلانه باعتباره سراً خاصاً عظيماً قائماً بذاته، هو سر اتحاد المسيح بالكنيسة. فلمَّا انتهى به إلى نهايته بقوله: «ويكون الاثنان جسداً واحداً»، وجد نفسه في مواجهة آدم وحواء من جديد والرجل مع امرأته، فاعتذر بلباقة بسبب استطراده في مَثَل الكنيسة والمسيح وقال إنه «سر عظيم» وكان مكتوماً، والآن قد استُعلن ذلك فيما يخص اتحاد المسيح بالكنيسة أصلاً، ولكن إنما هو المثل الأعظم أيضاً للرجل والمرأة في حياة زيجتهما التي على مستوى نفس سر المسيح والكنيسة، أي من جهة الوحدة ــ «بالاتحاد» ــ بالمحبة والجسد الواحد. لأن سر اتحاد المسيح والكنيسة هو قمة أعمال الله على الأرض وغاية البشرية حينما تلتصق بالمسيح لتحيا معه في شركة مجد الأبد. فإذا عدنا إلى الزيجة والرجل مع المرأة، نجد أن ذلك هو الصورة المصغَّرة، ولكن بذات الأهمية المطلقة، للمسيح متحداً بالكنيسة في معنى الوحدة والمحبة والخضوع والجسد الواحد الذي هو النموذج الذي تسعى إليه البشرية لتنتهي إليه. والآن نعيش هذا السر إنما بالإيمان: «الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو١: ٣و٤)

ويلاحظ في قول ق. بولس: «ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة» (أف٥: ٣٢)، أنه هنا يضع كلًّا منهما، أي المسيح والكنيسة، في إطار منفرد بجوار الوحدة التي تربطهما[21]. لذلك جاءت في بعض المخطوطات هكذا: «من أجل المسيح ومن أجل الكنيسة»، ليلفت ذهن القارىء إلى قوة شخصية ودور كل منهما: رأس وجسد، عريس وعروس، جسد وأعضاء، لأننا في الحقيقة مررنا بثلاث صور للمسيح والكنيسة: رأس وجسد (أف١: ٢٢)، أعضاء مقترنة ومركبة معاً (أف٤: ١٥و١٦)، عريس وعروس.

21. Lightfoot, *op. cit.*, p. 86.

ولكن هنا في هذا التصوير الحي للمسيح والكنيسة كعريس وعروس أو رجل وزوجة، نجد أن الوحدة بينهما قوية ومتجانسة ومكتملة أكثر من رأس وجسد وأعضاء. كما تظهر الكنيسة ولها جمالها المنفرد الخاص بها والمكتمل لكن ليس بدون المسيح. فهي باقيةٌ جَسَدَه، ونحن كأفراد أعضاء في هذا الجسد وأعضاء ذوو هوية واحدة!! «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع» (غل٣: ٢٧و٢٨). هنا أعضاء جسد الكنيسة واحد، متساوو الحق. ونعيش معاً هذا السر العظيم.

٥: ٣٣ «وأمَّا أنتم الأفرادُ فليحبَّ كلٌّ واحدٍ امرأتَهُ هكذا كنفسِه، وأمَّا المرأةُ فلْتَهَبْ رجُلَها».

وبعد أن استوفى ق. بولس ما يختص بالكنيسة وعلاقتها بالمسيح، منتهياً إلى عظمة السر الذي يجمع بينهما في الوحدة الإلهية الفائقة والتي أقل تصوُّر لها أمكن تصويره فيما هو حادث في الاتحاد الزيجي بين رجل وامرأته من حب مقدَّس يقابله خضوع تكريمي وواجبات متقابلة في كل شيء، وكلها تُنشيء اقتراباً هو الوحدة عينها أو الاتحاد؛ يعود ليستخرج من هذا السر العظيم وصية للأفراد مختصرة وهي أن كل واحد يحب امرأته حباً شخصياً ذاتياً كأنه يحب نفسه؛ والمرأة تحتفظ بتوقيرها لرجلها في مهابة تخلو من أي إحساس بالتدني.

الأصحاح السادس

١ ـ ٦ : ١ ـ ٤ : إلى الأولاد والآباء.
٢ ـ ٦ : ٥ ـ ٩ : خدّام ومخدومين.
٣ ـ ٦ : ١٠ ـ ٢٠ : «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب».
٤ ـ ٦ : ٢١ ـ ٢٤ : ختام الرسالة.

[٦: ١-٤]

إلى الأولاد والآباء

القديس بولس يستمر يخاطب البيت المسيحي. فعندما أكمل واجبات الزوجية، بدأ ينظر في أمر الأولاد وآبائهم. ونفس هذا التدرُّج جاء في الرسالة إلى كولوسي (كو٣: ١٨-٢١):

٦: ١-٣ **«أيها الأولادُ أَطيعُوا والِدِيكُم في الرَّبِّ لأن هذا حقٌّ. أَكْرِمْ أباكَ وأمَّكَ التي هي أولُ وصيَّةٍ بوعدٍ. لكي يكونَ لكم خَيْرٌ وتكُونُوا طِوالَ الأعمَارِ على الأرضِ».**

عندما أكمل وصية الزوجة والزوج دخل في وصية الأولاد وآبائهم.
فهنا الطاعة واجبة في مقابل الخضوع عند الزوجة.

«الطاعة»: أطيعوا ὑπακούετε

هنا الطاعة «في الرب» تعني أن تكون الطاعة مستمدة من الروح المسيحية التي لا تجعل الطاعة ثقيلة على النفس، بل محبوبة، كما أطاع المسيح أباه وأسلم نفسه لتنفيذ وصيته. والمفروض في الأولاد أن يكونوا قد تعلَّموا منذ بداية تعرُّفهم على الحياة وعلى أنفسهم أن علاقتهم بوالديهم هي علاقة مسيحية، قائمة على الحق، بمعنى الضرورة التي يحتِّمها الرب. والضرورة التي تحتِّمها علاقة الابن بوالديه هي حق للوالد كما هي حق على الأولاد، أن يتعلَّموا أن الحياة التي يحيونها مستمدة من الله، فطاعته هي طاعة وصاياه.

والله أوصى بطاعة الأولاد لوالديهم، كما جاءت في آية العهد القديم المعتَبرة أنها أول وصية لها وعد. والوعد أن يعيش الأولاد تحت عناية خيرية الله وتطول حياتهم على الأرض = لأن هذا حق: «إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا» (أع٤: ١٩). وهذه الوصية هي وصية الله. إذاً، فحقٌ أن يستمع لها الأولاد ويطيعوا والديهم.

وتجيء في رسالة كولوسي واضحة: «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضي في الرب» (كو٣: ٢٠). إذاً، فليتعلَّم الأولاد منذ بدء حياتهم أن يعملوا ما يُسرُّ الله أو بالتالي أن يحبوه فيعملوا بدافع محبتهم لله.

أمّا «أكْرِمْ أباك وأمك» التي جاءت عن العهد القديم، فهي الوصية الخامسة للوصايا العشر الواقعة في سفر الخروج ٢٠ : ١٢ وتثنية ٥ : ١٦. والمفروض أن يكون الطفل قد حفظ هذه الوصايا عن ظهر قلب ــ والكاتب يؤكد أننا حفظناها منذ أول مراحل التعليم ــ والكنيسة يجب أن تكون مستيقظة لواجباتها. فمدرِّس الدين ينبغي أن يتلقّى منهج الدراسة من الكنيسة، والكنيسة تضع حفظ الوصايا كأول ما يتفتح له ذهن الطفل.

أمّا قوله عن أنها الوصية الأُولى بوعد فحيَّرت العلماء، لأن بقية الوصايا بعضها لها وعد أيضاً سواء السابقة أو اللاحقة. ولكن يقول المفسرون أنها أول وصية تُلقَّن للطفل ولها وعد يشجِّع على حفظها.

٦ : ٤ «وأنتم أيها الآباءُ لا تغيظوا أولادَكُم بل رَبُّوهم بتأديبِ الربِّ وإنذارِهِ».

لا نستطيع أن نضع على الأولاد واجبات مُلزِمة عليهم دون أن نضع في المقابل ما يُلزم الواجبات عند الآباء أو الأبَوَيْن سيَّان. ولكن المسئولية الكبرى تقع على الآباء بصفتهم أصحاب التدبير والحكم في مملكة الأسرة. وأخطر ما يصدر عن الآباء أو الوالدين معاً هو الإهمال وعدم الاكتراث بتربية أو سلوك الأولاد، هذه يستشعرها الأولاد فتكون هي المحرِّض على الخروج عن الأوامر وعن التدبير عموماً والانسياق وراء الإحساس بعدم الاهتمام بهم.

ولكن أخطر من عدم الاهتمام، هو الاهتمام الزائد ومعه القسوة والظلم، أي إصدار أحكام وتوجيهات ظالمة غير معقولة، أو إلقاء التهم جزافاً بينما يكون الولد بريئاً منها، مع إصرار الوالدين أو الأب؛ فيكون هذا بمثابة تربية روح المقاومة والعناد والردود الجافة وعدم الطاعة. فإذا تمادى الأب أو الأم أو الوالدَيْن معاً على هذا الاتجاه، فإن هذا يكون بمثابة **الإغاظة**. فيبتدىء الولد يأخذ اتجاه التمرُّد والعدوانية والتخريب؛ فإن لم يكن على ما حواليه، فيكون على نفسه. وهنا تنشأ العلل التي تدوِّخ الأسرة والطبيب دون جدوى لأنها تكون قد ترسَّبت في أعماق الطفل وقد نسيها عندما صار صبياً عليلاً: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا» (كو٣ : ٢١). ويبدأ دور التدليل والعطف الخطأ في غير ميعاده لمحاولة إصلاح ما فات، ولكن هيهات! إذ يكون الصبي قد عَبَرَ مرحلة التدليل فيرفضها بإباء، ويحتقر تصرفات الوالدين، وينطوي ويزيد انطواؤه، وينفِّس عن نفسه خارج المنزل بنفس الروح العدوانية والتخريب والإساءة أينما سار وأينما حلَّ ويُعتبر إنساناً شاذاً مكروهاً من المجتمع.

فليفهم الآباء أن مرحلة العطف والحب والتدليل تنتهي بمجرد أن يعرف الطفل كيف يتحرك ويؤدي وظائفه الصحيحة من المشي والأكل والكلام. وحينئذ يبدأ التدريب على الخصال الطيبة: كيف يتكلَّم جيداً، كيف يسير جيداً، كيف يتصرَّف بتعقل ورزانة، يحب الجميع ولا يكره أحداً ولا يُغْضِب ولا يُسيء إلى أحد أو إلى نفسه. وهكذا يتعلَّم كيف يسلك في الحياة وهو ابن الثالثة حتى الخامسة حين يبدأ التعليم مع الانتهار والتأديب عن أي شذوذ أو تصرف خاطىء، ولكن بعد أن يكون قد تلقن تماماً ما هو الصحيح وما هو غير الصحيح. وهذه هي التربية بالتأديب. وقوله **«في الرب»** تعني أول كل شيء أن يكون المسيح هو قائد الفكر والتدبير حين يدرك الأب والأم أن لا يخرج تأديبهما وتعليمهما عن حدود وصايا الرب يسوع، وبذلك يكون «الرب» هو الوازع الأول عند الولد للطاعة وعند الأب للتوجيه، بمعنى تأديب **في الرب**، وحسب وصاياه حتى ينال من الله معونة ونعمة ومؤازرة في حياته ويتعلَّم كيف يُصلي ويحفظ الصلوات ويفهم معانيها، ويبدأ يتعلَّم الوصايا الإنجيلية، وما هو الخطأ وما هي الخطية. ثم يأتي دور الإنذار قبل العقوبة عن كل ما لا يليق عند الإنسان المسيحي.

وليهتم الآباء جداً بالسلوك خارج المنزل ومعرفة الأصدقاء الذين يتودد إليهم ابنهم أو بنتهم، لأن البيت مسئول عن مسيرة الصبي والشاب أو الفتاة خارج منزله لئلا يأتيه الفساد من الخارج. كما يهتم الآباء، منذ نعومة أظفار أولادهم، أن يتعلَّم أبناؤهم وبناتهم الطاعة بأدب ومحبة ويكون لهم أذن صاغية، ولكن حذارِ من استخدام **السلطان، والتهديد بالضرب والعقاب السريع والتخويف،** كل هذه تكوِّن داخل الطفل ردوداً عكسية. فزيادة السلطان تؤدي **إلى كره الأبوين،** والتهديد بالضرب **يربِّي روح الذعر والانكماش وعدم الثقة،** والعقاب **يربِّي الشعور بالذنب الذي يقتل الضمير،** والتخويف **يربِّي رُعبة في النفس تُنهي على بنائه النفساني السليم** فينشأ الطفل صاحب عُقد نفسية، هيهات لأي طبيب أن يحلها.

وليحذر الوالدون من كثرة **المراجعة،** وكثرة **الإنذار والتوبيخ،** فإن هذه تُنشىء في الولد أو البنت روح الخنوع وتُفقد روح الشجاعة الأدبية، فلا يعرف كيف يستجيب وكيف يتصرف. ولابد أن يفهم الآباء أن روح التربية الصحيحة تكمن في «الإيجابية» وليس في السلبية. فالتعليم والتدريب والتوجيه بروح إيجابية، فيها **المحبة** وفيها **الاحترام** للطفل، يكون لها ردُّ فعلٍ سريع إيجابي، فيتعلَّم الطفل وينمو في روح الإيجابية بسرعة عشرة أضعاف أكثر مما بالتوجيه بالتهديد والمراجعة والتعنيف والضرب.

والكنيسة مُطالَبَة من الوالدين أن توجِّه طفلهما نحو المُثُل العُليا للقديسين وعظماء الإيمان

ليأخذ الطفل أو الطفلة مثلها الأعلى من الآباء والأمهات الأتقياء والتقيات الذين واللائي أرضوا الله وأحبوه وبذلوا وصاروا قديسين وقديسات. وليكن عند الطفل روح التقوى والعبادة ومحبة الصلاة والرغبة، بل المسرة، في الذهاب إلى الكنيسة والاستماع إلى كلمات الوعظ والتعليم كل أيام حياته.

وليهتم الوالدون بتربية روح الطاعة المطلقة لصوت الله في الإنجيل وفي الضمير، ولتكن طاعة الله أقوى وأعظم من أية طاعة لأي إنسان آخر وأعلى من أي تهديد أو تخويف.

ـ عبيد وسادة ـ

لقد انتهى عهد العبيد الذين كانوا يُشترون بالمال ويُباعون في الأسواق، كما انتهى عهد الأسياد والسيادة.

لذلك نقولها بوضعها الواقعي الصحيح:

[٦ : ٥ ـ ٩]
ـ خُدَّام ومخدومين ـ

٦ : ٥-٩ **«أيها العبيدُ أطيعوا سادتَكم حَسَبَ الجسدِ بخوفٍ ورعدةٍ في بساطةِ قلوبِكم، كما للمسيحِ. لا بخدمةِ العينِ كمَنْ يُرضي الناسَ بل كعبيدِ المسيحِ عامِلينَ مشيئةَ الله من القلبِ. خادِمِينَ بنيَّةٍ صالحةٍ كما للربِّ ليسَ للناسِ. عالِمينَ أنْ مهما عَمِلَ كلُّ واحدٍ من الخَيرِ فذلك ينالُهُ من الربِّ عبداً كان أم حُرًّا. وأنتم أيها السادةُ افعَلُوا لهم هذِهِ الأمورَ تارِكينَ التهديدَ عالِمينَ أنْ سيِّدَكم أنتم أيضاً في السمواتِ وليس عندَهُ مُحاباةٌ».**

هنا يُكتفى بما جاء في الآيات لبولس الرسول لأنها توفي المطلوب من العبد والسيد في ذلك الزمان. أمَّا الآن فلا عبد ولا سيد حتى ولا خادم ومخدوم، لأن الزمن الذي نعيش فيه أصبح الإنسان يخدم نفسه. فإذا حدث وكان هناك مَنْ يخدم سواء كان من النساء أو من الرجال فالخدمة أصبحت لا على مستوى الخدمة أو بمفهوم خادم وخادمة بل بمفهوم الموظف أو الموظفة؛ والموظف له حقوق تعادل حقوق مَنْ يعمل عنده، فالمساواة الاجتماعية أصبحت سمة العصر.

[٦ :١٠-٢٠]

«أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب»

«أخيراً»:

أخيراً وبعد أن وضع ق. بولس الرسول في هذه الرسالة منهجاً كاملاً يشرح فيه علاقة الله بالإنسان، نلخصها في أربعة أجزاء كالآتي:

الجزء الأول:

١ ــ مبتدئاً من قبل تأسيس العالم أي في مقاصد الله الأزلية من جهة ما نوى أن يعمله للإنسان من اختيار في المسيح وتبنٍّ في المسيح منذ الأزل أي قبل تأسيس العالم.

٢ ــ ثم رسم خطة الفداء بدمه وكيفية غفران خطايا الإنسان.

٣ ــ وكشف غاية الله من كل هذا بأن يجمع الله كل شيء في المسيح ما في السماء وما على الأرض.

٤ ــ وكيف سبق لليهود أن ينالوا نصيبهم في معرفة الله والمسيَّا.

٥ ــ وكيف ينال أيضاً الأمم نصيبهم في الميراث مع اليهود.

٦ ــ وهنا وقفة صلاة وطلبة، لكي يفتح الله ذهننا لنستنير، لكي ندرك ما عمله الله في وسط الزمن من أجلنا، وما كلَّفه من استخدام عظمة قدرته الفائقة وعمل شدة قوته لإقامة المسيح من الأموات وصعوده وجلوسه في السماء عن يمين الله ليكون فوق الكل.

٧ ــ وكيف جعله رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي أعلن أنها جسده ملء الذي يملأ الكل.

٨ ــ ثم أوضح كيف أقامنا مع المسيح في قيامته وأجلسنا معه في السماويات، وكان هذا هو الخلاص بعمل نعمته مجاناً.

٩ ــ وعاد يُذكِّر الأمم كيف كانوا بلا إله في العالم فصاروا بدم المسيح مُصالَحين مع الله ومع اليهود بالصليب كنيسة واحدة.

١٠ ــ وفي الطريق شرح ق. بولس عمق النعمة التي ائتمنه الله عليها وكيف أعلن له سرَّ دخول الأمم ليرثوا في الجسد والإنجيل.

١١ ــ وبعد هذه المصالحة العظمى وتأسيس كنيسة تجمع الكل، انطلق يشرح آخر مراحل الخلاص المفتوحة للإنسان المسيحي ككنيسة ــ وهي مرحلة الامتلاء بالروح والمسيح للدخول النهائي في ملء الله.

الجزء الثاني:

كعادة ق. بولس الرسول، فإنه بعد أن يقدّم تعليمه الروحي العالي الذي يُنعش الروح ويملأ الإنسان بالرجاء، يبدأ يعطي توجيهاته في السلوك المسيحي بما يجب أن يُعمل وما لا يجب أن يُعمل:

١ ــ فيما يناسب الدعوة المسيحية من سلوك.

٢ ــ وحفظ روابط وحدانية الروح بالسلام.

٣ ــ وقانون الإيمان: جسد واحد، روح واحد، رجاء واحد، ربٌّ واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله ورب واحد.

٤ ــ كشف سر ارتفاع المسيح فوق أعلى السموات لكي يملأ الكنيسة بالمواهب السماوية ليكمّل إيمانها ولكي تنمو وتمتد.

٥ ــ غاية الإيمان المسيحي: وحدانية الإيمان على قياس قامة ملء المسيح.

الجزء الثالث:

ما يميِّز الإنسان المسيحي عن غير المسيحي وخاصة الوثنيين (الأمم):

١ ــ خَلْع الإنسان العتيق ولِبْس الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.

٢ ــ مواصفات الإنسان الجديد: الصدق، لا تعطوا إبليس مكاناً، لا يسرق، لا تخرج من الفم كلمة ردية.

٣ ــ لا تُحزنوا الروح القدس، لا سخط ولا مرارة ولا غضب ولا صياح ولا تجديف ولا خبث.

٤ ــ لطفاء، شفوقين، متسامحين كما سامحكم الله في المسيح.

٥ ــ تمثَّلوا بالله كأولاد الله الأحباء.

٦ ــ اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح وأسلم نفسه لأجلنا.

٧ ــ لا زنا، لا نجاسة، لا طمع كما يليق بقديسين.

٨ ــ لا قباحة، لا كلام السفاهة، ولا هزل التي لا تليق بل الشكر.

٩ ــ لأن بسبب هذه الأمور يأتي غضب الله على أبناء المعصية.

١٠ ــ لا تكونوا شركاءَهم.

١١ ــ أنتم كنتم ظُلمة والآن نور فاسلكوا في النور كأولاد النور.

١٢ ــ ثمر **النور** هو في كل صلاح وبر وحق.

١٣ ــ مختبرين ما هو مرضيٌّ عند الرب.

١٤ ــ لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبِّخوها.

«استيقظ أيها النائم وقم من (بين) الأموات فيضيء لك المسيح.» (أف ٥ : ١٤)

١٥ ــ اسلكوا بتدقيق مُفْتدين الوقت لأن الأيام شريرة.

١٦ ــ لا تكونوا أغبياءَ بل فاهمين ما هي مشيئة الرب.

١٧ ــ لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح.

١٨ ــ مُكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية.

١٩ ــ مُترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب.

٢٠ ــ شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح.

٢١ ــ خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله.

الجزء الرابع:

أ : وصايا من أجل البيت المسيحي. وسر الكنيسة والمسيح الأعظم:

١ ــ للنساء: اخضعن لرجالكن، وللرجال: أحبوا نساءكم.

٢ ــ كما تخضع الكنيسة للمسيح وكما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.

٣ ــ لكي يقدسها ويطهرها بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسه مجيدة مقدَّسة بلا عيب.

٤ ــ نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه.

٥ ــ من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً.

٦ ــ هذا السر عظيم وأنا أقوله من نحو المسيح والكنيسة.

ب : الأولاد ووالداهم:

١ ــ أطيعوا والديكم في الرب، لا تغيظوا أولادكم.

ج : العبيد والسادة:

١ ــ أطيعوا سادتكم، افعلوا لهم هذه الأمور.

وهكذا يكون ق. بولس قد أكمل منهج الحياة المسيحية، سواء في تخطيطها الأول قبل الدهور في الأزل؛ حسب مقاصد الله، أو في الزمن بموت المسيح الفدائي والقيامة والصعود والجلوس عن يمين الله وكشف سرِّ الملء في الله، الذي به يبلغ الزمن أقصاه والإيمان مِلأه في المسيح. ثم أكمل كل الوصايا الخاصة بالمؤمنين في سلوكهم معاً أو في الخارج.

وبعدها أعطى وصايا للبيت المسيحي، وبذلك يكون قد انتهى من الرسالة الخاصة بكل ما يتعلَّق بحياة المسيحي.

وأخيراً، أراد ق. بولس أن يكشف عن جبهة داخلية مُعاندة تحارب الإنسان في فكره وضميره وأعصابه وعواطفه لمحاولة زعزعة إيمانه وصدّه عن المسيح وإضعاف إيمانه. هنا يقدّم ق. بولس مشورته: «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته».

١٠:٦ **«أخِيراً يا إخوَتي تَقَوَّوا في الرَّبِّ وفي شدَّةِ قوَّتِهِ»**.

«تقووا»: ἐνδυναμοῦσθε

كيف يعطي ق. بولس هذا الأمر وكيف نتقوّى؟ السرُّ هنا في الكلمة اليونانية التي جاءت في المبني للمجهول، تماماً كما جاءت الآية: «امتلئوا بالروح القدس» (أف ٥:١٨). فكما أن هناك استحالة في أن نملأ أنفسنا من الروح القدس ولكن لأننا حاملون الروح القدس فينا منذ أن اعتمدنا ومُسحنا بالميرون ونلنا نفخة الروح، أصبح علينا لكي نمتلىء من الروح الذي فينا أن نُضرمه بالصلاة والعبادة وأعمال المحبة والسهر والتسبيح؛ كذلك هنا يقول «تقووا»، فهذا أمر يَلْزَم أن يسبقه ما يُعتمَدُ عليه. والقديس بولس يعتمد في هذا على أمرين:

الأول:

أننا نلنا قوة الروح في الداخل التي بها نجاهد كل يوم ونحتفظ برزانة إيماننا وتمسكنا بوصايا الرب. والمطلوب الآن أن نُضْرم هذه القوة، كما يقولها ق. بولس في موضع آخر وذلك في صيغة أمر: «أن تمتلىء إلى كل ملء الله» (أف٣:٩). أمَّا كيف تمتلىء إلى كل ملء الله فيقول: «والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر **بحسب القوة التي تعمل فينا**» (أف٣:٢٠). ومعنى هذا أنه **بمقتضى القوة** التي تعمل فينا والتي نلناها بالإيمان وشركة الروح القدس مع المسيح، فإن الله قادر أن يعمل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر. وهذا في الواقع يفتح أمامنا مجال التقدُّم في الحياة المسيحية ومعرفة الله إلى ما لا نهاية إن استخدمنا القوة الروحية الموهوبة لنا في المسيح بالروح القدس. إنما علينا فقط أن نجاهد ونطلب.

هكذا هنا في الآية التي نحن بصددها: «يا إخوتي تقووا في الرب»، فإنه مطلوب أن تزداد قوتنا في الرب كل يوم بحسب القوة التي تعمل فينا، إن طلبناها وإن اعتمدنا عليها وزكّيناها بالصلاة والطلبة.

والقديس بولس يقول: «أخيراً ... تقووا»، لأنه إن لم نتقوَّ في الرب، فأعداؤنا مترصدون لنا بالتجارب والمحن والاختبارات الصعبة، وخيانة الأصدقاء والأعداء، والمقاومة في الخفاء والعَلَن من قوات لا نراها، وهي مندسَّة في كل خطوة تعمل ضد مشيئة الله فينا.

الأمر الثاني:

الذي نعتمد عليه في أن نتقوى بالرب هو «شدّة قوة الله»، إذا طلبناها. لأن القديس بولس يضع يدنا على مصدر قوتنا بقوله **تقوّوا بشدة قوته.** فالله قوي للذين يَدْعونه، وقوة الله فوق كل قوة. كل مَنْ صرخ إليه نجّاه وأظهر له قوته. والآن، وق. بولس يواجهنا بأعدائنا الخفيين كقوات ظُلمة فهو يضع أيدينا على مصدر القوة القادرة أن تردَّهم وتصرعهم. لأننا نحن أضعف من أن نقف أمامهم. ولنا في ذلك قدوة في القديس أنطونيوس جَبّار البراري الذي خرجت إليه الشياطين لتُحيِّيه يوم دخل البرية وواجهوه بالسخرية: [مَنْ أتى بكَ إلى هنا يا صغير العمر والعقل (كان ابن أربع وعشرين سنة) فكان ردُّه عليهم: اتركوني أنا أصغر من أحد أصاغركم، فتركوه لأن اتضاعه صرعهم].

لذلك أود من القارىء أن يضع هذا السلاح البتَّار ــ أي **الاتضاع** ــ ضمن أسلحة محاربتنا. لأن ق. بولس أغفله باعتباره أرخص الأسلحة، وهو لا يحتاج إلى تمرين، ويمكن شراؤه من أي فقير أو مسكين أو من المسيح.

والقديس بولس حينما يكلّمنا عن محاربات العدو الخفي، فهو يتكلّم من مركز خبرة لا تُدانيها خبرة، خبرة ثلاثين سنة، ذاق فيها الأمرَّين من أعدائه الخفيين، أولها كانت «أُعْطِيتُ شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني» (٢كو١٢:٧). هذه اللطمة افتتح بها الشيطان حلقة مصارعاته مع ق. بولس، لأن بولس كان هو نفسه أثمن مُعين سابقاً له وكان كساعده الأيمن الذي استخدمه لإفساد الإيمان المسيحي وإتلاف كنيسة الله بإفراط. وفجأة التقطته نعمة الرب من السماء، وعلّمت يده القتال، فكان القديس بولس مِعْوَل هدم لكل هياكل الشيطان التي صنعها في مئات السنين وبيد مئات وآلاف النفوس التي قيّدها لتخدمه، فضيَّع ق. بولس اسمه وممتلكاته من أورشليم حتى إلليريكون، وأخيراً روما وداخل بيت قيصر نفسه!!

وحينما يقولها ق. بولس: «تقوّوا بشدة قوته»، أي قوة الله، فعن خبرة وتحقيق فهو صاحب الأسلحة الروحية التي تَعامَل بها مع العدو وأثبت جدارتها: «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح. ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم» (٢كو١٠: ٤-٦). كلام لا يقوله إلاَّ جبار حروب وعملاق مصارعات خفية لا يعلم طولها وعرضها إلاَّ الله الذي قواه!!

والقديس بولس تمرَّس في كشف مراوغة العدو وغواياته وأدرك كيف وأين يغري ويغوي فرائسه: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسَدْ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو١١: ٣). وفي موضع آخر يقول: «لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كو٢: ١١). فهو قاس طول شباكه وعرضها بما أصابه منها باليمين وبالشمال، من لصوص ساقهم بالليل عليه ومن سيول جرفها أمامه، من مراكب ساقَ عليها رياحه العاتية فحطمها وأوسدها قاع البحار وقضى ق. بولس على حطامها في العمق ليله ونهاره، وسخَّر ضده السنهدريم بأكمله، وأقام اليهود ليرجموه ورجموه، هيَّج عليه والي دمشق ليصطاده (٢كو١١: ٣٣) فهرب منه في زنبيل من أعلى السور (أع٩: ٢٥)، بيَّت عليه أكثر من أربعين شاباً أقسموا اليمين أن لا يأكلوا ولا يشربوا حتى يسفكوا دمه (أع٢٣: ١٢و١٣). هيَّج عليه الرياح والبحار لتميته غريقاً، ولما نجا أوعز إلى الحية ربيبته أن تنهش يده لتقتله مسموماً (أع٢٨: ٣)، رتَّب له المصائب والكوارث حتى إذا خرج من واحدة تلحق به الأخرى بلا هوادة. احتَجَزَ له في سجنٍ زنزانةً، ويده قلَّما ارتاحت من ثقل القيود والسلاسل (أع١٦: ٢٣)، ورجلاه تورَّمت من قبضة المقطرة، وأسكنه السجون المظلمة حتى يحرمه من قراءة رقوقه أو كتابة رسائله. شهوراً وسنينَ ما كفَّ عنه الشيطان يوماً، وما كفَّ هو عن مصارعته لحظة. وبالنهاية آذاه في جسده. أمَّا ق. بولس فحطَّم مملكته.

فهو إن جاء اليوم ليخبرنا كيف نغلبه، فهو مغلوب ومقهور بيد الرب على الصليب حين ظفر به وفضحه جهاراً (كو٢: ١٥)، فما عادت فيه قوة إلاَّ للمناوَأة. والقديس بولس أكمل على فضيحته وعرَّى أفكاره وأعماله، حتى بات والطفل في المسيح يُرعبه بعلامة الصليب. ويعقوب الرسول أعطانا سرَّ النُصرة عليه: «قاوموا إبليس فيهرب منكم.» (يع٤: ٧)

أمَّا كيف: فذلك على وجهين، **الأول سلبي والثاني إيجابي:**

أمَّا السلبي: فألاَّ نسمع له مشورة ولا نقبل منه نصيحة ولا نسير مع من نعلم أنه واقع تحت سلطانه. **لا** نخاصم لأنه أبو الخصام فهو المسمَّى بالخصم. **لا** نغضب لأنه أبو الغضب. **لا** نحقد لأنه سيد الحقد. **لا** نعادي لأنه هو العدو وأبو العداوة. **لا** نكذب لأنه هو الكذاب وأبو كل كذاب. **لا** نسرق لأنه اللص ومعلِّم اللصوص. **لا** نشتهي النجاسة لأنه هو النجس ومعلِّم النجاسة. **لا** نحسد لأنه هو الحسود، الذي بحسده أدخَلَ الموت إلى العالم (صلاة الصلح ـــ القدَّاس الإلهي). وليعلم كل إنسان أن الشيطان هو قطب السالبية في العالم، فحينما نسدُّ عليه باب السالبية بالسالبية، نوقف قوته ونشلُّ حركته في الحال بلا حرب ولا مقاومة، فلا يجد فينا مَنْفذاً يدخل منه.

وحينما نقول إن الشيطان هو قطب السالبية في العالم، فهذه المقولة هي التي جعلته رئيس هذا

العالم!! والعالم كله وُضِعَ في الشرير (١يو٥: ١٩) أي في يد الشيطان. وهو الذي بوقاحته التي هي أعزُّ ما يملك، قال للمسيح: «وقال له إبليس لك أُعطي هذا السلطان كله ومجدهن (ممالك العالم كلها) لأنه إليَّ قد دُفع وأنا أعطيه لمَنْ أُريد. فإن سجدتَ أمامي يكون لك الجميع.» (لو٤: ٦و٧)

فما معنى هذا؟ معناه أن العالم وكل الأشياء التي في العالم لها شقان: شق ظاهري مُخادع ومزيَّف، وشق باطني. الظاهر هو المتغيِّر وكل متغيِّر زائل. والباطن لا يتغيَّر ولا يزول وهو جوهر الحق والحقيقة. حتى الإنسان مظاهره متغيِّرة، بجماله وحُسْنه. ومجده الكاذب كله يرقد أخيراً تحت التراب وينتهي إلى زوال؛ أمَّا باطنه فهو الإنسان الحقيقي الذي على صورة خالقه في البر **وقداسة الحق** (أف٤: ٢٤) أو بالترجمة الصحيحة **الحق المقدَّس**. نعم فظاهرُنا كذب وخداع وهذا يحكمه الشيطان، وباطننا حق مقدَّس وهو على صورة الله والله يحكمه. بهذا المعنى يكون العالم كله بظاهره ملكاً للشيطان، يلهو به ويحكمه ويتحكَّم فيه، وهو سيد بلا جدال (وبهذا المعنى حينما تتوقَّف وتنتهي مظاهر العالم الكاذبة يبطل الشيطان وينتهي).

وهذا واضح كذلك من قول ق. بولس الرسول: «والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧: ١٣). هذا هو العالم الكاذب بمظهره والذي سيزول، ولكنه هو نفسه العالم الذي أناره المسيح، الذي عَبَر بنا من الخداع إلى الحقيقة ومن سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته (كو١: ١٣)، «الذي بذل نفسه لأجل خطايانا ليُنقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين» (غل١: ٤و٥). فكل مَنْ يخضع للشيطان يغدق عليه من عطاياه الفاخرة جمالاً ومالاً وعزاً ومجداً وكرامةً فوق كرامة، ثم بعد زمنَ قَصَر أو طالَ يأخذها منه كلها ليعطيها لمجنون آخر، أمَّا هو فيرديه أرضاً ليدفنوه تحت التراب.

أمَّا المسيح فهو الحق والحياة الأبدية، جوهر الخليقة والحق الرابض وراء كل مظاهر العالم. العالم يزول وهو يبقى، وكلمة واحدة يقولها المسيح السماء والأرض تزولان وكلامه لا يزول (مت٥: ١٨). لماذا؟ لأنه حق هو، وصادر من الحق، والحق يدوم إلى الأبد لا يتغير ولا يزول.

لذلك قلنا ببساطة (لأن الكلام في هذا المعنى كثير للغاية) إن الشيطان هو القطب السالبي في العالم الذي يقبض على كل مظاهر العالم. وهو يعرض عليك أمجاده من جمال ومال وعظمة ومجد وفخامة ورئاسة وعزٍّ، لا يدانيه عزٌّ على أساس مقايضة، هو يأخذ منك الحق الذي فيك: الإيمان

والرجاء والحب والطهارة والمسيح والإنجيل والصليب وكل ما هو حق وصدق، ويعطيكَ كل ما تريد وأكثر، فقط اسجدْ له، أو فقط قل له نعم!!

وهنا يجيء العمل المسيحي القاطع حين تقول لا! يهرب الشيطان ولا يبقى فيه قوة على النقاش ولا منفذ يدخل منه إليك. وهو يكرر رجاءه وإغراءه وأنت تكرر لاءاتك لا. لا. لا. لا أفرِّط في طهارتي، لا أفرِّط في إنجيلي، في مسيحي، في حياتي الأبدية. يستحيل يستحيل!!

وهذا هو ما نقوله، أن مقاومة الشيطان على شقين، شق سهل للغاية وقوي للغاية وفعَّال للغاية ومختصر للغاية، ولا يحتاج أي عراك أو جهد، أن تقول من أول نظرة لا، من أول فكرة لا، من أول عرض لا، من أول إغراء لا، من أول حركة داخلية لا، فتشل حركة الشيطان ويتوقَّف عن المحاولة، وحالاً تذوق النصرة وتمجِّد الله وتفرح بالمسيح.

وهناك الشق الآخر وهو الشق الإيجابي الذي سيخوض فيه ق. بولس هنا.

مكايد إبليس

١١:٦ «آلبَسُوا سلاحَ الله الكامِلَ لكي تقدِرُوا أن تَثبُتُوا ضدَّ مَكايِدِ إبليسَ».

«البسوا سلاح الله الكامل»: ἐνδύσασθε τὴν πανοπλίαν τοῦ θεοῦ

سلاح الله الكامل: ليس في الحقيقة سلاحاً ولا علاقة له بأي سلاح ولكن ق. بولس الرسول أراد أن يصوِّر حربنا مع العدو بمعركة وأسلحة. ولكن الأسلحة التي يتكلَّم عنها هي مجرد اسم لها مقابل في الواقع كما في حالة الجندي المحارب. ولكنها في حقيقتها ــ كما سنرى ــ هي الحق، والبر، والإنجيل، والإيمان، والخلاص، وكلمة الله، والصلاة، والسهر، والمواظبة، والطلب. هذه هي كل الأسلحة التي اعتبرها أنها هي طاقم الأسلحة المسجَّلة في السماء والمطلوب أن يكون المؤمن المسيحي حائزاً على طقم كامل منها ومدرَّباً على استخدامها.

أمَّا من جهتنا في الشرح فنقول إن هذه هي الأعمال الإيجابية لمقاومة العدو، في مقابل الأعمال السلبية التي رأيناها أنها كفيلة أن تشلَّ حركته وتوقفه عن الزحف من أي منفذ للدخول إلى النفس البشرية. أمَّا هذه الأسلحة بمضمونها الإيجابي من إنجيل وإيمان وكلمة الله وصلاة، فهي أعمال غير مصوَّبة على الشيطان بالمرة ولكنها هي بحد ذاتها حصن منيع عسير جداً على الشيطان أن ينفذ منه،

ونقول إنها أعمال إيجابية لأنها بنّاءة للنفس وواسطة لعمل علاقة إيجابية بالله الآب والمسيح والروح القدس، بها نحتمي بالله والمسيح والروح القدس فنكون في مأمن من أعمال الشيطان لأنها تقف ضد خداعه وفكره وغوايته.

ولكن ليس عبثاً أن يقول ق. بولس إنها أسلحة، لأن كل سلاح إمَّا أن يكون واقياً أو مُهاجماً. فالأسلحة التي يقدمها ق. بولس الرسول كلها واقية؛ فليس سلاح منها يقاوم العدو أو يحاربه، فالإيمان والإنجيل والصلاة هي أعمال الله لله. ولكن لأنها أعمال الله، فهي مُرعِبة للشيطان ويعتبرها الشيطان لنفسه أنها حرب موجَّهة ضده. فكل صلاة تضايق الشيطان، والإنجيل يُخيفه، والإيمان يُرعبه، والحق يطرده، مع أن الإنسان المسيحي لا يقصد ولا يريد أن يضايق الشيطان أو يُخيفه أو يُرعبه. فهي حرب ولكن من جهة واحدة ومن نظرة الشيطان فقط. ولكن ق. بولس يعتبر أن لِبْس هذه الأسلحة، أي إتقان الصلاة، والسهر بإيمان، والإنجيل، وبالحق، وبالمواظبة والطلبة، هي بمثابة إشهار حرب وقائية تردع الشيطان من بُعد ولا تجعله يطمع فينا.

فمن الوجهة العملية نعرف أنه إذا كان إنسان ساهراً في الصلاة وإنجيله مفتوحاً وإيمانه بالمسيح ملتهباً، يستحيل أن يدنو منه الشيطان كما لا يجرؤ أن يعرض عليه مجرد أفكاره، وكل شهواته تموت قبل أن تصل قلب الإنسان. ممكن أن يسوق عليه ريحاً عنيفة تطفيء مصباحه فيجلس في الظلام ولكن يستحيل عليه أن يدنو من نور قلبه الذي يحيا فيه على الدوام.

أمَّا فكرة السلاح الكامل «بانوبليا»، فبولس الرسول حينما كتب هذه الرسالة كان مُقيَّداً بسلسلة في يدٍ، واليد الأخرى هي في يد الجندي المكلَّف بحراسته لابساً أسلحته التقليدية، فنظر ق. بولس إلى نفسه فوجد أن أسلحته التي يلبسها أقوى وأمضى ألف مرة، فأراد أن يُشرِكنا في هذه النظرة أننا في العالم نواجه حروباً ومقاومات لأشخاص مقتدرين وربما مسلَّحين، ولكن نحن لنا سلاح الله الكامل الذي لا يستطيع العالم ولا رئيس هذا العالم أن يواجهه لأنه كما يقول: «أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون»!! «٢كو١٠: ٤» ويقصد حصون العدو.

وبنظرة أخرى من ق. بولس، استطاع أن يعدِّد الأسلحة التي يلبسها الجندي، فرآها تشمل الرأس والصدر والوسط والساقين واليد، واعتبرها سلاحاً كاملاً قادراً على حماية الإنسان. والعجيب أن ق. بولس لم يذكر الرمح (الحربة) لأنها سلاح هجوم مؤذٍ، واكتفى بالسيف لأنه سلاح واقٍ بتَّار.

وهكذا بدأ يُعدِّد أسلحة الروح فقدَّم عيِّنة، وأعطى لكل سلاح مدلوله الروحي.

«لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس»:

«لكي تقدروا»: πρὸς τὸ δύνασθαι

وترجمتها بحسب الكلمة اليونانية πρός حرفياً «إلى النهاية تكونوا قادرين».

«تثبتوا»: στῆναι (ومنها كلمة «استينو»، وهو اسم و يعني الثابت أو المتمكن ولها مؤنث «ستينا»). وتعني حرفياً أن «يملك زمام نفسه تجاه». وهو اصطلاح حربي والمعنى الحربي أيضاً «أن يكسب موقفه تجاه».

«مكايد إبليس»: τὰς μεθοδίας

وترجمتها الحرفية تعطي مفهوماً حربياً أيضاً وهو خدعة أو مناورة حربية. بهذا يكون المفهوم الكلي كما جاءت الترجمة العربية صحيحة في مفهومها الطبيعي غير الحربي.

أمَّا المعنى الروحي فهو إذا تسلَّحنا بالحق والبر والإيمان والإنجيل والخلاص وكلمة الله والصلاة والسهر والطلبة التي هي كل الوصايا المسيحية والإنجيلية التي سبق الله وأمدَّنا بها، فإننا نكون في مأمن من خداع العدو ومراوغته لأن هذه الوسائل كفيلة أن تصدَّه من تلقاء ذاتها.

وكما ترى، عزيزي القارىء، أنها كلها إيجابية تحمل لنا البناء الروحي الذي نسعى إليه، وهو الغاية التي ننشدها في حياتنا المسيحية دون أن يكون أيٌّ منها مصوَّباً ناحية الشيطان أو بمعنى آخر أن لا نكون في مفهوم سلبي. فهي كما قلنا ونردِّد أنها ليست حرباً في الحقيقة بل حياة إيجابية إيمانية في ذاتها، ولكن تُحسب بآن واحد أنها حرب وقائية لأنها تقفل على الشيطان كل منافذه التي يدخل منها إلى اللاهين عن حياتهم أو المتوانين عن خلاصهم أو المستهترين بمسيرة الروح وسط عالم مُخادع كذَّاب قادر أن يبتلع كل مَنْ لا يسهر على نفسه ويتمسَّك بخلاصه المجاني ونعمة الفداء والحياة الأبدية الموهوبة للساهرين والنشطاء. ولنا هنا في مَثَل المسيح عن العبيد والوزنات أن الذي لم يتاجر فيما أُعطِي من وزنات وطمرها في التراب اعتُبِرَ أنه بدَّد مواهبه، في المسرَّات الأرضية واللحمية فانتُزِعَت منه مواهبه، وأمَّا هو فلاقى مصيراً محزناً.

أمَّا المكائد بمفهوم الحيل والمراوغات التي يستدرج بها الشيطان الإنسان لمشوراته فهي تنحصر في خمسة أنواع: (١)

(١) عن كتاب: «ملكوت الله»، للمؤلف، ص٣٣-٤٠.

أولاً: حيلة المناسبة.
ثانياً: عنصر المفاجأة.
ثالثاً: عنصر المراودة.
رابعاً: عنصر التضليل: الفخاخ.
خامساً: عنصر التخويف.

أولاً: حيلة المناسبة:

فهو إذ يرصد شهوات الإنسان وميوله، لا يقدم له مشورات الشر إلا بما يتناسب مع حالته الجسدية والنفسية والعصبية، فهو حينما يجدك مثلاً غاضباً من أجل الحق يسرع فيقدم لك البُغضة والعداوة يدسُّها فيها دسًّا.

فالمعروف أن الغضب من أجل الحق هو عمل إلهي حيوي لازم للتجديد، أما البغضة فهي عمل شيطاني شرير جداً وقاتل للنفس، ولكن المناسبة والفارق بينهما دقيق جداً للغاية. هنا يستطيع الشيطان في ثورة غضبك أن يرفع هذا الفارق الدقيق مستخدماً «المناسبة» الدقيقة بين الغضب والبغضة، ويستدرجك من مجال تفكيرك المقدس إلى مجال تفكيره النجس. وبعد أن تبدأ بعمل محيي وهو الحق، تنتهي بعمل ميت وهو البغضة. لذلك ينبهنا بولس الرسول في هذا الموقف قائلاً: «**اغضبوا ولا تخطئوا.** لا تغرب الشمس على غيظكم. **ولا تعطوا إبليس مكاناً.**» (أف ٤: ٢٦)

كذلك يستخدم المناسبة الشديدة بين الحزن واليأس، فحينما تستسلم للحزن بسبب خطيئة اقترفتها أو بسبب حالتك الروحية حينما تكون ضعيفة أو جافة أو متدهورة، فهنا يظهر فجأة ويطرح أمام عقلك فكرة اليأس، ويظل يحاصرك بها وخصوصاً حينما تخفق في استعادة كيانك الروحي بعد عدة محاولات شخصية، فتقتنع من حكم الواقع أن لا مفرَّ من اليأس، وحينئذ تدخل في مجاله في الحال دون أن تشعر، وهنا يبدأ يجرِّدك من بهجة الأمل والرجاء. ثم هو لا يكتفي بذلك، لأنه شرير جداً، بل يُمعن في جذبك أكثر إلى عمق الظلام حتى تستسلم نهائياً وتفقد كل ثقة بنفسك وكل ثقة بالله، ثم يصوِّر لك بغضة نفسك وبغضة الله وبغضة الناس، حتى يضمحل من قلبك كل معنى للحياة ويجعلك تستهين بالموت: «ذاك كان قتالاً للناس منذ البدء.» (يو٨: ٤٤)

ولكن بأقل صلاة وبأقل دعاء باسم الله، يمكنك أن تحس بالخطر وتشعر بالفخ، وحينما تعود بقلبك إلى الرب تجده أمامك في انتظارك فاتحاً يديه وقلبه، متغاضياً عن كل خطية، وحينئذ تلقي

بفكرة اليأس خارج عقلك، فتمزق شباكه وتخرج من الظلمة إلى نور الرجاء وتستعيد كيانك العقلي وحريتك مرة أخرى.

ويمكن تطبيق هذا الكلام تماماً على استغلال الشيطان لتوافُق المناسبة بين كافة الانفعالات الطبيعية، نفسانية كانت أم جسدية أم روحانية، وبين الانفعالات غير الطبيعية الشريرة، حتى يندفع الإنسان من الأولى إلى الثانية بسهولة مستخدِماً شدة المناسبة بينهما.

فهو يستخدم فرص الفرح والمسرات الجسدية، ويستميل العقل والنفس للتمادي والاستغراق فيها حتى يسقط الإنسان بالنهاية في الملذات الحرام: «وهذه الأمور حدثت مثالاً لنا حتى لا نكون مشتهين شروراً كما اشتهى أولئك... كما هو مكتوب جلس الشعب للأكل والشرب **ثم قاموا للعب، ولا نزنِ كما زنى أناس منهم** فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً.» (١كو١٠: ٦-٨)

كذلك يستخدم فرص النجاح أو الغنى أو الرئاسة للانتقام والتجبر والظلم ونسيان الله، كما يستخدم الفقر أو العوز والوقوع تحت الظلم في تسهيل التذمر على الله واليأس حتى إلى صغر النفس أو السرقة والاختلاس.

كذلك ينتهز المناسبة الطبيعية التي تربط بين الغرائز بعضها ببعض وفسيولوچية تحرُّكِها ونشاطها. فالمعروف أن اللذة تركيب طبيعي نفساني وهي تتحكم في الغريزة الطبيعية وتدفعها إما للعمل وإما للتوقف. فلذة الطعام (الشهية) هي التي تُنشِّط غريزة الأكل، فإذا فقد الإنسان شهية الأكل يستحيل عليه الأكل. وعلى نفس النمط تعمل اللذة كدافع للنوم والعمل والكلام والتبول والتبرز. وعلى وجه العموم تُعتبر اللذة، سواء من جهة أثرها على الجسد أو النفس أو الوجدان، هي العامل الأساسي الطبيعي الموهوب من الله لحفظ الكيان الإنساني نشيطاً فعالاً ناجحاً مثمراً. واللذة في وضعها الطبيعي تبقى نائمة غير نشطة حتى تستدعيها ظروف الحياة وحينئذ تبدأ عملها تلقائياً دون أي تفكير أو جهد.

كذلك، فإن الغرائز لا تعمل فرادى أو مستقلة، بل هي مرتبطة في عملها ونتائجها بعضها ببعض ارتباطاً شديداً، فغريزة حب البقاء مرتبطة بغريزة التناسل، وغريزة التناسل مرتبطة بغريزة الأكل، وغريزة الأكل مرتبطة بغريزة حب القتال، وغريزة القتال والجري والسعي وراء الرزق مرتبطة بغريزة الغضب، وهكذا. ولكن الشيطان لم يفُتْ عليه أن يدس أصبعه بين هذه الغرائز، في علائقها التي تربطها بعضها ببعض، أو في الرباط الطبيعي الذي يربطها باللذة الطبيعية.

فأول كل شيء وأخطره، أن يحاول الشيطان أن يفصل اللذة عن الغريزة ليجعل من اللذة عملية قائمة بذاتها. فبدل أن تكون شهية الأكل حسب وضعها الطبيعي لتسهِّل عملية الأكل فقط، يحاول العدو أن يفصل شهوة الأكل عن غريزة الأكل بأن يستثيرها استثارة مصطنعة. فبدل أن كانت شهوة الأكل تأتي طبيعياً نتيجة جوع طبيعي تحسه المعدة محلياً، يبدأ الشيطان يستخدم طريقاً آخر غير طبيعي لاستثارة الجوع، وهو العقل ــ المعتبر المدخل المناسب الوحيد للتأثيرات الشريرة ــ فيسلط العدو تصورات وأفكاراً مناسبة للأكل، فيثير شهوة الأكل في الإنسان بالرغم من أن المعدة لا تكون آنذاك في حاجة للأكل أو تكون قد أخذت كل كفايتها الطبيعية. ويظل العدو يتابع تأثيره على العقل لإثارة شهوة الأكل حتى تفقد شهوة الأكل تناسُبها الطبيعي مع غريزة الأكل، فيفقد الإنسان التوازن الطبيعي بين شهوة الأكل وكمية الأكل المطلوبة وأنواع الأطعمة، فيطلب الأكل في غير مواعيده ويأكل أكثر من حاجته، ويطلب أنواعاً غير لازمة له، وشيئاً فشيئاً تنتقل لذة وشهوة الأكل من المعدة إلى العقل فيصاب الإنسان بجنون الأكل: «لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك الذين **إلههم بطنهم ومجدهم في خزيهم**» (في٣: ١٨). ويمكن تطبيق هذا الكلام تماماً على الشهوة الجنسية التي إذا انفصلت عن حاجة الطبيعة تبتدىء تتسيطر على الفكر حيث يُصاب الإنسان بالنهاية بـ«الجنون الجنسي».

وعلى هذا النمط يستطيع الشيطان بتأثيراته العقلية أن ينقل كافة أنواع اللذة الطبيعية من أماكنها العضوية الجسدية ومن خضوعها الطبيعي لحاجات الجسد وظروفه الفسيولوجية الهادئة، إلى العقل حيث يستطيع أن يثيرها باستمرار وبدون مناسبة طبيعية، ويشعل الجسد كله بالشهوات إشعالاً هادماً مدمراً. لأن من المعروف أن استنزاف إحدى الغرائز يؤثر تأثيراً ضاراً على بقية الغرائز الأخرى؛ فكثرة الاشتعال بشهوة الأكل تثير الغريزة الجنسية، والاشتعال بشهوة الجنس يُفقد الإنسان حيويته واتزانه وهكذا.

وكل هذا الاختلال الخطير الذي يتعرض له الإنسان في كافة أنواع الغرائز ولذَّاتها هو بسبب قبول الإيحاءات الفكرية التي يلقيها الشيطان في عقل الإنسان ليثير شهواته وملذاته إثارة غير طبيعية، حتى يُفقدها اتزانها ونسبتها الطبيعية وغايتها المباركة التي غرسها الله في طبيعتنا من أجل اتزان الحياة ودوامها!

لذلك يلزم للإنسان جداً أن يتحفَّظ، بنقاوة عقله وتفكيره، ويرفض أية إثارة عقلية من جهة أية

شهوة أو لذة؛ فالشهوات الطبيعية واللذّات الغريزية ينبغي أن يُختَم عليها لتبق نائمة في أعضائها الطبيعية لتعمل فقط بمقتضى حاجة الجسد وظروف الحياة الطبيعية.

ثانياً: عنصر المفاجأة:

هذه إحدى الوسائل التي يستخدمها الشيطان في إسقاط فريسته، وخصوصاً إذا كان الإنسان قد بدأ يقاوم ويسهر على نفسه من التأثيرات الشريرة التي يسوقها عليه، فالشيطان حينا يعجز عن استخدام حيلة «المناسبة» يبدأ بحيلة «المباغتة».

وهو يستخدم في ذلك كافة الحواس لتثير عقلك إثارة مفاجئة، إما باستخدام الصور أو المناظر أو الأصوات أو الرائحة أو اللمس أو الذوق أو القراءة أو الأخبار أو الأفكار المفاجئة أو الغضب؛ حيث هنا يكون تأثير الحواس على العقل شديداً وسريعاً، لأن مراكز الحواس كلها متجمعة في المخ. ففي لحظة وجيزة تستطيع الحواس أن توقظ التفكير وتشعل العقل بالغريزة. وهنا يضع الشيطان أصبعه لينحرف بالغريزة لتعمل تحت تأثيرات شريرة يبثُّها العقل. كل هذا يُتممه العدو في لحظة قصيرة، حتى لا يعطي للإنسان فرصة زمنية للتفكير أو المقاومة. والشيطان ينجح في إثارة الإنسان لارتكاب أبشع الخطايا وأفظعها للضمير أو للذوق الإنساني أو للرحمة باستخدامه عنصر المفاجأة والمباغتة، فكثيرون ممن اقترفوا القتل أو السرقة أو الزنا أو الكذب كان عنصر المفاجأة الذي استخدمه الشيطان معهم هو السبب المباشر الذي أوقعهم صرعى تحت سطوته، حتى إذا سألنا المجرم: كيف صنعت هذا؟ يكون ردُّه: [أبداً! أنا لم أعمل هذا ولا أعرف كيف عملت هذا. أنا لم أكن في عقلي، أنا في لحظة وجدت نفسي عملت هذا مع أني لا أريد أن أعمله... أنا بريء...]. واضح هنا كيف دخل الشيطان وتمم الجريمة!!

ثالثاً: عنصر المراودة:

إذا لم ينجح الشيطان في استخدام عنصر المناسبة أو عنصر المفاجأة، يلجأ إلى عنصر المراودة. فهو يبتدىء يراود الإنسان من نحو الفكرة الشريرة سواء كانت للبغضة أو العداوة أو الانتقام أو الكذب أو السرقة أو الزنا أو القتل، وذلك بأن يذكِّره بخطايا شبيهة يكون قد اقترفها سابقاً أو تكون هي نفس الخطايا إنما بصورة مصغرة، وبذلك يصور له سهولتها أو ضرورتها أو لذتها ويحاصره باستمرار حتى يجعله يعيش عقلياً في جو هذه الخطيئة فترة طويلة حتى يعتادها، ثم شيئاً فشيئاً يجعله يتصور أنه اقترفها فعلاً. وهنا يَزيد الضغط على العقل إلى أن يتوافق مع الفكرة الشريرة. وفي اللحظة التي تتم فيها هذه الموافقة المشئومة يدخل العقل تحت سلطة الشيطان وحينئذ يُملي عليه الشيطان قوة الفعل، ويَمُدُّه بقوة شريرة للتنفيذ، حتى يباشر الإنسان الخطيئة وكأنه فاقد لكل إرادة ووعي وسلطان!

هذه المناورات يضعها الشيطان بخطط وجرأة أحياناً تفوق قدرة الإنسان على الرؤيا والكشف والاحتمال. ولكن الله بالمرصاد داخل المعركة، يتدخل في اللحظة الخطِرة لنجاة أولاده: «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك.» (لو٢٢: ٣١و٣٢)

رابعاً: عنصر التضليل: الفخاخ:

«ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس» (١تى٣: ٧). «... فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته.» (٢تى٢: ٢٦)

ليست الشرور تظهر دائماً شروراً. فالعدو له قدرة على تزييف الشر وإلباسه صورة الخير والحق، إذ له قدرة على تغيير شكله إلى شبه ملاك نور ليبشِّر بالصلاح الكاذب والبر الكاذب.

بهذا العنصر بالذات أصبحت الحرب مع العدو خطِرة بالرغم من تفاهتها، لأن الفخاخ التي ينصبها يعطيها طبيعة الحق والصدق، ويستخدم فيها رجالاً لهم صورة التقوى وشكل البر: «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خُدَّامه أيضاً يغيِّرون شكلهم كخدام للبر.» (٢كو١١: ١٤و١٥)

ولكن الذين لهم روح الله لا يهابون خداع الشيطان ومكره وحيله وفخاخه، لأن كل أعماله يكشفها الروح القدس لهم في الحال: «لأننا لا نجهل أفكاره.» (٢كو٢: ١١)

والعدو يلجأ إلى تضليل الفكر بوسائل كثيرة، إما باصطناع مقدمة من الأفكار الصالحة والحث على الأعمال التي تبدو مقدسة، كما يقول بولس الرسول: «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر» (٢كو١١: ١٤و١٥)؛ ثم يبث فيه حرارة مصطنعة وغير مصطنعة ليقوم بأعمال لا تناسبه أو تفوق طاقته، و بعد ذلك يتخلى عنه فيسقط الإنسان من المستوى العالي الذي يكون قد بلغه، وحينئذ يصاب بألم ويأس، أو يبث في الفكر معرفة مزيفة لها صورة الحق ولكنها تحوي إيماناً فاسداً ويجعل الإنسان يتحمَّس لها ويناضل ويقاوم. وأخيراً ينكشف الأمر فيجد الإنسان أنه قد وقع في ضلالة: «ولكني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١: ٣)

أو قد يوحي إلى العقل بمعرفة الأمور المستقبلة فيثق الإنسان في نفسه أنه قد بلغ إلى النبوة،

فيبتدىء يتنبأ عن الأمور ويتعظم في نفسه، وبذلك يستولي الشيطان على الإنسان ويقوده في طرق غريبة ويورِّطه في مأزق، وأخيراً يتخلى عنه فيصير الإنسان هزأة عند نفسه والناس: «لأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال **حتى يصدقوا الكذب** لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل **سُرُّوا بالإثم.**» (٢تس٢: ١١و١٢)

أو قد يلقي على العقل ظلمة كثيفة من جهة كلمة الله: «فحينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت **وينزع الكلمة** المزروعة في قلوبهم» (مر٤: ١٥). فلا يجد الإنسان أية مسرة أو عزاء في كلام الإنجيل، فيبتعد عن قراءته أولاً، ثم يكره الاستماع إليه، ثم يهمله ويحتقره: «ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم **إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين** لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح.» (٢كو٤: ٣و٤)

هكذا يمكن للشيطان أن يضلل المؤمنين. لذلك يحث بولس الرسول تلميذه تيموثاوس أن يؤدب المقاومين بالوداعة ليتوبوا ويستفيقوا من فخ إبليس: «مؤدباً بالوداعة المقاومين عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق، **فيستفيقوا من فخ إبليس** إذ قد اقتنصهم لإرادته.» (٢تي٢: ٢٦)

خامساً: عنصر التخويف:

«عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه.» (إش٥٩: ١٩)

«إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو.» (١بط ٥: ٨)

يلجأ العدو في بعض الحالات إلى التأثير على العقل والإيحاء للنفس بأن الإنسان لن يستطيع الصمود أمامه ولا محالة من السقوط، وبذلك يجرِّد الإنسان من شجاعته وإرادته وحينئذ يُسقطه؛ في حين أن الشيطان لا سلطان له على الإنسان إطلاقاً إلا إذا قَبِلَ الإنسان مشورته بحرية إرادته: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم **كأسد زائر يجول** ملتمساً من يبتلعه هو» (١بط٥: ٨). وبهذه الوسيلة يتسيطر الشيطان على إرادة الإنسان بدون وجه حق، ويوجهه كيفما يشاء؛ مع أن المسيح أعطى الناس، حتى وأضعف إنسان، السلطان على كل قوة العدو. فإن كان الشيطان كالأسد بالنسبة للإنسان الضعيف، إلا أنه أسد مهشَّم الأسنان مقصوص الأظافر فاقدٌ حرية الحركة، فهو لا يملك إلا الاسم والشكل والزئير فقط، لذلك فهو أضعف من أية مقاومة إيجابية:

«قاوموا إبليس فيهرب منكم.» (يع ٤: ٧)

١٢:٦ «فإنَّ مصارَعَتنا ليست مع دَمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساءِ مع السلاطينِ مع وُلاةِ العالمِ على ظُلمةِ هذا الدهرِ مع أجنادِ الشَّرِّ الروحيةِ في السماوياتِ».

«مصارعتنا»: ἡ πάλη

المصارعة هنا بمفهوم عائم يمكن أن يكون بالفكر أو باللسان ولكن ليس بالسلاح، فهو يعبِّر عن المقاومة وحسب لأنه يختص لا بدم ولا بلحم فهو صراع خارج عن الجسد عموماً. ولكن لماذا قدَّم الدم عن اللحم فهذا يُعتبر وضعاً شاذاً؟ ويُعتقد أنه يقصد أن يُعبِّر عن أن العدو ليس على مستوى ما بداخلنا ولا خارجنا، وليس على مستوى الإنسان، بل المصارعة هي مع مَنْ هو متفوِّق فوق طبيعة الإنسان الجسدية، أي ليس من دم ولا لحم — ولكن ليس متفوقاً قط فوق طبيعة الإنسان الروحية.

«مع الرؤساء مع السلاطين»: πρὸς τὰς ἀρχὰς πρὸς τὰς ἐξουσίας

هنا حرب موزَّعة على أقسام من الأعداء كل قسم يختص بحربه، حرب مع الرؤساء وحرب مع السلاطين حرب مع ولاة العالم.

وترتيب الألفاظ والمعاني يشابه ما جاء في تبكيت الروح القدس ضد العالم: «على خطية وعلى بر وعلى دينونة περὶ ἁμαρτίας καὶ περὶ δικαιοσύνης καὶ περὶ κρίσεως » (يو١٦: ٨). فالثلاثة يمثلون ثلاثة أقسام مظلمة تتحكم في العالم وتسوقه إلى الباطل. هنا كذلك حربنا مع مثل هذه القوات المظلمة كل فئة لها حربها: **مع رؤساء**، **مع سلاطين**، **مع ولاة العالم**. ويبدو أن التخصُّص واحد، فالرؤساء حربهم تتركز في عمل الخطية والسلاطين حربهم على تجريدنا من البر وولاة العالم تتركز حربهم على إسقاطنا في الدينونة. والثلاثة الأقسام هم مدبِّرو ظلمة هذا الدهر بخلاف أجناد الشر الروحية المنبثَّة في السموات، فحربهم للمناوشات والمعاكسات العابرة لتسهيل عمل الرؤساء الكبار.

وفي الحقيقة هذا التصوير يتناسب مع تفكير الإنسان حينما يتصوَّر أن هناك حرباً غير منظورة مع أعداء لا يراهم.

أمَّا هذه القوات الحاكمة على عالم الظلمة من رؤساء وسلاطين وولاة ومعهم أجنادهم المختصة بعمل الشر فهي قوات لا يُستهان بها. وفي مواجهتهم نجد الله له صفة السيادة على كل هذه القوات ومن هنا جاء الاسم «القادر على كل شيء» أو «كلي القدرة» أو «القابض على الكل» παντοκράτωρ وهو لقب الله للسيادة وكذلك لقب المسيح للنصرة: «أنا هو الألف والياء،

البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي **القادر على كل شيء** παντοκράτωρ .» (رؤ١ : ٨)

وقد تكرر هذا الوصف في سفر الرؤيا عشر مرات، ثمانٍ منها منسوبة للمسيح واثنان لله وواحدة من الاثنين منسوبة للاثنين معاً. وهذا يفيد أن السلطان المطلق لله على كل قوات الظلمة يشترك فيه المسيح بنفس الشمولية. أمَّا لله فهو تعبير عن السيادة المطلقة، وأمَّا للمسيح فللتعبير عن واقع بَشَري وفعالية وانتصار ساحق: «إذ محا الصك الذي علينا (للشيطان) في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا وقد رفعه من الوسط مسمِّراً إيَّاه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين، أشْهَرهم (فضحهم) جهاراً، ظافراً (معركة انتهت بكسرهم والقبض عليهم) بهم (مجموعة كبيرة) فيه (في الصليب).» (كو٢ : ١٤و١٥)

كذلك فالمسيح طرح الشيطان المحسوب أنه «رئيس هذا العالم: **الأرخون**» (يو١٤ : ٣٠)، وذلك عندما أكمل عملية خلاص الإنسان. والمسيح نفسه أعلن ذلك في بداية عمله حينما جاءه صوت من السماء من الآب ردًّا على طلبه: «"لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة"، أيها الآب مجِّد اسمك (لحساب المعركة القادمة) فجاء صوت من السماء مجَّدتُ وأُمجِّد أيضاً ... أجاب يسوع وقال ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم (إنكسار الشيطان). **الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً.**» (يو١٢ : ٢٧-٣١)

وهنا كلمة «يُطرح» تأتي باليونانية بمعنى «يُطرَد مقهوراً» (cast out) أو يُرمى خارجاً.

والمسيح كان يتحدَّى الشيطان حتى قبل الصليب لأن قداسة المسيح حرمت الشيطان من أن يكون له أي مدخل مع المسيح: «لا أتكلَّم أيضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء» (يو١٤ : ٣٠). وكلمة «**رئيس هذا العالم**» ὁ τοῦ κόσμου ἄρχων هي المقابل المقهور لكلمة «القادر على كل شيء».

وقد أعطانا ق. بولس الرسول صورة لبعض أعمال الشيطان الذي يسميه «**إله هذا الدهر**» أي «**إله الزمان**»: «الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو٤ : ٤). وفي هذه يكمن أخطر وأكبر أعماله، فإنه يعمي عقول وأذهان الناس فلا يستسيغوا كلام الله ولا يقبلوه بل يكرهونه ويلعنونه، لأن قوة تسلُّط الشيطان على أذهان الناس، الذين فقدوا معونة الروح والذين انضموا إلى موكبه، شديدة للغاية. فهو فعلاً يُدخلهم في حالة إظلام كلي حتى لا يروا النور.

ولهؤلاء القوات والرؤساء والسلاطين سلطة على قلوب الذين يبتعدون عن الله بإرادتهم:

+ «فحين كان العشاء وقد ألقى **الشيطان في قلب يهوذا** سمعان الإسخريوطي أن يسلِّمه.» (يو١٣: ٢)
+ «فقال بطرس يا حنانيا لماذا **ملأ الشيطان قلبك** لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل.» (أع٥: ٣)

«ولاة العالم»: κοσμοκράτορας وباللاتينية «رؤساء العالم» mundi rectores:

وهذا اللقب للشيطان هو المقابل المقهور للقب الله والمسيح παντοκράτωρ الكلي القدرة أو القادر على كل شيء أو مالك الكل.

وهذا اللقب ليس ادعاءً بل هو لقب انتسابي، فالعالم كما سبق وقلنا له شقَّان: ظاهر وباطن. الظاهر متغيِّر وزائل والباطن لا يتغيَّر ولا يزول. الظاهر خِداع وكذب، كل ما في العالم؛ والظاهر يوجد اليوم ويتلاشى غداً، الجمال والمال والكرامة والعزَّة **والرئاسة والسلطان**، هذه يعطيها الشيطان ويغدق بها على مَنْ أسقطهم في فخِّه، يسيرون وراءه ويطلبون أمجاده ويسعون إليها. فالعالم الظاهر كذب وخداع وعبارة عن أقنعة وخيالات تظهر لتغيب ولا يبقى لها أثر فهي كذب في كذب، والشيطان مختص بكل هذا الخداع والكذب يلعب فيه كفانوس سحري يحركه بيديه كيفما شاء، لذلك حُسب عن جدارة وهمية أنه رئيس هذا العالم ورئيس هذا الدهر (الزمان لأن الزمان متغيِّر ومتلاشٍ ويدخل ضمن لعبة الخيالات). وقول الشيطان إن العالم بكل ممالكه قد دُفع له، هذا فعلاً حاله، فالعالم الظاهري منسوب للشيطان لأنه كذَّاب وأبو كل كذَّاب. وكما يقول الشيطان إن له أن يعطيه لمَنْ يشاء إذا سجد له، فهذا أيضاً من صميم اختصاصه.

وربما تُلاحظ الآن يا صديقي القارىء، أن هذا الشيطان تكمن كل قوته ويكمن كل سلطانه على كل ما هو خِداع وكذب ومظاهر زائلة، يعطيها ليأخذها. فهو جدير حقاً أن يُدعى إله هذا العالم وإله هذا الدهر. وإنه من الغباء كل الغباء أن لا يفطن الإنسان إلى هذه اللعبة التي يَضِيع فيها كل يوم ملايين البشر يقعون صرعى تحت أوهامه وأحلامه الكاذبة.

لذلك كان كلام المسيح قاطعاً مانعاً فاضحاً:

+ «أنا هو الطريق والحق والحياة.» (يو١٤: ٦)
+ «أنا هو نور العالم. مَنْ يتبعني فلا يمشي في الظلمة.» (يو٨: ١٢)

ثم أظن أنه ليس عسيراً عليك الآن أيها القارىء السعيد أن تدرك أن بانتهاء مظاهر العالم

الكاذبة، ينتهي الشيطان وينتهي معه الزمان ولا يبقى إلاَّ الحق والخلود ووجه ربِّك ذي الجلال.

«على ظلمة هذا الدهر»: τοῦ σκότους τούτου

لقد أعطى هذا الوصف، أول من أعطى، المسيحُ نفسه مُخاطباً أعوان الظلمة من بني الإنسان!!:

+ «ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه: كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي. إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدُّوا عليَّ الأيادي. ولكن هذه ساعتكم **وسلطان الظلمة.**» (لو٢٢: ٥٢و٥٣)

وبولس الرسول استخدم هذا اللقب بفهم ودراية واصفاً كيف كنَّا محبوسين تحت سلطانه بلا أمل ولا رجاء: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ἐξουσίας τοῦ σκότους ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو١: ١٣)

انظر عزيزي القارىء: المقابل لملكوت ابن محبة الله هو «**سلطان الظلمة**»، أي أن «مملكة» المسيح (النور) هي المقابل لـ «**سلطنة**» الشيطان (الظلمة). وتذكَّر دائماً عمل المسيح معنا.

ويُلاحَظ أن «الظلمة» هنا التي هي كناية عن عمل الشيطان، منسوبة للعالم وللزمان أي أن هؤلاء الولاة بترؤسهم على العالم والزمان حوَّلوه إلى ظلمة: «بل مع الرؤساء مع السلاطين **مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ...**». فهم رؤساء ظلمة وسلاطين ظلمة وولاة ظلمة، وهكذا تنحصر كل نشاطاتهم في الظلام أي بعيداً عن الحق والنور بُعداً مطلقاً.

ولكي يدرك القارىء أن الظلمة التي يعنيها النص ليست ظلمة العتمة، أي غياب النور الطبيعي، بل هي ظلمة غياب الحق والمعرفة الإلهية، فليعلم أن الشياطين تستطيع أن تظهر في هيئة ملائكة مضيئة منيرة!! ولكن الضوء والنور هنا هو الضوء والنور الطبيعي الذي يُرى بالعين فقط: «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه **ملاك** نور» (٢كو١١: ١٤). ويُلاحَظ هنا قوله «شبه **ملاك** نور» وليس ملاك نور، لأن في هذا الظهور أيضاً عنصر الكذب والمخادعة. فهو ليس ملاكاً حقيقياً بل **خيالاً** يصنعه ليظهر بالشكل المطلوب. فهو هنا ملاك نور بالشبه وفي الحقيقة شيطان ظلمة، ملاك كذب وخداع وغش قتَّال.

«أجناد الشر الروحية في السماويات»: πρὸς τὰ πνευματικὰ τῆς πονηρίας

كلمة «الأجناد» هنا من المترجم، ولكن أصلها في اليونانية أنها كائنات روحية دون تخصيص

اسم، وتُرجمت بالإنجليزية spiritual forces ولكن صفتها الشر. وهي تعني المجموع الكلي لكل أصناف القوى الشريرة غير المعروفة لنا، والتي تعمل بشكل غير منظور ولا محدد.

وقوله «في السموات» يعني شكل ومجال عملها ضد الإنسان. فالإنسان يواجه هذه القوات في حياته على الأرض وفي السماء. ولكن المطلوب بحسب العلاَّمة وستكوت أن لا نفهم من كلمة السماويات مكاناً معيناً، غير أننا مُجبرون أن نعطي هذه الصفة مع عدم تحديدها مكانياً(٢)، لأن هذا الاصطلاح يفيد مجرد وجودها دون تحديد مكان:

+ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء ἄρχοντα τῆς ἐξουσίας τοῦ ἀέρος الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية...» (أف ٢: ١و٢)

كذلك يقول وستكوت أن انتساب هذه القوات الشريرة إلى السماء لا يفيد أن مسكنهم في السماويات(٢)، لأنه يستحيل أن يتواجد معاً ابن الله في السموات مع هذه القوى الشريرة. فسموات الشيطان تمُتُّ إلى الظلمة، أما سموات المسيح فهي سموات النور.

أمَّا قوله أن هذه القوى منتسبة إلى السماوات أو إلى السماء، وبالتالي فحربها حتماً هو في محيط هذه السماوات أو السماء، فهذا حق، لأننا نفهم أن الإنسان أيضاً ليس هو أرضياً فقط بل هو إنسان سماوي. وكما توجد ظلمة للأرض، كذلك توجد ظلمة لسماء الشيطان.

فليس الإنسان العتيق وحده الذي يهاجمه الشيطان على مستوى غرائزه وأهوائه وشهواته، بل هناك إنسان روحي أيضاً، سماوي هو، وعلى مستوى القداسة، هذا أيضاً مُستهدف لحرب ربما أشد وأعنف من حرب الإنسان العتيق مرات. فحرب الإنسان العتيق هي في محيط الجسد، أمَّا حرب القديسين والإنسان الروحي فهي في محيط الروح والسماء.

ولكن حذارِ أن نفهم أن السماء مكان، بل هي حالة ووجود فقط، ربما لا تبعد عنَّا ولا شبراً واحداً، لأنه معروف من قول الرب أن «ملكوت الله **داخلكم**» (لو١٧: ٢١)، وملكوت الله هو عينه ملكوت السموات!! وهنا يصبح للشيطان أعظم وأخطر حالة أو وضع للإنسان يحارب فيه لأنه إذ يصرعه يعيِّر الله ويهين اسمه وروحه فينا.

إذاً، أخطر حروب الشيطان هي حروب الروح لأنه فيها يواجه من خلالنا الله نفسه ويزعزع بيته وهيكله فينا حينما يزعزع أرواحنا ويهينها ويغلبها.

2. Westcott, *op. cit.*, p. 94.

ولهذا ينبغي أن نُدرك أن العالم ليس خصماً لنا ـــ بحد ذاته ـــ ولكن هذه القوى الشريرة هي التي اغتصبت سيادتها عليه، أرضاً وسماءً وهواءً، بنوع المناسبة كما قلنا، لأن مظاهر العالم متغيِّرة وزائلة وليست حقيقية. وهذه تناسب طبيعة الشيطان فهو تملَّكها بنوع المناسبة.

ولذلك أصبح علينا أن نغلب العالم!! بسبب الحق الذي فينا وبسبب نور المعرفة التي وهبها لنا الله. فالعالم مظاهر كاذبة وآيلة للزوال وليس فيها حق، ونحن فينا حق الله ومعرفة الله التي تميِّز وتفرز بين الحق والباطل، الحق والكذب، الثابت الأبدي والمتغيِّر الزائل. لذلك إذا لم نغلب العالم نكون قد سقطنا في خداعه وخسرنا قضية حياتنا برمتها، وفقدنا الحق ومعرفة الله ونوره.

المسيح قال: «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)، قال هذا لأنه لم يرضخ للكذب، ولمَّا خُيِّر بين وجوده في العالم راضياً عن خداعه وغشِّه وكذبه الذي كان يمثله رؤساء الكهنة والكتبة، والفريسيون الذين أحبوا العالم والظلمة أكثر من الله والنور، وبين أن يرفضه فيموت؛ رفضه ومات، وبموته أصبح **غالباً العالم وكل خداعه ومظاهره الكاذبة، منتصراً على رئيسه، ودائساً سلطانه وهو الموت.** هذه القوات جميعاً برئيسها داسها المسيح تحت قدميه: «أجلسه عن يمينه في السماويات **فوق كل رياسة وسلطان** وقوة وسيادة وكل اسم يسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة» (أف١: ٢٠-٢٢). والمسيح غلب العالم بكل قواته لنا حتى إذا آمنَّا به أي بالحق والنور والمعرفة الصادقة بالله نكون قد غلبنا العالم!! **«لأن كل من وُلِدَ من الله (الحق) يغلب العالم!! وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا. مَنْ هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله.»** (١يو٥: ٤و٥)

لاحِظ في هذه الآية أن ق. يوحنا في رسالته يربط الكلام بالأصحاح الأول من إنجيله لأنه في الأصحاح الأول قال: «أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو١: ١٢). وفي هذه الآية يقول إن **كل مَنْ وُلِدَ من الله** يغلب العالم ثم مَنْ هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي **يؤمن** أن يسوع هو ابن الله. فلو أضفنا قوله أن «كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله»، تكون النتيجة أن كل مَنْ **يؤمن** بابن الله (قبلوه)، يغلب العالم؛ وبالنهاية فإن بالإيمان بالمسيح نغلب العالم.

وطبعاً الإيمان بالمسيح ابن الله هو الإيمان بالنور والحق والحياة الأبدية التي هي غلبة الظلمة وغلبة رئيس هذا العالم وغلبة الكذب في كل صوره وأشكاله وأعماله.

وليُلاحِظ القارىء المستنير أننا نقول إن الشيطان رئيس عالم ظلمة، هذا العالم الذي نقول إنه يتحتَّم أن نغلبه. وفي الوقت نفسه يقول ربنا يسوع المسيح: «أنا هو نور العالم» (يو٨: ١٢). وهذا هو العالم الذي أحبه الله (يو٣: ١٦): عالم النور والحق!

فنحن نعيش في هذا العالم ولكننا لسنا من هذا العالم، نعيش في عالم النور، عالم المسيح، العالم الذي أحبه الله وفداه بابنه. وهنا يظهر قول مضيء وساطع للمسيح:

+ «أنا قد أعطيتهم كلامك **والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم،** كما أني أنا لست من العالم لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير (من عالم الكذب والخداع). ليسوا من العالم كما أني أنا لستُ من العالم، قدّسهم في حقك كلامك هو حق.» (يو١٧: ١٤-١٧)

[٦: ١٣-١٧]

مفردات أسلحة الإنسان الروحية

قلنا أن العالم عالم خِداع ومظاهر كاذبة تتغيَّر وتزول وتصير إلى عدم؛
وأن رئيس هذا العالم كذَّاب وأبو كل كذَّاب وكان قتَّالاً للناس منذ البدء؛
ودرسنا معاً مكايد إبليس ووجدناها جديرة جداً بالدراسة والحذر والفهم واليقظة. فهل تَرَكَنا الله أمام سطوة خِداع العالم ومكايد رئيسه دون أسلحة نواجه بها كل نشاطاته وأعماله ونواجه بها ظلمة هذا العالم وخداعه وكذبه؟

١٣:٦ «من أجلِ ذلك آحمِلُوا سلاحَ الله الكامِلَ لكي تَقْدِرُوا أن تُقاوِمُوا في اليوم الشرِّير وبَعْدَ أن تُتَمِّمُوا كلَّ شيءٍ أنْ تَثبُتُوا».

«تقاوموا»: ἀντιστῆναι
لا تأتي بمعنى المقاومة فقط بل بمعنى «يقف قبالة» العدو أيضاً لأن الفعل يأتي من στῆναι بمعنى «يقف أو يثبت»، لذلك فإن ἀντιστῆναι تعني مباشرة «يقف أو يثبت مقابل».

ونفس الكلمة «يقاوم» جاءت هكذا = ἀντίστητε في رسالة يعقوب الرسول حيث جعل إمكانية مقاومة العدو تأتي نتيجة الخضوع لله: «**فاخضعوا لله. قاوموا إبليس** فيهرب منكم»

(يع ٤ : ٧). ولكن القصد من الوقوف مقابل العدو هو «الثبوت» الذي يأتي باليونانية στῆναι أي يقف بمعنى أن «لا يسقط».

فأسلحة الله التي أعطانا هي إيجابيةٌ إيجابيةً مطلقة ليس فيها سلاح واحد للهجوم. إذاً، فهي حرب اتقاء شر الشرير. لأنه يستحيل على إنسان كان مَنْ كان أن يقهر الشيطان. لأن الوحيد الذي غلبه هو الرب يسوع المسيح لحسابنا، وغلبه بصليبه وسفك دمه. لذلك فالإنسان لن يغلب الشيطان إلاَّ باستشهاده، فالشهداء هم الذين غلبوه: **«وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت»** (رؤ١٢ : ١١)، أي بدمٍ على دم، دم المسيح على دم الشهادة!!

فمثلاً إذا أخذنا سلاح الحق فهو سلاح إيجابي وقائي دفاعي وليس هجومياً، حينما أحمل الحق في ذهني وفي قلبي لا يستطيع الشيطان أن يقترب لا من ذهني ولا من قلبي.

إذاً، فسلاح الله الكامل هو مانع وليس قاطعاً. يحمي ولا يُهاجم، أسلحة حصون وليست أسلحة جبهة. هنا حين أُشهر سلاح الحق، يهرب العدو؛ فهذه مقاومة إيجابية أي، لا أتتبعه ولكن أثبت لحرب جديدة، نغلب فيها برسوخنا في الإيمان:

+ «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه هو. فقاوموه = ἀντίστητε **راسخين في الإيمان** عالمين أن نفس هذه الآلام تُجرى على إخوتكم الذين في العالم.» (١بط ٥ : ٨و٩)

«في اليوم الشرير»: ἐν τῇ ἡμέρᾳ τῇ πονηρᾷ

اليوم الشرير هو اليوم الذي ساد فيه الشرير وصال وجال، فالزمن محايد إمَّا يكون زمناً أو يوماً مباركاً إذا سادت فيه النعمة وتعظَّمت قوة الروح القدس، وإمَّا يكون زمناً شريراً ويوماً شريراً إذا ملأ فراغه العدو بأعماله وأخذه لحسابه ووقفنا نصدُّ ونردُّ وندافع ونثبت.

واليوم يكون شريراً حقاً حينما يركِّز العدو أعماله فيه ويكثف مقاومته من عدة جهات، ويستخدم البعيدين والقريبين والأحباء والأصدقاء مع الأعداء ويقف الإنسان مذهولاً كيف استطاع ذلك المارد أن يجمع هذه القوى معاً ويسخِّرها لحسابه للمضرة والخسارة والتعب؟

المسيح واجه هذا اليوم عندما رفع بصره ووجد رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وعساكر الرومان يقودهم أحد التلاميذ الاثني عشر لكي يقبضوا عليه. ففي الحال أدرك المحرِّك الفعَّال لهذه الغارة المسائية المباغتة التي ظل العدو يعدُّ لها ويخطط ويجمع البيانات والأخبار ويضم الأعوان ويدفع

الرشاوي ويتذلّل للوالي الروماني ويقنع شيوخ الشعب حتى جمعهم في لحظة من الزمان!! ألم يقل له اسجد لي وأنا أعطيك هذه كلها، فرفض (لو٤: ٦-٨)!! إذاً، فليدفع ثمن رفضه. وحينئذ قالها يسوع: «**هذه ساعتكم وسلطان الظلمة**» (لو٢٢: ٥٣). هذا كان أشر الأيام طُرًّا على وجه كل الأرض وكل أزمنة الدهور، ولكن استطاع الرب بقوة مجده وسلطان الحق الذي فيه أن يحوِّله إلى يوم خلاص أبدي لكل العالم من سلطان الظلمة!!

والرب كان قد قابل أياماً كثيرة شريرة: «ولمَّا أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين» (لو٤: ١٣). أمَّا ق. بولس فبلا مبالغة كانت أيامه كلها موضوعة في أجندة الشيطان، لكي لا يتركه ساعة واحدة بلا أذية، ولكن شكراً لله من أجل ق. بولس فهو لم يكن حامل أسلحة جيداً، بل صانع أسلحة ممتازة، فاستطاع هذا الرسول الذي شبَّه نفسه بـ «السَّقْط» (١كو١٥: ٨)، «آخر الكل» (١كو١٥: ٨)، «أصغر جميع القديسين» (١كو١٥: ٩)، «المزدرى وغير الموجود» (١كو١: ٢٨)، الذي «هو ليس هو» (راجع ١كو١٥: ١٠)، استطاع أن يدوِّخ العدو ويسحب جميع أبسطة هياكله من تحت رجليه ويحطِّم أصنامه ويهدم برابيه (جمع بربى ⲡⲓⲉⲣⲫⲉⲓ بي إرفي) ويرد شر أيامه على رأسه ويستخرج من خبثه ومكايده وأفكاره مناهج روحية لملاحقته وقطع كل الطرق عليه، حتى تعلَّم الطفل كيف يردعه ويُخيفه.

نعم لقد نجح ق. بولس أيَّما نجاح في تنفيذ وصية السيد له:

+ «ولكن قُمْ وقِفْ على رجليكَ لأني لهذا ظهرتُ لكَ لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به مُنقِذاً إياك من الشعب (اليهود) ومن الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم **لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين.**» (أع٢٦: ١٦-١٨)

هذا ق. بولس الذي تفنن الشيطان كيف يضيِّق عليه من كل جهة:

+ «غير أن **الروح القدس يشهدُ في كل مدينةٍ أن وُثُقاً وشدائد تنتظرني**. ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينةٌ عندي حتى أُتمِّم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله.» (أع٢٠: ٢٣و٢٤)

وضيِّق عليه من الداخل والخارج لكي يزهق روحه ولكنه تعزَّى!!

+ «لأننا لمَّا أتينا إلى مكدونية **لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنَّا مكتئبين في كل شيء، من الخارج خصومات ومن الداخل مخاوف**، لكن الله الذي يعزِّي المتضعين عزَّانا.» (٢كو٧: ٥و٦)

وضغط عليه الشيطان في يوم من أيام شرّه المُسْتَطير حتى جعله يقول قد يئسنا من الحياة!! أي واجه الموت.

+ «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت حتى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات.» (٢كو١: ٨و٩)

انظر كيف أوصله ذلك العدو الذي لا يهدأ حتى كاد ق. بولس أن يختنق من الضيقة! ولكن القديس بولس **غلبه باستعداده للموت على رجاء أن الله سيقيمه من الأموات.**

هذه، يا إخوة، أمثلة حيَّة ذات قوة وذات أثر ممتد نستطيع أن نستمد منها عوناً حتى ولو انقطع عنَّا كل عون وقوة، حتى ولو فرغت منَّا كل قوة وثقة، حتى ولو تزلزلت الأرض تحت أقدامنا. الذي كان مع الرسل هو معنا. والذي نجَّى القديس بولس من الموت نجَّانا وسينجينا. والذي كان سنداً لآبائنا القديسين يسندنا حتى نكمِّل سعينا بفرح كما أكملوا ودخلوا إلى فرح سيدهم:

+ «أمَّا خوفهم فلا تخافوه.» (١بط٣: ١٤)

«وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا»: κατεργασάμενοι στῆναι

«تتمموا» باليونانية تعني «تكميل عمل **صعب**» notat rem arduam باللاتيني، بحسب العالِم فريتش Fritzsche (٣)، بمعنى "إنكم بعد أن تكونوا قد خُضْتُم معركتكم مع العدو، تظلون واقفين على أرجلكم، أي ثابتين غير متزعزعين". ولكن الأفعال هنا وأزمنتها توحي بأن "تكونوا مستعدين لغيرها"، لأن العدو إن ترك، يترك إلى حين!! كما فعل مع المسيح في تجربة الجبل (لو٤: ١٣).

٦: ١٤ «فاثبُتُوا مُمَنطِقِينَ أحقاءَكم بالحَقّ ولابِسِينَ دِرْعَ البِرّ».

«فاثبتوا»: στῆτε οὖν = "إذاً فاثبتوا".

«اثبتوا» جاءت في الترجمة العربية ناقصة كلمة οὖν «إذاً» التي تفيد أن كلمة «اثبتوا» هنا ليست مثل «اثبتوا» التي جاءت في نهاية الآية السابقة؛ حيث بعد أن تتمموا تكونون ثابتين، ولكن هنا بسبب وجود كلمة «إذاً»، تكون بداية جديدة لحالة وصفية **دائمة**. وتفيد كيفية الدخول من الأول في عملية الحرب غير المنظورة. بمعنى: "حينما تبدأون في الاستعداد للحرب ينبغي أولاً أن تكونوا ثابتين ثم ابدأوا أن تلبسوا أسلحتكم".

3. Abbott, *op. cit.*, p. 184.

الوصف هنا حربي تماماً. ولكن ما لنا والحرب، فالقصد الروحي أن الإنسان لا ينبغي أبداً أن يؤخذ من العدو على حين غرة أي فجأة، ويكون الإنسان على غير استعداد، لأن ضربة واحدة ستكون القاضية!! بمعنى أن يكون الإنسان أعطى لنفسه الحِلّ أن ينام في الخط ويُبطل صلواته وسهره وقراءته في الإنجيل بحجّة راحة أو فُسحة. هنا تكون جبهتك (الحربية) عُريانة أو مكشوفة أمامه فيختار الضربة القاضية لأنكَ كُلَّكَ مكشوف: لا صلاة ولا حق ولا إيمان ولا سهر ولا أية حماية من أي نوع. أقول لك أين سيضرب، ولن أخترع من عندي بل سأذهب إلى داود مرنّم إسرائيل الحلو الذي ملأ الدنيا وإلى كل الدهور بصلواته وتسبيحاته وهيامه وتأملاته، أعطى نفسه راحة وفُسحة وألقى القيثارة وقام يتنزّه على السطح!! في الحال، وبأسرع من الخيال، كان الشيطان قد أعدّ له امرأة تستحم على سطح البيت المقابل وألقى الشيطان أشعة على الجسد، من عنده، فجعل الجسد وكأنه قطعة من البلّور وأحاطه بجمال فتّان، وتقدّم إلى داود وضرب الضربة القاضية، فكانت أكبر نقطة سوداء في تاريخ ملك إسرائيل. ولعله بهذه الضربة قصد من بعيد أن يعرقل النبوّة أن يكون المسيّا من نسل داود حسب الجسد (مز١٣٢: ١١، إش١١: ١)!!

هذا مَثَل لإنسان قوي ذي أسلحة ممتازة، ألقاها عنه وأعطى نفسه فسحة من عناء العبادة.

هنا الكلمة «اثبتوا إذاً» تعني قبل كل شيء: ابدأوا بأن تكونوا واقفين على أرجلكم باستعداد لبس أسلحتكم.

«ممنطقين أحقاءكم بالحق»: περιζωσάμενοι τὴν ὀσφὺν ὑμῶν ἐν ἀληθείᾳ

يعرف هذا كل إنسان عمّال يعمل ويشقى في الفلاحة أو حمل الأثقال أو حتى الجري، وبالأحرى كل جندي مدعو لأعنف الحركات. لأنه أول كل شيء يربط وسطه بحزام قوي ويربطه بإحكام شديد حتى يمسك الجسم كله مستقيماً. أمّا الأحقاء فهي جمع حُق ὀσφύς وهي باليونانية تصلح للمفرد والجمع. ويُظهِره بروز عظمة الحوض من الجنب وهي التي تمنع الحزام من السقوط. وهي وصية الرب والمعلّم: «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسُرُجُكم موقدة» (لو١٢: ٣٥). وهي وصية توحي للإنسان أن يكون على استعداد باستمرار.

والاستعداد هنا روحي كمثل إنسان يستعد للسفر!

ويقولها ق. بطرس الرسول في معنى ربط الذهن لليقظة: «منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة.» (١بط١: ١٣)

انظر عزيزي القارىء موضع **«الحَقّ»** من حركة الإنسان، فهو الذي يحكم كل حركاته

وسكناته الروحية، إذا شدَّ الإنسان وسطه بالحق فاعلم أنه سيكون أعظم مُدافع عن الإيمان!!

وتصوَّر معي إنساناً يحب الحق ويتمسك به ويجعله رائده ومشيره وحُجته وسنده، فمَنْ ذا يستطيع أن يثنيه عن عزمه ورجائه وحبه وإيمانه؟

ولا شك أنكَ قابلت مثل هذا الإنسان الذي يدعونه فلان «حقَّاني قوي»!
يفكر بالحق ويحكم بالحق ويتكلم بالحق ويعترف بالحق!!
فالحق في المسيحية هو القطب الجاذب الذي تخرج منه كل قوة الإيمان والرجاء والحب وتظل منطلقة منه ممسوكة به.

فتصوَّر معي إنساناً مثل هذا يريد الشيطان أن ينازله أي يعاركه لكي يسقطه، ثم اعلم أن الشيطان صفته الأُولى وطبيعته أيضاً هي الكذب والغش والخداع!

فاحكم الآن: حق يصارع كذباً، أيهما يفوز وأيهما يولِّي ويهرب؟
إذاً، فقد أحكم ق. بولس وضع الحقّ على الحُقّ(٤) Truth over girdle. فالحق هو رباط القوة الذي يشدِّد قلب الإنسان وينير فكره ويمنحه ثقة عُظمى واعتداداً بإيمانه وهو الذي يرعب أعداءه.

والحق ليس هو بالقول فقط أو بالفكر أو بالعمل وحسب، بل الحق هو التمسُّك بجوهر الأشياء وأصولها، فعسير على الإنسان أن يتكلَّم بالحق وهو لا يعرف مصدره. فمصدر الحق إن كان هو الإنجيل فهو كلمة الله. وكلمة الله ليست مجرَّد حروف منطوقة أو معروفة، بل قوة منبعثة من طبيعة الله، لأن طبيعة الله هي الحق، والحق في الله مجال، مجال قوة منبعثة تستمدها من كلمات الله. إذاً، فكلمة الله شعاع قوة صادر من طبيعة الله، له سلطان الردع ضد الكذب والكذَّاب وضد الغش والخداع، فانظر واندهش وتعجَّب أن مجرد أن الإنسان ينطق بكلام الله وهو مدرك مصدره وقوته يصبح مُحارباً جباراً كإنسان يطلق من فمه ناراً تأكل المضادين (عب١٠: ٢٧).

«ولابسين درع البر»: τὸν θώρακα τῆς δικαιοσύνης
البر يأتي بعد الحق مباشرة بحسب التقليد التوْراتي: «الرحمة والحق تلاقيا، والبر والسلام تلاثما.» (مز٨٥: ١٠)

(٤) حيث الحَقّ الأول هو الحق المسيحي والحُقّ الثاني هو مفرد الأحقاء.

الحق كما قلنا مُنبعث من طبيعة الله كقوة في كلمة المسيح. فلأنه «**كلمة الله**» قال: «**أنا هو "الحق"**» (يو١٤: ٦)، أمّا البر فهو عملُه لأنه بارٌ ويبرِّر الكثيرين (رو٥: ١٩). ويخطىء مَنْ يظن أن البرَّ هنا هو برُّ الإنسان أو عمله، حتى ولو كان صالحاً. ولكن البر هو برُّ الله الذي برَّرنا به بدم المسيح والإيمان به: «**فإذ قد تبرَّرنا** بالإيمان لنا **سلامٌ** مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو٥: ١). لذلك يقول المزمور: «البر والسلام تلاثما.» (مز٨٥: ١٠)

أمّا قوة البر الذي ناله الإنسان من الله بعمل دم المسيح والإيمان به، فهو بحد ذاته قوة، قوة روحية تسكن القلب والفكر والضمير، لأن تبرير الله لنا يعطينا قوة وطاقة وسلطاناً لنسود على الخطية مهما تكون قد سادت علينا، لأنه يملك علينا ببرِّه عِوَض الشيطان الذي كان يملك علينا بالخطية. فبرُّ الله الذي نعيش فيه يفكُّنا من كل رباط الخطية ويعطينا السيادة عليها.

فتصوَّر إنساناً وضع هذا البر كدرع يواجه به سهام العدو الذي يعيِّره بالخطية أو يحرِّضه عليها، هنا تمسُّك الإنسان ببر الله الذي فيه يجعله يستعلي على كل محاولات الشيطان إذ يظل الإنسان متمسِّكاً ببر الله غالباً بنعمته.

أمّا إحكام وضع البر كدرع يحمي صدر الإنسان، الذي وراؤه القلب مركز الحركة الروحية في الإنسان وعضو القداسة، فنجده مذكوراً في إشعياء كعمل من أعمال المسيح بالنبوَّة:

+ «فرأى أنه ليس إنسان وتحيَّر من أنه ليس شفيع، فخلَّصت ذراعه لنفسه وبرُّه هو عضده. **فلبس البرَّ كدرع** وخوذة الخلاص على رأسه.» (إش٥٩: ١٦و١٧)

البر الذي نحمله ونحتمي فيه هو اعتدادُنا بتبرير الله لنا وبمنحنا برَّه الشخصي الذي رفعنا إلى حالة البنين المحبوبين، فالتمسُّك بهذا البرِّ يجعل كل محاولات الشيطان لإضعاف موقفنا بأي عمل من أعمال الخطية مُحتقرة ومرفوضة.

٦: ١٥ «وحَاذِينَ أرجُلَكم باستِعدادِ إنجيلِ السَّلامِ».

واضح أن القصد هو **الاستعداد لإذاعة إنجيل السلام**. أمّا كيف يكون هذا سلاحاً، فالحرب التي يسوقها العدو تشمل تعطيل إذاعة كلمة الإنجيل الذي هو للسلام، حتى يُشعل هو الخصام بين الناس. لذلك كان استعداد الإنسان ليس فقط بأن يحيا بالإنجيل ويتمسك بكلمة الله، بل وأيضاً بأن يكون على استعداد لإذاعتها، لأن حرب العدو بالأساس هي ضد الإنجيل وضد الحق ثم ضد السلام. الإنجيل عدو الشيطان الأول وكلمة الله تُرعبه. لذلك أصبح من أقوى أسلحة

الإنسان المسيحي أو الكنيسة هو الاستعداد الدائم لإذاعة كلمة الخلاص والتبشير بالإنجيل، إنجيل السلام.

وبنظرة واحدة إلى العالم على مدى عصوره من بعد يوم الخمسين، نجد أن النهضات العظمى التي قامت في العالم قامت على أساس نهضة إذاعة الإنجيل والتبشير به والوعظ الإنجيلي الخلاصي المؤثر. فكل نشاط للإيمان وانتشاره قائم أساساً على نشاط إذاعة الإنجيل وانتشار الكلمة.

كذلك، بنظرة واحدة فاحصة للعالم اليوم، نجد أن حالة البلادة المُفزعة التي تعبُر عليها الآن دول الغرب واللامبالاة بكل القيم الروحية والأخلاقية، ناتج من توقُّف أو ضعف خدمة الإنجيل كرازةً ووعظاً وتعليماً.

بل وفي بلدنا مصر، كانت كل النهضات التي ظهرت منذ الثلاثينات قائمة على نشاط منسَّق في خدمة الوعظ والبشارة بكلمة الخلاص، ولا نريد أن نفهم الوعظ أنه تعليم أخلاقي أو توجيهات عامة؛ بل لا وعظ في الكنيسة الأرثوذكسية إلاَّ ويكون قائماً على الإنجيل ومطابقاً لنص يُختار أو نصوص تُشرح، ولا يخرج عنها الواعظ حتى نضمن أن التعليم إنجيلي وليس شخصياً، أي لا يعتمد على الشخص بل يعتمد على روح الإنجيل والكلمة القادرة أن تلد وتخلق وتجدِّد.

الشيطان الآن يحصد شباباً وشابات ورجالاً ونساءً لأنه ليست لهم أية دراية، وبالتالي حماية، بالإنجيل!

١٦:٦ **«حامِلِينَ فوقَ الكُلِّ تُرسَ الإيمانِ الذي بِهِ تقدِرُون أن تُطفِئوا جميعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ المُلتهِبَةِ».**

«حاملين فوق الكل»:

تجيء في اليونانية «فوق الكل» في البداية للأهمية المطلقة ἐν πᾶσιν وترجمتها الصحيحة بحسب كل العلماء وبالأخص العالِم الألماني ماير(٥) وكذلك أبوت(٦): **«وبالإضافة إلى الكل حاملين ترس الإيمان»**. فإذا تجاوزنا ضعف الترجمة العربية، يمكن فهمها أيضاً كذلك إذا أخذنا بمعنى أن "فوق كل هذا"، أي "بعد كل هذا" أو "بالإضافة إلى كل هذا"، ولكن تأتي كلمة

5. Meyer, *op. cit.*, p. 545.
6. Abbott, *op. cit.*, p. 186.

حاملين ترس الإيمان لتضعف المعنى نهائياً فتجعله كما لو أن الترس يُحمل فوق بقية الأسلحة. وهذا خطأ والصحيح هو أنه بالإضافة إلى كل الأسلحة السالفة يوجد سلاح له علاقة بكل الأسلحة الأخرى، ذلك هو الترس الذي يقي الجسم كله من سهام العدو النارية.

«ترس الإيمان»: τὸν θυρεὸν τῆς πίστεως

ويمسكه المحارب بيده اليسرى بأن يلبسه في ذراعه من خلفه. وهو عبارة عن قطعة طويلة بطول الجسم تقريباً مقوَّسة يحتمي الجسم كله خلفها، وهي من الجلد السميك المقوَّى لتكون خفيفة على اليد ويحرِّكها المحارب بمهارة في كل اتجاه ليتقي بها السهام التي تنطلق في اتجاهه، والتي غالباً ما تكون مشتعلة بالنار.

ويا لبؤس المحارب إذا كان ترسه الإيماني ضعيفاً أو مهزوزاً، فإن أضعف السهام تمزقه. أمَّا الإنسان الذي تربَّى على الإيمان وعاشه وعاش بركاته وقوته وفاعليته، فإنه يكون قادراً لا أن يصدَّ السهام بل يقصفها، ولا أن يطفئها فحسب بل ويسخر منها.

وما هي السهام الملتهبة التي تصوَّب خصيصاً ناحية الإيمان؟

هي التشكيك في المسيح كإله له سلطان الموت والحياة، وأنه ابن الله بالحق الذي أرسله الآب لخلاص العالم.

وما الذي يكسبه الشيطان من زعزعة الإيمان بالمسيح؟ هو أن ينفذ الشيطان بجلده من حقيقة الصليب الذي أسقطه من السماء إلى الأرض وأفقده سلطانه على العالم وهتك مملكة الظلمة التي كان يتمتع بسيادتها: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو١٠:١٨). هنا ينبري المؤمن الحق ويُشهر له سهام الإنجيل المضيئة فتفضح حِيَلَه وتحطِّم فخاخه. ويظل ترس الإيمان السلاح المفضل جداً عند المحارب الماهر لأننا بالإيمان نغلب العالم (١يو٥:٤) ونفضح رئيس هذا العالم!

+ «وأمَّا نحن الذين من نهار فلْنَصْحُ لابسين **درع الإيمان** والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص.» (١تس٥:٨)

«تقدرون»: ἐν ᾧ δυνήσεσθε

جاء هذا الفعل في اليونانية بصيغة المستقبل الدائم، منذراً بأنها حرب مستمرة وتحتاج إلى يقظة وقدرة متجدِّدة بالإيمان.

«أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة»:

وصف مُثير لحرب الشيطان التي يُثير فيها الشهوات والرغبات والنزوات بعنف وكأنها نار مُشتعلة في الجسد. فالسهام ليست مُرسلة في الهواء بل في الأعصاب ومسارب النفس والمشاعر والفكر والجسد، معاً وبآن واحد!! والإنسان مُستهدف في قلبه وضميره وكرامته وشرفه، يُريد الشيطان أن يحرقها جميعاً كما بعود ثقاب، وليس للإنسان في هذه الساعات إلاَّ الإيمان بالله القادر وحده أن يُطفيء عنه هذه الحرب الهوجاء التي بلا معنى ولا سبب. فالإنسان قانع شاكر هادىء لا يسعى إلى شيء ولا يطلب شيئاً، ولكن هي حرب الشيطان تجاه الإنسان المستهدَف في جسده بجنون الشيطان: «مَنْ يُنقذني من جسد هذا الموت؟!!» (رو٧: ٢٤)

ولا ردّ على الإطلاق إلاَّ نعمة ربنا يسوع المسيح، الذي ينجينا من موت مثل هذا وينجي أيضاً (٢كو١: ١٠)!!

+ «ادْعُني في يوم الضيق أُنقذك فتمجدني.» (مز٥٠: ١٥)
+ «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم.» (إش٦٣: ٩)

يا لعظمة الإيمان في ساعة الامتحان!!

يحرِّك قلب الله، يستدر عطف الملائكة: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تَصمُتون.» (خر١٤: ١٤)

+ «أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك. مع أنك غني (بالإيمان) ... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. هوذا إبليس مُزمع أن يُلقي بعضاً منكم في السجن لكي تُجرَّبوا ويكون لكم ضيق ... كنْ أميناً إلى الموت فسأُعطيك إكليل الحياة.» (رؤ٢: ٩و١٠)

٦: ١٧ **«وخُذُوا خُوذَةَ الخلاصِ وسَيْفَ الرُّوحِ الذي هو كلمةُ الله».**

كل الأسلحة السالفة نأخذها من مستودع الكنيسة وخزانة الإنجيل وتعليم الصبوة وخبرة الشباب ومراس الشيخوخة، وإذ لبسنا هذه كلها لم يَعُدْ يُطلب منّا شيء، فكل سلاح في وقته والكل قد تهيأ وثبتنا. ولكن لا تزال أسلحة تُهدَى من السماء، هدية هي، يُلبسها الله لنا بيديه ويوعز إلى ملائكته أن يحرسوها.

«وخذوا خوذة الخلاص»:

«وخذوا»: هناك يد الله ممدودة ماسكة بتاج من إبريز، ما علينا إلاَّ أن نمد أيدينا لنأخذه من فوق؛ فالخلاص هبة والهبة تُعطى فتؤخذ، فأمام قوله «خذوا» لا يبقى علينا إلاَّ أن نأخذ ـــ يا لنعيم الله!! ـــ هو خلاصنا الذي أعده عنده في المشورة العلوية، صنعه بيمينه وباقتدار وكلَّفه دم

ابنه، عليه علامة الدم التي إن لمحها العدو ولّى هارباً لأنها تحمل ذكرى انكسار ويوم الظفر به والفضيحة (كو٢: ١٤و١٥)!! مَنْ يمسك بالخلاص يمسك بالمسيح، بالصليب، بقوة الله (١كو١: ١٨)، وعظمة قدرته الفائقة نحونا وشدة عمله الذي عمله في المسيح من نحونا (أف١: ١٩)!!

مَنْ يتمسَّك بالخلاص يتمسَّك بكل قانون المرافعات تجاه قضية الشيطان والخطية والموت، ولا أحد يستطيع أن يتمسَّك علينا بشيء فنحن أعظم من منتصرين:

+ «فإذ نحن عاملون معه نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً. لأنه يقول في وقت مقبول سمعتُك **وفي يوم خلاص أعنتك.** هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص.» (٢كو٦: ١و٢)
+ «وأمَّا نحن الذين من نهار فلْنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة **وخوذة هي رجاء الخلاص.**» (١تس٥: ٨)

فلبس الخلاص وحده قوة رجاء لنا، بل ورجاء الخلاص هو قوة نصرتنا. لأننا إن كنا خلصنا، فماذا يتبقى للشيطان علينا، أليس أننا بالصليب والقيامة غلبنا؟

ولكن أن يكون لنا أيضاً رجاء بخلاص يُكمَّل، فقد ضمنَّا معارك قادمة حتى يوم مجيء الرب. الخلاص الذي تمَّ هو قوة الحاضر، والخلاص الآتي هو القوة المتجدِّدة إلى مدى الأيام. فخلاصنا ورجاء خلاصنا خوذة مُحكمة لا تطالها ضربات العدو إن أحكمنا لِبْسَها وتمسكنا بها إلى النهاية:

+ «لأنكم بالنعمة **مخلَّصون**» (أف٢: ٨)!!
+ «ويبصر كل بشر **خلاص الله**» (لو٣: ٦)!!

المسيح لبس خوذة الخلاص بالنبوَّة حتى يصنع لنا الخلاص، فصنعه وأعطانا الخوذة:

+ «فلبس البر كدرع. **وخوذة الخلاص على رأسه.** ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء.» (إش٥٩: ١٧)
+ «يا رب، السيد، **قوة خلاصي، ظَلَّلتَ رأسي في يوم القتال، لا تُعْطِ يا رب شهوات الشرير. لا تُنجِح مقاصده**» (مز١٤٠: ٧و٨)!!!

«وسيف الروح الذي هو كلمة الله»:

آخر الأسلحة، التي إذا أخفقت جميعها فيتحتم إشهار السيف. كل الأسلحة إيجابية وقائية

دفاعية وليست هجومية، ولكن إذا تخطّى العدو خط النار وصار في المواجهة **فكلمة الله تصرعه.**

«سيف الروح» هو **كلمة الله** في يد الروح القدس، نُطقها يجعل الروح في مواجهة الشيطان، لأن **كلمة الله** تحمل قوة الله وروحه لأنها صادرة من طبيعته، وطبيعته حق هي وروح، **وكلمته** لها قوة القطع والبتر بين ما هو حق وما هو كذب، لذلك لا يحتملها الشيطان. **كلمة الله** أهّلت الإنسان أن يحمل قوة الله وطبيعته وروحه. فالإنسان الحامل **لكلمة الله** لينطقها بإحكام وفي وقتها الحسن، لا يحتمله الشيطان ويصبح الإنسان بحد ذاته مُرعباً للعدو.

والرب يسوع المسيح أعطانا نموذجاً فعّالاً كيف نواجه العدو **بكلمة الإنجيل**، ففي التجربة على الجبل قاومه الرب بالرجوع إلى الكتاب المقدّس ثلاث مرات، بعدها ذهب الشيطان وانتهت التجربة باندحاره. الذين يحفظون **كلمة الإنجيل** تحفظهم **كلمة الإنجيل** في يوم التجربة. وكما قال ق. بولس: «**كلمة الله** حيّة وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين» (عب٤: ١٢). وليس خافياً أن كل مَنْ تمهّر في **كلام الإنجيل** وصارت عنده قدرة لإخراج كنوز الكلام بإحكام في وقته ومناسبته، يصبح محارباً من الدرجة الأُولى ومدافعاً لا يُشَقُّ له غبار، قادراً بالله على هدم حصون العدو وكل علو يرتفع ضد معرفة الله (٢كو١٠: ٤و٥).

ولقد كان ولع آبائنا بالإنجيل وحفظه بمهارة هو مصدر تبحُّرهم في لاهوت المسيح وفي سيرة القداسة وفي قطع كلمة الحق باستقامة، فاستلمنا منهم إنجيلاً مشروحاً بالروح، محفوظاً بالنعمة، مع قداسة سيرة وسلطان على الأرواح النجسة، وكان للكنيسة مهابة ومجدٌ أمام الولاة والملوك. نعم كل هذا لأنه كان في فهمهم **سيف الروح!!**

الصلاة الخلفية التي وراء الأسلحة
والتي بدونها لا يكون للأسلحة قوة أو مضاء

ليس من بين جميع أسلحة الروح ما يوازي الصلاة في فعلها فهي بحد ذاتها قادرة على استدعاء معونة عاجلة من السماء:

+ «وقال لي يا دانيال أيها الرجل المحبوب افهم الكلام الذي أُكلِّمك به وقُمْ على مَقامِكَ (رجليك) لأني الآن أرسلت إليك. ولمّا تكلّم معي بهذا الكلام قُمت مرتعداً. فقال لي لا تخف يا دانيال **لأنه من اليوم الأول الذي فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدّام إلهك، سُمع كلامك، وأنا أتيت لأجل كلامك.**» (دا١٠: ١١و١٢)

١٨:٦ «مُصَلِّينَ بكلِّ صلاةٍ وطِلْبةٍ كلَّ وقتٍ، في الروح، وساهِرِينَ لهذا بعينِهِ بكلِّ مواظبةٍ وطِلبةٍ لأجلِ جميعِ القديسينَ».

«مُصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت»:

ق. بولس يضغط على أهمية الصلاة ومداها:

كل صلاة — **كل** وقت — **بكل** مواظبة — **لكل** القديسين =

πάσης .. παντί .. πάσῃ .. πάντων

«مُصلِّين بكل صلاة وطِلْبة»: πάσης προσευχῆς καὶ δεήσεως

تأتي الصلاة هنا بصيغة الأمر ولكن كحال في المضارع الدائم.

ولكن على أي أساس أو كلمة سابقة ابتدأ ق. بولس هنا بوصية الصلاة؟

يقول العالِم أبوت(٧) إن أمر الصلاة هنا يأتي مع «**فاثبتوا**» فيُقرأ هكذا: «**فاثْبَتوا** ممنطقين أحقاءكم ... لابسين ... حاذين ... حاملين ... **مُصلِّين**».

فكل الأوامر التي سبقت «مُصلِّين» هي تابعة مباشرة للأمر «**مُصلِّين**»، بمعنى أن المسيحي يحارب بهذه الأسلحة كلها وهو في **حالة صلاة!!**

وقوله «**بكل صلاة**» لا يعني كل أنواع الصلوات كما يقول العالِم أبوت وغيره، ولكنها صيغة التكثير والشمول والتأكيد، كأن تقول: «بكل إخلاص»، «بكل محبة». فليس هنا أنواع إخلاص ولا أنواع محبة، ولكنه يناشدهم أن تكون **الصلاة بكل قوتها وكل عمقها وكل غيرتها وحرارتها.**

وأمَّا قوله «**وكل طِلْبة**»، فهو يعني تغطية حاجة الشخص والآخرين والكنيسة (جميع القديسين). أمَّا الفرق بين الصلاة والطلبة فهو أن الصلاة مقدَّمة لله بلا طلب، وتقوم على الشكر وهو أهم عنصر من عناصر الصلاة، ثم التسبيح أي التمجيد لله بذكر أعماله وأفضاله وإحساناته «أُسبِّح بحمده». وتأتي بعد ذلك **الطلبة** وهي تقديم رجاء أمام الله يشمل الطلبات العامة والخاصة: العامة، لحفظ الكنيسة وشعبه تحت رعايته ليمدَّها بقوة ويقظة من روحه القدوس لتقوم بواجباتها من نحو الله وشعبه؛ وأمَّا الطِّلْبات الخاصة، فهي طِلْبات من أجل أحوال الشعب من مرضى ومعوزين ومضطهدين ومتألمين ومسجونين وجياع وعطاش والمطرودين والمذلين والمظلومين برجاء أن يتحنن الله ليكون رجاءً للذين ليس لهم رجاء وميناءً للذين في العاصف.

7. Ibid., p. 187.

«مُصلِّين ... كل وقت»:

ليس كما يعتقد بعض المفسرين أن المعنى هو الصلاة في كلِّ وقتٍ بوقته، ولكن المعنى هو **الصلاة الدائمة**. ولقد أوضحها ق. بولس في موضع آخر بقوله: «**صلوا بلا انقطاع**» (١تس٥:١٧). وحددها الرب في وصيته بقوله: «ينبغي أن **يُصلَّى كل حين ولا يُمل**» (لو١٨:١)، حيث هنا يتضح معنى الصلاة الدائمة. والقصد أن تكون الصلاة عملاً كبيراً قائماً بذاته وليست في حدود الواجب أو تأدية فرض ــ كما لقوم عادة. وهذا النوع من الصلاة قلَّ مَنْ اختبره، لذلك فإن خبرات الكنيسة في هذا المجال تكاد تكون منعدمة، لأن الصلاة التي تملأ الليل كله أو النهار بطوله، أو على مدى عدة أيام أو بطول الليالي كلها لفترات تمتد شهوراً أو سنينَ، هذه الصلاة يتحقق فيها استعلانات لصالح الكنيسة والأفراد ويتعرَّف القديسون على مشيئة الله من نحو شعبه وكنيسته، أو ينقل المُصلِّي إرشادات لصالح الجماعة ونموها وتجديد حياتها. ولكن يبقى أيضاً معنى للصلاة الدائمة، وهي صلاة القلب اليقظ، حيث بينما يكون الإنسان عاملاً أو ماشياً أو متكلماً يبقى القلب منعكفاً في داخله يرنِّم ويسبِّح ويشكر منغلقاً على ملكوت الله!! لأن ملكوت الله مكانه المفضَّل هو قلب الإنسان: «لأن ملكوت الله داخلكم» (لو١٧:٢١)، لا ينفذ إليه العالم مهما عَلَت صرخاته. أعرف إنساناً سمعت قلبه وهو يرنم بينما هو جالس معنا يسمع ويتكلم.

لماذا الصلاة الدائمة؟

لأن في الصلاة الدائمة يتفتح الوعي الروحي العالي قليلاً قليلاً على قدر عمق الصلاة واستطالتها ودوامها، ويصير قابلاً للاتصال بالله فعلاً لاستقبال فكر الله ومشيئته، كما ينفتح الوعي ويستنير الذهن قليلاً قليلاً ويصبح قادراً على فهم واستيعاب أسرار الله. لذلك نقول بمنتهى الاختصار أن غِنَى المسيحية كلها يتوقف على رجال الصلاة الذين استطاعوا أن يختبروا ويمارسوا الصلاة الدائمة.

«في الروح»:

توجد صلاة بالفكر في حدود الفهم والكلمة واليقظة الجسدية. وهذه سرعان ما تؤدي إلى الملل وتنقطع الصلاة اضطراراً فلا يجد المصلي ما يقوله ــ وينشف ريقه ــ إذ لا يجد أية قوة أو استعداد للاستمرار في الصلاة وإن استمر تخرج الكلمات ميتة متقطعة لا يربطها معنى ولا يدفعها غرض موحَّد.

أمَّا الصلاة **بالروح أو في الروح** فهي صلاة بوعي الروح و بدفعه، يحركها اشتياق شديد

للحديث مع الله مع حرارة ومسرَّة وانفعال يصل إلى البكاء من شدة الفرح والرضى والشكر. هنا شركة بالروح مع الله حيث يصلِّي الإنسان ولا يدري بالوقت ولا يحس بالتعب، تأتيه قوة خفية تظل تمدُّه بالفكر والكلام، لأن في هذه اللحظات يُسَرُّ الله بسماع الصلاة ويشجِّع الإنسان عليها، لأن إحدى صفات الله البديعة أنه «سامع الصلاة» (مز٦٥: ٢)، فهو يجد في سماع صلوات أولاده مسرة فائقة، لذلك يمدهم بالقوة والحرارة. ومثل هذه الصلوات ترتد على الإنسان بالنمو والعمق والفهم والخبرة، وتدسَّم حياته وتُبهج قلبه وروحه وكلما صلَّى كلما تدَّرج في سلم النمو الروحي. فالصلاة الدائمة هي مدرسة القديسين التي تمدهم بكل عناصر البناء الروحي دون معلِّم ودون كتاب ودون توجيه:

+ «وأمَّا أنتم أيها الأحباء فابنوا أنفسكم على إيمانكم الأقدس **مُصلِّين في الروح القدس.**» (يهوذا ٢٠)

+ «لأننا لسنا نعلم ما نُصلِّي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا **بأنَّاتٍ** لا يُنطق بها.» (رو٨: ٢٦)

«وساهرين لهذا بعينه»:

السهر في الصلاة سرٌّ من أسرار الروح، والرب افتتحه بسهر طول الليل: «وقضى الليل كله في الصلاة» (لو٦: ١٢). لم يكن في حاجة أن يُصلِّي وبالأكثر أن يصلي الليل كله. ولكنه كان يُشبع مسرة جسده وبذلك يضع النموذج الأكمل لمسرة الإنسان الجديد، فبهذا الذي عمله الرب يكون قد وضع للصلاة شكلاً من أهم أشكالها، وهو الصلاة المستمرة لتشمل الليل كله. وقد كان، فالقديسون الأوائل أتقنوا هذا النوع من الصلاة، ورتَّبوا له نظامه، ومنهم مَنْ أمضى عمره كله يُصلِّي الليل كله ويرتاح بالنهار قليلاً. والرب وبخ تلاميذه لمَّا طلب منهم أن يصلوا عندما كان هو بجوارهم على مسافة رمية حجر يصلِّي ويسجد بصلاة قيل عنها أن العَرَق كان يتصبَّب منه وهو جاثٍ على ركبتيه يصلي، فعاد بعد مدة فوجدهم نياماً، فقال لهم: أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟! فهذه أقل مدة حددها الرب للسهر في الصلاة، أمَّا هو فوضع الحد الأكمل عندما كان يذهب ويبيت في الجبال وحده ويمضي الليل كله في الصلاة (لو٢١: ٣٧). فصلاة الليل تعبير عن مسرة الروح.

ويتحمس أحد العلماء وهو مرقص بارت، ابن كارل بارت العالِم الذائع الصيت، ويقول في شرحه لرسالة أفسس:

[إنه (بولس الرسول) يقترح هنا ليس أقل من أن تكون حياة القديسين كلها صلاة كبيرة واحدة لله بجهاد، وأن هذه الصلاة تُقدَّم دائماً مهما كانت الظروف مواتية أو معاكسة على

أن لا يكون محورها الذات بل تُعبِّر عن حاجة كل القديسين ورجائهم](٨).

+ «وقال لهم أيضاً مثلاً في أنه ينبغي **أن يُصلَّى كل حين ولا يُمَل.**» (لو١٨: ١)
حيث «ينبغي» تفيد الحتمية must.

+ «أفلا ينصف الله مختاريه **الصارخين إليه نهاراً وليلاً** وهو متمهِّل عليهم، أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً» (لو١٨: ٧و٨). جرِّب هذا أيها الصديق العزيز.

هنا الرب، ولو أنه يكشف عن سر استجابة الله للصارخين إليه نهاراً وليلاً، ولكنه يخفي لماذا الصلاة بلا **ملل**؟ إن هذا أحد أسرار الصلاة وإليك التوضيح:

عندما يبدأ الإنسان ليصلِّي بعزيمة وقلب مفتوح، يأتي إلى حدٍّ ويُصاب بالملل، فيتوقف. وهكذا يُصدم بالملل كل مرة. وهكذا يصبح الملل هو الحاجز العائق عن الامتداد بالصلاة. ولكن لو أخذنا بأمر الرب حسب الوصية فنصمِّم أن لا نمل، ونظل نصلِّي ونخترق منطقة الملل بعناد وجهاد، فإذا عبرناها نكون قد كسرنا حاجز الملل. بعد ذلك تدخل الصلاة في طبيعة جديدة عجيبة ومُذهلة للعقل، ويحصل الإنسان على خبرة روحية فائقة في الصلاة فيصلِّي بعد ذلك ولا يمل!! وبلوغ الصلاة إلى كسر حاجز الملل معناه أن الإنسان تحرر من ربقة الجسد وتجاوز تحكُّمات ضروراته. افهم، ويا ليت الله يعطيك فهماً.

هذه هي الصلاة بالروح، وبعد ذلك يسهل السهر في الصلاة حتى يمضي الليل كله في الصلاة. إن نصيحة الرب **بأن «نصلِّي كل حين ولا نملّ»** (لو١٨: ١)، **هي بحد ذاتها كشف لسر عظيم من أسرار الصلاة**، وفي نفس الوقت استعلان كيف ندخل إلى الله دخولاً يكفِّل لنا سماع الصلاة بل والاستجابة، حتى ولو تمهَّل! (لو١٨: ٧):

+ «**حارين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة.**» (رو١٢: ١١و١٢)

على القارىء النشيط أن ينتفع هنا من هذه الآية لأنها لا تحكي عن تعدد حالات، بل هي حالة واحدة، دخل الإنسان فيها بالصلاة وداوم، فصار في حرارة الروح، والتهبت العبادة، ودخله فرح الله القائم على الرجاء بأمجاد الآتي، وله صبرٌ في الضيق مشهودٌ له!!

+ «لا تهتموا بشيء، **بل في كل شيء بالصلاة** والدعاء مع الشكر، لتُعلَم طِلْباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع.» (في٤: ٦و٧)

8. F. Foulkes, *op. cit.*, p. 185, citing Markus Barth, *op. cit.*, p. 778.

إذا كنَّا في ضرورة شديدة لشيء ما، فبدلاً من أن نركز اهتمامنا فيه، دعنا نصلِّي ونشكر الله، يسمعنا الله ويُنهي على ما يعرقل هذا الشيء. هو طريق أقصر وأضمن، أن ننقل اهتمامنا من الأشياء إلى الله.

«**واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر**» (كو٤: ٢)، تبدو أنها وصية مع أنها منهج حياة القديسين، والطريق المضيء الموصِّل إلى الله، وملءُ الزمن الميت بقوة تحوِّله كله إلى حياة وخلود. هذا هو تجديد العالم. وهنا سرّ خلع العتيق ولِبْس الجديد، وصنعة أولاد الله بالانتقال من عالم الظلمة إلى ملكوت ابن الله بالحب والسهر، وهنا «ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو١٦: ٣٣)، وسرُّ القديس بولس «صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل٦: ١٤)، ومعنى «مَنْ لي في السماء. ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز٧٣: ٢٥)، وتكميل الوصية «سيروا ما دام لكم النور لئلا يُدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥)، وكشف قوة الوعد: «وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً» (يو١٤: ٢٣)، والشركة التي تكلَّم عنها ق. يوحنا باللغز: «وأمَّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو١: ٣)، والبشارة الجديدة: «الظلمة قد مضت والنور الحقيقي الآن يضيء» (١يو٢: ٨)، «**صلُّوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم**» (أف٥: ١٧و١٨)!!

عزيزي القارىء هل تريد أن تعرف سرّ هذه الصلاة؟
صلِّ ... وكن يقظاً ... وداوم.

+ «وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا،
لأننا لسنا نعلم ما نصلِّي لأجله كما ينبغي،
ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها،
ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح،
لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين.» (رو٨: ٢٦و٢٧)

«لأجل جميع القديسين»:

إن أردت أن تدخل حالة صلاة نقية وطاهرة، لا تذكر نفسك البتة.

وإن أردت أن تُعلن عن محبتك الصادقة للجميع، اذكر الجميع في الصلاة، بل اجعلها من أجل الجميع. والجميع هنا هم الكنيسة، **والكنيسة لا يُكنى عنها بالجميع بل بجميع القديسين!**

إن استطعت أن تداوم في صلاتك وتسهر طول الليل ولم تذكر نفسك ولا مرة واحدة، تكون قد

دخلت في صلاة إلهية كصلاة المسيح.

أن تصلّي من أجل الكنيسة ومن أجل كل مَنْ يوحي به إليك الروح القدس بذِكْرِه، فاعلم أن صلاتك سوف تعود إليك بنفس البركات والقوة التي طلبتها من أجل الآخرين.

لو تأملنا في وضع الكنيسة (جميع القديسين)، والكنيسة تصلّي كل واحد من أجل الآخرين دون أن يذكر هو نفسه، لوجدنا عملية تفريغ وملء يُتعجَّب لها، إذ كل واحد من الذين يُصلُّون لا يذكر نفسه، بل يذكر جميع القديسين. فجميع القديسين لم يذكر أي واحد منهم نفسه، وذَكَرَهُ الجميع. الكل أفرغ ذاته أمام الله في الصلاة، والكل امتلأ بصلاة الآخرين بصورة مكثفة. هو لم يذكر نفسه مرة، وذكره الجميع آلاف المرات بلا عدد. هو أفرغ ذاته أمام الله بالصدق والحق وعن قناعة، والله سكب عليه بركات جميع الذين صلوا. إنها كنيسة بديعة حقاً ويحق لها أن تحيا وتدوم.

يا رب أحي شعبك في وسط السنين، واذكر كلمتك لتُجريها كوعدك، لتعود أزمنة الخير وينعم شعبك بوحدة الروح وسلام الحق.

٦ : ١٩ «ولأجلي لكي يُعْطَى لي كلامٌ عند ٱفتِتاح فَمِي لأُعْلِمَ جِهَاراً بسِرِّ الإنجيلِ».

«كي يُعطَى لي كلام عند افتتاح فمي»:

لقد أدرك المسيح هذا المأزق قبل أن يدخله ق. بولس وكل الرسل وكل مَنْ أُعطي أن يكرز باسم المسيح وكلمة الله، فوعد وعداً أن:

+ «لا تهتموا كيف أو بما تتكلَّمون. لأنكم تُعطَوْن في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم **أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم.»** (مت١٠: ١٩و٢٠)

وفي الحقيقة كشهادة شكر وتمجيد للمسيح، ظل الرب باراً بوعده حتى اليوم، فما مِنْ إنسان خرج ليكرز إلاَّ والرب آزره بكلمة في وقتها، وبروح يشجّع ويشدِّد، يرفع الرهبة ويُعطي النعمة، حتى أن كل كارز على وجه الأرض يحكي عن معجزة افتتاح فمه بكلام الله الذي أرسله في حينه فتعزَّى هو قبل أن يعزي الآخرين!!

والقديس بولس في يقيني لم يتوسل لدى جماعة أفسس أن يُصلُّوا من أجل أن يعطى كلاماً عند افتتاح فمه، فهو واثق وقد تأكد واختبر أن هذا حدث ويحدث ولن يتوقف عن الحدوث، ولكنه أراد أن يُشرك جماعة المكروز لهم في صميم الكرازة، حتى يكتسب اهتمامهم لحساب المسيح ويعلمهم كيف يصلُّون من أجل الكنائس الأخرى، لكي تخرج كل كنيسة عن ذاتها تطلب بناء الآخرين، فيُبنى الكل بالكل ويتمجد الاسم المبارَك القدوس في كل مكان. نعم وقد كان.

إنها لحظات يكاد يمسك فيها الكارز بالروح، وكأنه بين يديه وفي فمه، حينما يبدأ بالاسم القدوس ليتكلّم وكل مرة يرتجف ويُصلّي لعل الله يؤازره وما من مرة خلا به!! وهكذا تصير بدايات الكرازة على المنبر من أسعد وأهم اللحظات في حياة الخدام. يقولون إن لحظات انسكاب النعمة لا تتكرر، ولكنها تتكرر. فبعد أن يكمل الكارز كلمته يبحث عن هذه القوة ليجدها قد اختفت في الأعماق إلى أن يأتي ميعادها، ونحن دائماً في الخدمة مع الروح القدس على ميعاد.

«لأُعْلِمَ جِهاراً بسر الإنجيل»:

القديس بولس اؤتمن على إنجيل الغرلة، إنجيل الأمم، بنوع خاص ومتاز: «الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح» (أف٣: ٤). ولكن الكرازة بإنجيل الأمم لم تُصِب هوى في نفوس اليهود قط، فناصبوه العداء، كلما سار وأينما حلّ. لذلك فأن يُعلِم ق. بولس بسر إنجيل الأمم جهاراً، فهنا مكمن المخاطر، الأمر الذي ذاق بسببه الموت مراراً. فكم كان ق. بولس محتاجاً فعلاً لمؤازرة من الروح القدس لأن يرفع صوته في وسط مجمع اليهود: «ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً» (غل٥: ٢). أمّا سر الإنجيل فهو لا ختان ولا ناموس ولا سبت، وأن الأمم شركاء في الميراث والإنجيل والجسد!!

أمّا لنا نحن الآن، فسرُّ الإنجيل أعلنه لنا بطرس الرسول: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣)، فإنجيلنا هو مصدر حياتنا.

٦: ٢٠ «الذي لأجلِهِ أنا سفيرٌ في سَلاسِلَ. لكي أُجاهِرَ فيهِ كما يجبُ أن أتكلَّمَ».

منظر عجيب ووظيفة أعجب. منظر ق. بولس وهو حامل الرقوق بيد و بالأخرى سلسلة تربطه بالجندي الروماني. سفير ملك الملوك ورب الأرباب، وسجين إمبراطور روما بآن واحد، حامل أعظم بشارة وأقوى رسالة بيد، و بالأخرى قيود مُتَّهمٍ مقدَّم للحكم. القديس بولس مُبشِّر بالحياة الأبدية والخيرات السماوية والعتق لكل بني الإنسان، وهو مقيَّد سجينٌ مُقدَّم للموت فاقد الحرية.

القديس بولس كرَّم الإنجيل وصاحب الإنجيل ورفعه عالياً منيراً علو السماء و بإضاءة الشمس، ودفع ثمن تكريمه سجناً وتشريداً ومُحاكمة تلو محاكمة، وليالي وأياماً وشهوراً في ظلام السجون، يرقد على تراب الأرض مربوط اليدين والرجلين. وها هو في هذه الآية يئن من ثقل السلسلة التي يحملها أينما سار، و بآن واحد يطلب أن يرتفع صوته في السجن والشارع وحتى بيت قيصر!!

يسعى في كل مكان ليُصالح العالم مع الله، ولا يجد هو مَنْ يصالحه مع اليهود! كل أمم العالم رحبت به ورفعوه في البيوت على منابر التعليم، واليهود طردوه من الهيكل وطاردوه واقتفوا أثره متعاهدين على قتله، وكان كل همَّه أن يجاهر بالإنجيل كما يجب حتى يسمعه كل مَنْ له أُذن للسمع.

وعلى مدى الدهور وعلى وجه كل الأرض لم يوجد إنسان مثل ق. بولس كان الإنجيل عمله ورسالته، وحبه وكرامته، وحياته وسعادته. ولسان حاله: أموت ويحيا الإنجيل!!

القديس بولس لا يطلب ولا يشتهي أن تُفكَّ السلسلة من يديه، ولكن يطلب ويشتهي كلمة عند افتتاح فمه. لقد دَوَّى صوته في كل المجامع وكل البلاد، ثلاثين سنة يتكلَّم ويعظ الليل والنهار، ولكن لا يزال يشتهي أن يقول كلمة كما يجب أن تُقال.

[٦:٢١-٢٤]
ختام الرسالة

٦: ٢١و٢٢ **«ولكن لكي تَعْلَمُوا أنتم أيضاً أحوَالي ماذا أفعَلُ يُعرِّفُكُم بكلِّ شيءٍ تيخيكُسُ الأخُ الحبيبُ والخادمُ الأمينُ في الربِّ، الذي أرسلتُهُ إليكُم لهذا بعينِهِ لكي تَعْلَموا أحوَالَنا ولكي يُعزِّيَ قُلُوبَكم».**

يُلاحَظ أن ق. بولس تحاشى في الرسالة أن يتكلَّم عمَّا يخصه هو، ليعطي من صفحاتها أكبر حيِّز لِمَا ينفعهم. ولكنه في النهاية وحسب عادته أراد أن يتبادل معهم الأخبار. فكلمة «أيضاً» هنا تعني: أنا كلَّمتُكم عن كل ما يخصكم، أمَّا أنا أيضاً فالذي يخصُّني قد قلتُه لتيخيكس، وهو يعلمه، وسوف يحكي لكم عن أحوالنا في الأَسْر وكيف انتشرت الكرازة من داخل سجن، ومن تحت قيود وسلاسل، وعلى مرأى من حكام وضباط وجنود رومان ورجال القصر الإمبراطوري الذين لم تقصر عنهم الكرازة. كل هذا وأكثر تسمعونه من فم تيخيكُس لأنه عارف بكل أحوالي. وتيخيكس هو أخي الحبيب في الرب والخادم الأمين معي لكلمة الله.

ومعروف أن تيخيكُس رافق ق. بولس عند إقفاله راجعاً من مكدونيَّة في رحلته إلى أورشليم، وها هو مُرافق له على مدى الرحلة حتى السجن. لأنه يوجد أصدقاء يبيعون صداقتهم بلا ثمن، أو بثمن؛ ويوجد أصدقاء يوفُّون حق الصداقة حتى السجن والقيود والموت. وتيخيكس من الصنف الذي لا يبيع بل يتبع حتى الموت.

وهو حاملُ الرسالة، ومتجشِّمٌ أهوال السفر والأخذ على عهدته تبليغ أهل أفسس وكولوسي كل ما لبولس، لأنه حمل الرسالتين معاً، وأهل كولوسي وأفسس على اتصال، وفي وادي ليكوس كنائس أخرى تنتظر أخبار ق. بولس بفارغ الصبر.

سلام لتيخيكُس ولروحه، فالأمانة للقديسين تأسرنا، ولولاه ما سمعنا عن رسالة أفسس ولا كولوسي، فلْيَنْعَم تيخيكُس في ملكوت الله مع كل الأمناء وحاملي كلمة الله لكل أنحاء العالم.

البركة الأخيرة
(٦:٢٣و٢٤)

٦:٢٣ «سلامٌ على الإخوةِ ومحبةٌ بإيمانٍ من الله الآبِ والرَّبِّ يَسُوعَ المَسيحِ».

«سلام على الإخوة»: Εἰρήνη τοῖς ἀδελφοῖς

تختلف هذه البركة الرسولية عمّا اعتاد ق. بولس أن يرسله بالمخاطَب الثاني. ولكن هنا يضعها بصيغة الغائب الجمع. والسبب في ذلك، بعد الدراسة، هو أن الرسالة مُرسَلة لجماعات عديدة لا يعرفهم ق. بولس بالاسم ولا تحصرهم كنيسة أو مكان ــ كما سبق وألمحنا في البداية. فالرسالة مُرسَلة إلى جميع كنائس وادي ليكوس. كذلك نجد ذكر السلام في البداية والمحبة في الختام. وهنا انعكس الوضع. ولكن كل هذا يشير إلى أصالة الرسالة، كما يقول العالِم أبوت، وأنها ليست منحولة أو مزوَّرة(٩).

«سلام ... ومحبة بإيمان»:

المحبة ترتبط دائماً بالسلام، في الليتورجية الكنسية: **«محبة وسلام مع جميعكم»**. وذكر الإيمان بعد المحبة والسلام جيد، لأن بالإيمان يستقبل الإنسان من الله المحبة والسلام.

«من الله الآب والرب يسوع المسيح»:

الختام التقليدي لكل نعمة و بركة وسلام. وهو سبق أن قال **«محبة بإيمان»** من الله الآب والرب يسوع المسيح، فهنا صيغة إيمان مختصرة حيث ينبع الحب والسلام بالتساوي من الآب والابن.

---

9. Abbott, *op. cit.*, p. 190.

٦ : ٢٤ «النعمَةُ مع جميع الذين يُحبُّونَ ربَّنا يَسُوعَ المسيحَ في عَدَمِ فسادٍ».

ابتدأ ق. بولس رسالته بالنعمة: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (أف ١ : ٢)، وهكذا بالنعمة يختم رسالته. والملاحظ أن الرسالة كلها تدور حول نعمة الله.

والملاحظ أيضاً أن ق. بولس ذكر النعمة بدون تعريف حسب التقليد في بداية الرسالة. أمَّا في النهاية، فالمتَّبع إعطاء النعمة التعريف الكافي كما في معظم رسائله.

وحَصْر النعمة للذين يحبون ربنا يسوع المسيح تحصيل حاصل، فلا نعمة بدون محبة، والمحبة هي التي تستدعي النعمة لتنسكب وتفيض.

«في عدم فساد»: ἐν ἀφθαρσίᾳ

والمعنى أنها محبة منزَّهة عن الفساد، باقية إلى الأبد، لن يعتريها تغيير الزمن، فهي محبة ونعمة باقية في عدم موت بكل قوتها وفعاليتها. والكلمة تفيد أن البركات والدعوات مرفوعة فوق الضعف الجسدي والزمن لتبقى وتدوم معهم بالروح إلى الأبد، كالميراث المعدّ لنا الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لنا في السموات (١بط ١ : ٤)، فالدعاء هنا روحي محض يختص بالأرواح المُحبة، في قداسة السيرة التي يليق بها النعمة التي تدوم إلى الأبد آمين.

كتبتها بمؤازرة النعمة في حوالي ثلاثة أشهر
وكان الفراغ منها بشقِّ الأنفس لمرضي مع الشكر لله الذي قوَّاني وأنا لا أستحق.
ذكرى أفسس تدوم إلى الأبد لأنها تحمل أعمق التأملات التي أعطاني الرب.
إجعلْها يا رب بركة لكل مَنْ يقرأها ويتأمل فيها.
واحفظ شعبك في الإيمان الأقدس إلى أن تجيء.
نعم، تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع
الأحد ٨ نوفمبر ١٩٩٢

فهارس الكتاب

١ – فهرس الآيات الواردة بالكتاب

٢ – فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة والمؤلفين الكنسيين

٣ – فهرس موضوعي للكتاب

ثبت بالآيات الكتابية الواردة بالكتاب
مصنَّفة حسب أسماء الأسفار

ثبت بالاقتباسات

من أقوال الآباء والكتّاب الكنسيين

○ ○ ○

فهرس موضوعي

لكتاب شرح الرسالة إلى أهل أفسس



